

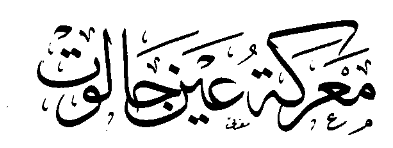
اللواء الركن

الدكتور محمد ضاهر وتر



اللواء الركن

الدكتور محمد ضاهر وتر


معركة عين جالوت

الطبعة الأولى

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين * إهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين انعمت عليهم * غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾[1].

اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد[2].

وبعد:

فهذه دراسة متواضعة موثقة لمعركة عين جالوت / ٦٥٨ - ١٢٦٠ / في الجيشين المملوكي والمغولي. كنت قد اعددتها لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب « التاريخ » من جامعة القديس يوسف في لبنان، أضعها بين يدي القراء الكرام بعد أن بذلت الوسع فيها راجياً أن أكون قد وفقت للحق والصواب.

وقد رتبتها كما يلي:

١ - المقدمة: وتتضمن نبذة عن المماليك وحياتهم وطرق قتالهم.

٢ - خطة البحث: تحدثت فيها عن طريقة دارستي للموضوع مبيناً ما احتوت عليه من فصول. بعد أن ذكرت تراجم لأهم من كتب في الجيشين المملوكي والمغولي.

٣ - الفصل الأول: وتضمن امتداد وارتباط معركة عين جالوت بالمعارك التي سبقتها.

٤ - الفصل الثاني: أشرت فيه إلى مسرح عمليات معركة عين جالوت.

٥ - الفصل الثالث: بينت فيه التوازن القتالي للطرفين المقاتليين.

٦ - الفصل الرابع: وذكرت فيه قادة واركان الجيش المملوكي والمغولي والصفات القيادية للقادة والاركان.

---

(١): سورة الفاتحة

(٢): البخاري ومسلم في (الدعوات) وابن حنبل واللفظ له

٧ ـ الفصل الخامس: وكان للتنظيم والتوجيه المعنوي.
٨ ـ الفصل السادس: احتوى على الصنوف والاسلحة المشتركة في القتال.
٩ ـ الفصل السابع: كان عن التدريب والعمليات.
١٠ ـ الفصل الثامن: تحدثت فيه عن الشؤون الإدارية.
١١ ـ الفصل التاسع: تضمن آثار المعركة.
١٢ ـ الخاتمة: حيث حبكت جميع الفصول والمواضيع السابقة.
أخيراً وضعت فهارس لأهم المصادر والمراجع.

دمشق / ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م

اللواء الركن الدكتور

محمد ضاهر وتر

ـ مقدمة

لقد شغل المماليك البيض الذين أتوا أسرى في الحرب، أو شراء من الاسواق، دورا هاما في التاريخ العسكري والسياسي الإسلامي، وكانوا عماد الجيش وركيزته منذ أيام المعتصم العباسي. فكانت تشكيلات الجيش في عهد هذا الخليفة سنة ٢٠٣ هـ/ ٨٣٣ م ـ ٢١٢ هـ/ ٨٤٢ م من الترك الذين سيطروا وشكلوا طبقة عسكرية ذات امتيازات أثرت فيما بعد على مجريات الاحداث وتطورها في الدول المتعاقبة وتركت بصمات باقية حتى الان في جميع الصعد ولاسيما العسكرية منها[١]. فالدولة الاخشيدية تشكل جيشها من المماليك الاتراك والديلم حيث بلغ عدد جيش مصر والشام أربعمائة ألف جندي. وبلغ جيش المماليك الخاص بمحمد بن طغج ثمانية آلاف[٢]. أما الدولة الفاطمية التي تلت الدولة الاخشيدية فكان جيشها من الاتراك والأكراد والديلم وغيرهم، وكذلك فإن الدولة الايوبية التي سبقت الدولة المملوكية كان جيشها مؤلفا من المماليك الترك[٣].

وكان الملك الصالح أيوب هو الذي اعتنى بالمماليك البحرية وأرسى قواعد نظامهم، لما لمسه منهم من وفاء بالعهد، واستقامة في الأمور، وشدة في القتال، وانضباط، وطاعة، وأسكنهم في قلعة الروضة وكان عددهم ألف مملوك تركي وقد أطلق عليهم « المماليك البحرية »[٤]، ودربهم التدريب العقائدي والقتالي، بعد أن كان يشتريهم صغارا خلافا للقاعدة التي كان عليها من

---

(١): المقريزي ـ السلوك لمعرفة دول الملوك: ١ / ١ / ١٦ وما بعدها.

Lewis, the Arabs in History: 5/ 97, 6 / 103, 104

Lane - poole, A History of Egypt in the middle Ages 9 / 242 - 243.

(٢): المقريزي ـ السلوك لمعرفة دول الملوك: ١ / ١ / ٢٠ ـ ٣٠ وما بعدها.

(٣): المقريزي ـ السلوك لمعرفة دول الملوك: ١ / ١ / ٤١ وما بعدها.

Lane - poole, A History of Egypt in the middle Ages 9 / 242 - 243

(٤): دعوا بالمماليك البحرية لأن ثكناتهم كانت في جزيرة الروضة من مدن النيل (بحر النيل). انظر شبولر ـ العالم الإسلامي في العصر المغولي: ١٠٨ حتى تاريخ العرب / ٧٦٣ /.

سبقه من الملوك إذ كانوا يبتاعون المماليك كبارا، جاهزين للانخراط في الجيش مباشرة[٥].

انقسم المماليك أنفسهم إلى عدة فئات تبعاً لسبق دخولهم وقدمهم في الجيش، ولنوعية الشراء ولانتمائهم الى السلاطين أو الامراء، ولنوع الخدمة على أن أهم هذه الفئات هم المحترفون أجناد الحلقة الذين كانوا يشكلون الأغلبية في الجيش، وقد بلغ عددهم في عهد الناصر محمد بن قلاوون / ٢٤ / ألف وزاد هذا العدد أو نقص في عهد كل سلطان، إلا أنهم كانوا أكثر من غيرهم من الفئات التي حملت لواء الدفاع عن أرض الشام ومصر، وهناك إضافة إلى ذلك كان الجيش غير النظامي أو الإحتياطي المؤلف من العرب والترك والأكراد والمواطنين من السوريين والمصريين الذين بلغ عددهم فوق / ٣٠٠ / ألف مقاتل[٦].

تحتاج كل دولة في بدء انشائها إلى رجال ذوي قدرة، وأبطال شجعان ذوي لياقة بدنية عالية، وحركة وخفة في ساحة المعركة، وإلى أسلحة متطورة. فالجهد كل الجهد منصب نحو تربية المقاتلين تربية عسكرية، متحدين غيرهم بالقوة والعنف. وهذا ما كان للدولة المملوكية إذ اعتمدت على السيف والحرب وعلى كل ما يوصل إلى هذا السبيل، فكان إن حازت النصر في معركة عين جالوت والمعارك التي تلتها، وظلت تكبر وتعظم إلى أن انقسم جيشها وأختلف، وظهر الفساد وانتشر الظلم حتى إذا أتت معركة مرج دابق انطفأت جذوتها وزالت من الوجود[٧].

لقد ازدهرت الفروسية في العصر المملوكي، ونشطت التدريبات المختلفة على الأسلحة المتنوعة، وتطور العلم الحربي بشكل لم يتطوره في الامم الاخرى بالدرجة نفسها[٨]. فأنشئت

---

(٥): المقريزي - السلوك لمعرفة دول الملوك: ١ / ٢ / ٣٤١، شبولر - العالم الإسلامي في العصر المملوكي: / ١٠٩ / الاسكندري: تاريخ مصر: / ٢٣٥ /.

ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٦ / ٣٣١، ٣٧١.

Lane - poole, A History of Egypt in the middle Ages: pp. 242, 243.

(٦): الظاهري، زبدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك: ١٠٥، ١١٦ المقريزي - الخطط: ١ / ٩٥ زكي - الجيش المصري في العصر الإسلامي: ١١

(٧): ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٧ / ٧٩.

ابن خلدون: ١٢١ - ١٢٦. القرماني - أخبار الدول وآثار الاول: ٢٢٠

(٨): David Ayalon, Gun powder and fire arms in the Mamluk Kingdom,(8)

المدارس والكليات الحربية، وكثر المعلمون، واتسعت القاعدة التدريبية في جميع الاسلحة المختلفة كالمدفعية والهندسة والمشاة والنفط والنيران. ومما ساعد على ذلك نجاح الجيش المملوكي في الانتصار على الجيش المغولي في أول معركة خاضها معه، وقيام قادة عسكريين عرفوا بالشجاعة والحزم والقوة أمثال قطز والظاهر بيبرس وبرقوق الناصري وبدر الدين بكتاش، واينال العلائي الظاهري وأزبك اليوسفي ويشبك الفقيه والأشرف قايتباي وغيرهم[9]، وتوفر الوسائط المادية المختلفة، وكثرة الأموال، ونزوح عدد كبير من العلماء والفرسان إلى البلاد، واستقرار الأمن، والسمعة الكبيرة للجيش المملوكي، ونقل الخلافة من بغداد إلى مصر، وسهولة الاطلاع على المصادر لتوفر المكتبات التي تحوي الكتب التي تتكلم عن الفروسية وفروعها المختلفة. وكان أغلب الملوك والسلاطين والامراء من الفرسان المعدودين الذين شهدت لهم ساحات المعارك ومن الذين لهم علم بالرماية ولعب الرمح وضرب السيف، وحسن استخدام للاسلحة المعروفة في ذلك العصر[10]. ولم تقتصر الفروسية على الوجهاء بل كان أغلب الجنود، أو قل جميعهم من الفوارس ومن المدربين على تلك الأعمال التي هي في نظرهم في مقدمة كل أمر[11].

رافق العصر المملوكي الحروب الكبيرة، والمعارك القتالية المتتالية في البر والبحر، ونشاط صناعة الأسلحة، وظهور حوادث مليئة بالفن الحربي على مستوى الهجوم والدفاع والالتفاف والتطويق والحركية العالية في الميدان والمطاردة العنيفة التي اتصفت بالشدة والقسوة والتماس الدائم مع العدو الهارب والكمين والإغارة والتلاقي وقتال المدن والشوارع الذي ظهر بسماته

---

(٩): اليونيني - ذيل مرآة الزمان: ١ / ٣٨٠ وما بعدها، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٥ / ٢٩٣، ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٧ / ٩٦، سرور: الظاهر بيبرس: ٢٨ - السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: ٢ / ٢٧٢ / ابن أياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور: ٣ / ٨٣، ٣٢٥.

الذهبي: دول الإسلام: ٢ / ١٦١.

(١٠): ابن أياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور: ٣ / ١٠٥.

(١١): ابن تغري بردي: المنهل الصافي المستوفي بعد الوافي: ٣ / ١٢٢، القرماني: أخبار الدول وآثار الأول: ٢١٦، ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ١ / ٣٤٩، ٤١٧.

البارزة في المعارك الداخلية بين الأمراء، أوبين الأمراء والسلاطين، والمسير الطويل من مصر إلى بلاد الشام أو إلى البلاد المغولية أو الارمنية أو الصليبية، وتشكيل الجيوش الكبيرة إلى الجهات المختلفة لفتحها، والجاهزية القتالية الدائمة التي تكون في حالة استعداد وتحفز دائم. ولم يكن حديث الفئات المختلفة وشرائح المجتمع إلا الحرب، وسير القادة والمقاتلين، ووصف المعارك والاسلحة والخيل، وذكر الانتصارات والهزائم، وتقويم الطرفين المتنازعين والتعرض للمساوىء والمحاسن.

وكان من بين أنواع القتال استخدام الدفاع المتحرك الذي كان يرمي إلى جذب العدو واستدراجه ومن ثم القضاء عليه وتدميره في منطقة لايستطيع ان ينقذ منها نفسه من هلاك محقق.

ومن أهم أسس هذا النوع المفاجأة والخفة والدوريات والكمائن، وتنظيم الصفوف بتشكيلة متتالية قادرة على المناورة والإلتفاف والتطويق(١٢) ولقد نفذه الجيش المملوكي في معركة عين جالوت، وقام بأعمال متتالية مكنته من الانتصار على خصمه وبرز كقوة ضاربة يحسب حسابها في العالم، وكجيش قادر على تطبيق هذا النوع من القتال بكل كفاءة عالية(١٣).

إن الذي يستطيع أن يشغل دورا كبيرا في الدفاع المتحرك هو الخيل وهي الواسطة الرئيسية لتنفيذ كل المراحل. ومن هنا جاء الاهتمام بها وتدريبها وتعويدها على الخصال الحميدة وعلى رؤية الاسلحة المستخدمة، وعلى وضع اللجام ومنع الصهيل، والمرونة في القيادة، وعلى الجري في الميدان، وعلى الرياضة المستمرة، وعلى اقتحام الأنهار والحواجز، وعلى كل ما من شأنه الوصول إلى حركية عالية، وقابلية طبقا لظروف الدفاع المتحرك(١٤).

---

(١٢): الناصري ـ مخطوطة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب: ١٧٧ ـ ١٩٣.

(١٣): ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٣ / ٥ / ٢١٩.

الهمذاني: جامع التواريخ: ٢ / ١ / ٣١٤.

ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٧ ـ ٧٩، ٨٥ وما بعدها.

(١٤): الرملي: مخطوطة اسبال الذيل في ذكر جياد الخيل: ٣٠، ٤٥، ٤٩

الناصري: مخطوطة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب: ٢٥٣

الرماح: مخطوطة عمل الرمح على الأرض والفرس: ٢٠ وما بعدها.

استخـدم الجيش المملوكي جميـع الأسلحـة الشـائعـة آنذاك الهجومية كالنشاب والقوس والسيف والخنجر والطبر و الدفاعية كالدرع والترس والزردية والخوذة والمغفر وغيرها[١٥]. وكانت لديـه صنـوف التشكيلات القتالية، كالفرسان والمشاة والنفط والنيران والهندسي والمدفعي[١٦]. وكانت أغلب الأسلحة الهجومية والدفاعية تصنع محليا بواسطة عمال مهرة من الشام ومصر.

وقـد عد السيف من أهم أنـواع الأسلحـة حتى ضرب المثل بالسيف الدمشقي الذي تميز بطريقة صنعه وحدته وصقله[١٧].

---

(١٥): القلقشندي: صبح الاعشى: ٢ / ١٣٥، ١٣٦، النويري: نهاية الارب في فنون الأدب: ٦ / ٢٣٩ - ٢٤١. زكي: السلاح في الإسلام: ١٦ - ٣٩.

(١٦): الهمذاني: جامع التواريخ: ٢ / ١ / ٣١٤، اليونيني: ذيل مرآة الزمان: ١ / ٣٥٦، ٣٥٧. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول: ٢٧٩. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة: ٣٤٠، ٣٤٢.

(١٧): الـرمـاح: صورة عن مخطـوطـة في علم الفروسية برسم العمل به: ١١ وما بعدها زيادة: دمشق في عصر المماليك ٤٤، ١١٠. ريسلر: الحضارة العربية: ١١٧ - ١١٩، بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية: ٩٢.

خطة البحث

هذا الموضوع عسكري يتعلق ببداية العصر المملوكي العسكري. ومن الطبيعي دراسة جميع المسائل العسكرية لهذا العصر غير أنها واسعة جدا فسيحة الجوانب بعيدة الزمان والمكان. ولذلك ارتوئي أن يبحث جانب واحد بكل التفاصيل الصغيرة والاختصاصية خير من أن يكون البحث عاما وشاملا.

وعلى هذا فإن الأطروحة تضمنت موقعة عين جالوت فقط وقد تلازمت بالموضوعية والمنهجية العلمية والإختصاصية التي تسبر المجاهل، وتتعمق في الدراسة والتنقيب، وتتجاوز الصعوبات وتكشف عن الامور العسكرية المهمة والتي لها دور كبير في تطوير العلم العسكري من جميع جوانبه القتالية والإدارية.

فلم يتعرض الباحث لفكرة إلا فصلها ولا لحادثة إلا وثقها، ولا لنقطة إلا أظهر ما فيها من أمور عسكرية ذات بال وأهمية، سيما وأنه قد خدم في تلك المناطق، وعاش في تلك الأراضي وعلى مسرح العمليات التي وقعت فيها هذه سنين طويلة.

لقد احتوت هذه الخطة تسعة فصول بالإضافة إلى المدخل الذي أشير فيه إلى أهم المخطوطات والمصادر والمراجع وأهم الأعلام الذين كتبوا في هذا الموضوع.

١) الفصل الأول: امتداد وارتباط معركة عين جالوت بالمعارك التي سبقتها:

تطرق إلى الإمتداد والمقارنة ما بين المعارك التالية: عين جالوت، حطين، اليرموك، القادسية، وكلها كانت فاصلة، وعلى مسرح عمليات واحد، ونتائج وآفاق انتصارية متشابهة، ومبادىء قتالية متقاربة وتنظيم إداري مترابط الاجزاء وأسلحة بقيت متكاملة مع التطور والامتداد إذ ظل السيف في أهميته، والخيل في عدوها وصخبها، وساد ترتيب القتال الذي كان متبعا من قبل واعتمد بصورة خاصة الترتيب الذي يقرر نظام الصفوف، وامتزجت العقيدة القتالية حتى كانت مفاصلها متصلة.

وأما قادة هذه المعارك فكانوا على جانب كبير من التشابه في الشجاعة والقيادة والخبرة والتصميم والإبداع، والتوفيق في الإنتصارات المتتابعة.

٢) **الفصل الثاني: مسرح عمليات معركة عين جالوت:**

يتضمن دراسة مسرح عمليات معركة عين جالوت الذي أوضحت فيه المحاور الذاهبة والآيبة إلى أرض المعركة، والسهول والجبال والغور والهضاب الشرقية لنهر الأردن. كما تعرفنا على الهيئات الأرضية والتلال والوديان والينابيع والأنهار المحيطة بساحة القتال، وكذلك فإنها قد وصفت بعض المدن الفلسطينية مثل نابلس وعكا وصور وصيدا والناصرة وقيسارية وغيرها. وقد درست ميول الأرض والتربة وتأثيرها على تمركز الجيشين المملوكي والمغولي.

٣) **الفصل الثالث: التوازن القتالي للطرفين المتقاتلين:**

درست في هذا الفصل الفئات والأجناس التي كان يتألف منها الجيشان المتقابلان، فقد كان الجيش المملوكي مؤلفا من المماليك السلطانية، وأجناد الحلقة، وأجناد الامراء، وأولاد الناس والمواطنين من العرب والأكراد والترك والشراكسة، أما الجيش المغولي فكانت أغلبيته من المغول والأرمن والأجناس المختلفة الأخرى، وكان لكل فئة من هذه الفئات صفات ومميزات تختلف عن غيرها في الصفات الشخصية والقيادية والجسمية.

٤) **الفصل الرابع: قادة وأركان الجيش المملوكي والمغولي والصفات القيادية للقادة والاركان:**

بحثت فيه الصفات القيادية للقادة والاركان الذين تولوا قيادة الجيشين المملوكي والمغولي في معركة عين جالوت، وإن من أهم قادة الجيش المملوكي قطز وبيبرس وسنجر الحلبي، أما الجيش المغولي فقد كان يقوده هولاكو وكتبغانوين وبايجونين وكان لكل فريق صفات مكنتهم من القيادة، وخاضوا غمار الحرب وهم على جانب كبير من البراعة الحربية القيادية العالية.

٥) **الفصل الخامس: التنظيم والتوجيه المعنوي:**

لقد احتوى على مادتين رئيسيتين هما التنظيم والتوجيه ففي حال التنظيم كانت هناك أهم نقاطه التنظيم والتسلسل والوظائف والرتب العسكرية، وحجم الجيش، والجيوش الإقليمية والمركزية والإحتياطية ومجلس الحرب، والمحاكمات والعقوبات، والعرض والاستعراض والترقيات والمكافآت وما إلى ذلك. أما التوجيه فقد أشتمل على أهم النقاط وهي المكافآت بانواعها كالترقيات والمنح المالية وبث العقيدة والروح المعنوية في نفوس المقاتلين.

٦) **الفصل السادس: الصنوف والاسلحة المشتركة في القتال:**

جمع هذا الفصل الاسلحة المختلفة في كلا الجيشين الهجومية منها والدفاعية على المستوى الفردي والجماعي. وقد كانت متقاربة ومتشابهة. ومن أهم الأسلحة الهجومية السيف والرمح والطبر والنشاب والقوس والخنجر والجنبية والدبوس. ومن أهم الأسلحة الدفاعية الدرع والزردية والخوذة والدبابة والطارق وقد تطورت بعض الأسلحة بعد المعركة كالبندق الرصاص والمكاحل والمدفعية. ومن أهم الأسلحة الفردية السيف على الاطلاق، والجماعية المنجنيق. وقد شكلت أسلحة متتالية تميزت بشيء من الإستقلالية كتشكيلات الفرسان، والمشاة والهندسة والنفط والنيران والمدفعية. وكلها كانت تؤدي دورا كبيرا في القتال.

٧) **الفصل السابع: التدريب والعمليات:**

إنه من أهم الفصول حيث يبحث على مستوى العمليات وعلى مستوى الفن الحربي، فقد ظهرت فيه المبادىء الحربية التي لها صفة تدريبية وحقوقية وقتالية، والتفوق في القوى والوسائط، والإستطلاع والتوجيهات العملياتية، والطليعة، والحشد على الاتجاهات الرئيسية والإخفاء والتموية، والتضليل الإستراتيجي، والقوة المعنوية والحرب النفسية وغيرها من المواضيع التي لها تأثير مباشر على سير المعركة تكتيكيا وإستراتيجيا. كما ركز أيضا على الدفاع المتحرك الذي يعتبر الصفة البارزة في قتال الجيشين المملوكي والمغولي. وقد استخدماه في جميع حروبهما وخاصة في معركة عين جالوت.

٨) **الفصل الثامن: الشؤون الإدارية:**

ما من جيش يقاتل إلا وخلفه مؤخرة تمده بجميع أنواع الوسائط المادية كالاسلحة والذخيرة والتعليمات والمهمات والعلف ووسائط النقل المختلفة ودفع الرواتب وتقديم الخدمة الطبية حفاظا على صحة المقاتلين لتبعد عنهم الوباء والمرض. ومن الطبيعي أن يستلزم وجود هذه المواد مستودعات للإستلام والتخزين والصيانة والصرف للقطعات والتشكيلات. كما أن الشؤون الإدارية تتضمن الإدارات المرتبطة بها وهي الاشغال العسكرية والغنائم والمالية وغيرها. وهناك الامداد في جميع الظروف، وإلى جميع الوحدات المقاتلة، وبجميع الأصناف ولاشك أن النقل له أهمية كبرى وتتوقف فعاليته على نوع الوسائط وحمولتها وقدرتها على مواكبة التشكيلات القتالية في أرض الميدان وفي مسرح العمليات.

٩) الفصل التاسع : آثار المعركة :

آثار المعـركة كانت على المستويين المحلي والدولي ، إذ تأثر المصريون والشاميون بهذه المعركة سيـاسيـا وعسكـريـا فقد أبعدت عنهم شبح الموت والدمار، كما تأثر بها الأوربيون فحافظوا على تراثهم وحفظـوا أمـوالهم ، وتحـولت سيـول التخريب عن بلادهم أما الأيوبيون فقد أنضم قسم منهم إلى الـدولـة المملوكيـة ، وقضي على ماتبقى منهم سيـما الذين عارضوا أو وقفوا في وجه المد المملوكي وبسط هيمنته على البلاد.

لقد تطور أسلوب القتال بعد المعركة ، وأزداد حجم الجيش والتشكيلات القتالية التابعة له. وقد قتل قطز، واستقرت الخلافة في مصر نقلا من بغداد ، وظهر بيبرس كأكبر سلطان في البلاد عمل لبلاده وجيشه ، وأسس تلك الدولة التي استقرت في الحكم سنين طويلة .

١٠) الخاتمـة

حبكت الخـاتمـة جميـع الفصول والمواضيع السابقة حيث تميزت تلك الفترة المملوكية بالشدة والقـوة في النظـام والإنضبـاط وإن معركة عين جالوت أعطت دروسا في الفن الحربي ، والعقيدة القتالية والتر بية الدينية التي مجدت القتال ورفعت من معنويات المقاتلين . ثم جاءت هذه الخاتمة على أسبـاب هزيمـة الجيش المملوكي في آخـر مرحلة وفي زمن شيخـوختـه . وكم تكـون القـوة الحـربيـة معـبرة عندما تقتر ن بالقوة السياسية وبالضوابط الأخلاقية . وكم تكون متطورة عندما توازن بين قواهـا الحـربيـة المختلفـة ، وفـروعهـا الإختصاصية . فلقد اختل التوازن بين القوتين البحرية والبر ية ، وبين فروع الهندسة والطب والشؤون الإدارية والمشاة والنفط والنيران وغير ها .

شغل التنظيم بال قادة المماليك، فقسموا دولتهم إلى عدد من النيابات والقلاع، وعين فيهما السلطان نوابا له. وكان الامراء بصفتهم هذه يمثلون السلطتين السياسية والعسكرية للمدن: دمشق، حلب، طرابلس، حماة، صفد، الاسكندرية، الكرك، غزة، فلسطين، مصر، حمص، القدس، وسيس التي احدثت فيما بعد في زمن الاشرف شعبان[1]. أما أمراء القلاع فكانوا قادة عسكريين مستقلين عن أمراء المدن، ولديهم الأسلحة والذخائر والتموين، مهمتهم الدفاع عن القلعة[2]. ومن هذا يتبين أن التنظيم العسكري يشمل القائد الأعلى وهو السلطان الذي يتولى قيادة الجيوش كافة، والأتابك وهو القائد العام للقوات المسلحة، ونائب السلطان وهو القائد الإقليمي في المدينة، والمقدم قائد القلعة. ثم تتدرج الوظائف والرتب العسكرية من أمير خمسة إلى أمير مائة مقدم ألف جندي. ولا تختلف الوظائف القيادية في الدولة المملوكية عن سابقتها في الدولة الأيوبية كالنائب ورأس النوبة وأمير مجلس وأمير سلاح وأمير آخور، والحجوبية وسواها، وغيرها من رتب بالجيش[3].

وإذا كان المماليك قد قصروا في دفع عجلة التنظيم، وكانوا مقلدين أكثر من مبتكرين، فإنهم بلغوا في التدريب العسكري مرتبة كبيرة وحظا وافرا. فلقد صنف بعضهم الكتب العديدة، المراجع المختلفة التي تبحث في كل نوع من أنواع التدريب. فقد عثر على مخطوطات عديدة مصورة في معهد التراث العلمي العربي بحلب جمعها المعهد من مكتبات عديدة منها: مكتبة الفاتح وروان كشك باستانبول، وبلدية الاسكندرية، ونور عثمانية، والظاهرية بدمشق، والوقفية بحلب، والخزانة التيمورية بالقاهرة. أغلبية هذه المخطوطات موجودة باستانبول ذلك لأن العثمانيين عندما تغلبوا على المماليك نقلوا هذا التراث إلى مركز بلادهم كما نقلوا غيرها من المدربين والصناع المهرة من الذين كانوا يتقنون التدريب ويجيدون التأليف. وهذه الكتب والمخطوطات الموزعة على مكاتب العالم هنا وهناك تتناول الجوانب العديدة من التدريب، حيث

---

(١): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ١١ / ٥٤، ٦٤، ٢٦٣ ١٢ / ١٠ / ١٧٥، ١٧٦. ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور: ٤ / ٣٤ الحنبلي: الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ٢ / ٢٧١، القلقشندي: صبح الأعشى: ٧ / ١٨٠.

(٢): ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ١ / ٣٩٥، ٤٠٦، ٤٠٨.

(٣): القلقشندي: صبح الاعشى: ٤ / ١٦ وما بعدها، الدواداري: الدرر المطلوب في أخبار بني أيوب: ٧ / ٥، ٢٤٧، ٢٦١، ٣٧٨.

ساد التخصص الذي نراه اليوم في التدريبات العسكرية . وإذا علمنا أن التدريب كان في سن مبكرة أدركنا أهميته وفعاليته . سيما وإنه كان يسبقه تدريب عقائدي وتوجيه معنوي قوي ، حيث كان المشايخ يقومون بهذا الدور في الطباق أولا ثم فيما بعد في دور القرآن والمساجد والمدارس ذات المذاهب الاربعة ، والتي كانت منتشرة بصورة واسعة في مصر والشام[4] .

لم يمض زمن طويل (عشر سنوات) على دخول المماليك الجيش الأيوبي حتى وقعت معركة المنصورة التي جرت بين المماليك بقيادة بيبرس في ظل حكم شجرة الدر آرملة الصالح أيوب ، وبين الصليبيين بقيادة الملك لويس التاسع . فكان لهم الاثر البارز في الانتصار لاسيما دور الفارس الشجاع ركن الدين بيبرس الذي كان له الدور الكبير أيضا في معركة عين جالوت التي حدثت بعد عشر سنوات من معركة المنصورة[5] وأدت هذه المعركة إلى زعزعة أركان الصليبيين وبدأوا بعدها بالانحسار والتقهقر تحت ضربات الجيش المملوكي الذي انتصر في عدة معارك ساحلية فيما بعد[6] .

ولعل معركة المنصورة غرست في قادة الجيش المملوكي ثقة الانتصار في معركة عين جالوت على المغول وشجعتهم على الدخول في مواجهة أكبر قوة ضاربة في العالم ، وبذلك أتيح لهم أن ينتصروا على أكبر دولتين كانتا موجودتين في الأراضي العربية وتهددان باستمرار مصر ودمشق وبغداد[7] .

---

(٤) : ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار : ١ / ٩٢ وما بعدها . النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس : ٢ / ٢٩ ، ٦٤ ، ٨٦ ، ٩١ ، ١١٤ ، ارنولد : تراث الإسلام ٣٢٧ .

(٥) : ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ٣ / ٥ / ٢٣٨ ، ٢٣٩ .
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ٦ / ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٣٦ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ .
المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك : ١ / ٢ / ٣٦٨ .

(٦) : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ٨ / ١٥٦ .
ابن الولادي : تاريخه : ٢ / ٣٥٨ .

(٧) : ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ٣ / ٥ / ٢٣٨ .
ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ٧ / ٧٩ .
المقريزي : الخطط : ٣ / ٩٣ .

حدثت معركة عين جالوت، والمماليك قادة وجنودا يخوضون القتال وهم على خبرة عملية، فلقد سبقتها معارك كبيرة وتدريبات نظرية مستمرة وقد ملكوا شجاعة ورثوها وتمرسوا عليها، ولياقة بدنية اكتسبوها بالتمرينات الصعبة والرياضة الدائمة. ومعرفة تامة بعدوهم الذي انحدروا من جنس شبيه به، وعلى يقين من الثبات لانهم يعلمون أنها الفرصة الوحيدة للوقوف أمام المغول، وإلا ضاع وجودهم، وانقلبوا خاسرين وعادوا عبيدا كما كانوا من قبل، وعلى عقيدة دينية تستعذب الموت وتكره الحياة، وعلى تكتيك قتالي وفن حربي وخطة استراتيجية تضع الدفاع المتحرك في أولويات أنواع القتال، وعلى سلاح صانوه وألفوا استخدامه بهذه الصفات دخلوا المعركة فانتصروا على عدوهم[٨].

أما السبب لاختياري معركة عين جالوت فلأهميتها العسكرية من جوانب عديدة ولكونها معركة فاصلة في التاريخ اتسم قادتها بالحزم والتصميم وكان جنودها على مستوى الانتساب العقائدي القتالي، وإن التدريب العالي هو الذي اكسبهم الإحتمال وقوة العزيمة، وإن تصديهم لظلم وجور الجيش المغولي أبعد عن الإنسانية القتل والدمار.

أولا ـ المعركة الفاصلة:

لاتقل معركة عين جالوت عن معركة حطين التي وقعت في الشمال الشرقي منها غربي بحيرة طبرية[٩] وعلى أرض فلسطين، وفي مسرح عمليات واحد بين الأيوبيين والصليبيين سنة ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧م[١٠] وكان من نتائجها أنها سهلت تقدم الجيش الأيوبي نحو الساحل، وكانت سببا لافتتاح البلاد الاخرى من بلدان الساحل، كما كانت مقدمة للانتصارات الكبيرة التي سجلها صلاح الدين الأيوبي وكانت من المعارك الحاسمة التي حولت مجرى الحروب

---

(٨): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٧ / ٩٧، أبو الفداء: تاريخه: ٢ / ١ / ٢١٤ الاسحاقي: أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول: ١٣٢. السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: ٢/ ٣٩، ابن الوردي: المختصر في أخبار البشر: ٢/ ٢٩٧.

(٩): الحموي: معجم البلدان: ٢ / ٢٧٤.

(١٠): ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية: ٦٠.

الصليبية وفتحت أمام الأيوبيين آفاقا جديدة[11]. ولاتقل عن معركة اليرموك في الجنوب الغربي من سورية وإلى الشرق من نهر الأردن في وادي ذي ثلاث شعب يجري فيه نهر اليرموك، ويتابع سيره فيمر بعدد من القرى منها الياقوصة والحمة ثم يصب وينتهي في أسفل بحيرة طبرية، وهو مكان إلى الجهة الشرقية من مكان معركتي حطين وعين جالوت[12]، وكانت اليرموك كما هو معروف بين العرب المسلمين وبين الامبراطورية البيزنطية سنة ١٥ هـ/ ٦٣٦م[13] وكان من نتائج هذا الانتصار فتح بلاد الشام، واتساع هيبة الجيش العربي الإسلامي، وانكفاء الروم وتقهقرهم، وكانت هذه المعركة بداية النهاية، وسببا للفتوحات التي تلت[14] ولا تقل أهميتها (عين جالوت) أيضا عن معركة القادسية التي وقعت غرب مدينة بغداد وتبعد عن الكوفة خمسة عشر فرسخا وعن العذيب أربعة أميال، وهي مكان خصب تكثر فيه المياه والنخيل[15] حيث كانت بين العرب المسلمين وبين الفرس سنة ١٤ هـ/ ٥٣٦م[16] وقد سجلت هذه المعركة انتصارا كبيرا، وتقدم بعدها العرب إلى الغرب والشمال وانهزم الفرس وتوالت الإنهزامات ورحلوا عن الأراضي التي تمنوا أن يعيشوا فيها أبدا. تلك المعارك الاربعة التي سجلت نصرا ساحقا، في بقعة من الأرض تكاد تكون متقاربة.

استطاع الجيش المغولي أن يقهر أجزاء كبيرة من العالم وأن يستولي على معظم البلاد، وأن يذيق أهلها البأساء والضراء، وأن يملأ قلوب أعدائه رعبا، فما وقف في طريقه جيش إلا انتصر عليه، وما تصدى له شعب إلا وهزمه ولم يتعود على الهزيمة أبدا. ودخل معركة عين جالوت وهو

---

(١١): ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية: ٦٤، ابن كثير: البداية والنهاية: ٢ / ٣٢٢، شاهنشاه: منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماه: ٢٩٠ وما بعدها.

(١٢): الحموي: معجم البلدان: ٥ / ٤٣٤.

(١٣): ابن عساكر: التاريخ الكبير: ١ / ١٥٩.

(١٤): للحموي: معجم البلدان: ٥ / ٤٣٤، زيدان: التمدن الإسلامي ١ / ٥١ / ٦١.

(١٥): الإدريسي: نزهة المشتاق: ١٣٧ ـ الحموي: معجم البلدان: ٤ / ٢٩١، القزويني: آثار للبلاد وأخبار العباد: ١ / ١٥٩. الطبري: تاريخه: ٣ / ١١ / ٣١.

ابو الفداء: تقويم البلدان: ١٩٨. شيخ الربوة: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر: ١٨٥.

(١٦): الطبري: تاريخه ٣ / ١١، ابن كثير: البداية والنهاية: ٧ / ٣٨، ابن بطوطة: رحلته ١ / ١٩٤.

يعلم علم اليقين بالانتصار المحقق كما انتصر من قبل، ولكنه كان يحدث نفسه في أمور كثيرة منها:

أن عدده قليل أمام كثرة الجيش المملوكي وإن محاور الإمداد طويلة وبعيدة. هولاكو قد رحل وارتحلت معه بعض الجيوش وانشغل في حروب داخلية، وإن التأييد الشعبي مهزوز من قبل المواطنين في دمشق والبقاع الذين أذاقهم مر العذاب. كل هذه الأمور كانت تقع في مخيلة كتبغا قائد الجيش المغولي، الذي كان يمني نفسه بالانتصار، وما أن دقت ساعة الخطر حتى تبين له أن الأمل مفقود، وإن الهزيمة محققة. وأنتصر الجيش المملوكي وكان ذلك انعطافا تاريخيا، أودى بحياة الجيش المغولي إلى الأبد. وثبت قواعد الجيش المملوكي في أرض الشام ومصر، وحكم البلاد ما يقارب ثلاثة قرون[17].

ثانيا - الصفات القيادية:

لقد كان قطز قائد الجيش المملوكي وبيبرس قائد الطليعة يحملان صفات قيادية أهلتهما لانتزاع النصر من الجيش المغولي. فقد كانا على جانب كبير من الشجاعة والإقدام وقوة الاحتمال[18]، ولهما خبرة سابقة في الحروب وقيادة الجيوش[19] وهما مصممان على النصر مهما كلفهما ذلك من عناء وجهد وتقديم[20]، وهما اللذان اتفقا على وحدة الجيش وتماسكه وقويا فيه الروح المعنوية، وشجعاه على خوض هذه المعركة التي إن هزم فيها الجيش المملوكي لم يبق

---

(١٧): أبو الفداء: تاريخه ٣ / ١٩٠ - ٢١٤، الشيال: تاريخ مصر الإسلامية ٢ / ١٦٨. حتى تاريخ العرب: ٧٦٢.

(١٨): الكتبي: فوات الوفيات: ٢ / ٢٦٨، ابو شامة: الذيل على الروضتين: ٢١ ابن تغري بردي النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٧ / ٩٦، سرور الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره ٢٨، عطية: القاموس الإسلامي: ١ / ٤٠١.

(١٩): ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٣ / ٥ / ٢٣٨، ٢٣٩، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١ / ٢ / ٣٦٨.

(٢٠): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٧ / ٧٩، ٨٥ وما بعدها، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: دراسات في تاريخ وآثار فلسطين: ١ / ٢٩٧.

للجنـود أي أثـر لهم وستضيـع مكـاسبهم ، وسيشـردون كما كانـوا من قبـل[21] وهما اللذان رتبـا الصفـوف بتشكيـلات قتـالية تتناسب مع العدو وإمكانياته وأسلحته المستخدمة ، وطبقا الدفاع المتحرك الذي ابتلع به الجيش المملوكي الجيش المغولي[22].

وكانت خطة محكمة حين تمركزت الدوريات على طريق انسحاب الفلول المهزومة من الجيش المغـولي وقضت عليـه قضـاء مبرما[23]. وقد أحسنا تنفيذ الخدعة حين تقدم الجيش المغولي قبيل بدء المعـركـة ووقـع في الفـخ حينما اصطدم (باليزك) الحرس المتقدم وبدوريات الإستطلاع التي كانت أمـام الجيش المملوكي[24] كما أدخـلا الـرعب في قلب كتبغا قائد الجيش المغولي حين ظهر قادة التشكيـلات عنـد شروق الشمس يوم المعـركـة برايـات وبرتول كثيرة زادت في أعين العدو حجماً وتسليحاً وأدرك حينئذٍ الهزيمة التي ستكون قاسية ومرة[25]. واهتما اهتماما خاصا بالتموين حين عرجا على عكا التي أعيدت فيها ملء الأوعية من الماء ، واشترى الجيش جميع ما يحتاجه من الوسائط المادية ، ثم استأنف المسير بعد أن اخذ قسطا من الراحة ، وبعد أن أمن من أهل تلك الديار الوعد بالحياد الذي لايميل فيه إلى الجانب المملوكي ولا إلى الجانب المغولي[26]. وترفعا قبـل دخـولهـما المعـركـة على ماكان بينهما من خلافات سابقة وبقيت هذه الخلافات مدفونة أثناء المعركة إلى أن ظهرت بعد الإنتهاء من القتال وعودة الجيش إلى مصر، وفي الطريق بادر بيبرس قطـز بضـربـة سيف ، ثم أكمل عليه ، وتسلم السلطنة ، ونظم البلاد وأجرى جميع الإصلاحات

---

(٢١) : الهمذاني : جامع التواريخ : ٢ / ١ / ٢٥٣ ، المقريزي : السولك لمعرفة دول الملوك : ١ / ٢ / ٤٣١ وما بعدها .

(٢٢) : النـاصـري : مخطـوطـة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب : ١٨٩ وما بعدها ، اليونيني : ذيل مرآة الزمان ١ / ٣٦١ ، العبادي : قيام دولة المماليك في مصر والشام : ٢٦٧ .

(٢٣) : الشهابي : تاريخه ٤٣٩ ، الاسكندري : تاريخ مصر ٢٣٦ .

(٢٤) : المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك : ١ / ٢ / ٤٣٠ ، العريني : المغول ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٢٥) : ابن أياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ١ / ٣٤١ ، هندي : الجيش العربي في عصر الفتوحات ٤٩ .

(٢٦) : المقريزي : السلوك ١ / ٢ / ٤٣٠ ، ابن جبير رحلته ٢٩٣ .

على مختلف الصعد، واهتم بأمر الجيش اهتماما كبيرا[٢٧]. وركز أثناء المعركة على التعاون والتنسيق فيما بين القوة الرئيسية والطليعية مما أدى إلى جعل الجيش المغولي يقع بين فكي الكماشة ولم يستطع أن يتخلص من هذا الطوق الذي أحبط كل محاولاته[٢٨] ومن الجدير بالذكر أنهما خرقا صفوف العدو ليصلا إلى قيادة الجيش المغولي فيعملان على شلها وقتل قائدها الذي بقتله سادت الفوضى وضعفت المعنويات وبانت ملامح النصر للجيش المملوكي[٢٩]..

ثالثا - العقيدة القتالية:

لاشك أن العقيدة هي مصدر القوة، ومبعث التوجيه المعنوي وهي أصل إرادة القتال التي تقدم فيها الروح والمال بكل طواعية واختيار ولقد أخذ المماليك بقسط وافر من العقيدة التي نشأت منذ ظهور العرب المسلمين، وعند أول معركة مسلحة مع العدو في بدر الكبرى، ثم تطورت مع الأقوام التي حملوها مع مايتناسب والأسلحة الجديدة، وحجم الجيش ومسرح العمليات[٣٠].

نشأ الجندي المملوكي منذ نعومة أظفاره على الدين الإسلامي، فتربى تربية دينية منذ صغره، حتى إذا قوي عوده تربى تربية عسكرية مليئة بالتدريبات المختلفة القاسية، فهو بهذا قد جمع بين التربية الدينية والعسكرية[٣١]. فالأولى لها أساتذة مربون، وكذلك الثانية[٣٢]،

---

(٢٧): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧ / ٥٤، ٥٥، ٨٤، الصفدي: الوافي بالوفيات ٩ / ٤٨٤، ١٠ / ٣٣٢

Lane - Poole, A History of Egypt in the middle Ages 9 / 262, 263, 264.

(٢٨): ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٣ / ٥ / ٢١٩، الهمذاني: جامع التواريخ ٢ / ١ / ٣١٤.

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: دراسات في تاريخ وآثار فلسطين ١ / ٢٩٦.

(٢٩): جامع التواريخ: ٢ / ١ / ٣١٧، ٣١٨ وما بعدها. ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧ / ٧٩، ٨٥ وما بعدها.

(٣٠): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١ / ٤٢٩. ابن خلدون: تاريخ ٥ / ٣٧١.

(٣١): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك: ٢ / ٢ / ٥٢٤.

(٣٢): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٩ / ٥٦، ١٨٦. أبو شامة: الذيل على الروضتين: ٢١٥.

وللأولى أمكنة للتدريب في المساجد والمدارس وفي ساحات المعركة، وللثانية أمكنة كذلك في الميادين العامة المختلفة. وقد أتيح للسلاطين أن يسهروا على تربية المقاتلين فكريا وجسديا، وكان بعضهم يشرف بنفسه على تدريبهم وطعامهم ومنامتهم وشؤونهم الخاصة والعامة. ويحاسب المدرب والمتدرب على تقصيرهما بأشد العقوبات(٣٣). وكان من أهم المواد التي يتدرب عليها الجندي هي القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن وكتب الاحاديث على المذاهب الأربعة، وفي المرحلة الثانية يدرب على ركوب الخيل وعلى لعب الكرة، وعلى اللعب بالأسلحة المختلفة وعلى طرق القتال العديدة التي منها المقابلة والمجاولة والدوران والمطاردة والتطويق والمطاعنة(٣٤). بهذه العقيدة وصل الجيش المملوكي إلى أعلى مرتبة من الكفاءة العالية والجاهزية القتالية، وبهذه التربية انتزع المماليك دولتهم وأسسوها وأنتصروا على أعدائهم. وبهذا التدريب المزدوج دخلوا معركة عين جالوت وانتصروا على الجيش الذي انتصر على جيوش العالم.

رابعا ـ التدريب العالي:

لقد أهتم قادة المماليك بالتدريب العسكري وأولوه أهمية خاصة، وأنفقوا الأموال في تطويره، وقضوا أغلب أوقاتهم في الإشراف عليه ومراقبته وأنشأوا الميادين الخاصة، وهيأوا القاعدة التدريبية، وانتقوا المدربين من ذوي الخبرة والاصالة، واختاروا الطلاب من شريحة واحدة جلبوها من بلاد بعيدة.

قسم التدريب إلى المواد التالية: الضرب بالسيف، والرمي بالنشاب، الطعن بالرمح، واستخدام الدبوس، ولعب الصولجان، والمصارعة والمدفعية والنفط والنيران، والسباق على

---

(٣٣): مبارك: الخطط التوفيقية: ١ / ٨٧، سرور الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره: ١٤١.

(٣٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٦ / ٥٠٩، العريني: المماليك: ١٢٤، الرماح: مخطوطة في عمل الرمح على الارض والفرس: ٣٠ ومابعدها. الرماح: مخطوطة الفروسية والحرب والأسلحة: ٢٨ ـ ١٤١.

الخيـل وأصـول التـدريب[٣٥]. ولكـل مادة من مواد التـدريب مدرب خاص بها يعلم أصولها وفروعها مثل الرماح حسن الأحدب الذي كان مختصا بالتدريب على الرمح[٣٦]، والزردكاش الـذي كان مختصـا بالتـدريب على المنجنيق[٣٧]، وإبـراهيم الحلبي الذي كان مختصا بالتدريب على المدافع والمكاحل[٣٨] وغيرهم.

فإذا درب المعلم على السيف مثـلا قسمـه إلى أقسـام ثم يشرح كل قسم وعمله وطرقه على الأرض أولاً ثم ظهر الخيل ثانياً، وكيفية القبض عليه باليد اليمنى من ذبابته، حتى يكون القائم باليد اليسرى[٣٩].

وهنـاك تدريبـات مختلفـة ودقيقـة ومتسلسلة تصـل في نهايتها إلى ضرب الخصم في الاماكن القـاتلة. وقـد ألف عن السيف كتب كثـيرة عديـدة أشبـه ما تكـون اليوم عن بندقية آلية أوعن سلاح حديث حيث توجد جميع التساؤلات التي يمكن أن تزيد الطالب ثقافة وعلماً، وأن تؤهله لاستخـدام هذا السـلاح بكـل فعـاليـة. وهكذا الأمر في كل الأسلحة المتوفرة، فإذا أخذنا مثلا المنجنيق درست فيـه المـديـات التي ترتبط بعدة إجراءات لزيادة المدى أو إنقاصه، ومسافة الرمي التي تقـاس بقـائس المسـافات، ووصف وتسمية أجزائه المتحركة والثابتة والقطع الملحقة به، ثم

---

(٣٥): ابن تغـري بردي: النجـوم الـزاهرة: ٦ / ١٣٠، ٧ / ٨٤٤، ابن تغري: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي: ١ / ٢٣٤، ٢٦٦ / ٢ / ١٤٤، ٣، ٢٠، ٥٣، السخاوي: الضوء اللامع: ٢ / ٣٤، ٤١ / ٣٠٨، ٣٠٩، الظاهري: زبدة كشف الممالك: ١٢٥، القلقشندي: صبح الاعشى: ١١ / ١٧٣.

(٣٦): انظر مؤلفاته العديدة عن الرمح منها: مخطوطة الفروسية والحرب والاسلحة: ٢٨ وما بعدها، ومخطوطة اللعب بالرمح في معرفة الفروسية: ١٤ وما بعدها، ومخطوطة في عمل الرمح على الأرض والفرس: ٧٥ وما بعدها.

(٣٧): انظر مؤلفه الانيق في المناجيق: ١٥١٤، ٤١، ٤٦، ٤٨، ١٦٣، ١٧٦، ٢٢١.

(٣٨): ابن تغري بردي: حوادث الدهور: ٣ / ٤٧٤، ابن كثير: البداية والنهاية: ١٣ / ٢١٩.

(٣٩): الرماح: مخطوطة الفروسية والحرب والأسلحة: ٢٩، ناصر الدين: مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح: ٤١، ٤٢، الناصري: مخطوطة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب: ١٧، ١٨.

ينتقل المدرب إلى دراسة المقذوفات التي يقذفها ونوعها ومدياتها وما إلى ذلك(٤٠).

وقد أجاد ابن غانم الاندلسي بوصف هذا السلاح في كتابه « العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع ». وإذا كانت جميع الأسلحة ومواد التدريب الأخرى قد اخذت حيزا من اهتمام القادة، فإن الخيل والتدريب عليها من أهم المسائل التدريبية لأنها تتصل من قريب أو بعيد بكل الأسلحة المستخدمة وبالفارس وهو على ظهر الخيل. وبهذا فإن المقاتلين المماليك كانوا على جانب كبير من الاهتمام بالخيل واقتناء الأفضل منها حتى ولو بلغت ثمنا مرتفعا(٤١) وهذا مما سهل على المقاتلين المناورة في الميدان وخفة الحركة، وتفوقت على غيرها من الخيول التي كانت في العالم ولاسيما تلك التي كانت مع الجيش المغولي. وقد اشتهرت مصر بخيلها في ذلك الوقت(٤٢).

ولقد أجاد العرب من قبل في وصف الخيل وتعرضوا لجميع أعضائها وكأنهم صوروا الخيول العربية هي الخيل الوحيدة التي تصلح للمعارك والقتال(٤٣).

وكان للخيل سوق يجتمع فيه الجند لابتياع أحسنها وإقتناء أفضلها(٤٤). وقد اشتهر رجال عرفوا الخيل والسوابق منها وكان أشهرهم في العصر المملوكي الملك الناصر محمد(٤٥). وحصيلة القول أن التدريب لايعتبر عاليا إلا إذا كان الفارس قد أتقن ركوب الخيل بكل أشكاله وألوانه فيركب والدابة تركض بسرعة، والنزول في أثناء المطاردة ثم القفز عليها وما إلى ذلك من حركات تمكنه من أن يكون قادراً على أستخدام أسحلته المختلفة التي يحملها من على ظهر

---

(٤٠): الزردكاش: مخطوطة الانيق في المناجيق ١٥ وما بعدها، ١٦٣ وما بعدها،

(٤١): البلقيني: مخطوطة قطر السيل في أمر الخيل: ٨٨ وما بعدها، المقريزي: السولك: ٢ / ١ / ٢١٠، ٢٣٦.

(٤٢): المقريزي: السلوك: ٢ / ٢ / ٥٢٦، النويري: الالمام: ٤.

(٤٣): ابن هذيل: مخطوطة في الخيل والسلاح وما يتعلق بها: ٨٣، ابن الرسول الغساني: مخطوطة التذكرة في معرفة البيطرة: ٣، ٤، ١٣، ٩٩، الالوسي: بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب: ٢ / ٧٥ وما بعدها النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب: ١٠ / ١ - ٧٨، ٢ / ١٧ - ٣١.

(٤٤): زيادة: دمشق في عصر المماليك: ١٥٩، الأسدي: أحياء حلب وأسواقها: ٣١٢.

(٤٥): المقريزي: السلوك: ٢ / ٢ / ٥٢٧، ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٩ / ١٦٨.

جواده[٤٦]. ويرافق إتقان ركوب الخيل اللياقة البدنية التي تكون نتيجة لتدريبات قاسية. والمعرفة التامة بطرق القتال بما فيها الخدعة والمرونة، وأخيرا الرمي والدقة في الإصابة[٤٧].

خامسا - جيش الإنقاذ:

لم يكن الجيش المملوكي قبل معركة عين جالوت قد اجتمع في حرب قادة وجنودا، ولكنه كان مقودا من قبل الأيوبيين الذين كانوا أكراد الأصل إلا أن الملك الصالح نجم الدين أيوب فضلهم على بني جنسه وقادهم في معارك كثيرة، وكانوا معه مثالا للطاعة والإنصباط[٤٨]. ويدأ حكم المماليك بشجرة الدر التي كانت مملوكة تركية عند زوجها الملك الصالح الأيوبي التي حكمت فترة بسيطة بعد موت زوجها، وتعاقبت بعدها السلالة الملكية التركية بالمعز أيبك التركماني (٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠ م - ٦٥٥ هـ/ ١٢٥٧م) وانتهت بالملك الصالح صلاح الدين حاجي بن شعبان (٧٨٤ هـ/ ١٣٨١م) على مدى / ٣١ / سنة. ثم أستلم المماليك البرجية الذين كانوا من أصل شركسي[٤٩]. أما الجيش المغولي فقد خبر الحرب عدة سنوات مع أغلب شعوب العالم، وأجتمعت قيادته وجنوده على أصل واحد، وبهذا فهو جيش واثق من نفسه متأكد من نصره[٥٠]. وقد اجتاح هذا الجيش بغداد وقضى على أهلها، وطمس حضارتها كما هي عادته في

---

(٤٦): البلقيني: مخطوطة قطر السيل في أمر الخيل: ١٤٤ وما بعدها، الرماح: مخطوطة نهاية السؤال والأمنية في تعلم الاعمال الفروسية: ٦٣ ناصر الدين: مخطوطة المخزون لارباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح: ٣٠ وما بعدها.

(٤٧): الأشرفي: مخطوطة رمي النشاب ٣٦، المقريزي: الخطط ٢ / ٤٨٩، ٣ / ٧٦.

Lane- poole, A History in egypt in the middle Ages 9 / 250

(٤٨): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٦ / ٣٣١، ٣٧١، السيوطي: من المحاضر في تاريخ مصر والقاهرة: ٢ / ٣٦.

(٤٩): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٦ / ٣٧٤ وما بعدها، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك: ١ / ٢ / ٣٦٨ السيد: مفتاح الذهب: ١٣٥، حتى: تاريخ العرب: ٧٦٢، شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي: ١٧٧.

(٥٠): أبو الفداء: تاريخه: ٣ / ١٩٠ - ٢١٤، ابن كثير: البداية والنهاية: ١٢ / ٢٢٠، الشيال: تاريخ مصر الإسلامية: ٢ / ١٦٨.

المدن التي استولى عليها من قبل(٥١). ثم مر بالجزء الشمالي من سورية من حلب فشرد أهلها، ودمر بناءها، ومن حلب انحدر نحو الجنوب فاستولى على المدن السورية حماة وحمص ووصل إلى دمشق فأخضع أهلها، ودب الذعر في قادتها وأهلها فهرب منهم الكثير والتجأوا إلى مصر(٥٢). ولم يبق أمامه سوى القطر المصري الذي إن أخضعه وقضى عليه فكأنما حكم العالم العربي، وأصبحت البلاد مفتوحة امامه نحو العالم الغربي(٥٣).

لقد ادرك الجيش المملوكي خطورة هذا الوضع المتفاقم، فأعلن النفير، ودقت طبول الحرب، واجتمع المجلس الحربي المملوكي وقرر الدخول في القتال مهما كلفه ذلك من ثمن(٥٤). وتردد بعض القادة ظنا منهم أن الجيش المغولي جيش قوي له خبرته وشهرته العالمية، لكن الأمر، استقر على مجابهة هذه القوة الطاغية(٥٥) وخرج الجيش المملوكي من مصر، والتقى بالجيش المغولي في عين جالوت من أرض فلسطين(٥٦).

وكان النصر بجانب الجيش المملوكي الذي اولي فرصة ذهبية من الخلافات التي سرت في اعدائه، وانسحب القسم الأكبر من الجيش وبقي تشكيل يقدر بفرقة في الوقت الحاضر، ومن القوة المعنوية التي كانت تتأجج في النفوس ومن أمور كثيرة لامجال لذكرها في هذا المكان أدت جميعها إلى انتصار الجيش المملوكي على الجيش المغولي الذي شرد في الآفاق وهرب من أرض

---

(٥١): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٧ / ٤٩ - ٥١، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في تاريخ من ذهب: ٥ / ٢٧١، ابن الوردي: تاريخه: ٢ / ٢٨٣، السيد: مفتاح الذهب: ١٣٠.

(٥٢): ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٥ / ٢٧٢، أبو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع: ٢٠٤. ابن الوردي: تاريخه: ٢ / ٢٩٣ - ٢٩٦.

(٥٣): شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي: ١٠٩، العريني: المغول: ٢٥ الشيال: تاريخ مصر الإسلامية: ٢ / ١٦٩.

(٥٤): الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين: ١٢٥. الطباخ: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: ٢ / ٢٩٠، ٢٩١، زكي: الجيش المصري في العصر الإسلامي: ٥٨.

(٥٥): الهمذاني: جامع التواريخ: ٢ / ١ / ٣١١ - ٣١٣، السبكي: طبقات الشافعية: ٨ / ٢٧٧.

(٥٦): الحموي: معجم البلدان: ٤ / ١٧٧، ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع: ٢ / ٤٥٣، زيادة: دمشق في عصر المماليك: ٢٦ مرمرجي: بلدانية فلسطين العربية: ١٧٠.

المعركة لايلوي على أحد(٥٧).

أنقذ الجيش المملوكي أرض مصر وأهلها من شر الموجات المغولية، التي تحرق الأرض ومن عليها، كما أنقذ تلك الحضارة التي انتقلت من بغداد ونمت وآتت أكلها، وعاش المواطنون بكل أمان واطمئنان(٥٨)، وكذلك فإنه أزاح كابوس الحكم المغولي والصليبي عن دمشق والأردن وفلسطين، بعد أن أستولى الجيش المغولي على قسم كبير من هذه البلاد وقد اتيح للظاهر بيبرس فيها بعد أن يوطد دولته، وينظم جيشه، ويتصدى بكل حزم للمغول الذين كانوا يتربصون الشر بالشام وبأهلها(٥٩)، كما انقذ هذا الجيش المصريين، فإنه خلص أو أوقف ذلك المد الخطير على أوروبا التي لم يكن فيها آنذاكم من القوة ما توقف زخم المغول وبطشهم الذي رافقهم منذ نشأتهم(٦٠). صحيح أن المماليك اهتموا بالناحية العسكرية، وتركوا الوظائف الإدارية بأيدي غيرهم، وصحيح أن هذه الدولة كانت تعتني بشؤون القوات وبوظائفهم وتدريبهم وتسليحهم، فالسلطان قائد عسكري يقود الجيش في المعارك والحملات القتالية والامير قائد يتولى قيادة تشكيل من التشكيلات المقاتلة والجندي مقاتل لا يرضى بغير القتال بديلا، إلا أنهم قدموا لمصر والشام وأوربا خدمات كبيرة كانت على مر السنين رمز الخير والعطاء ورمز الحياة والبقاء(٦١).

وإن انتقلت من المعركة وأهميتها، فإني انتقل إلى أهمية الأستاذ الدكتور نقولا زيادة الذي ـ باطلاعه الواسع وقدرته العلمية، وخبرته العملية ـ أرشدني إلى هذا البحث لعلمه أنه

---

(٥٧): أبو الفداء: تاريخ: ٢ / ١ / ٢١٤، الجبرتي: عجائب الاثار في التراجم والأخبار: ١ / ٢٩، الإسحاقي: اخبار الاول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول: ١٣٢.

(٥٨): شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي: ١٠٩، الشيال: تاريخ مصر الإسلامية: ٢ / ١٦٩.

Lane - poole, A History of egypt in the middle ages: 9 / 263 - 270.

(٥٩): بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية: ٢٤٣، ٣٦٧، حتي: تاريخ العرب: ٧٦٦ دائرة المعارف الإسلامية: ٤ / ٣٦٥.

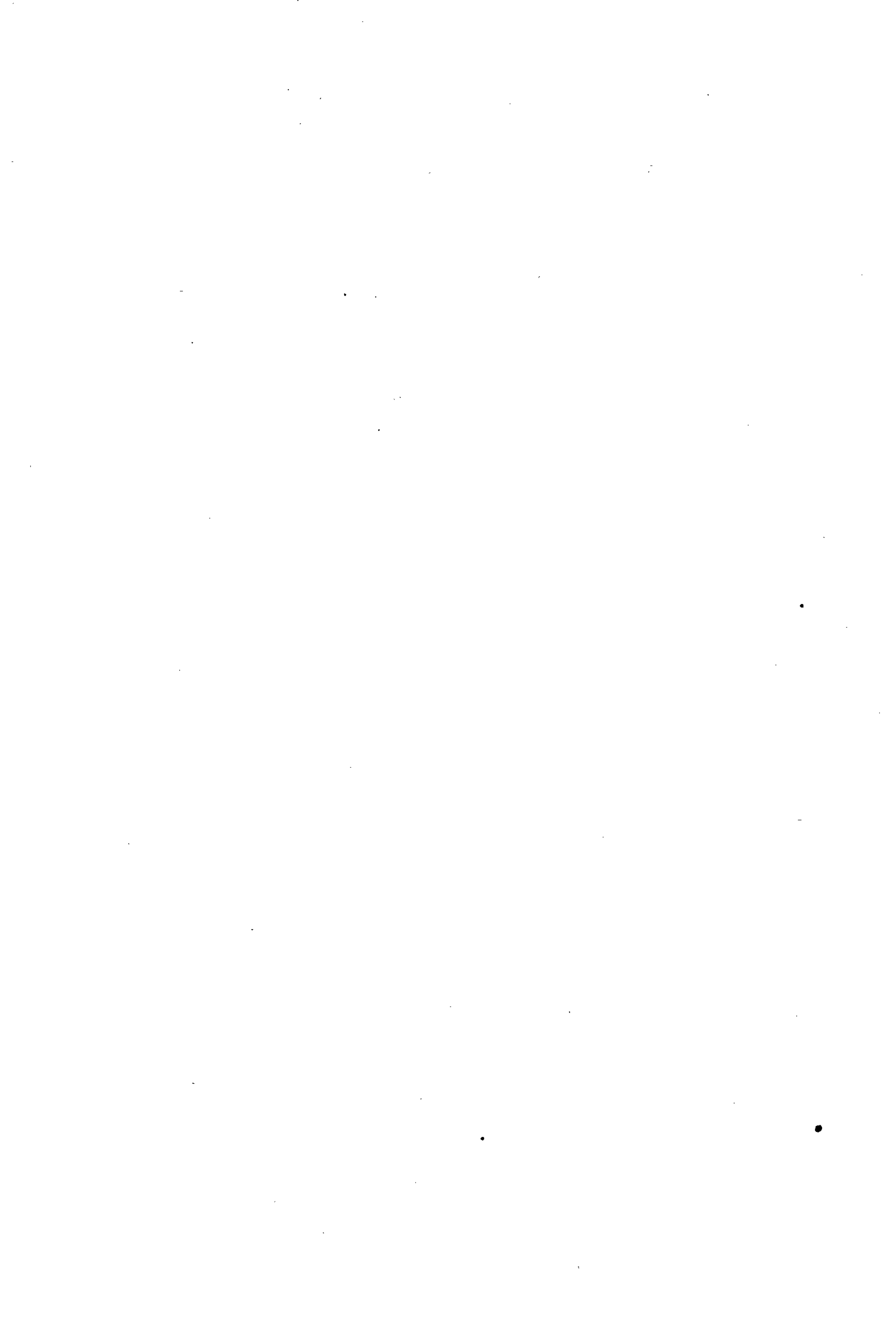
(٦٠): أسعد: يولو: ١١ وما بعدها، البغدادي: الإفادة والإعتبار: ١٢٦. الشيال: تاريخ مصر الإسلامية.

(٦١): شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي: ١٠٩، حتى تاريخ العرب: ٧٦٢، ٧٦٦ وما بعدها.

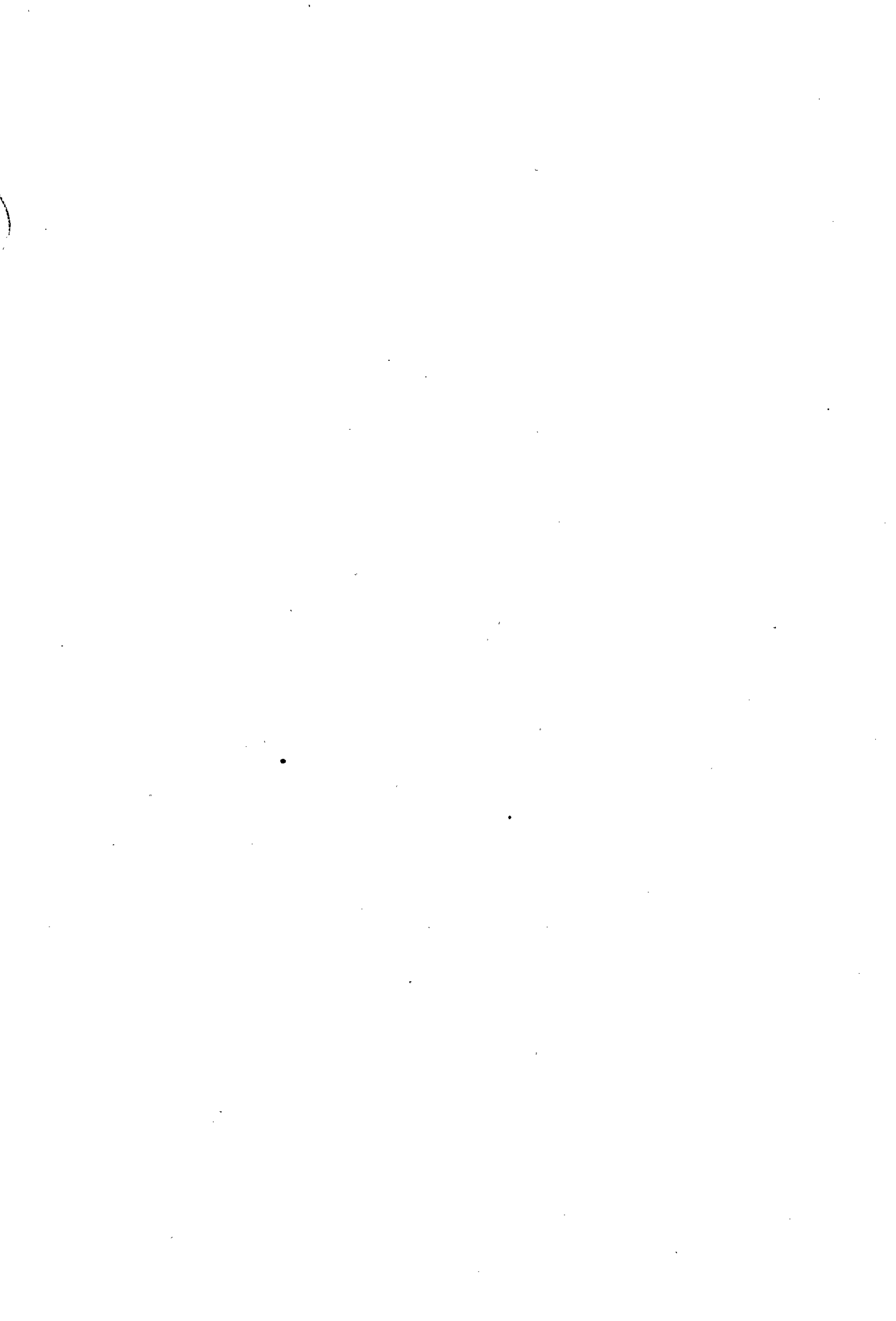
قريب من اختصـاصي العسكري والتاريخي ، ولصلته الوثقى بالفروسية والأعمال القتالية، فإليه كل شكري وتقديري، وإليه الفضل الكبير في حسن الاختيار، وبلوغ المقصد، ونجاح هذا البحث.

وكم كان تقـديـري كبـيرا لمديـر معهـد التراث العلمي العربي بحلب والعاملين معه، حين سهلوا علي الـوصـول إلى المخطـوطـات والمصـادر والمـراجـع الموجودة في هذا الصرح العلمي، والمتعلقة بصميم هذا البحث، فإلى المدير والعاملين فيه شكري الوفور وثنائي الممدود.

ولا يفوتني أن أتقدم بعظيم الامتنان والتحية إلى كل من قرأ واطلع على هذه الأطروحة.



مدخل تعريف تقويمي بأهم المصادر



اتسم العصر المملوكي في مصر والشام بغزارة الكتابات التاريخية فقد ظهر فيه عدد كبير من المؤرخين الذين أوقفوا جهودهم اما على التاريخ العام أو الخاص إو السير أو التراجم وغير ذلك من الفنون، ويقتضي البحث في أحداث معركة جالوت ومقدماتها ونتائجها، الاطلاع على نوعين أساسيين من المصادر: أولهما المصادر التاريخية مع كتب الجغرافية والادارة وبقية المعارف وثانيهما الكتب التي أوقفت على فنون الحرب والسلاح وهي كثيرة جداً ولايمكن الاستغناء عنها مطلقا.

وكان المؤرخ والجغرافي الحلبي عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد، أبوعبد الله الأنصاري، قد عاصر قيام دولة المماليك، فهو قد ولد في حلب سنة ٦١٣ هـ/ ١٢١٧ م وعاش فيها حتى كان الغزو المغولي، فهرب منها وتوجه إلى مصر والتحق بخدمة السلطان الظاهر بيبرس، وظل في مصر حتى توفي سنة ٦٨٤ هـ/١٢٨٥ م.

وكان ابن شداد مؤرخا وجغرافيا صنف عدة كتب أهمها كتاب «الأعلاق الخطيرة» وقد غلب الطابع الجغرافي على هذا الكتاب ولهذا سنعود إلى الحديث عنه لدى الاشارة إلى غيره من المصادر الجغرافية، وسنكتفي هنا بالاشارة إلى كتابه الذي أرخ به لحياة السلطان بيبرس وعصره، وهذا الكتاب أهم مصدر في بابه حوى من تفاصيل الأخبار ودقتها مالا نجده عند غيره، لكن لسوء الحظ ان ماوصلنا منه يشكل قطعة صغيرة من آخر الكتاب وتحتوي هذه القطعة على مواد ثمينة ومفيدة على اختصارها[1].

ولايقل مكانة عن ابن شداد القاضي محيي الدين عبد الله بن رشيد بن عبد الظاهر (٦٢٠ - ٦٩٢ هـ/ ١٢٢٣ - ١٢٩٢ م) فقد كان كاتبا في ديوان الانشاء في القاهرة عندما تولى السلطنة الظاهر بيبرس، وقد عاصر ابن عبد الظاهر قيام السلطنة المملوكية وكان من شهود عيان معركة

---

(١): نشرت قطعة كتاب ابن شداد بعنوان: «تاريخ الملك الظاهر» تحقيق أحمد حطيط، بيروت ١٩٨٣ انظر مقدمة المحقق ص ٩ - ٢٧

عين جالوت، وظل طوال عصر بيبرس محتلا وظيفة كاتب الانشاء، وتابع ذلك أيام السلطان المنصور قلاوون ثم ابنه من بعده الأشرف خليل.

دون ابن عبد الظاهر سيرة كل واحد من هؤلاء السلاطين الثلاثة في كتاب منفرد هم: «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر وتشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور و الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية» وقد أودع هذه الكتب من المعلومات مالانجده لدى مؤرخ آخر.

على أنه يلاحظ أن كتاب الروض الزاهر هو الوحيد بين الثلاثة الذي وصلنا كاملا، وعلى الرغم من ذلك فإن ماجاء في الكتب الثلاثة هو تاريخ لعصر غني بالأحداث معتمد بشكل خاص بالنسبة لمعركة عين جالوت ونتائجها في بلاد الشام ومصر[٢].

ويحتوي كتاب «ذيل مرآة الزمان» لقطب الدين أبي الفتح موسى بن محمد اليونين البعلبكي (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م) على مواد غنية جداً حول الفترات المبكرة من العصر المملوكي، ولاسيما حول تطورات الاوضاع في بلاد الشام بشكل عام أثناء الاجتياح المغولي وفترة عين جالوت، وعلى الرغم من أن هذه المواد قد عرفت بشكل مشوش بعض الشيء. لكن ماورد خلال أخبار الحوليات وفي داخل تراجم الوفيات ثمين جداً والافادة منه كبيرة[٣].

وكان المماليك قد قاموا إثر استيلائهم على بلاد الشام بتصفية الدويلات الأيوبية في هذه البلاد باستثناء مملكة حماة الأيوبية التي عاشت فترة طويلة. وكان أبرز الأيوبيين الذين حكموها في العصر المملوكي أبو الفداء إسماعيل بن علي (٦٧٢ ـ ٧٣٢ هـ /١٢٧٣ ـ ١٣٣٢ م) وأبو الفداء هو صاحب شهرة واسعة نبعت من اسهاماته في ميداني علم التاريخ والجغرافية عند العرب، فقد خلف لنا بالتاريخ كتابه «المختصر في أخبار البشر» واسم كتابه بالجغرافية «تقويم البلدان» وسيشار إليه بين كتب الجغرافية.

---

(٢): نشر كتاب «الروض الزاهر» محققا من قبل عبد العزيز الخويطر، بيورت ١٩٧٦ وقبله كان قد جرى نشر كتاب «تشريف الأيام والعصور» محققا من قبل مراد كامل، القاهرة ١٩٦١ وقبل ذلك بأمد طويل نشر الجزء الثالث من كتاب الألطاف الخفية محققا من قبل أكسل مويبرغ لايبزغ ١٩٠٢

(٣): نشر كتاب «ذيل مرآة الزمان» في أربعة أجزاء وطبع في حيدر أباد الهند ١٩٥٤ ـ ١٩٦١

وبالنسبة لكتاب «المختصر في أخبار البشر» نلاحظ أن المواد الاخبارية لأحداث قيام الحكم المملوكي وأحداث الاجتياح المغولي هي ذات قيمة أساسية، فقد عاصر أبو الفداء بعض الأحداث التي شهدها العصر المملوكي وحوت سجلات مملكته الكثير من الوثائق التي عاد إليها[٤].

ويعتبر الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ/ ١٢٧٤ - ١٣٤٧م) أشهر مؤرخي العصر المملوكي وأغزرهم إنتاجاً، وقد اشتهر كمحدث أيضا، وكان أهم ماكتبه بالتاريخ كتاب «تاريخ الإسلام» واستخرج من هذا الكتاب عدة كتب مع شيء من الإضافات وطبع من هذا الكتاب بعض الأجزاء فقط، وهنالك أكثر من محاولة للنشر، وأودع الذهبي جل المواد الاخبارية الواردة في كتابه الكبير في كتاب سماه «دول الإسلام» وفي كتاب آخر دعاه «العبر» وفي مواد هذين الكتابين فوائد لابأس بها[٥].

وكان ابن الاثير الجزري حين اعتبر كتابه كاملا في التاريخ، فعل ذلك على أساس اختصاره لتاريخ الطبري وإكماله حتى عصره مع بعض الاستدراكات وقام أبو الفداء باختصار الكامل وإكماله حتى أيامه، وبعد وفاة أبي الفداء جاء ابن الوردي عمر بن مظفر بن عمر المعري (٦٩١ - ٧٤٩ هـ/ ١٢٩٢ - ١٣٤٩م) فاختصر كتاب أبي الفداء وأكمله بعنوان «تتمة المختصر في أخبار البشر».

وكان ابن الوردي شاعرا أديبا وفقيها تولى القضاء بمنبج وتوفي بحلب، وقد صنف عدة كتب في التصوف والأدب والنحو وغير ذلك لكن الفائدة بالنسبة لنا جاءت من خلال العودة لمواد «تتمة المختصر»[٦].

ويعتبر كتاب البداية والنهاية لابن كثير من أشهر كتب تاريخ الإسلام العامة، وأهمها،

---

(٤): لكتاب أبي الفداء «المختصر في أخبار البشر» طبعة عثمانية غير محققة جاءت في أربعة أجزاء وقد أعيدت طباعة هذا الكتاب بالتصوير في بيروت من قبل دار المعرفة بلا تاريخ.

(٥): نشر كتاب دول الإسلام محققا من قبل فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم وطبع في جزئين في القاهرة ١٩٧٤ وطبع كتاب العبر في الكويت ١٩٦٦ - ١٩٨٤

(٦): طبع كتاب تتمة المختصر في بيروت في مجلدين سنة ١٩٧٠ انظر الزركلي «مادة عمر».

ويحتوي هذا الكتاب على مواد غنية من العصر المملوكي ذلك أن ابن كثير عماد الدين إسماعيل القرشي (ت ٧٧٤هـ - ١٣٧٢م) كان ممن عاش في دمشق المملوكية وشهد العديد من الاحداث كما أنــه نقــل عمن تقــدمــه من المؤرخــين، فقــد نقــل محتـويـات كتـاب تاريـخ الـبر زالي (ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م) المعروف باسم «الملتقى على تاريخ أبي شامة» وقد قلل من مكانة مواد ابن كثير كون مصادره باتت متوفرة، ومع ذلك ان نوع الاختيار والاقتباس مع مادونه من أخبار عصره أمور لها مكانتها، ولهذا جرت العودة إلى ابن كثير والأفادة منه(٧).

ومثلما نبـغ في بلاد الشـام عدد من المؤرخـين كبـير شهدت مصر إقدام عدد من العلماء على التصنيف بالتاريخ العام بشكل حولي أو بالتاريخ الخاص، وكان من هؤلاء الحسن بن عمر بن الحسين بن عمر بن حبيب (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م) وقد صنف ابن حبيب عدة كتب أوقفها على أخبـار المماليـك الأوائـل كان منهـا كتاب «دزة الاسلاك» ثم كتاب «تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه» والمخطوطات المتوفرة من هذا الكتاب لايمكن الافادة منها، وأما الكتاب الأخر فقد نشر منه جزءان في القاهرة، وهووان حوى بعض المواد الاخبارية المفيدة، لقد كانت درجة الافادة من الكتاب بشكل عام محدودة لغلبة الطابع الادبي والصنعة عليه(٨).

ويعتـبر ابن الفـرات المصـري ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت٨٠٧هـ/١٤٠٥م) من كبـار المؤرخـين المصـريين في العصر المملوكي ذلك أنه وفر لنا بكتابه «تاريخ الدول والملوك» مواد ثمينة تعلقت بعدد كبير من الاحداث السياسية والعسكرية أثناء التصدي للغزو المغولي وخلال وقائع معركة عين جالوت.

لقد وصلتنا بعض مصادر ابن الفرات، وبعضها الآخر لم يصلنا، أضف إلى هذا أنه عاصر أحـداثـاً جمة فدون أخبـارهـا كما وصلت بشكل رسمي إلى دوائر الدولة في القاهرة، ولهذا كانت

---

(٧): طبع كتاب البداية والنهاية في أربعة عشر جزءا سنة ١٩٣٢ - ١٩٤٠ وأعيد طبعه بطريقة الاوفست وغيرها مرارا، والكتاب بحاجة للتحقيق وضبط النص بشكل دقيق.

(٨): نشـر الجـزء الأول ثم الثـاني من تذكـرة النبيـه بتحقيق محمد أمين في القاهرة سنة ١٩٧٦ - ١٩٨٢، وهناك قطعة منشورة من درة الاسلاك غير متوفرة.

الافادة من هذا الكتاب كبيرة[٩].

وكان ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)من المؤرخين الذين أمضوا شطراً من حياتهم في مصر والشام أيضا، وابن خلدون أشهر من أن يعرف، وشهرته نابعة مما جاء في مقدمة كتابه في التاريخ بعنوان «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر».

والمهم بالنسبة للعصر المملوكي ليس المقدمة ولامحتويات كتاب التاريخ بشكل عام بل ماشهده أثناء قيام دولة المماليك الثانية وحملات تيمورلنك ضد بلاد الشام[١٠].

وكان ابن خلدون صاحب مدرسة تاريخية واسعة التأثير، وكان ممن تأثر به بشكل كبير المقريزي مؤرخ مصر الإسلامية، ونظرا للمكانة العالية لهذا المؤرخ ولكونه قدم أهم ماصنف بأخبار الدولة المملوكية يستحق أن نقف عنده أكثر من سواه ونوليه المزيد من العناية.

والمقريزي هو تقي الدين أحمد بن علي ولد في القاهرة سنة ٧٦٦هـ/ ١٣٦٥م من أسرة تنتمي بالاصل إلى بلدة بعلبك إلا أنها كانت تقطن في حي من أحياء البلدة عرف باسم حي المقارزة زالت الآن معالمه ولم يعد أحد يعرفه.

نشأ المقريزي في كنف جده لأمه ويعرف بابن الصائغ، وكان من علماء الحنفية، ولهذا تأثر الحفيد بالجد فكان حنفيا حتى غدا شابا فتحول آنذاك إلى المذهب الشافعي.

وحصل المقريزي على ثقافة عالية، والتحق بعدد من الوظائف السامية، كما قام بزيارة عدد من بلدان الوطن العربي خاصة مكة ودمشق وأقام في كل منهما فترة طويلة، وقد انتهت حياته بالقاهرة سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م.

وكان المقريزي غزير الانتاج وخاصة في ميادين التاريخ، ويمكن تصنيف انتاجه في هذا الباب إلى قسمين: المؤلفات الكبيرة والرسائل الصغيرة، وقد أوقف مؤلفاته الكبيرة أما على

---

(٩): جاء كتاب ابن الفرات في عشرة مجلدات، وتوجد نسخة خطية منه بخط المؤلف، تسعة مجلدات منها في فيينا والعاشر في مكتبة الفاتيكان، ونشر من هذا الكتاب حتى الآن قرابة نصفه في بيروت التاسع ١٩٣٦، الثامن ١٩٣٨، السابع ١٩٤٢، واثنان في بغداد الرابع ١٩٦٧ - ١٩٦٩، والخامس ١٩٧٠

(١٠): طبع تاريخ ابن خلدون عدة مرات في مجلدات متعددة مامن طبعة يمكن اعتبارها علمية دقيقة، أما كتاب التعريف بابن خلدون فقد حققه محمد بن تاويت الطنجي وطبع في القاهرة عام ١٩٥١

موضـوع من مواضيـع التـاريـخ الإسـلامي العـام، أوعلى تاريـخ مصـر الاسـلامية السياسي والعمـراني، عبر عدة مراحـل أولهـا منـذ الفتـح الاسلامي وحتى قيام الحكم الفاطمي، وثانيها تاريخ الخلافة الفاطمية حتى سقوطها، وثالثها ـ وهو مايهمنا ـ منذ نهاية العصر الفاطمي وحتى أيامه في العصر المملوكي.

أما الرسائل الصغيرة فقد عالج فيها المقريزي عددا من المواضيع الهامة للغاية ارتبط معظمها بمشاكل العصر المملوكي، وفي هذه الرسائل تظهر أصالة المقريزي وعبقريته العظمية، ويتصدر هذه الرسائل:

١ ـ الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك.
٢ ـ شذور العقود في ذكر النقود.
٣ ـ إغاثة الأمة بكشف الغمة.

لسنـا بحـاجـة للحـديث عن مصنفات المقريزي الكبيرة باستثناء كتابه السلوك، وقد أوقف المقـريـزي هذا الكتـاب على التـاريـخ المملوكي مقدما له بأخبار الأيوبيين، ويعد هذا الكتاب العمـلاق المصـدر الاسـاسي الـذي لايستغنى عنه في التاريخ المملوكي، ولحسن الحظ تم نشره كاملا باثني عشرة مجلدا كبيرا.

ومادمنا بصدد الحديث عن المقريزي من المفيد أن نشير إلى كتابه الذي وضعه حول خطط القـاهـرة بعنـوان «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»، لأنه أساسي في التاريخ العمراني لهذه المدينة ولأصولها الاسلامية: قطائع أحمد بن طولون وفسطاط عمرو بن العاص، وأن نشير أيضاً إلى أن المقـريـزي شرع قبـل وفـاته بتصنيف كتاب على غرار تاريخ دمشق لابن عساكر أراد أن يؤرخ به لمصر والواردين إليها، وأراد أن يأتي كتابه هذا بثمانين مجلدا مثل كتاب ابن عساكر، وقد دعاه باسم «المقفى الكبير في تراجم أهل مصر والوافدين عليها»، وقد لحق المقريزي بربه قبل أن يتاح له إكمال مشروعه الكبير هذا الذي بوبه حسب حروف المعجم، وقد قيل إنه كتب منه ستة عشر مجلدا قبل أن يتوفى.

لانـدري مدى صحـة هذة الـروايـة، ولاندري بالوقت نفسه حجم المجلد لدى المقريزي، والمعروف هو وجود خمسة مجلدات كبيرة من هذا الكتاب أربعة منها بخط المقريزي وهي موزعة

على مكتبات: لندن وباريس واستانبول، وتحتوي هذه المجلدات - لاسيما الأول منها - مواد ثمينة جدا تحتاج إلى جهود طويلة لاستثمارها وحسن الافادة منها[11].

وفي بلاد الشام كان ابن قاضي شهبة أبو بكر أحمد الأسدي الدمشقي (٧٧٩-٨٥١هـ/١٣٧٧-١٤٤٨م) أعظم مؤرخيها أيام المقريزي وقد كتب تاريخا كبيرا ذيل به على تاريخ ابن كثير «البداية والنهاية» ثم اختصر هذا التاريخ، وكان حجم هذا المختصر كبيرا، نشر منه محققا الجزء الثالث، وهناك آمال بنشر بقية أجزاء الكتاب[12]

إن ضخامة الانتاج التاريخي في القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر ميلادي وجودته تلفت الانتباه، وهي ظاهرة جديرة بالدراسة من جميع الجوانب للتعرف إلى محصلات العصر المملوكي حضاريا وثقافيا، والنظر فيما إذا كان حقا عصر انحطاط - كما يدعى عادة - أم عصر تفتح وتحولات كبيرة لم يكتب لها العيش لأسباب كثيرة.

وكان من بين كبار مؤرخي هذا العصر ابن حجر العسقلاني وهو أحمد بن علي بن حجر الشافعي العسقلاني الأصل، المصري المولد، القاهري الدار والنشأة (٧٧٣-٨٥٣هـ/١٣٧٢-١٤٤٩م) وقد اختلف ابن حجر إلى المعلمين والشيوخ وعني بالدرجة الأولى بدراسة الحديث ورجاله. ودرس الفقه واللغة والحساب ونال قسطاً وافياً من علوم عصره.

كان ابن حجر غزير الانتاج وجيده، وكان الحديث ورجاله ميدان عمله الأساسي، ومع الحديث كتب بالتاريخ والتراجم، وكان كتابه «أنباء الغمر بأنباء العمر» أهم كتبه التاريخية، وسنشير إلى ماكتبه في ميدان التراجم أثناء الحديث عن هذا النوع من المصنفات.

تولى ابن حجر عدداً من المناصب العالية، وكانت له صلات شخصية ببعض السلاطين كما كان من أصحاب الرحلة في تتبع الاخبار داخل مصر وخارجها في الشام والحجاز واليمن، وأتاح له هذا كله مالم يتح لغيره، فاطلع على معلومات عجز معاصروه عن الوصول إليها أودعها في

---

(١١): انظر سهيل زكار: أخبار القرامطة ص ٧١ - ٧٥ اتعاظ الحنفا - ط. القاهرة ١٩٦٧ ج ١ ص ١١ - ٢٣.

(١٢): نشر الجزء الثالث محققا من قبل عدنان درويش في دمشق ١٩٧٧ وجاء عمله فيه بمثابة جزء من أطروحة لنيل دكتوراه حلقة ثالثة في فرنسا - جامعة ليون.

كتبه التاريخية[١٣]

وفي القرن التاسع / الخامس عشر صنف أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) موسوعته التاريخية الكبيرة «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة».

وكان أبو المحاسن من أصل مملوكي، فلقد كان أبوه أتابكاً للعساكر بمصر ثم كافلاً للمملكة الشامية، وقد أتاح هذا له فرصة الاطلاع على كثير من تفاصيل أخبار عصره السياسية والادارية والعمرانية، ومن هذا الباب جاء كتابه مفيدا لابد من العودة إليه مرارا[١٤].

واستمرت حركة التاريخ نشطة في القرن العاشر هـ / السادس عشر م وأهم مؤرخي هذا القرن علي بن دواود الصيرفي المعروف بالخطيب الجوهري (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م) ومحمد بن أحمد بن إياس (ت ٩٣٠هـ/١٤٢٤م) ومحمد بن طولون الصالحي (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م).

صنف ابن الصيرفي في كتاب «نزهة النفوس والأبدان في تاريخ الزمان» وصنف ابن إياس «بدائع الزهور في وقائع الدهور» أما ابن طولون فقد صنف العديد من الكتب الهامة عن دمشق وقلعتها وغوطتها وقراها، ومن أهم كتبه «تاريخ الصالحية» «ومفاكهة الخلان في حوادث الزمان، وإعلام الورى بمن وّلي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى» وكتب ابن طولون ومن عاصره مفيدة جدا ويمكن أن نصنف معها كتاب «التبر المسبوك في ذيل السلوك» للسخاوي[١٥]

وشكلت الكتب المذكورة أعلاه بعض أهم التواريخ العامة للعصر المملوكي ويكمل ماجاء بها من معلومات ويغنيها كتب التراجم وهي كثيرة جدا سأتناول بالذكر أهمها فقط.

---

(١٣): حظي كتاب ـ أنباء الغمر بعناية كبيرة فنشر في وقت واحد في كل من القاهرة ودمشق وحيد آباد ـ الدكن في الهند.

(١٤): طبع كتاب النجوم الزاهرة محققا من قبل دار الكتب المصرية في ست عشر مجلدة كبار آخرها سنة ١٩٧٢ انظر ج١ ص ٣ ـ ٢٨

(١٥): سنتحدث عن السخاوي فيما بعد لدى ذكر كتب التراجم، وقد طبع كتاب نزهة النفوس محققا في القاهرة في ثلاثة مجلدات من قبل حسن حبشي: ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣ وطبع كتاب «بدائع الزهور» أكثر من مرة كان منها من قبل كتاب الشعب: ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ وطبع تاريخ الصالحية وإعلام الورى أكثر من مرة بتحقيق المرحوم محمد أحمد دهمان، وطبع كتاب مفاكهة الخلان في القاهرة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣.

كان أبـو شامـة عبـد الـرحمـن بن إسـماعيـل المقـدسي الأصـل الـدمشـقي (٥٩٩-٦٦٥هـ/١٢٠٣-١٢٦٧م)قد عاصر قيام دولة المماليك وقد صنف في تاريخ الحروب الصليبيـة كتـاب «الروضتين» وهو واسع الشهرة، وصنع للروضتين ذيلا ترجم به لرجال القرنين السادس والسابع الهجريين كما دون بعض أخبار الحوادث التي عاصرها وعلى هذا يمكن اعتبار مواده شبه وثائقية وعظيمة الأهمية لايمكن الاستغناء عنها[١٦].

وكـان صلاح الـدين خليـل بن أيبلك الصفـدي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) من أشهـر العلماء الـذين أنجبتهم صفـد، ويعتبر كتابه «الوافي بالوفيات» من كتب التراجم الهامة وأوفاها قاطبة، ويحـوي هذا الكتـاب تراجم عدد وافـر من شخصيات العصر المملوكي، وبالنظر لكثرة رحلات المؤلف ولتسلمه لعدد من المناصب العالية فقد وقف على عدد من الوثائق الرسمية وأودع ماجاء بها في كتابه وهكذا تتضح أهمية هذا المصدر ومكانته[١٧].

وقـد أهتم المصنفـون في العصـر المملوكي بكتب الـتراجم مرتبـة حسب سني وفيـات الشخصيـات أو حسب حروف المعجم، والمبـدأ الثـاني قد اعتمـده ابن خلكان في كتابه «وفيات الاعيان» وابن شاكر الكتبي في كتابه «فوات الوفيات» وابن أيبك السالف الذكر، واعتمد المبدأ الأول محمـد بن رافـع الســلامي (٧٠٤-٧٧٤هـ/١٣٠٥-١٣٧٢م) في كتـاب حمل اسم «الوفيات» ومادة هذه الكتب هامة جدا بالنسبة لكل باحث في شؤون وأحداث العصر المملوكي[١٨]. ولقد لاحظنا قبل قليل أن أبا شامة أهتم بالترجمة لرجال القرنين السادس والسابع الهجـريـين، وبعـده جاء ابن حجـر العسقلاني الذي سبق ذكر مصنفه كتاب «الدرر الكامنة في أعيـان المـائـة الثـامنـة» والمعلومـات الممكن استخلاصها من هذا الكتاب غنية تفيد في الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية والعمرانية والعسكرية[١٩].

---

(١٦): طبع هذا الكتاب للمرة الأولى في القاهرة سنة ١٩٤٧ ثم أعيد طبعه بالتصوير في بيروت ١٩٧٤

(١٧) - يتولى العهد الألماني في بيروت منذ عام ١٩٦١ العمل على نشر هذا الكتاب محققا وجرى حتى الآن نشر نصفه تقريباً.

(١٨): طبـع كتـاب «وفيـات الأعيـان» أيضـا أكثر من مرة أشهرها بعناية «محي الدين عبد الحميد» وطبع كتاب الوفيات لابن رافع مرتين في بيروت ١٩٨٢ وفي دمشق ١٩٨٥

(١٩):

وسبقت الاشارة إلى أبي المحاسن بن تغري بردي وكتابه النجوم الزاهرة، ولأبي المحاسن كتاب هام بالتراجم هو «المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي» وواضح من عنوان الكتاب أنه جاء بمثابة عمل متمم لكتاب الوافي بالوفيات ويحتوي هذا الكتاب على ثلاثة آلاف ترجمة فيها مواد مفصلة على غاية من الأهمية[٢٠].

وكان محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢/١٤٩٧م) من أشهر المؤرخين في أواخر العصر المملوكي وأغزرهم إنتاجاً، فقد ذيل على كتاب السلوك بكتاب سماه «التبر المسبوك» كما صنف «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» وهومن كتب التراجم الواسعة وبالتالي أغزرها مادة، ويكمل هذا الكتاب مواد كتاب «الدرر الكامنة» وهوبما حواه من تفاصيل يعد مصدرا أساسيا لكل باحث في تاريخ العصر المملوكي[٢١].

وجاء بعد السخاوي نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت ١٠٦١هـ/١٦٥١م) فصنف كتاب «الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة» وقد تضمن هذا الكتاب تراجم عدد كبير من الشخصيات التي عاشت في أواخر العصر المملوكي، ويمكننا اعتباره حلقة متممة لسلسلة كتب تراجم القرون[٢٢].

ويمكن أن نعتبر كتاب «مرآة الجنان وعبرة اليقظان» لعبد الله بن أسعد اليافعي بين الكتب التي غلب عليها طابع التراجم، والحاوي بالتالي لبعض المواد المفيدة، لكن أهم منه وأشهر كتاب «شذرات الذهب» لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩/١٦٧٨م) فهو من أوسع كتب التراجم شهرة فيه مواد وإشارات تاريخية غنية ومفيدة[٢٣].

---

(٢٠): نشر جزء من هذا الكتاب في القاهرة ١٩٥٦ ثم أعيد طبعه حديثاً مع جزئين آخرين.

(٢١): طبع هذا الكتاب في أربعة أجزاء في حيدر آباد الدكن ـ الهند ـ بدون تاريخ وأعيدت طباعته بالتصوير في بيروت دار الجيل (بدون تاريخ أيضا)

(٢٢): طبع هذا الكتاب محققاً في بيروت سنة ١٩٤٥.

(٢٣): طبع كتاب مرآة الجنان في حيدر آباد الدكن ـ الهند سنة ١٣٣٧ هـ وجاء في أربعة مجلدات ثم طبع ثانية بالتصوير في بيروت سنة ١٩٧٠

وطبع كتاب شذرات الذهب في أربعة مجلدات حوى كل منها جزءان في بيروت من قبل المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع (بدون تاريخ).

والمستعرض لأنواع الكتب التي صنفت خلال العصر المملوكي يلاحظ كثرة الكتب المتعلقة بالادارة والأمور العسكرية وذات السمة الموسوعية من ذلك:

كتاب «التعريف بالمصطلح الشريف» تصنيف شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري (ت ١٣٤٨/٧٤٩) ويعد هذا الكتاب من أقدم الكتب في بابه، يقدم المعلومات الموثقة حول نيابات الدولة المملوكية وطبيعة الإدارة في هذه الدولة وأهم الوظائف المدنية والعسكرية فيها[٢٤].

واعتمد هذا الكتاب وطوره شهاب الدين أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) في الموسوعة الواسعة الشهرة «صبح الأعشى في صناعة الانشا» ويحتوي هذا الكتاب على تفاصيل وافية لما أوجزه العمري ويزيد في إعطاء معلومات جغرافية واقتصادية وإدارية هامة جداً، كما أن النصوص الوثائقية الواردة فيه لايمكن الاستغناء عنها[٢٥].

ويحتوي كتاب «زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك» لفرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (ت ٨٧٣هـ/١٤٦٨م) على معلومات إدارية شديدة الأهمية حول نيابات الدولة المملوكية وهو يزودنا بعملومات مفيدة حول مراكز البريد وغير ذلك من إدارات الدولة[٢٦].

ويمكن أن نشير في هذا المقام إلى أهمية كتاب «معيد النعم ومبيد النقم» لتاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م) وكتاب «التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار» لمحمد بن محمد بن خليل الاسدي من رجال القرن التاسع الهجري / الخامس عشر ميلادي لما حوياه من معلومات لها علاقة بالادارة والحياة العامة[٢٧].

وأهم منهما ماجاء في موسوعة نهاية الأرب للنويري، وهو أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم التميمي البركي، عرف بلقب شهاب الدين، وشهر بالنويري نسبة إلى نويرة،

---

(٢٤): طبع كتاب «التعريف بالمصطلح الشريف» بمجلدة لطيفة في القاهرة سنة ٣١٣ هـ وذلك بدون ضبط علمي للنص أو تحقيق.

(٢٥): لقي كتاب صبح الأعشى عناية كبيرة وقد نشر محققا بالقاهرة سنة ١٩١٠ - ١٩٢٠ - ١٩٧٢ وجاء في خمسة عشر مجلداً مع الفهارس.

(٢٦): نشر كتاب «زبدة كشف الممالك» محققا في باريس سنة ١٨٩٤

(٢٧): طبع كتاب معيد النعم في بيروت ١٩٨٣ وطبع كتاب التيسير في القاهرة ١٩٦٧.

وهي قرية من قرى بني سويف في مصر، وكانت ولادته ـ كما هو مرجح ـ سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م وحسب بعض الروايات سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م ذلك أنه توفي سنة ١٣٣١/٧٣٢م وهو من أبناء الخمسين.

نال النويري ثقافة جيدة، ويروى أنه عمل في الوراقة حيث كان ينسخ بخط يده الكتب ويبيعها، حتى أنه نسخ صحيح البخاري ثماني مرات. وكان خطه من الجودة والضبط بمكان، وهو يأتي على رأس الموسوعيين العرب، ونال شهرته من خلال تصنيف كتابه «نهاية الأرب في علم الأدب» وجاء هذا الكتاب في ثلاثين مجلدة كبار، ولم تنشر أجزاء تاريخ المماليك بعد، لكن مانشر حتى الآن يحوي معلومات ثمينة عن المغول[٢٨]

وتحتوي كتب المكتبة الجغرافية معلومات مفيدة حول العصر المملوكي، فقد عاصر ـ كما سلف بنا القول ـ المؤرخ والجغرافي بن شداد الحلبي ظهور الدولة المملوكية وقدم في كتابه «الأعلاق الخطيرة بذكر امراء الشام والجزيرة» معلومات لايمكن الاستغناء عنها[٢٩].

وبالاضافة إلى كتاب الأعلاق الخطيرة يحتوي كتاب «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر» لشيخ الربوة محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٧م) على معلومات مفيدة فيها وصف لنيابات بلاد الشام ولأعمالها مع بعض الاشارات الأخرى الكثيرة الفائدة[٣٠].

وسبق أن أشرنا إلى أبي الفداء وإلى كتابه المختصر في أخبار البشر، وفي الحقيقة أن شهرة أبي الفداء قائمة على إسهاماته الجغرافية أكثر من إسهاماته التاريخية، فكتابه «تقويم البلدان» عد في مقدمة كتب الجغرافيين العرب ويحتوي هذا الكتاب على معلومات مفيدة من الدولة المملوكية ومدنها وقلاعها، لكن ينبغي التعامل مع هذه المعلومات بشيء من الحذر حيث أنها لاتمثل بشكل مطلق العصر المملوكي بل ما سبقه من عصور لأنه استقاها من مصنفات مبكرة

(٢٨): نشر من كتاب نهاية الارب حتى الآن سبع وعشرين مجلدة بشكل محقق في القاهرة انظر سهيل زكار ـ أخبار القرامطة ٧٠ ـ ٧١

(٢٩): كملت الآن عمليات نشر هذا الكتاب في دمشق ويهمنا منه جزء لبنان والاردن وفلسطين، وقد نشر هذا الجزء في دمشق عام ١٩٦٢

(٣٠): نشر هذا الكتاب في بطرسبورغ سنة ١٨٦٥ بشكل محقق.

التاريخ وليست وليدة مشاهدات المصنف[٣١].

وزار مصر والشام خلال العصر المملوكي عدد كبير من الرحالة العرب وغير العرب، كان ابن بطوطة أشهرهم على الاطلاق، وابن بطوطة هو محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) وقد قام برحلة واسعة انطلق فيها من المغرب أيام المرينيين سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م) وقد وصف ديار السلطنة المملوكية وصف شاهد عيان وتعتبر معلوماته على غاية من الأهمية، ولايقلل مطلقا من اهميتها أن ابن بطوطة أملى أخبار رحلته إملاء، وأنها وصلتنا كما صيغت من قبل واحد من تلاميذه [٣٢] وبما أن وظيفة الحسبة ظلت قائمة خلال العصر المملوكي ولها دورها المتميز، فقد شهد هذا العصر تصنيف عدة كتب في أمور الحسبة شهر منها كتاب «الحسبة» لابن تيمية الحراني، وتكمن أهمية هذا الكتاب فيما حواه من أفكار تتعلق بالحكم والسياسة الشرعية[٣٣].

وامتاز العصر المملوكي بكثرة المصنفات التي نشرت حول العلوم العسكرية بشكل عام وخاص، وقد نشر بعض هذه المصنفات لكن جلها مازال مخطوطاً وسنعرض لأهم هذه الكتب بعد قليل[٣٤].

ويلاحظ أن تاريخ المماليك قد لاقى عظيم الاهتمام في أوساط الاستشراق وقد تركزت هذه الدراسات على الأمور السياسية والتنظيمية العسكرية بشكل عام، وحين انتقل الاهتمام بهذا التاريخ إلى الباحثين العرب، ولاسيما في مصر حافظ هؤلاء الباحثون على هذه الاهتمامات ومركزوها حول مصر إلى أبعد الحدود، وحين مدوها إلى الشام جاء ذلك بشكل عابر وبدون تحليل أو تفسير، ولهذا كان مطلوباً بشكل مسوغ إيقاف دراسة معمقة حول معركة عين جالوت الفاصلة.

---

(٣١): نشر كتاب تقويم البلدان في باريس سنة ١٨٤٠م

(٣٢): طبعت رحلة ابن بطوطة أكثر من مرة من ذلك سنة ١٩٥٨ في القاهرة ـ المكتبة التجارية الكبرى.

(٣٣): طبع كتاب الحسبة لابن تيمية اكثر من مرة من ذلك طبعة كتاب الجمهورية الديني ـ القاهرة ـ بلا تاريخ.

(٣٤): أوقفت مجلة المورد البغدادية عدداً خاصاً من أعدادها على الفكر العسكري عند العرب (المجلد الثاني عشر ـ العدد الرابع ـ ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م) انظر ص / ٧٩ ـ ٩٠، ٢٢٣ ـ ٢٥٢ ـ ٣٠٥ ـ ٤٢٠.

ولقـد كان لكـل كاتب من الكتـاب السـابقـين والـلاحقـين نصيب في معـركـة عين جالـوت، بعضهم فصلهـا وآخـرون اختصـروا أخبـارهـا، هذا ولم يتعـرض العسكـريـون لجيمـع النقاط العسكرية في العمليات وأنواع القتال ومسرح العمليات(٣٥) ولكنهم تناولوها من جانب واحد أو أكثـر بقليـل وتـركوا أمور هامة تتعلق بالادارة والقيادة والتنظيم والتدريب والشؤون العامة، ومن هنا تأتي أهمية اختبار هذا الموضوع الذي سيتطرق إلى كل ناحية عسكرية في هذه المعركة التي عدت من المعـارك الفـاصلة في تاريخ العرب المسلمين، والتي استندت في مجرياتها ووقائعها إلى العقيدة والتصميم على النصر وإلى التضحية والنضال في سبيل الوصول إلى الهدف.

وتفـاوتت أهميـة الكتـاب والبـاحثين الذين تعرضوا لهذا الموضوع تبعا لمنزلة كل منهم الثقافية والأدبيـة والعسكـريـة، وللثقـة وصدق الرواية والحديث، وللعهد القريبّ وللصلة الكبيرة بها، وللسـماع والمشـاهـدة لاحـداثهـا ووقـائعهـا، ولقـد اعتبر هؤلاء من الرواد الذين استقينا منهم البحث، وجعلنـاهمْ مصـدرا معتمـدا حيث رجعنـا إليهم وأخـذنـا عنهم وذلك شروعا بحسن الاحدب ٦٩٥هـ/١٢٩٦م وحتى ابن طولون ٩٥٣/١٤٥٧.

---

(٣٥): انظر الجيش العربي في عصـر الفتوحات للعقيد هندي، والجيش المصري في العصر الإسلامي من عين جالوت إلى رشيد: ١٢٦٠ ـ ١٨٠٧ للعقيد زكي وتاريخ مصر إلى الفتح العثماني للاسكندي والميجرا.ج سقدج

الرماح حسن الأحدب بن أيوب نجم الدين
(٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م)

لهذا المؤلف عدة مخطوطات أهمها: الفروسية والحرب والاسلحة، الفروسية برسم الجهاد، في علم الفروسية برسم العمل به، في عمل الرمح على الأرض والفرس، اللعب بالرمح في معركة الفروسية، وتوجد المخطوطة الأولى بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم / ٢٨٢٥ / والثانية على نسختين إحداهما في مكتبة أحمد الثالث باستانبول تحت رقم (٢١٢٩) والأخرى في Stauts) Biliothck 5552) والثالثة في مكتبة أحمد الثالث باستانبول تحت رقم ٣٤٦٧، والرابعة في مكتبة الفاتيكان برقم (٣٠٠) والخامسة في مكتبة دير الاسكوريال برقم ٩٧٤.

يعتبر الرماح في مقدمة من كتبوا في الفروسية والأسلحة وفن الرمي، كما يعتبر موسوعة حوت جميع العلوم العسكرية. فهو إن تكلم عن الرمح تكلم عن أوصافه ومميزاته وطرق الطعن به وأنواعه والمواد التي يصنع منها، حتى لايترك للقارىء أو الباحث أي تساؤل عن السلاح. وإن تكلم عن السيف أو الترس أو باقي الأسلحة فإنه ينحو منحى التفصيل والشرح، فهو في مخطوطته مثلا: الفروسية والحرب والأسلحة يتعرض لفن القتال في الرمح[1]. وكيفية الطعن، والطول والقصر، ومساعدات التدريب التي يظهر فيها صورة الرمح وأوضاع الرامي[2] المختلفة والطعن من أمكنة مختلفة كطوق الجوشن ومن أزراره[3] ومن عرقوبي الفرس، والتعطيل بالعقب، ورماية الفرس والسبق بالطعن، وكسر الرمح، وكيفية الكر والمطاردة وغير ذلك من الأمور التي يحتاج إليها الفارس[4].

على أن المدقق لمخطوطات الرماح يتبين له تكرار المواضيع التي يطرقها، والمسائل الدراسية التي يذكرها، فقد تتشابه مخطوطتان من حيث المعنى والمبنى كمخطوطة الفروسية برسم الجهاد، والفروسية والحرب والأسلحة، إلا أن هذا التشابه يزيد في فهم الصورة والسلاح التي يتحدث عنه، ولاتخلو الثانية من صور يزين بها صفحات مخطوطته طلباً لإدخال المعلومات الصحيحة في

(١، ٢، ٣، ٤): الرماح مخطوطة الفروسية والحرب والأسلحة ٣/ ٤، ٥، ٦، ١٠ ومابعدها.

ذهن الفارسي المبتدىء[٥] ثم لاينسى أبدا أن يذكر المواد التي تصنع منها القنابل المختلفة والمتفجرات والأسلحة النفطية مضيفا إليها بعض الصور والايضاحات[٦] وكذلك فإنه يفصل في باقي الأسلحة كالترس والدبوس والمنجنيق، والنشاب والقدور على اختلافها إذ لايكتفي بإجمالها بل يدخلها في حركتها وأقسامها الثابتة والمتحركة[٧] وهو إن أرشدك إلى كيفية ركوب الخيل فهو يدلك على النواحي التسلسلية والفنية التي ينبغي على الفارس[٨] إتباعها.

من مجمل مخطوطات الرماح يتبين لنا أنه فارس ومدرب وصانع كيميائي. فهو يأتي على كل هذه الأمور فيصفها وصفا عجيبا، حتى لتشعر أنك أمام رجل وعى كل شيء عن الفروسية والأسلحة المختلفة، وكأنه أكاديمي تدرج بالفارس المبتدىء، حتى أصبح فارسا يبذ غيره بفضل هذا التدريب المنهجي الصحيح، هو من المختصين بالرمح والعمل به حتى لتجد مخطوطاته جميعا مملوءة بالمعلومات المتقاربة عن الرمح ولاسيما المخطوطات التالية: عمل الرمح على الأرض والفرس، واللعب بالرمح في معرفة الفروسية، الفروسية والحرب والأسلحة، وهذا مما يدل ويؤكد على تمكنه من اختصاصه وسعة إطلاعه وخبرته الأكيدة في الحروب والتدريبات المختلفة.

علي بن محمد بن عبد الظاهر، علاء الدين السعدي
(٧١٧هـ/ ١٣١٧م)

لابن عبد الظاهر عدة مؤلفات منها في الميدان العسكري: مفاخرة السيف والرمح[٩]، وكان رئيس ديوان الانشاء وكاتب سر الملوك الثلاثة: بيبرس، قلاوون، خليل. وكان له حظوة كبيرة

---

(٥): الرماح مخطوطة الفروسية برسم الجهاد: ٨ ومابعدها، الرماح مخطوطة الفروسية والحرب والاسلحة: ١٠ ومابعدها ٣٦، ٣٧، ٤٣.

(٦، ٧، ٨): الرماح: مخطوطة الفروسية والحرب والاسلحة / ٣٩/ ومابعدها ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥ ومابعدها ٨١ ومابعدها، ٩٣.

(٩): الزركلي: الأعلام: ٤/ ٣٣٤

عندهم، وقريب مجالسهم، وعلى صلة وثقى وإطلاع على أعمالهم ومعاركهم وممارس لكتاباتهم الخاصة والعامة، ومصاحب في بعض الأحيان لهم في حلهم وترحالهم، بهذه الأعمال أمكنه التعرف على الأمور السرية وأحوال الدولة بكاملها والنيابة بأجمعها، وعلى كل المراسلات التي تصدر وترد إلى السلطان.

وكان لابن عبد الظاهر من ثقافته الواسعة مايستطيع أن يلم بدقائق الأشياء، وأن يكتب عن الواقعة بكل دقة ووضوح، وأن يأخذ عنه الكثير ون من المؤرخين المشهورين أمثال المقريزي وشافع العسقلاني والناصري الشافعي وغيرهم، ولقد كان صداحا حين رثى الملك الظاهر بقصائد أشاد فيها ببطولاته وشجاعته وقهره للصليبيين وللتتر وفتحه للقلاع والحصون[١٠].

ومما يدهش الباحث أن هذا المؤلف صور حصار القلاع والحصون بكتابته وكأنها تنطق بالواقع، وتقرب المشاهد والمراحل القتالية، وكأن الصورة الطبوغرافية تشاهد عن فيلم سينمائي بما فيه من ألوان وأشكال يمر أمام ناظريه بصور مختلفة وجموع جند محتشدة، وأنواع أسلحة مستخدمة، وقوة رجال وإقدام على اقتحام أشد المخاطر، ومما يؤخذ بالحسبان تلك الوثائق والمراسلات المتبادلة بين أطراف النزاع التي كانت لها أهمية كبرى في إظهار النظم الحربية والقوانين التي كانت سائدة في تلك الحقبة الزمنية وتكشف لنا ماهية المعاهدات والآثار المترتبة بعد انتهاء القتال.

وكما هو واضح فإن هناك توازنا بين النشاط القتالي للجيش وبين النجاح الإعلامي الذي كان يقوم به ابن عبد الظاهر قبل القتال وأثنائه وبعده، مما قد يطلق عليه في الوقت الحاضر (التوجيه السياسي والمعنوي) الذي كان واضحا قوي العبارة مؤثرا في سامعيه، متجاوبا مع فكرة القائد السلطان ومع أهداف القتال.

---

(١٠): ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ٢١ ومابعدها.

الرماح محمد بن عيسى بن إسماعيل الحنفي، نجم الدين الأحدب
بعد ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م

لهذا المؤلف كتابا وحيدا عثرنا منه على نسختين ، إحداهما في مكتبة أحمد الثالث باستانبول تحت رقم /٢٦٥١/ ، والثانية في مكتبة باريس تحت رقم ١٤٦٢/٣ باريس ٢٨٢٨ . وهوغير الرماح الأول وان هناك بعض القربى فيما بينهما.

لقد أجاد الرماح ابن إسماعيل في مخطوطته (نهاية السؤال والأمنية في تعلم أعمال الفروسية فهو من حيث التنظيم قد أتى على ذكر فقرات كتابه بشكل مبوب وواضح بحيث يسهل على القارىء أن يبتدىء بالسهل ثم بالصعب ثم الأصعب، وأن يرى مدخلا يرضاه لنفسه بحيث يلج إلى المواضيع ذات الفائدة الكبيرة والمعلومات الواسعة، كما أن التنسيق كان واضحا، وكذلك المسائل الأخرى كالتدريب والتوجيه ومسائل الفروسية الدقيقة.

يحتوي المخطوط على جميع نقاط الادارة العسكرية التي يحتاج إليها الفارس، إذ يتعرض باديء ذي بدء إلى العقيدة مبينا أهميتها، حاثا على الجهاد في سبيل الله، آتيا بما يرفع من معنويات المقاتلين[١١]

ثم ينتقل إلى الرمي وأهميته وطرق التدريب عليه، وكيفية الوصول إلى دقة الإصابة[١٢] ثم إلى الرمح والطعن به، وإلى السيف ودوره الكبير في القتال، وكيفية الضرب في المواقع الحساسة، والانتقال إلى استخدام الأسلحة الأخرى في حال وجود السيف، ثم إلى الترس الذي عدد الأنواع المختلفة منه، ومايصلح منه لصد الرماح، أو لصد السيوف والأسلحة الهجومية[١٣] ثم لاينسى أن يذكر باقي الاعتدة والأسلحة والخيول، ويعدد أصنافها وميزاتها في كل حالة من حالات القتال، فهويشير مثلا إلى السرج واللجام وأشكالها المختلفة وأوضاعها وصفاتها التي تساعد على الانتصار والفوز على الخصم[١٤] ومن النواحي الهامة التي تركز عليها هي مسألة التدريب في القوات المسلحة، كما أكد على الرياضة واللياقة البدنية للفارس الذي عليه أن يتعلم رياضة الصولجان التي تؤهله وتمهد له الطريق للوصول إلى الفروسية[١٥].

---

(١١): الرماح ابن إسماعيل: نهاية السؤال والامنية في تعلم أعمال الفروسية: ٤ ومابعدها.

(١٢، ١٣، ١٤، ١٥): الرماح ابن إسماعيل: نهاية السؤال والامنية في تعلم أعمال الفروسية: ٤ ومابعدها ١٦، ٧٠، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٤.

إن من يدقق في محتويات هذا الكتاب يتبين له سعة إطلاع الرماح على الادارة العسكرية، والإحاطة بكل أنواع الأسلحة آنذاك ومما يجدر ذكره أنه ركز حديثه على الفرسان وعلى إتقان الرمي الذي هو أساس القوة وعلى ممارسة الرياضة التي هي أساس اللياقة البدنية والتحمل والثبات في ساحات القتال. وإن هذين الموضوعين لايزالان يشغلان الجيوش الحديثة حتى الآن، بل يعتبران الأصل في تدريب المقاتل لتحقيق الانتصار.

محمد بن منكلي الناصري
(٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م)

عاصر معظم سلاطين المماليك البحرية، وتألق نجمه وذاعت سيرته في زمن السلطان قلاوون وأولاده، وخدم مع الملك الأشرف شعبان وكانت وفاتهما في سنة واحدة[١٦].

لقد ألف الناصري كتابا يتضمن تسعة وثلاثين بابا أسماه، «الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب» وهو مخطوط في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم /٤٣/ ج كما عثرنا على مؤلف آخر اسمه «الأدلة الرسمية في التعابي الحربية».

ابتدأ في التكلم عن السيف وأهميته في الحروب، وسقايته وصيانته وأنواعه، وصناعته وأصنافه في الجودة والقوة، فبدأ باليماني فالقلعي ثم الهندي، معرجا على طولها، ثم بين فضائل السيوف البيض والدمشقية، حتى إذا ماانتهى من أوصافه الفنية والقتالية انتقل إلى طرق القتال به مع التوسع في كيفية استخدامه مع غيره من الأسلحة ومن راجل أو راكب[١٧] وهكذا يمضي الناصري في السير على هذه الطريقة بالنسبة لباقي الأسلحة كالرمح والنشاب والترس والنفط والنيران التي فصل فيها وأسهب في وصفها واستعمالاتها[١٨].

وكما أجاد في وصف الأسلحة كذلك فإنه أجاد في وصف مسرح العمليات وحدد له المعالم،

---

(١٦): حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٢/ ٥٠.

(١٧): الناصري: مخطوطة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب: ٤، ٢٠، ١٢٨، ١٣٢.

(١٨): الناصري: مخطوطة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب: ٧٠ ومابعدها.

وطلب من الفارس أن ينتقل فيه بخفة ورشاقة وأن يكون منتبها حذرا من خصمه الذي يحاول استخدام الأساليب المختلفة لطعنة أو ضربة[19].

وكذلك فإنه حدد الخصائص القتالية في المدن والشوارع والقتال الليلي والمناطق المحصنة، ثم عدد الطرق والأساليب والحيل والأسلحة التي تستخدم في تلك الحالات المختلفة[20].

وأما عن التعبئة ونظام الصنوف وتراتيب القتال فإنه فصلها وبين عملها ككل وكجزء وأهمية القيادة عندما يحتدم القتال وتتقابل الجيوش، وأعار أهمية كبرى للتخطيط والتنظيم والاحتمالات المختلفة في لعب الحرب، وكأنه بذلك قائد وإداري وفني ومعلم وفارس ومن الجدير بالذكر إن الناصري وضع لكل حالة من حالات القتال حيلا وطرائق لإبطالها. فمن الهجوم هجوم معاكس، ومن الدفاع هجوم، ومن التطويق فك وتدوير. ومن الانسحاب إعادة تنظيم، ومن المطاردة كمين، ومن الكراديس مجموعات قتالية، ومن الالتفاف القريب والبعيد حصار وتدمير للعدو[21]. ولو أتيح تطبيق ماذكره في مخطوطته لتهيأت فرص النجاح الكبيرة للانتصار لامحالة لجميع القادة، وماستطاع العدو أن ينال من الجيش المملوكي أو يخرق صفوفه أو يدمره بمعركة من المعارك.

طبيغا الأشرفي البلكميشي اليوناني
٧٩٧هـ/ ١٣٩٥م

لهذا المؤلف عدة كتب عسكرية اختصاصية أهمها: الجهاد والفروسية وفنون الآداب الحربية، بغية المرام وغاية الغرام، غنية الطلاب في معرفة الرمح النشاب، رمي النشاب[22] المخطوطة الأولى منها نسخة في دار الكتب المصرية تقع في /٢١٤/ صفحة والثانية قصيدة في

(١٩، ٢٠، ٢١): الناصري: مخطوطة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب: ٨٢ ومابعدها ٦٦/، ٢٧٢/، ١٧٨/ومابعدها.

(٢٢): بروكلمان تاريخ الشعوب الإسلامية ٢/١٦٧، زيدان: تاريخ اللغة العربية: ٢٧٦، ٢٧٨ المخطوطة الرابعة نسخها محمد بن عبد الرحيم التلواني سنة ٨٠٥, انظر المكتبة الوقفية بحلب تحت رقم ٨٠٢٠ خاص

السهـام قدمهـا للسلطـان أشـرف مخطـوطـة في لنـدن والثـالثة تبحث في الرمح وكيفية الطعن به وكذلك النشاب وكيفية التسديد به والرمي محفوظة في باريس ودار الكتب المصرية، والرابعة في المكتبـة الـوقفيـة بحلب ـ العثمانية تحت رقم /٨٠٢/ خاص، هذه المخطوطات جميعا وبصورة عامـة تبحث في فنـون القتـال وركوب الخيل، والفارس، والأعتدة الحربية، والأسلحة المختلفة والحيـل في الحـروب، والميـادين، وأنواع السباق، ومبادىء الحرب، والهجوم والدفاع، وأشكال المسارح المربعة المستديرة والمستطلية والمقلوبة والمقابلة والضرب بالسيف والطعن بالرمح والرمي بالنشاب وضروب الفروسية المختلفة.

عاش هذا القائد العسكري الذي كان برتبة مقدم[٢٣] وخدم في القوات المسلحة كقائد لواء في زمن الملك الأشرف شعبان بن حسين[٢٤] ٧٦٤هـ/١٣٦٢م ـ ٧٧٨هـ/١٣٧٦م حيث كانت فترة حكمه عشرين سنة.

كان في كتـابـه «رمي النشـاب» اختصـاصيـا إذ تكلم عن القسي وصناعتها وأنواعها وموادها الأوليـة التي تصنـع منها، فتعرض لوزنها وطولها وكيفية القبض عليها واستخدامها أثناء الرماية، وعن السهـام فصـل في نصلهـا وشكلهـا وكل مايتعلق بها كالاطلاق والتسديد وأوضاع الرامي، وعن الخيـل وحفظهـا أثنـاء رمي النشـاب، والأماكن والجهات التي يرمى السهم فيها، ووضعية الجلوس على ظهـر الجـواد كالاستقـامـة وشد الركبة، والتصاق الساعد، والرفس والقبض والمد فوق كفـل الفـرس، وغـيرهـا من الأمـور التي تدل الفـارس على الاستخـدام الصحيح وعلى الدقة، وعلى الإصابة المحققة حتى لتشعر وأنت تقرأ في مخطوطته أنه قد جعلك في جو تدريبي قتـالي مملوء بالحـركـة والحيوية والنشاط[٢٥] ومن تمكنه بعلمه وفهمه لاختصاصه أنه نظم أرجوزة ذكـر فيهـا جميـع المعلومـات المتعلقـة برمي النشاب وقواعده وأصوله[٢٦] ثم شرح تلك الارجوزة بشيء من التفصيـل بحيث يدلـك على أفضـل النشـاب فيقـول: «أحسن صفات النشاب أن

---

(٢٣): الأشرفي: مخطوطة النشاب ٧

(٢٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١١/٢٥ ومابعدها.

(٢٥، ٢٦): الأشرفي: مخطوطة رمي النشاب: ٧ ومابعدها، ١٣ ومابعدها، ٥ ومابعدها ١٨، ١٩.

يكـون مستـديـر النحت صلب الخشب، نقي من العقد والشظايا والحفر، سليم من الاعوجاج حسن الدوران عند فركه على ظفر الأصابع وخاصة إذا دورته وهو قائم على نصله[٢٧] . . . » ثم هو يتحرى ويسأل غيره حتى يقف على أجود القسي وأعظمها تأثيرا، ثم يعمم تلك التجارب والخبرات فكأنـما أوتي من حسيـة التـدريب، وأسـاليبه المطبقة في ذلك العصر وهذا مايجعله في مقـدمـة المـدربـين الـذين أخـذوا على عاتقهم تعليم هذه المـادة بأصـول شيقـة يحسن فهمهـا ويستوعب كل ما قيل عنها. وكذلك فإنه في مخطوطته «الجهاد والفروسية وفنون الآداب الحربية» تراه يسترسل في ركوب الفارس ويطول الشرح والتفصيل في لباس الفرس فيذكر الركاب والعنان والسـرج والسـوط والسَرَفُسار، ثم يشرح الأسلحة المختلفة التي يستخدمها الفارس، ففي الرمح مثلا أبواب مختلفة كالطعن والدخول في الميدان والتكوير وغيرها من الأبواب الكثيرة التي تحتاج إلى زمن طويل للتدريب عليها وإلى معاناة وتعب للوصول إلى فهمها وتطبيقها[٢٨] وهكذا ترى هذا الكاتب في مخطوطاته الأخرى يسير على نفس المنهج والأسلوب[٢٩].

ابن أرنبغا الزردكاش
٨٦٧هـ/ ١٤٦٣م

عاش هذا المـؤلف مغمـورا، فلم نسمـع عن أنبـائه شيئا، إلا أنه كان من سلالة عسكرية، فورث عن أبويه حب القتال والفروسية، وتربى في بيئة حربية تمجد القتال وتفتخر بالشجاعة والإقـدام[٣٠] وإذا كان كتـابـه الـوحيـد الـذي ألفه وأهداه إلى السلطان ظاهر برقوق «الانيق في المناجنيق» فهـو مؤلف مخطـوط قيض الله له الـدكتور إحسان هندي فحققه وأخرجه إلى الوجود ومعهد التراث العلمي العربي بحلب ١٤٠٥/ ١٩٨٥ وكتب عنه الاستاذ جرجي زيدان الذي

(٢٧): الأشرفي: مخطوطة رمي النشاب: ٧ ومابعدها ١٣ ومابعدها ١٨، ١٩

(٢٨): الأشرفي: مخطوطة الجهاد والفروسية وفنون الآداب الحربية ٧ ومابعدها.

(٢٩) ـ الأشرفي: مخطوطة غنية الطلاب في معرفة الرمح والنشاب ١٥، ٢١، ٣٠

(٣٠) ـ المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة ٤/ ١٣/ ٤٣، ٤٧

اعتـبره كتـابـا يحتـوي على وصف للمنجنيق وبعض القطـع الداخلة في تركيبه[٣١] فهو يتضمن معلومـات دقيقـة حول هذا السـلاح، إذ يتنـاول المـؤلف فيه الصور المختلفة للمنجنيق بشكله الكامل وأوضاعه المتباينة وقطعه التبديلية قطعة تليها قطعة أخرى، ثم يسهب في الوصف فيهن[٣٢] فكأنما أوتي من حسن التدريب، وحذق الصنعة ماأمكنه من أن يتناول هذه التفاصيل فهـو إن تكلم عن الـرمـايـة فقـد أجـاد بها إذ علمنـا كيف نرمي لمسافات بعيدة أوقريبة. وماهي الأجراءات المتخذة حيال ذلك، وماهي العدد والآلات التي تستخدم في الزيادة أو النقصان[٣٣] ولايكتفي بذلـك بل يتعـرض إلى كيفيـة صنعها وماهي المواد الداخلة في صنعها، فهو كالصانع المـاهـر تماما عرف مهنتـه فبرع بها، ونـال من ذلـك حظـاً وافراً وإلماماً كافيا[٣٤] ثم ينتقل بنفس الأسلوب فيشـــرح قذائف المنجنيق المختلفـــة التي منهـا القـدور الجـير والمخـرم، والصنـوبـر، والمخفي، والسقـوط، والمـراكب، وغـيرها، ومنها السهام المختفي والنجمي والمدهون والدبقي ومنها الاحجار المخرم والخطاط والمراكب[٣٥].

ومما يشار إليه أن الزردكاش قد أتى على ذكر تطوير هذا السلاح وتاريخه. متدرجاً في ذلك من المجانيق البدائية إلى المجانيق المحمولة إلى ذات العجل، فالمكاحل، ثم المدافع[٣٦] وكان أشبه بضـابـط تسليـح في وقتنـا الحـاضر يعرف السلاح بدقة كاملة، ثم فوق هذا يعرف طرق التطوير والابداع فيه[٣٧].

---

(٣١): الزردكاش: الأنيق في المناجنيق ١٤/١٥

(٣٢): زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ٣/٢٧٨

(٣٣): الزردكاش الانيق في المناجنيق ٤٨/١٦٣ زيدان تاريخ آداب اللغة العربية ٣/٢٧٨

(٣٤): الزركادش: الانيق في المناجنيق: ١٧٦، ٢٢١، ابن غانم الاندلسي: مخطوطة العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع ٣٨.

(٣٦): الزردكاش: الانيق في المناجنيق ٤٨، ١٦٣.

(٣٧): ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٥/٦٩ ومابعدها،

القـرمـاني: أخبـار الـدول وآثار الاول ٢٢، زيادة: دمشق في عصر المماليك ٨، زكي: الجيش المصري في العصر الاسلامي ٥٧، سمكوغ: مدخل إلى تاريخ الشراكسة ٦٨

ومن الصعـوبـات التي تعـترض البـاحث وجـود مصادر ومراجع كثيرة بلغات أجنبية عديدة أهمهـا: الافـرنسيـة والانكليـزية والفارسية والتركية والايطالية والارمنية بالاضافة إلى العربية. ومهـما أوتي البـاحث من علم ودرايـة فلن يتم له الالمـام الكافي بكل هذه اللغات أو الإحاطة بها إحاطة كاملة.

كما امتزجت عدة لغات مع بعضها في الاحاديث التي كان يتعامل بها المماليك، حتى لتظن أن لغـة ما قد نحتت من هذه جميعـا لتكـون مستقلة وملتصقـة بالعصـر والبيئـة، فمن هذه الالفاظ ماتكـون مركبـة من ثلاث كلمات للغـات متبـاينـة عربيـة وفارسية وتركية «أمير جاندار»[٣٨] أمير عربية و«جان» معناها الروح وهي فارسية و«دار» وهي تركية ومعناها الممسك ومنها مايركب من اللغتين التركية والفارسية «سنجقدار»[٣٩] «سنجق» تركية ومعناها الرمح «دار» فارسية، أوعربية وفـارسيـة «أمـير شكـار»[٤٠] أمـير عربية و«شكار» فارسية ومعناها الصيد هذه اللغة المنحوتة قد تكون سهلة على الباحثين الذين عاشوا في تلك الحقبة الزمنية، بل يمكن أن تكون طيعة عند العامة من الناس لكثرة تداولها واستعمالها حتى غدت مألوفة، أما وبعد أن مضى حين من الدهر على تلك اللغـة، فإنـه بات من الضـرورة أن يرجـع الباحث إلى المصادر ليتعرف على معانيها ومدلولها وفي هذا يحتاج إلى الالمام بلغة جديدة وتعابير لم يألفها من قبل.

ولقـد كان الخليـط من الأجنـاس المتبـاينـة يتكلم بلغـات مختلفـة إلا أن اللغتـين الـتركيـة والشركسية هما اللغتان اللتان يتلكم بها السلاطين والأمراء والضباط وكبار الجيش[٤١].

تراث كبـير، وثقـافـة واسعـة، ومـؤلفات عديدة، ومعرفة متنوعة وموسوعات ضخمة وألوان

---

(٣٨): القلقشنـدي: صبـح الاعشى ٥/٤٦١، ستينجـاس: المعجم الفـارسي الانكليزي ٣٥٣، السيوطي: حسن المحاضرة ٢/١٣٠، الدواداري: ةالدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر ٩/١٠٩/٢٧٠، عطية: القاموس الاسلامي ١/٥٦٦

(٣٩): القلقشنـدي: صبـح الاعشى ٥/٤٥٨، سيتجناس: المعجم الفارسي الانكليزي ٤٩٥، الدواداري: الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ٩/١٧، ٢٦٢

(٤٠): القلقشندي: صبح الاعشى ٥/٤٦١، سيتجناس: المعجم الفارسي الانكليزي ٧٥١

(٤١): . Lewis,The Arabs in History: 9/156

مختلفة من العلوم، وأشكال شتى من الفنون، واختصاصات قيمة جمعت بين الأدب والعلم والتاريخ والجغرافية والإدارة والقانون والفروسية والقتال والدين والدنيا والسلام والحرب، خلفه لنا عصر المماليك وأوصله إلينا أولئك العلماء الذين كتبوا وأولئك الادباء الذين توسعوا، فكانوا غزيرين بمادتهم، متمكنين من اختصاصهم متيقنين من مهنتهم، متسابقين في العلم والمعرفة، ذلك لأنهم عاشوا ذلك العصر، وسمعوا ورأوا وجمعوا مجربين، وعن فوارس خاضوا غمار الحروب، وعن قادة تمرسوا على القتال، وعن رجال رافقوا الحملات وشهدوا الوقائع والهزات والطعن بالرمح والرمي بالنشاب.

لعل ارتقاء وتقدم العلوم العسكرية يعود إلى تشجيع السلاطين والقادة المماليك للمؤلفين الذين كتبوا في هذا المضمار، وإلى القيادة المملوكية التي كانت على جانب كبير من الثقافة العسكرية، والخبرة الميدانية، حتى أن هذه الثقافة والعلوم طغت على غيرها، وفضلت على كثير من المهن والصناعات، حيث أنها جاءت في وقت كان الناس جميعا في تلك المنطقة في مصر والشام بحاجة إلى العلوم العسكرية ليردوا بها كيد الاعداء، وبطش التتر وليتعاملوا مع عدوهم بقوة السلاح وحدة السنان والقول الفصل البعيد عن الهزل، وإلى أن سلاطين الدولة المملوكية رجعوا وأكرموا كل عالم وفارس، وفتحوا أبواب دولتهم إلى الوافدين عليها من العراق والاندلس وبلاد المشرق والمغرب الذين دارت عليهم دائرة السوء، وتشتتوا في أنحاء الأرض، ورأوا أنهم قد اهتدوا إلى تلك الديار المصرية والشامية التي احتضنتهم فتابعوا مسيرتهم العلمية وإنتاجهم الثقافي والعسكري وبسطوا أقلامهم يكتبون بكل حرية حتى انتشرت العلوم، وازدادت المعارف وكثرت المؤلّفات.

لقد نالت المكتبة الحديثة حظاً وافراً من المؤلفات العديدة التي تبحث في التاريخ المملوكي بعضها عربي والآخر أجنبي بعضها عسكري والآخر مدني بعضها مترجم وبعضها في لغات متعددة إفرنسية وإنكليزية وإيطالية، وأهم هذه الكتب تاريخ العرب لحتي، ودمشق في عصر المماليك لزيادة، والسلاح في الإسلام لزكي، والظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره لسرور، والمماليك في مصر لزقلمة، ومصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك لعاشور، وقيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام للعبادي، وتاريخ الأمم الإسلامية للخضري، أما الكتب المعربة فأهمها العالم الاسلامي في العصر المغولي لشبولر، وتراث الإسلام لأرنولد، والحضارة العربية لريسلر،

وطبقات سلاطين الإسلام للين بول، وهنالك العديد من الكتب الأجنبية التي تحدثت عن العصر المملوكي وعن معركة عين جالوت وعن أبطالها، وعن الفئات التي اشتركت في القتال في هذه المعركة، وعن الأسلحة التي اشتركت في القتال وأهمها المستعمرات الافرنجية في سوريا في القرنين الثاني والثالث عشر Colonies Erqnques ، وسوريا في عصر المماليك Demombynes ، والعرب في التاريخ برنارد لويس Bernard Lewis ، وتاريخ فارس الادبي ل إدوارد براون Edward Brawne ، والبارود والأسلحة في المملكة المملوكية دافيد آيلون David Ayalon ، وتاريخ مصر في العصور الوسطى ل لين بول ستانلي Stanlay Lan Poole وأخيرا المجلة الشرقية الايطالية Orientalia العدد الرابع التي صدرت في روما عام ١٩٣٥م التي تكلمت عن ماركوبولو والمبشرين وهي غنية بالمعلومات عن التتر والمماليك وبخاصة عن صريم الدين عبد الله الذي روى معركة عين جالوت وتحضيراتها ومشاهدها وتفصيلاتها(٤٢).

---

(٤٢) : Nome: G.Delia Vida Nome Mogizine: Orientalia Volumen IV/359 - 376.

الفصل الأول

معركة عين جالوت والمعارك التي سبقتها



لفت موقع فلسطين الجغرافي والتاريخي والديني والاقتصادي الأمم القديمة والحديثة، فهي تقع في قلب الوطن العربي، ولها منافذ على القارات كأوربا وآسيا وأفريقيا، فهي معبر لآسيا من أفريقيا وإليها[1]. ولها ساحل على البحر المتوسط، وتتميز بتباين تضاريسها وخصب أراضيها ووفرة مصادر المياه العذبة والمعدنية.

لفلسطين نفحة دينية جمعت الأديان السماوية الثلاثة: ففيها مايستوي هؤلاء جميعاً من مدن وقرى، وأماكن توجد فيها رسل وأنبياء، وحصلت فيها أحداث دينية وتاريخية ورد ذكرها في القرآن والانجيل والتوراة، وفيها ولد الرسول عيسى، وإليها أسرى الرسول محمد ﷺ، مما جعل فلسطين أرض الاديان ومهد الحضارات ومنحها قدسية لدى شعوب الأديان السماوية الثلاث، وفي فلسطين آثار دينية وتاريخية تحكي قصص السابقين، يقصدها الناس من كل فج عميق، فما من مدينة إلا فيها أثر، ومامن منطقة إلا فيها قصة وتاريخ، ومامن جبل أو سهل إلا حدثت فيه حادثة، أو وقعت فيه واقعة، ومامن حبة من تراب أرضها إلا كانت فيه الخيرات والبركات[2].

في فلسطين مناطق ومواقع شهدت معارك بين جيوش مختلف الأقوام على مر العصور، فالفرس في عام ٥٢٥ ق.م قاتلوا في أرضها، وكانت تتبع إليهم أغلب البلدان الفلسطينية كالقدس وغزة وخان يونس وغيرها[3] كما أن العبرانيين قاتلوا ضد أهلها وكذلك الرومان في عام ١٠٤ ق.م[4]. ثم أتى العرب المسلمون في القرن الأول الهجري واستنقذوا بعض المدن الفلسطينية من أيدي الروم، وجرت بينهم معارك طاحنة كان لها أثر كبير وصلة فنية تاريخية بمعركة عين جالوت، ثم توالى الصليبيون فالجيوش الاسلامية كالفاطميين والأيوبيين والمماليك الذين كانت لهم معارك مشهورة مع الصليبيين والمغول على أرض فلسطين التي ظلت محافظة على حدودها وأهميتها القتالية.

---

(١): طوطح: جغرافية فلسطين ٨

(٢): الحموي: معجم البلدان ٤/٤٧٠ ـ ٥/٣٤٦، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ١/١٨٥، البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ١/٢٣٨

(٣): علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ١/٦٢١

(٤): كرد علي: خطط الشام ١/٩٣

لقد حارب العرب المسلمون في تلك المنطقة على جبهات كثيرة ضد الروم والصليبيين والمغول، واستطاعوا أن يحققوا انتصارات كبيرة عليهم في عدة معارك أهمها اليرموك وحطين وعين جالوت(٥).

ابتدأ الصدام المسلح مع الروم في غزوة مؤته(٦) وتلتها غزوة تبوك(٧) ثم فتح مآب في خلافة أبي بكر الصديق وفحل(٨) وغزة وعكا(٩) في سنة ١٥ /٦٣٦، وبعد قرون عدة استطاع الصليبيون أن يستولوا عليها في سنة ٤٩٧ /١١٠٣ وأعاد فتحها صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣ /١١٨٧ وسقطت مرة أخرى في يد الصليبيين وأعادها المماليك في سنة ٦٩٠ /١٢٩٠(١٠) وصور التي فتحها العرب المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب، وبقيت تحت الحكم الاسلامي حتى سنة ٥١٨/ ١١٢٤ فأخذها الفرنج وتمكن المماليك من أخذها سنة ٦٩٠/١٢٩١، وعسقلان(١١) وقلاع قرين(١٢) وكوكب(١٣) والكرك(١٤).

---

(٥): الخطيب: تاريخ بغداد ١/ ١٤٤، الطبري: تاريخه ٣/ ١١، ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٧، ٣٨، ابن عساكر: التاريخ الكبير ١/ ١٦٩، الواقدي: فتوح الشام ١/ ١٠٢، ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ٦١ ومابعدها، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١/ ٢/ ٤١٧، أبو الفداء: تاريخه ٢/ ١/ ٢١٤

(٦): الواقدي: المغازي ٢/ ٧٥٥، ابن هشام: السيرة النبوية ٤/ ١٥، ابن سعد: الطبقات ٢/ ٩٢، الحموي: معجم البلدان ٥/ ٢١٩

(٧): ابن شهاب الزهري المغازي النبوية ١٠٦، ابن هشام: السيرة النبوية: ٤/ ١٥٩، ابن سعد الطبقات ٢/ ١١٨، ابن حزم: جوامع السيرة ٢٤٩.

(٨، ٩): الحموي معجم البلدان ٥/ ٣١، البلاذري: فتوح البلدان ١١٥، مرمرجي: بلدانية فلسطين العربية ١٧٩، الحموي: معجم البلدان ٤/ ١٤٣

(١٠): البغدادي مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع ٢/ ٩٥٤، مرمرجي: بلدانية فلسطين العربية ١٦١

(١١): المقدسي: أحسن التقاسيم فيم معرفة الاقاليم ٢٤، الحموي: معجم البلدان ٤/ ١٢٢

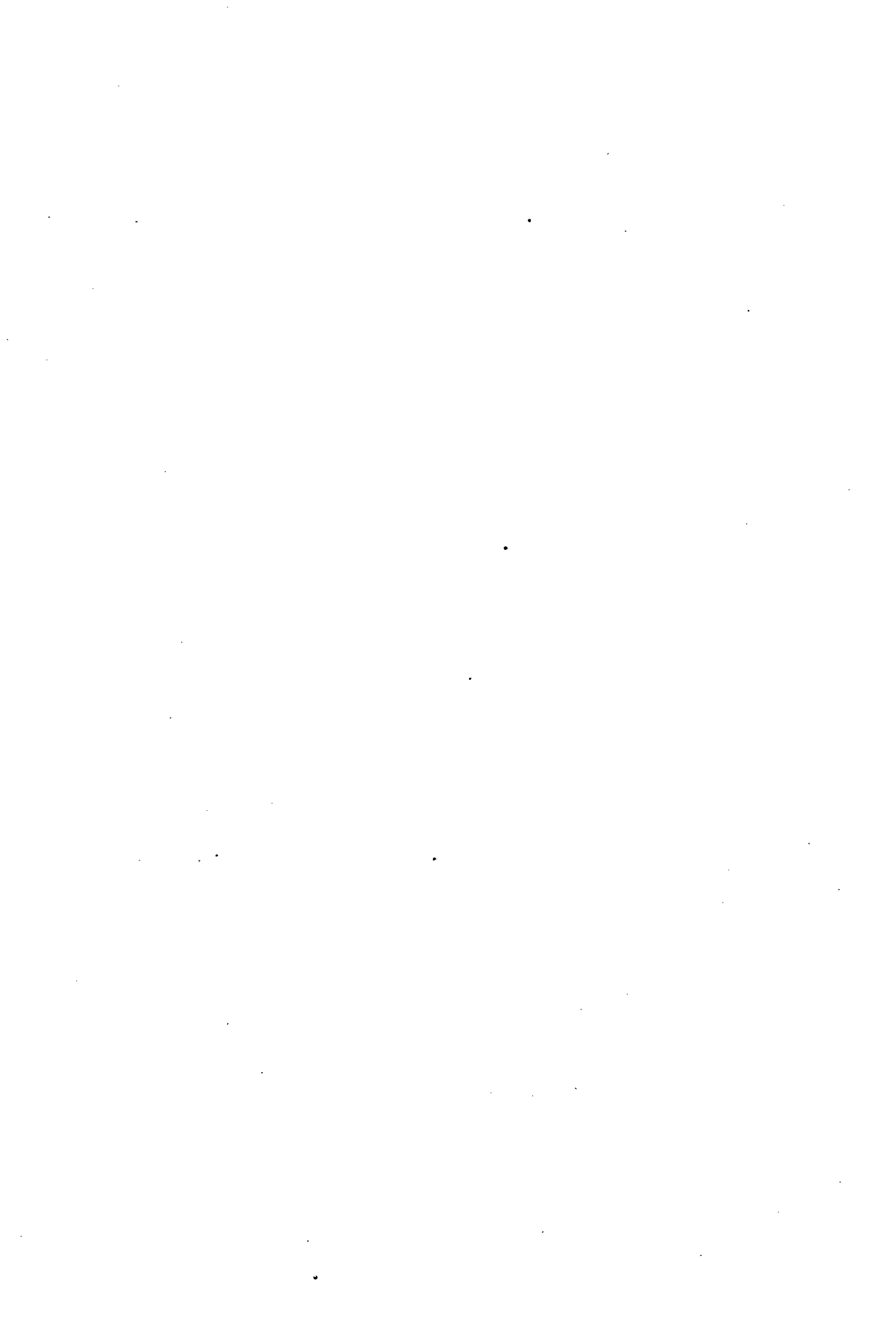
(١٢): مرمرجي بلدانية فلسطين العربية ١٨٨

(١٣): الحموي: معجم البلدان ٤/ ٤٩٤

(١٤): مرمرجي: بلدانية فلسطين العربية ١٩٣

لقد ارتبطت هذه المعارك جميعا مع بعضها وامتد سابقها بلاحقها، فكانت المدينة أو الموقع أو المنطقة تتعرض لعدة معارك، تسقط أحيانا وتعود أحيانا أخرى، والحروب بين الطرفين سجال، فالعرب المسلمون من جهة، والدخلاء على البلاد من جهة أخرى.

إذا أردنـا أن نختـار من هذه المعـارك من حيث الامتداد والارتباط فإننا نختار المعارك التالية: اليرموك وحطين، فإنها معارك جرت في ظروف قتالية وإدارية مشابهة لمعركة عين جالوت.



معركة اليرموك

وكان مسرح معركة اليرموك إلى الغرب قريباً من المكان الذي وقعت به معركة عين جالوت، فهو لا يبتعد كثيرا إلى الغرب من سهل مرج ابن عامر، ومن بحيرة طبرية التي هي جزء متمم من تلك الأراضي، وهي التي كان بجانبها منخفض اليرموك، وحولها التلال، وفيها السهل الذي وقعت فيه المعركة، إن التشابه كبير بين المسرحين والظروف القتالية والقيادية والادارية، إن معركة عين جالوت تعتبر وكأنها جزء أو تتمة لمعركة اليرموك.

حدثت المعركة في العشر الاخير من تموز سنة ١٥ / ٦٣٦[١٥] بين الجيشين العربي الاسلامي والجيش الرومي، وكان عدد الجيش الأول أربعين ألف مقاتل[١٦] وكان القائد العام للجيش خالد بن الوليد ونائبه أبا عبيدة بن الجراح، أما الجيش الرومي فكان مائتي ألف أو يزيد بقيادة القائد العام ماهان، استمرت المعركة ستة أيام وبدأت نهايتها مع إطلالة اليوم السادس حين خرج غريغوري (جرجير) قائد جيش السلاسل طالبا المبارزة لقائد الجيش العربي، وأنبرى أبو عبيدة بن الجراح، وتقابل القائدان وجرت بينهما محاولات عديدة قتل على أثرها غريغوري، وعاد أبو عبيدة إلى صفوف الجيش[١٧]، وهنا أمر القائد بالهجوم المعاكس العام، والتف قادة المجنبات، وتحرك خالد بن الوليد من الجنب اليميني وأحاط بقوات الروم (السلاف، والارمن) التي كانت في المواجهة[١٨]، واستطاع بالتعاون مع عمرو بن العاص وشرحبيل أن يتقدموا بالتفاف طوقوا به هذه القوات، وأوقعوا بها الخسائر الكبيرة كما استطاع أبو عبيدة في القلب أن يثبت مواجهة العدو بالكامل، ولم يلبث خالد بن الوليد ومن معه أن يصلوا بالتفافهما إلى مؤخرة جيش ماهان وهنا دب الذعر في صفوف هذا الجيش، وبدأ ينسحب بشكل غير منظم، وانتشرت الفوضى في صفوفه وهرب باتجاه وادي رقاد الذي كان مقبرة له[١٩].

---

(١٥): ابن عساكر: التاريخ الكبير ١/١٥٩

(١٦): الواقدي: فتوح الشام ١/١٣٩، دحلان: الفتوحات الإسلامية ١/٢٩

(١٧): الواقدي: فتوح الشام ١/١٤٧

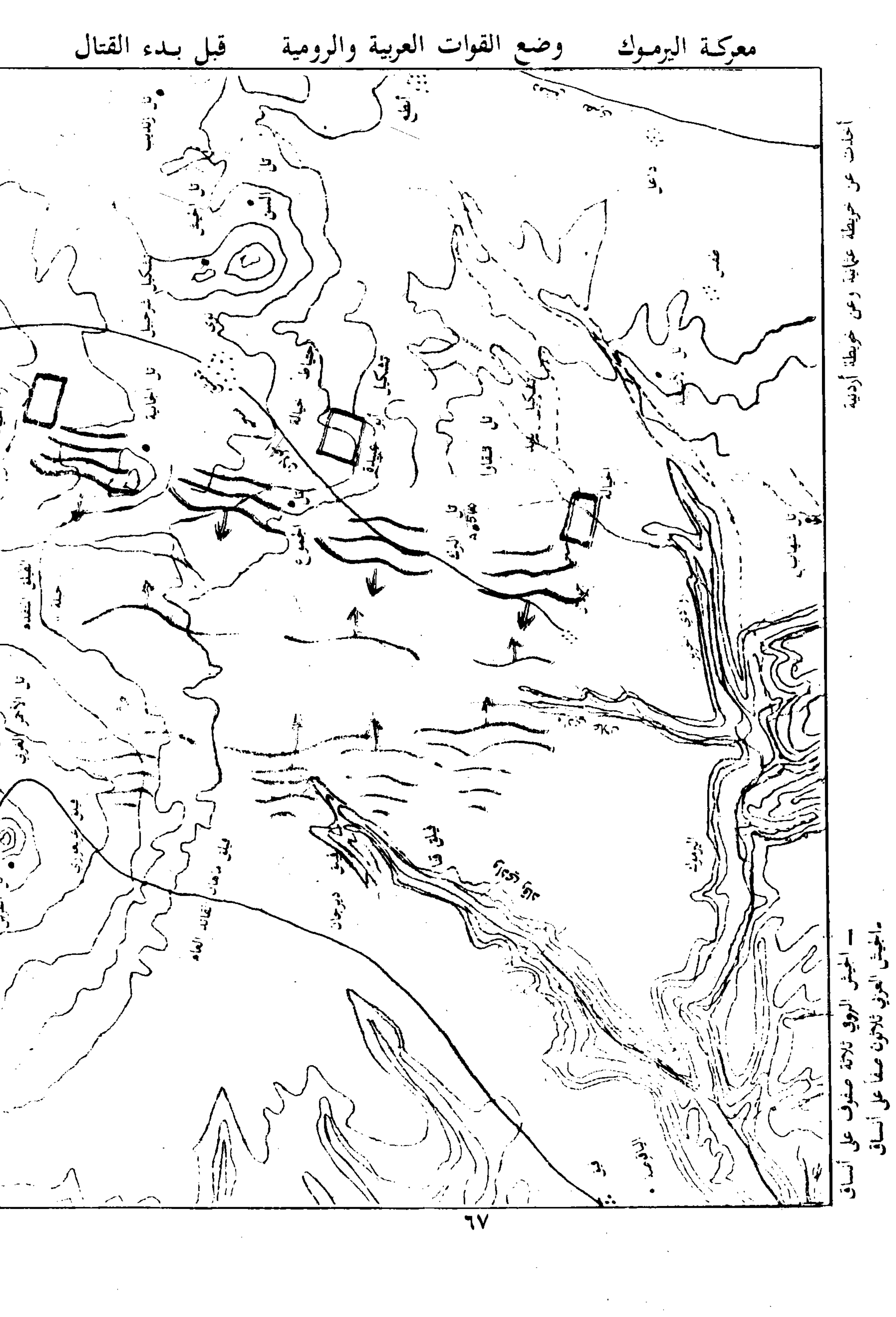
(١٨): الواقدي: فتوح الشام ١/١٤٠

(١٩): ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ٩٩، أكرم: سيف الله ٤٩٤ ومابعدها.

لقـد أسـرع ضرار بن الأزور في وحـدة من الخيـالـة بمطـاردة الفلول المنهـزمـة التي نجت واستطـاعت أن تجتـاز وادي الـرقـاد، وكمن لهم في الضفـة الغـربية من هذا النهر، وحين فرحوا بنجاتهم من النهر رأوا مجموعة من الجنود مستلين سيوفهم فوق رقابهم فأيقنوا بهلاكهم، ثم قضي عليهم[٢٠].

---

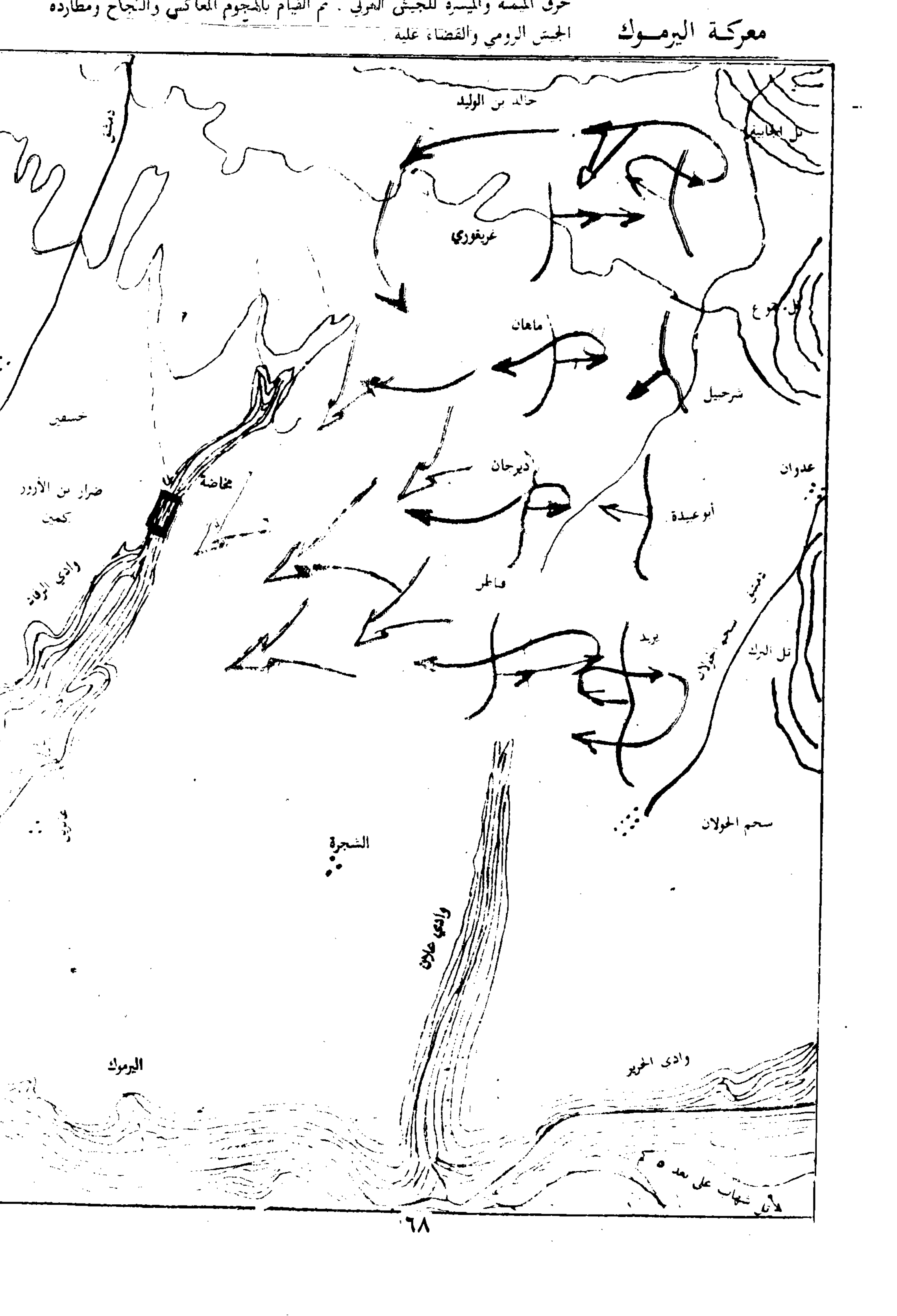
(٢٠): ابن عساكر التاريخ الكبير ١/١٦٩، أكرم: سيف الله ٤٩٧


أخذت عن خريطة عثمانية وعن خريطة أردنية
— الجيش الرومي ثلاثة صفوف على أنساق
الجيش العربي ثلاثون صفا على أنساق

خرق الميمنة والميسرة للجيش العربي . ثم القيام بالهجوم المعاكس والنجاح ومطاردة

معركـة اليرمـوك

الجيش الرومي والقضاء عليه .



معركة حطين

حدثت معركة حطين في ربيع الثاني في ٤ تموز من سنة ٥٨٣/ ١١٨٧ في قرن حطين الذي يقع في الشمال الشرقي من عين جالوت بمسافة حوالي، ٣٠ كم وإلى الغرب من بحيرة طبرية، وتحيط به جبال ومرتفعات من الغرب ومن الشمال الغربي ومن الجنوب الغربي، أهمها جبل ترعان الذي يبلغ ارتفاعه ٥٤٨ م عن سطح البحر، والجبال: دامية وطابور والدهي التي تقع كلها إلى الجنوب من هذا القرن، ويلاحظ أن الميول تقل تدريجيا حتى سهل مرج ابن عامر حيث وقعت معركة عين جالوت، وتتصل هذه بتلك بعدة طرق أهمها: حطين ـ الناصرة ـ عفولة ـ مرج ابن عامر، وحطين ـ وطبريا ـ بيسان ـ عين جالوت. ومن حطين طريق غربي إلى عكا وحيفا.

حطين قرية بين طبرية وعكا، وتبعد عن طبريا فرسخين بالقرب منها قرية يقال لها حياره[21] وفي هذا المكان وقعت المعركة الفاصلة بين الأيوبيين والصليبيين وكان النصر فيها لصلاح الدين الأيوبي الذي امتدت معاركه فيما بعد نحو الساحل، وحرر البلاد الفلسطينية[22].

تحرك الجيش الأيوبي، من دمشق إلى بصرى ـ درعا ـ أربد ـ جسر المجامع ـ طبرية ـ صنبرة ـ حطين ـ لوبيه. وسار الجيش الصليبي على المحور من عكا ـ شفا عمرو ـ صفورية حيث تحشد هناك، ثم تحرك نحو حطين[23].

اختلف في عدد الجيشسين المتقاتلين، وتضاربت المصادر عن عدد المشاة والفرسان، وفي كل الاحوال فإن الجيش الفرنجي كان يتفوق على الجيش الايوبي بالقوى والوسائط[24].

---

(٢١): الحموي: معجم البلدان ٢/ ٢٧٤، المقريزي: الخطط ١/ ٢٢٧

(٢٢): شيخ الربوة: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ٢٦٢، ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ٢٢٢، ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ٦٤، شاهنشاه: منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماه ٢٩ ومابعدها، الذهبي: دول الاسلام ٢/ ٦٩

(٢٣): ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية ٦١

(٢٤): ابن كثير: البداية والنهاية: ١٢/ ٣٢٠، الذهبي: دول الاسلام ٢/ ٦٩، فشر: تاريخ أوربا ١/ ١٩٠

أشرقت الشمس في صباح يوم القتال تشوى الاجسام، وتلفح الوجوه، مما يزيد في العطش، وتشتد الحاجة إليه أثناء القتال، ظهر جيش صلاح الدين الايوبي إلى الجبل وهو متجه إلى الغرب والجنوب الغربي على أنساق، ومن خلفه بحيرة طبرية، أما الجيش الصليبي فإن ظهره غير محمي، وجهه إلى الشمس وإلى الشرق(٢٥).

بدأت المعركة كغيرها من المعارك السابقة بالمبارزة، فقتل المبارزون من الجيش الصليبي، وأعطيت إشارة الهجوم، فتقابل الفريقان بالسلاح الطويل المدى وهو النبال، فتراشقا ثم أمر القائد العام باستخدام سلاح النفط والنيران، حيث أطلق على الجيش الصليبي عدة مقذوفات جعلت النار تضطرم بين صفوفهم سيما وأن منطقة تمركز الجيش الصليبي كانت زرعاً هشياً يابسا، اشتعلت فيه النيران بسرعة، فلم تقو فرسانهم ولامشاتهم على الاقتراب منها، ثم تقدمت ميمنة الجيش فاندفعت الخيالة وتبعتها المشاة، وكذلك بالميسرة، وأما القلب فقد ظل ثابتا يجذب إليه المقاتلين من الافرنج، وماهي إلا ساعات حتى اخترق الجناح اليميني جيش الصليبين وتقدم إلى الأمام ثم التف من الخلف بتوقيت واحد مع الجناح اليساري، فأصبحت القوات الصليبية بين فكي الكماشة، ولم يكن لهم من مهرب، فقتل حوالي نصف الجيش بهذا التطويق، وأسر أكثر من ثلثه وفر الباقي لايلوي على شيء وترك وراءه مخلفات كثيرة(٢٦).

وبانهزام الجيش الصليبي وفراره، بدأ نوع جديد من القتال هو المطاردة، تبعه الجيش الايوبي وظل على تماس مباشر معه، فاعتصم قسم من الفارين قبل حطين، فحوصروا، ومنع عنهم الماء، وكان الجو صيفا وحارا، فعطشوا واستسلموا(٢٧).

جرى قبل القتال استعراض الجيش في منطقة التحشد (عشترا) من قبل القائد العام للجيش الايوبي حيث استكمل الاعتدة، والأسلحة وأجرى التفقد وأمر الجند بالتزود بالطعام

---

(٢٥): ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/٣٢١، ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ٦٢

(٢٦): ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/٣٢١، ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ٦١/٦٢، السبكي: طبقات الشافعية ٧/٣٤٥

(٢٧): ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ٦٢ بيلي: حياة صلاح الدين الايوبي ١٦٠

والشـراب، والاستعـداد التـام لمقـابلة العـدو، وبعث فيهم حب القتال، ورفع من معنوياتهم، وحدد التشكيلات والأطلاب، وعين القادة والامراء، واتخذ جميع التدابير الادارية والقتالية[٢٨].

اشـتركت جميع الأسلحـة المتـوفـرة في القتـال ومنهـا السيـوف والـرمـاح والنبـال والحراب، والمنجنيقـات، وسـلاح النفـط والنيران وكان لسلاح الفرسان دور كبير في هذه المعركة، إذ كانوا يشكلون الحرس المتحرك الذي يمتاز بالخفة والمناورة السريعة، والالتفاف والتطويق[٢٩].

لاتـزال تشكيلة القتـال على ماهي عليـه في الجيش العـربي الاسـلامي وخـاصة في معركتي القادسية واليرموك وهي الميمنة والميسرة والقلب والمقدمة والساقة، إلا أن تراتيب القتال تطورت على ماكـانت عليـه وأن كانت محافظـة على المبـادىء الأسـاسيـة وأهمها الصفوف المنسقة خلف بعضها بعضا، وقد يكون الصف الواحد كتيبة أقل أو أكثر حيث تأخذ الكتيبة الواحدة مواجهة من ١ ـ ٢ كم أمـا عمق الصفـوف وعـددهـا فيكـون تبعـا لحجم الجيش والمهـام والأرض وعدد الخيول والمشاة المشتركة في القتال، وهناك حالات عديدة نذكر منها:

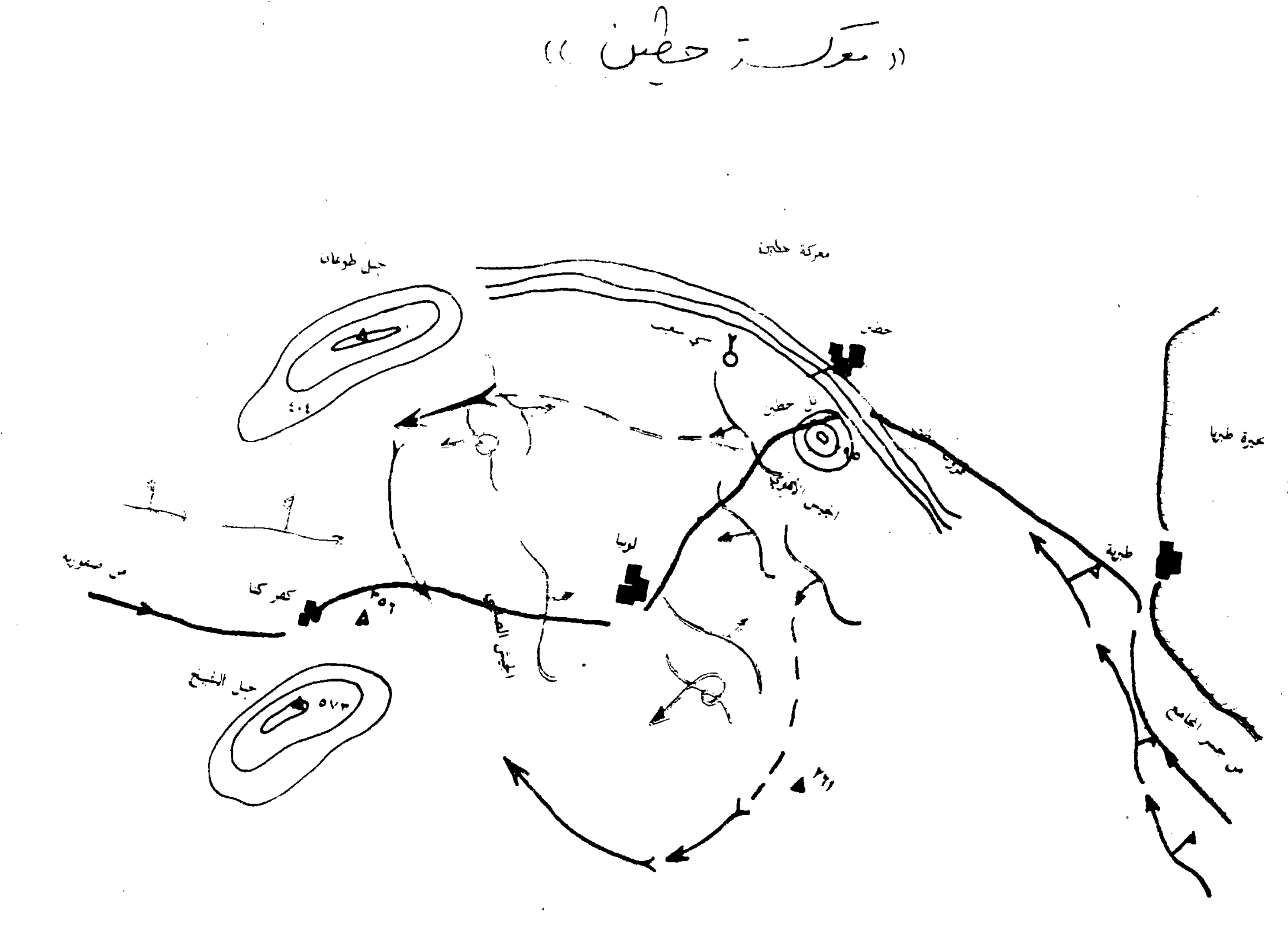
حالة (١):

---

(٢٨): ابن شداد: النوادر السطانية والمحاسن اليوسفية ٦١، بيلي: حياة صلاح الدين الايوبي ١٥٧

(٢٩): ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ٦١ ومابعدها.

«معركة حطين»

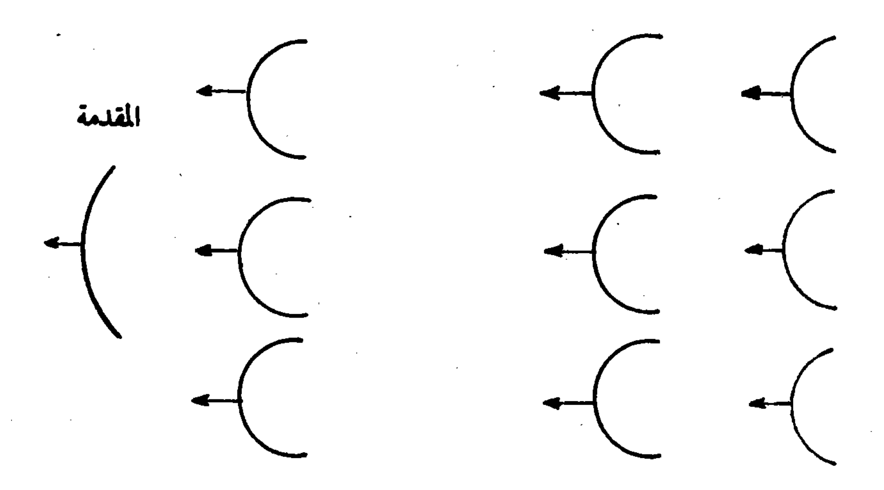


معركة حطين
جبل طوعان
٤٠٤
حطين
تل حطين
بحيرة طبريا
طبرية
لوبيا
كفركنا
٣٥٦
من صفورية
جبل الشيخ
٥٧٣
٢٦١
من جسر الجامع

قد تكـون الخيـل موزعة على جانبي الميمنة والميسرة، وقد تكون على جناحي الجيش للقيام بأعـمال الالتفـاف والتطـويق، وقـد يكـون قسـما منها بيد القائد كاحتياط، يمكن استخدامه في الأمكنـة التي يراهـا منـاسبة، وبخاصة حين حدوث خرق في الصفوف إذ يوجهها في هذه الحالة إلى مكـان الخـرق ليثبت به الـوضـع وليعيـده إلى ماكان عليه، فيطرد القسم من الجيش الذي خرق وتجاوز الصف الأول، أو تستخدم الخيل بجانب القلب على اليمين واليسار ليناور بها قائد الجيش وليدفعها إلى الأمكنة المهددة، وحين تكون الخيل في الصفوف المتأخرة أو على الجناحين فإنه يتقدم الدارعون ويتأخر الحاسرون[٣٠].

حالة (٢): على ثلاثة صفوف

نظام الكتائب

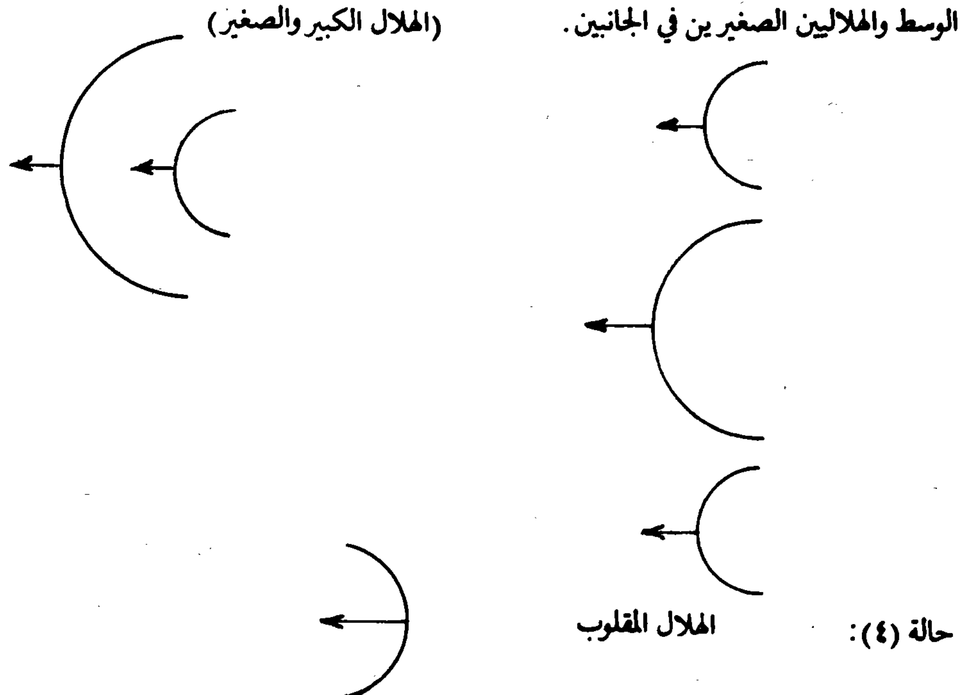


(٣٠): ابن شداد: النـوادر السلطـانيـة والمحاسن اليوسفية ٦١ شاهنشاه: منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماه ٢٩٠

حالة (٣): الهلال

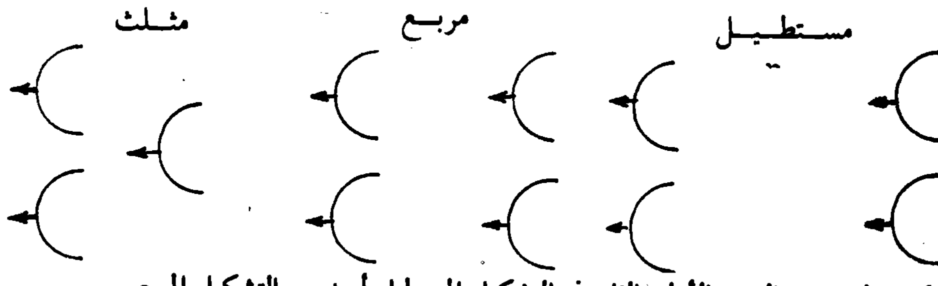
الهـلال الكبـير أو الصغـير أي الذي له دائرة واسعة أوضيقة أو هلال مركب[٣١] الهلال الكبير في الوسط والهلالين الصغيرين في الجانبين.

(الهلال الكبير والصغير)



حالة (٤): الهلال المقلوب

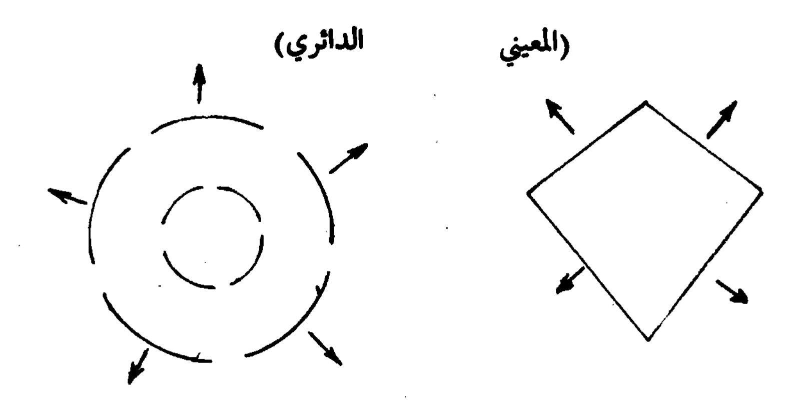
حالة (٥): [٣٢] التشكيل المثلثي، المربعي، المستطيلي، الدائري، المعيني



يكون البعد بين النسق الأول والثاني في التشكيل المستطيلي أبعد من التشكيل المربعي.

(٣١): انظر مخطوطة الرماح: نهاية السؤال والأمنية في تعلم أعمال الفروسية ١٢٤، ١٥٢

(٣٢): انظر مخطوطة الرماح: نهاية السؤال والأمنية في تعلم أعمال الفروسية ١٢٤ ومابعدها.



يمكن أن يتبع في الحرب أية تشكيلة تناسب الوضع القتالي المتجدد، فيمكن للجيش أن تكون أحد تشكيلاته مثلثا والأخرى معينا، والباقية هلاليا أو دائريا أو ماشابه ذلك.

أطلق على تشكيلة الهلال (الأجم) وعلى الكبير من الأهلة «الهلال الحاد» وعلى الصغير «المحج» يوضع على الأجنحة الحادة القادة الذين اتصفوا بالثبات والقوة والحركة النشيطة، يتقدم الهلال وتتقدم أجنحته ويبقى القلب ثابتا، وتتقدم الميمنة والميسرة ويكون التقدم منتظما ومتساويا. فاذا تقدمت الميمنة خطوة تقدمت الأجنحة خطوتين مع انحراف إلى الداخل، ومن جناح «المحج» ثلاث خطوات، حتى إذا كان الهلال يتقارب، انضمت الطلائع من الجوانب وصار العدو في الوسط[٣٣]، وهذه التشكيلة استخدمها الجيش المملوكي فيما بعد حيث طبقها مع بعض التطوير في معركة عين جالوت، وهو ما يطلق عليه في الوقت الحاضر الدفاع المتحرك، وطبق هذه التشكيلة أيضا الملك الظاهر بيبرس في حصاره لقيسارية ودخوله إليها[٣٤].

إن التشكيل المربعي أو المستطيل الذي من شروطه أن يكون طوله ضعف عرضه، تتخذ هاتين التشكيلتين في حال اتخاذ العدو تشكيلة الهلال، وتراعى المسافات بين الصفوف، وترسل الكمائن إلى مقدمة التراتيب القتالية، بين كل كمين وكمين مسافة تحددها قوة العدو وشكل

---

(٣٣): انظر مخطوطة: نهاية السؤال والأمنية في تعلم أعمال الفروسية ١٢٤ - ١٥٢

(٣٤): انظر مخطوطة الرماح: نهاية السؤال والأمنية في تعلم أعمال الفروسية ١٢٤ ومابعدها

تراتيبه والأرض[٣٥] في هذه التشكيلة يكون ثلاثة أرباع الجيش أمام العدو والربع الباقي في النسق الثاني ومقسم إلى خمسة صفوف.

أما التشكيل المعيني فيكون الترتيب قليل العرض، وهو أكثر الاشكال تطبيقا وأرهابا للعدو لكثرة عدده، ويقسم الجيش في هذه الحالة إلى ثلاثة أقسام: الثلث مقدمة في أربعة مواضع، والثلث الثاني في المجنبتين، والثلث الباقي في الساقة على ثلاثة أنساق[٣٦]، أما الشكل الدائري فيتخذ عندما يتفوق العدو في كثرته أكثر من ضعف لكي يتاح للقوات المقاتلة الحرية والحركة في جميع الاتجاهات، ولتضلل طلائع العدو عن اتجاهاتها الرئيسية، وإبعادها عن أهدافها بنصب بعض الكمائن أمام تقدمها، وهذه التراتيب يمكن أن تتخذ في حالة الدفاع وفي أراضي العدو المجهولة التي لم تستطلع[٣٧].

يتألف الصف الواحد من ستة عشر مقاتلا ويسمى هذا العدد «العصبة»، يمكن أن تنسق هذه الصفوف في العمق وتصل إلى ألف وأربعة وعشرين صفا وتكون القوات المسلحة في هذه الحالة قد بلغت من الحجم مايزيد عن ستة عشر ألف من الجنود[٣٨] ويسمى هذا الحجم حنئذ العسكر الأعظم.

يلاحظ أن التشكيل في القوات المسلحة هو تشكيل ثنائي، يبدأ بالعسكر الأعظم الذي يتشكل من جيشين، والجيش الواحد من طائفتين والطائفة من زمرتين والزمرة من كوكبتين وهكذا . . . (انظر الشكل).

يبدأ التشكيل بالعصبة وينتهي بالعسكر الاعظم، ويبدأ بصفين من المقاتلين وينتهي بألف وأربعة عشرين.

وكان قائد التشكيل (الوحدة) في الميمنة، ويتلوه رئيس أركانه في الميسرة، وان ترتيب الجيوش الأول والثاني في الميمنة والثالث والرابع في الميسرة، أما إذا كان الجيش يقاتل لوحده فإن نظام هذا الترتيب يسري على التشكيلات.

---

(٣٥): الرماح: مخطوطة نهاة السؤال الأمنية في تعلم أعمال الفروسية ١٢٦

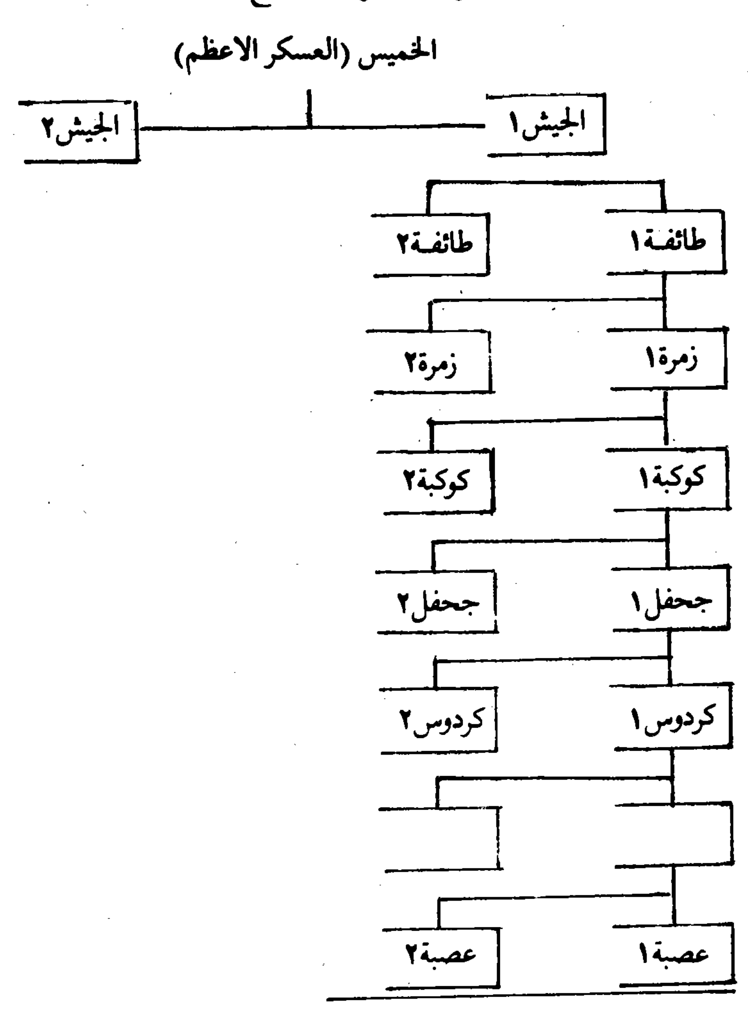
(٣٦): الرماح: مخطوطة نهاية السؤال الأمنية في تعلم أعمال الفروسية ١٢٧

(٣٧): الرماح: مخطوطة نهاية السؤال والأمنية في تعلم أعمال الفروسية ١٢٨

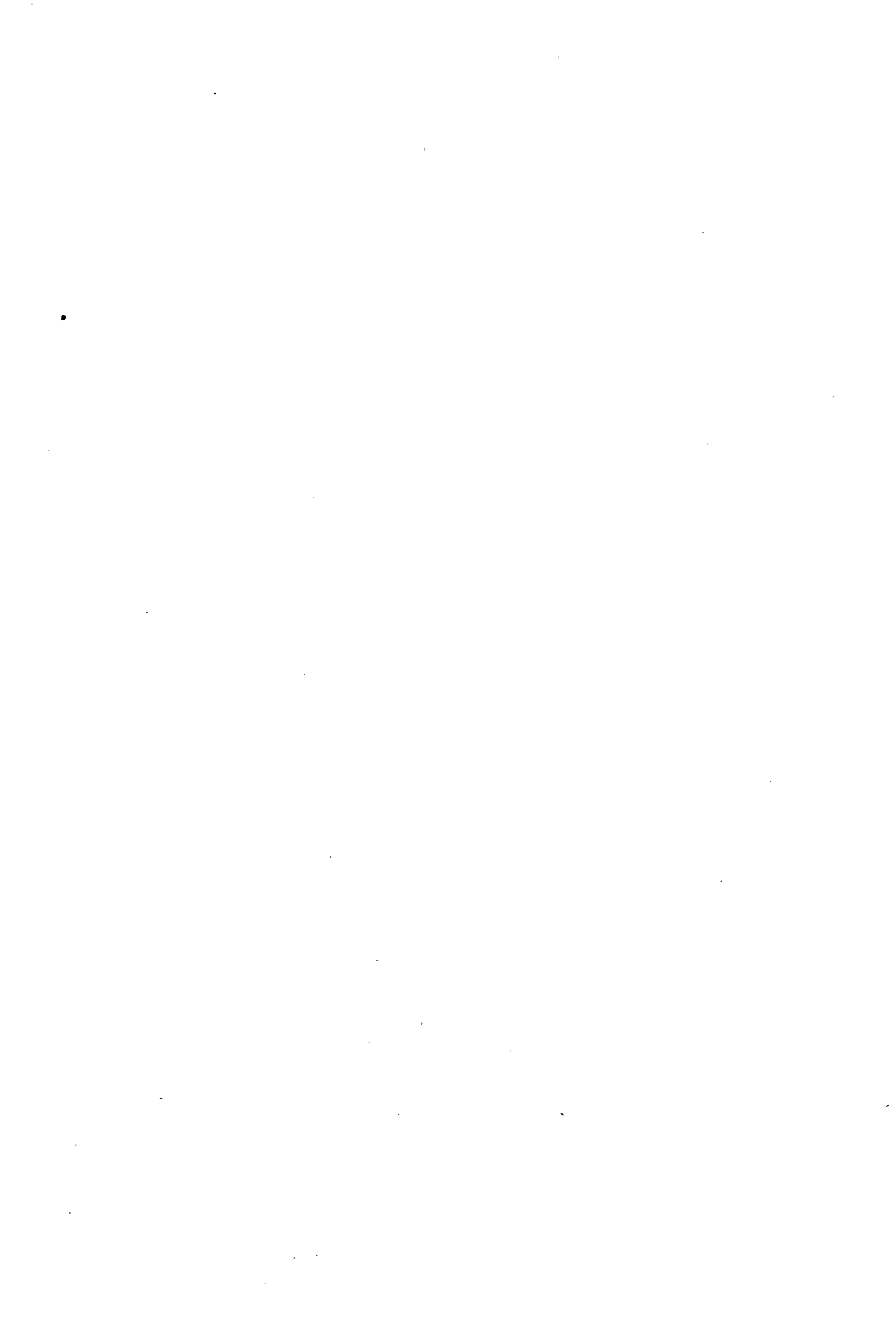
(٣٨): الرماح: مخطوطة نهاية السؤال والأمنية في تعلم أعمال الفروسية ١٤٩، ١٥٠

لكل تشكيل أركان مؤلفة من عدد من الضباط القياديين، وكذلك مجموعة خدمة تتألف من صاحب الـدابـة «السـائق» في الوقت الحاضر، والبواق والحاجب والمراسل، إنما لايتخلفون عن الصفوف المنتظمة، ويلحقون بعناصر الاستطلاع «الكشافة»(٣٩)

الخميس (العسكر الاعظم)

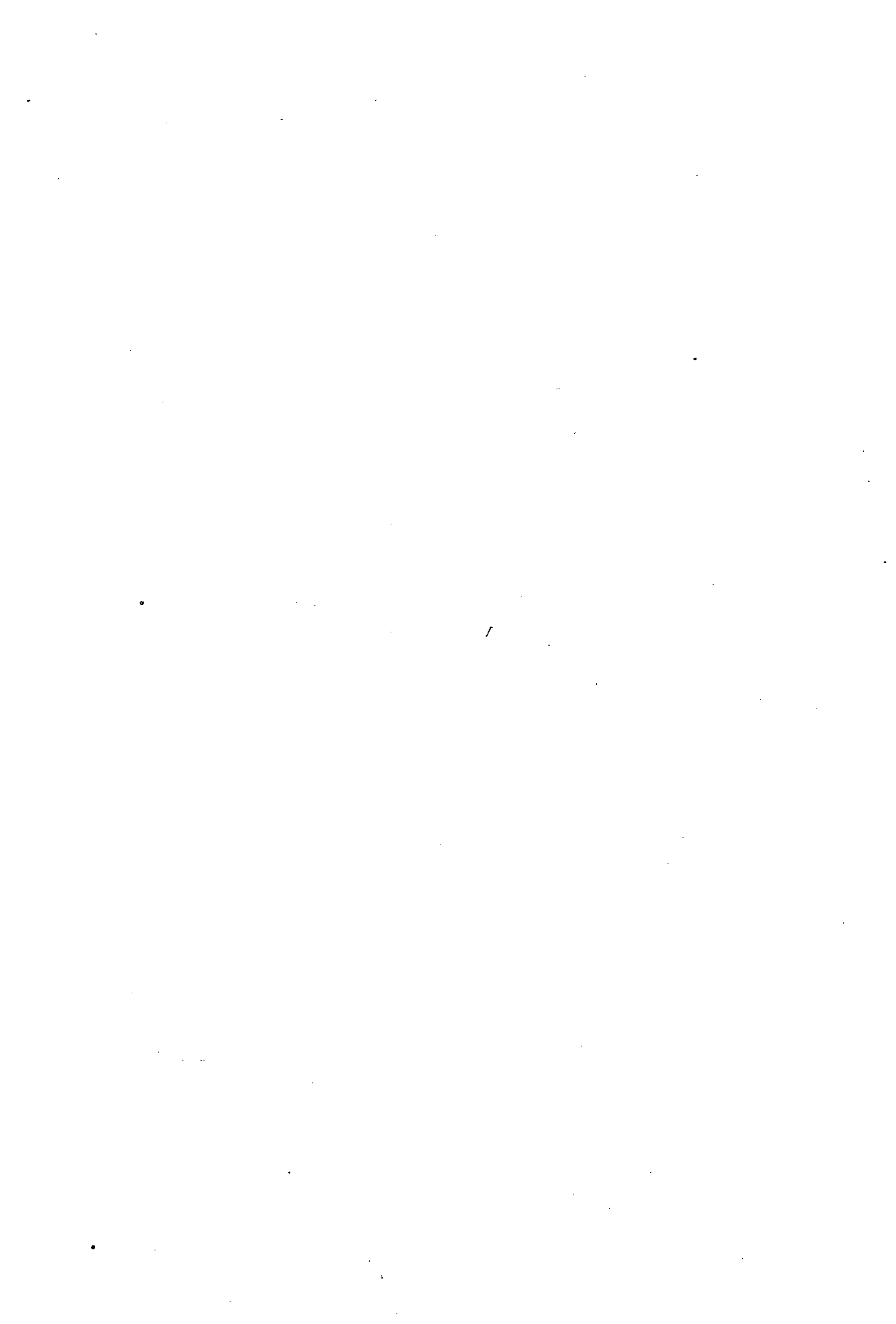


(٣٩) : انظر الرماح: مخطوطة نهاية السؤال والأمنية في تعلم أعمال الفروسية ١٢٩ وما بعدها، تراها مبسوطة وواضحة وقد أورد الكاتب كثيرا من التنظيم والملاكات والتوصيفات للوظائف وتشكيلات القتال المختلفة، فكأنما تحس أن هذه المعلومات كافية للقادة والأركانات، وفيها شيء من التفاصيل والدقة وطرق القتال المتنوعة في كل جو من الأجواء، وفي أي ظرف من الظروف.



الفصل الثاني

مسرح معركة عين جالوت



مسرح المعركة

تقع عين جالوت في سهل مرج ابن عامر في الجزء الجنوبي الشرقي منه يحده من الشمال الشرقي الناصرة، ومن الجنوب جنين، ومن الجنوب الغربي الكرمل وجبال نابلس، ومن الشرق جبال فقوعه ووادي جالوت، ومن الشمال الغربي تلال شفاعمرو. عين جالوت قريبة من وادي جالوت وجبال الفقوعة، تمتد إليها المحاور من جميع الجهات من الداخل ومن الساحل، تحيط بها الأنهار والوديان، وتكتنفها الجبال، وتنعم بالسهل الذي تقع فيه.

١ ـ الأنهار الوديان:

تبدأ من الشمال إلى الجنوب وأهمها:

وادي أربيل:

ينبع من الجليل الشرقي، ويصب في الشمال من بحيرة طبرية، وإلى الجنوب من المجدل.

وادي الفجاس:

ينحدر من جبال الجليل الأدنى، ويبتدىء من شمال شرق الناصرة حوالي / ٢٠ / كم. جنوب حطين حوالي / ٦ / كم. ومن شرق الشجرة حوالي ١٦١ كم ومن جنوب شرق لوبية مباشرة، ثم يتجه نحو الجنوب الشرقي ليصب في نهر الأردن جنوب بحيرة طبرية.

وادي البيرة:

يبدأ من شرق جنوب جبل الطور، ومن السفوح الجنوبية الجبلية للناصرة، ثم يتجه نحو الجنوب الشرقي ليصب جنوب جسر المجامع.

وادي العشة:

يبدأ من شمال شرق سهل مرج ابن عامر بحوالي / ١٠ / كم. ومن سفوح جبال الجليل الأدنى. وفي جنوب قرية تمرة ثم يتجه نحو الجنوب الشرقي. ويكون في أوله دقيقا وضيقا، وفي الوسط والنهاية يعرض ثم ينتهي في نهر الأردن.

نهر جالوت (جالود):

ينبع من جنوب شرق العفولة بالقرب من قرية زرعين، ثم ينحدر من ارتفاع / ٥ر٣٦/م عن سطح البحر، فيمر ببلدة بيسان ثم يتجه شرقا ليصب في الضفة الغربية لنهر الأردن حيث يبلغ انخفاضه عن سطح البحر / ٥ر١١٥ / م، قاطعاً مسافة / ٥ر١٧ / كم مشكلا بعض الشلالات القليلة الاهمية من الناحية الإقتصادية، أما من الناحية العسكرية فهو ممر الجيوش التي تأتي من الشرق، حيث يربط بين نهر الأردن وسهل ابن عامر، كما يفصل بين جبال الجليل وجبال نابلس، كما يؤدي إلى المنطقة الساحلية فأرض فلسطين. ومنها إلى الشمال حيث يمكن الوصول إلى الساحل اللبناني، وإلى الجنوب حيث تقع الأراضي المصرية. وهناك بعض الوديان الموازية من الجهة الشمالية الشرقية. وهذه الوديان تشكل ممرات واسعة إلى سهل مرج ابن عامر.

وادي بيسان:

يحيط ببلدة بيسان. ويشبه الغور، وفيه بعض المياه الراكدة في الصيف والجارية في الشتاء. وهذا الوادي عريض. يمكن أن تسلكه المشاة والخيالة وبخاصة على جوانبه الفسيحة. ويتخلله عدة طرق ذاهبة وآيبة إلى بيسان، كما توجد فيه بعض العيون والمستنقعات.

وادي شوباش:

يبدأ من جنوب شرق جنين حوالي / ١٨ / كم، ومن شرق تلفيت، ومن جنوب شرق سهل مرج ابن عامر حوالي / ١٣ / كم، ويتجه نحو الشرق ليصب في نهر الأردن جنوب الصفا.

وادي المالح:

يجري من جنوب شرق جنين حوالي / ١٦ / كم، ومن قريتي تياسير وطوباس ثم يتجه شرقا ويمر بخربة المالح، ثم ينحرف نحو الجنوب الشرقي، ثم إلى الشرق ليصب في نهر الأردن جنوب تل أبو الصوص.

وادي دورة (البقيعة):

يبدأ من شمال شرق نابلس حوالي (١١) كم، ومن محاذاة جبل طمون نحو الجنوب الشرقي مارا بالبقيعة ليصب في نهر الأردن شمال واميا بـ (١٠) كم.

وادي الفارعة (الجوزلة):

يبدأ من الهضاب المحيطة بقرية طلوزة الواقعة شمال نابلس بحوالي / ٦ / كم، ويتصل بوادي بيسان الذي يتجه شمالا ثم ينحرف نحو الجنوب الشرقي / مماشيا (الجبل الكبير، ثم ينتهي بنهر الأردن شمال واميا حوالي / ١ / كم.

نهر الأردن (الشريعة):

ينبع من شمالي الحولة عندما تلتقي روافده هناك، ثم ينحدر فيجتاز البحيرات ويصب في البحر الميت. ويبلغ طوله حوالي / ٢٥٢ / كم، وتكثر فيه الشلالات الصغيرة. وهو حاجز مائي يبلغ عرضه في بعض الأحيان حوالي (٣٠) م.

نهر المقطع:

ينبع من جبال جلبوع ومن سفح جبل الطابور (الطور) يمر في سهل مرج ابن عامر من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي مارا بالنفنفية وخربة المنصورة، بعد أن يمر بين جبال الكرمل، وتلال شفا عمرو، ثم يتابع سيره حتى يصل إلى شمال حيفا حيث يصب في البحر الأبيض المتوسط.

وادي أبو نار (نهر المفجر):

ينبع من جبال جنيد، ومن بلدة القباطية. ويبعد عن عين جالوت إلى الجنوب حوالي / ١٢ / كم ثم ينحدر متجها نحو الغرب يمر في سهل عرابة ثم ينحرف نحو الجنوب الغربي مارا بباقة، ثم يتجه نحو الشمال الغربي مارا بخربة المجدل ليصب في البحر جنوب قيسارية حوالي / ٤ / كم. وهو نهر طويل إلا أن مياهه تقل في فصل الصيف.

وادي الخلادية :

يبـدأ من جبـال طرعـان . ثم يتجـه نحو الغرب مارا برمانة ، ثم ينحرف نحو الجنوب الغربي ليلتقي بوادي مالك جنوب غرب صفورية ثم يسير ليلتقي بالنهر المقطع ، ويعتبر أحد روافده .

هذه هي أهم الـوديـان العـرضـانية القريبة من المعركة والتي تشكل طرقا طبيعية ، يمكن الوصول بها إلى عين جالوت أو إلى اقرب منها من جميع الاتجاهات على أن أهمها هو نهر جالوت الذي يبتدأ من المكان الذي جرت فيه المعركة ، كما يشكل وديانا متسعة تضيق في الغرب وتنفرج في الشـرق والجنـوب الشـرقي . ونهـر المقطع الذي يجري من الجنوب الشرقي للمعركة ، ويتخذ اتجاها نحو الشمال . ثم لا يلبث أن ينعطف نحو الغرب ليجري طويلا باتجاه البحر .

إذا بجـانب المعـركـة ومن جهتيهـا الشـرقية والغربية نهران يجريان بعكس بعضهما . الشرقي يصب في نهر الأردن ، والغـربي يصب في البحـر الأبيض المتـوسـط لا يصلحـان للمـلاحة ، ولا يعيقـان حركـة المنـاورة للقـوات المتجمعة في ذلك السهل الفسيح الذي امتلأ بالوديان الصغيرة والـروافـد لهذين النهـرين وهكذا فإن كل الوديان السابقة التي مر ذكرها تتجه أما من الشرق إلى الغرب ، أو من الغرب إلى الشرق ماخلا نهر الأردن الذي يبتدأ من الشمال إلى الجنوب ، وترفده جميـع الـوديـان والانهـار المتجهـة إليه ، كما تشكل بعض الوديان والأنهر التي تصب فيه مسارات شمالية جنوبية لكنها مقيدة تساير المجرى الأساسي لنهر الأردن .

ومن جنوب المعركة انبثق وتجمع وادي أبو نار الذي يشق سهل عرابة في جنوب سهل مرج ابن عامـر ويتجـه إلى الجنـوب الغربي ثم إلى الغرب نحو الساحل . ومن الشمال وادي البيرة الذي لايبعد أكثر من / ١٥ / كم عن السهل .

هذه الأنهـار والـوديـان المحيطـة بأرض المعـركـة ، تعطي امكانيات قتالية وإدارية كما تسمح للجيوش بالتحرك نحو الشرق أو الغرب أو الشمال أو الجنوب ، كما تسمح بنقل الإمدادات إلى أرض المعركة ، بالإضافة إلى الإستفادة من الموارد المحلية المتوفرة التي يمكن الوصول إليها بسهولة .

٢ ـ الينابيع :

تتركز الينابيع في مسرح العمليات ، لاسيما في المكان الذي جرت فيه المعركة وأهمها :

عين الحية:

تقع إلى الشمال من مدينة الناصرة، وجنوب بلدة كفر كنا.

عين موسى:

هي بالقرب من عين الحية وإلى جنوبها بقليل، وشمال الناصرة حوالي / ١٢ / كم[١].

عين الميتة:

تقع في سهل مرج ابن عامر، الجزء الشرقي منه، جنوب الناعورة، وشمال شرقي العفولة وشرقي زرعين بـ ١ كم[٢].

عين المغير:

تقع في الجزء الشمالي الغربي في سهل مرج ابن عامر في المجرى الاوسط لنهر المقطع، وشمال غربي العفولة[٣].

عين المدوع:

جنوب غرب بيسان وإلى الشمال من جبال حلبون[٤].

عين المدورة:

تقع على الشاطىء الغربي لبحيرة طبرية شمال المجدل حوالي / ١١ كم.

عين القنا:

تقع جنوب عين موسى وشمال شرقي الناصرة[٥].

عين القسطل:

تقع شمال شرق الناصرة جنوبي صفورية حوالي ١ كم[٦].

(١): شيخ الربوة: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ٢٠١.

(٢): خمار: موسوعة فلسطين الجغرافية ٦٩.

(٣): خمار: موسوعة فلسطين الجغرافية ٦٨.

(٤): خمار: موسوعة فلسطين الجغرافية ٦٧.

(٥): خمار: موسوعة فلسطين الجغرافية ٦٥.

(٦): خمار: موسوعة فلسطين الجغرافية ٦٥.

عين العاصي :

تقع إلى الغرب من بيسان وإلى الشمال من تل الشوك[٧].

عين الجندي :

إلى الشمال الشرقي من عفولة وجنوبي قرية تمره في سفح الجبل المطل عليها[٨].

عين البادرية :

إلى الجنوب من جسر المجامع، وشرقي عين الجندي.

عين أم حجيل :

تقع إلى الشمال من عين البادرية حوالي / ١٥ كم بالقرب من مجرى نهر الأردن وشرقي قرية سيرين[٩].

عين نصر :

إلى الجنوب من بيسان، وإلى الشرق من عين المدوع.

عين المرة :

إلى الجنوب من عين البادرية بالقرب من مجرى نهر الأردن، شمال قرية الجبول[١٠].

يلاحظ من أن منطقة القتال غنية بالينابيع الصافية العذبة التي تصلح للشرب والاستعمالات العديدة للجنود وأكثر ما تكون في الجهة الشرقية من عين جالوت وإلى الشمال منها، حيث توجد في تلك البقعة أكثر من سبع عيون رئيسية، كلها تنحدر نحو الشرق، وأكثر العيون التي استفاد منها الجيش المملوكي والمغولي هي : عين جالوت، الميته، والجندي القريبة من بعضها شمالا وجنوبا. وإذا كان التمركز للجيوش الحديثة بجانب المياه شرطا ضروريا، فإن التمركز للجيوش القديمة وفي القرون الوسطى يصبح أشد ضرورة وإلحاحاً، وذلك لطبيعة الأعتدة والأسلحة، وللتعب والارهاق اللذين يصيبان الجندي أثناء القتال أو التحرك.

---

(٧): خمار: موسوعة فلسطين الجغرافية ٦٢.

(٨): خمار: موسوعة فلسطين الجغرافية ٥٦.

(٩): خمار: موسوعة فلسطين الجغرافية ٥٥.

(١٠): خمار: موسوعة فلسطين الجغرافية ٦٦.

٣ ـ الجبال :

يمكن تقسيم الجبال المحيطة بمنطقة القتال الى قسمين : القسم الشمالي ومركزه مدينة الناصرة، والقسم الجنوبي ومركزه مدينة جنين .

القسم الشمالي :

من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب . إذا دققنا النظر في خارطة المعركة نرى جبال داميه التي تقع جنوب غرب بحيرة طبرية، والتي يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر / ٢٧٩ / م، وجبل طابور الذي يقع شرقي الناصرة والذي يبلغ ارتفاعه / ٥٨٨ / م، وجبل أندور الذي يقع شمالي سهل مرج ابن عامر، كما يقع في الجنوب الغربي من قرية تمره، ويبلغ ارتفاعه / ٣٣٥ / م، وجبل قفره الذي يقع جنوب الناصرة ويشرف ايضاً على سهل مرج ابن عامر، ويبلغ ارتفاعه / ٣٩٧ / م وجبل الشيخ الذي يقع شمالي الناصرة بين كفر كنا والرنه ويبلغ ارتفاعه / ٥٧٣ / م. ثم إلى الغرب من الناصرة تقع مرتفعات شفاعمرو.

القسم الجنوبي :

من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب تتكون عدة جبال ومرتفعات إلى الشرق والشمال من جنين أهمها مرتفع رابد الذي يقع إلى الجنوب الشرقي من جنين، ويبلغ ارتفاعه / ٧١٣ / م، ودير أبو ضعينه الذي يقع شرقي جنين مباشرة، ويبلغ ارتفاعه / ٤٧٨ / م، وجبال فقوعه التي تقع شمال جنين وتشرف على وادي جالود، وكذلك على سهل مرج ابن عامر، ويبلغ ارتفاعه / ٧٦٢ / م، وهي تبدأ من الجنوب إلى جلبون إلى الشمال ثم تميل نحو الجنوب وتنقطع عند السهل، ويبلغ أعلى أرتفاع لها في وسطها، أما في الغرب من جنين، فهناك الهضاب القليلة الارتفاع التي تختلف من مكان لأخر، وتتخللها بعض السهول مثل سهل عرابه.

ميول هذه الجبال من مدينة الناصرة وإلى الشرق، فالجبال الشرقية أقل ارتفاعا من الجبال الغربية، وكذلك منها إلى الجنوب، إذ أن الجبال الجنوبية أقل ارتفاعا من الجبال الشمالية، أما في القسم الجنوبي فإن الميول من جنين إلى الشرق تكون قليلة ثم لاتلبث أن ترتفع وبخاصة في أربد، ثم تكون في الشمال أكثر ارتفاعا كجبال فقوعة.

٤ ـ السهول:

إن أهم السهول في تلك المنطقة وفي مسرح العمليات هومرج ابن عامر. يبلغ طوله شرقا وغربا حوالي / ٤٠ / كم وشمالا وجنوبا حوالي / ٢٠ / كم. يرتفع عن سطح البحر مابين / ١٥ ـ ٥٠ / م غزير المطر في قسمه الشمالي القريب من الناصرة، وأقل غزارة في قسمه الجنوبي. يختلف مناخه عن مناخ السهول الساحلية. مناخه يميل إلى البحري من السهول الاخرى الداخلية[١١].

لاشك أن هذا السهل هو أوسع السهول الموجودة في فلسطين، وأطولها وأغناها بالتربة والمياه والحاصلات الزراعية المختلفة، إذ يشكل هذا السهل قطعا من الشرق إلى الغرب، يفصل البلاد شمالها عن جنوبها. وهذا القطع يبتدىء من سهول بيسان من الجهة الشرقية القريبة من نهر الأردن، ثم يسير نحو الغرب حيث يضيق في وادي الجالود، ثم لايلبث أن ينفتح إلى الشمال والجنوب من جنوب شمال قفره، ويمر بالعفولة وينتهي بجنين. ومن الشرق إلى الغرب حيث يبتدىء من نهاية جبال فقوعه إلى خربة المنصورة، ويمر من زبوبة والنفنفية إلى أبوزريق حيث يضيق ويبلغ أقصى ضيق له بين جبال الكرمل وتلال شفاعمرو.

مياه هذه السهل كثيرة، حيث تكثر فيه العيون، أهمها عين جالوت والميته وعين المغير، كما أن هناك بعض العيون في أسفل وادي جالود من الجهة الشرقية. وهناك نهر جالود الذي يبتدىء من أول هذا السهل ثم ينحدر نحو الشرق، ويرفده في مجراه الكثير من الوديان والينابيع. كما أنه توجد بعض المسيلات في وسط هذا السهل التي تشكل جداول تتجمع لتصب في وادي المقطع كما توجد بعض المستنقعات في الجزء الشمالي الغربي منه أي من منطقة النفنفية وباتجاه جريان نهر المقطع.

ميول هذا السهل تبتدىء من جنين من الجهة الجنوبية الشرقية ثم تتدرج في الانخفاض البطيء باتجاه الشمال الغربي إلى منتصف السهل إلى جنوب العفولة، كما تتدرج الميول من الجهة الشمالية إلى الجهة الجنوبية أو الجهة الجنوبية الغربية حتى منتصف السهل أيضا. ثم تتجه الميول نحو الغرب حتى تصل إلى العجرة.

---

(١١): خمار: موسوعة فلسطين الجغرافية ١٨٨.

تكثر الطرقات في هذا السهل، كذلك المدقات من الجنوب إلى الشمال، ومن الشرق إلى الغرب، ويسهل السير فيه للراكب وللراجل على السواء. وتعتبر مدينة العفوله عقدة طرق هذا السهل إذ تشكل مركزا رئيسا لجيمع الطرقات المتجهة إلى جميع الجهات.

مما لامراء فيه أن هذا السهل أنسب مكان للقتال، ولو خير أغلب القادة العسكريين لانتقاء مكان ملائم يؤمن الشروط القتالية والإدارية في ذلك العصر لفضلوا بكل تأكيد سهل مرج ابن عامر، ومنطقة عين جالوت بالذات ذلك لأن المنطقة الغربية منه فيها بعض المستنقعات التي تعيق حركة الفارس، كما أن المنطقة الشرقية فيها وديان وأحجار كبيرة، وأخاديد تحد من الحركة، وتقيد من المناورة. ولو كانت المعركة في سهل بيسان لتعذر ذلك أيضا لشدة حرارة هذا السهل في ذلك الفصل الذي جرت فيه المعركة، كما أن السهل فيه من السبخات التي لا تؤمن الشروط المناسبة للقتال. إذن من الناحية الزمانية والمكانية لايوجد مكان أفضل من ذلك المكان. وكان اختياره موفقا. كما توجد بعض السهول في تلك المنطقة مثل: عرابه إلى الجنوب من مرج ابن عامر، والبطوف إلى الشمال من مدينة الناصرة، وحطين الواقع غربي بحيرة طبرية، وسهل زرعين الذي يعتبر امتدادا لسهل مرج ابن عامر من الجهة الشرقية والذي يجري منه نهر جالود. وهناك بعض السهول الاخرى الصغيرة التي تتشكل في مجاري الوديان والأنهار، على أن تلك السهول لاتقدم بأي حال من الأحوال تلك المزايا المناسبة للقتال التي يقدمها سهل مرج ابن عامر. صحيح أن فيها بعض الطرقات، وفيها بعض المياه، والوسائط المحلية إلا أنها غير ملائمة لهذين الجيشين الكبيرين اللذين حشدا كل الامكانيات لتحقيق النصر.

٥ ـ المدن:

تقع هذه المدن في مسرح الاعمال القتالية، ولكنها بعيدة نوعا ما عن خطر دخول القوات إليها، واحتلالها، وعادة ما كان يجري القتال بين الطرفين المتنازعين أي بين القوى العسكرية المتخاصمة، فإذا ما انتصر جيش، أبيح له المطاردة والاحتلال والقتل والتدمير، كما كانت تفعل الجيوش المغولية حين انتصارها. ومن أهم المدن:

الناصرة:

هي مدينة تقع إلى الشمال من مكان المعركة. بجانبها جبال الساعير ومن هذه المنطقة ظهر المسيح(١٢).

(١٢): شيخ الربوة: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ٢٦٢.

جنين:

تقع بين نابلس وبيسان، وهي إلى الجنوب من منطقة القتال، وفيها مياه وثمرات ووسائط محلية(١٣).

بيسان:

هي على الجانب الغربي من الغور، وسط سهل خصب، كثير الأشجار في المدينة مياه كثيرة، وتسمى مدينة الغور، ومنها مر الجيش المغولي في طريقه إلى عين جالوت. ويقال: أن طالوت قتل جالوت في تلك البقعة من الأرض، وفيها أشجار النخيل، بينها وبين طبرية ثمانية عشر ميلا. وإن أهمية هذه المدينة من الوجهة الحربية أنها تقع على طريق يصل فلسطين بدمشق وحوران والبلاد الشامية، وتقع أيضا على طريق تصل بين المدن الساحلية مثل: عكا، حيفا، يافا. وبالإضافة إلى ذلك فإنها غنية بمصادرها المحلية. ومن مساوئها أنها كثيرة الرطوبة كثيرة المستنقعات مما يسبب بعض الأمراض والحميات للجيش المتمركز في أراضيها. وكانت في القديم من أهم المدن اليونانية، وتحصن الروم فيها والتجأوا إليها بعد معركة اليرموك، وفتحوا المياه في أراضيها لوقف ملاحقة ومطاردة الجيش العربي لهم(١٤).

حطين:

تقع إلى الشمال الغربي من طبرية وفيها سهل حطين من غربها والجبال من شمالها. صلاح الدين الأيوبي قاتل جيش الصليبيين في هذا السهل وانتصر. وفي حطين إلى الشمال منها قبر النبي شعيب. وفيها قبة النصر التي تقع على قرون حطين التي بناها صلاح الدين تخليدا لانتصاره. وقد اقترن اسم هذه البلاد بهذه المعركة الشهيرة الفاصلة(١٥).

---

(١٣): البغدادي: مراصد الإطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع: ١ / ٣٦٨.

(١٤): الاصطخري: مسالك الممالك ٥٦، المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ٣٠، القرماني: أخبار الدول وآثار الاول ٤٣١، القلقشندي: صبح الاعشى ٤ / ١٠٣ / ١٠٤، الحموي: معجم البلدان ١ / ٥٢٧، مرمرجي: بلدانية فلسطين العربية ٤٢، طوطح: جغرافية فلسطين ١٥٣.

(١٥): الهروي: الإشارات إلى معرفة الزيارات: ١٩، الحموي: معجم البلدان ٢ / ٢٧٣، القرماني: أخبار الدول وآثار الاول ٤٣٧، مرمرجي: بلدانية فلسطين العربية ٢ / ٦١، ٦٣، طوطح: جغرافية فلسطين ١٨.

طبرية :

هي في الغـور على سفـح جبـل ، هي غرب بحـيرة طبر يـة ، فيها الاسماك والحمّامات الحارة المعدنية ، فتحها الرومان ، ثم نزعها الفرس ثم اتى العرب فجعلوها عاصمة « جند الأردن » ثم استـولى عليهـا الصليبيـون ، ثم أعـادهـا الأيوبيون ، ثـم صارت للمماليك فيها بعد . فيها العيون **والجداول والمياه الخاصة للإستشفاء من الأمراض والعلل وتعتبر من المدن المقدسة**[١٦] .

عين جالوت :

هذه هي القرية التي وقعت فيها المعركة موضوع البحث . وإنها لمنطقة تعرضت لمعارك طاحنة قتـاليـة . فلقد سار جالوت بجيش من البر بر من فلسطين ، وتمركز بالقرب من العين التي تسمى « عين جالـوت » وزحف جيش بني إسـرائيل بقيادة طالوت من الجهة الشرقية فعبر وا نهر الأردن وتمـركـزوا قبـالة الجيش البر بري ، وتبارز القادة ، فقتل داود جالوت ، وهزم جيش البر بر ، وقتل منهم الكثـير . ثم استـولى عليهـا الـروم وبقـوا فيها مدة حتى استنقذها الجيش الأيوبي في سنة / ٥٨٣ / ١١٨٧ . ثم تعـرضت تلك المنطقـة مرة أخرى إلى حرب داميـة فاصلة كانت بين المماليك والمغول[١٧] .

٦ ـ محاور القتال في أرض المعركة :

يتصل بأرض المعركة (عين جالوت) عدة محاور بعضها ساحلية والأخرى داخلية[١٨] ويسهل الوصول إلى مرج ابن عامر عن طريق الوادي ، وحطين ، واربد ، بيسان ، وعن طريق غزة .

---

(١٦) : الثعـالبي : لطـائف المعـارف ٢٣١ ، القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ١ / ١٤٥ ، القلقشندي : صبح الاعشى ٤ / ١٥١ ، الحمـوي : معجم البلدان ٤ / ١٧ ، الاصطخـري : مسـالـك الممـالـك ٥٨ ، المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ١٦١ ، طوطح : جغرافية فلسطين ١٧٥ ، ١٩٧٧ .

(١٧) : المسعـودي : مروج الـذهب ١ / ٥٥ ، ٥٦ ، الحموي : معجم البلدان ٤ / ١٧٧ ، البغدادي : مراصد الإطـلاع على أسـماء الامكنـة والبقـاع ٢ / ٤٥٣ ، زيـادة : دمشق في عصـر الممـاليـك ٢٦ ، مرمرجي : بلدانية فلسطين العربية ١٧٠ .

(١٨) : ابن شاهين الظاهري : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١١٩ ، القلقشندي : صبح الاعشى ٤ / ٤٠٢ : طوطح : جغرافية فلسطين ١٣ ، ١٤ .

هنـاك طرق داخليـة تخترق عين جالـوت، أو تمر بالقـرب، أو بمحاذاتها من الشرق والغرب والشـمال والجنـوب، ولهـا أهميتهـا القتـالية والإمدادية وإذا ذكرنا بعض المحاور فلأن الجغرافيين القدامى، والمعاصرين للعصر المملوكي قد تطرقوا إلى ذكرها. ومن أهمها:
طبرية، اللجون، بيسان[١٩]. ومن بيسان إلى عين جالوت. ومن طبرية إلى عكا[٢٠] أي من الشرق إلى الغرب وعبر سلسلة من الوديان وفي سفوح الجبال والهضاب، ومن طبرية إلى الـرملة[٢١]، وهـو طريق طويـل يبدأ من طبرية ويمر في اللجون وفي بطن سهل مرج ابن عامر، ويمر بقلنسوة ثم يصل إلى الرملة حيث يقترب من القدس. وهناك محور مهم يصل بين مكانيين مهمـين هما حطـين وعـين جالـوت[٢٢] يمر هذا الطريق بزرعين وهو الطريق الذي دخله الجيش المملوكي لملاقـاة عدوه في المعـركـة التي نتكلم عنها، وأما الطريق الساحلي الذي يبتدىء من غزة ويمتد حتى اللد، ثم ينحرف نحو الجنوب الشرقي ليكون طريقا داخليا فيمر بالعوجا، الطبره، قاقون، فحمه، حطين[٢٣] ثم يتابع نحو أرض المعركة. وهناك طرق فرعية تصل المدن الكبرى مع بعضهـا مثـل بيسان - نابلس - وبيسان - العفوله. ومن يافا إلى زغر حيث يمر بالرملة، القدس، أريحا، البحر الميت[٢٤]. وهناك شبكة طرق داخلية تصل البلاد مع بعضها منها طريق المـدارج الـذي يصـل بيسان، تعاسير، نابلس، بيت المقدس. ومنها صور، صيدا، القدس. ومنها بيت المقدس، نابلس، ومنها أيضا إلى أريحا وبئر السبع.

محاور أرض المعـركـة هي المحـاور التي تتوفر في تلك الأرض على المستوى التكتيكي، وتجتاز مسرح الأعمال القتالية من كل جهاتها. وهي الدروب والمسالك التي تحدد اتجاه القتال، وكيفية المناورة، والالتفاف القريب أو البعيد، مأخوذا بعين الأعتبار نوع التربة وثبات الأرض أو رخاوتها

---

(١٩): المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ١٩٠.

(٢٠): الادريسي: نزهة المشتاق ٢٢٩.

(٢١): ابن خرداذبه: المسالك والممالك ٧٨/ /١١٦، ابن الفقيه: البلدان ١١٦، المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ٢٧ / ١٦٥. مرمرجي: بلدانية فلسطين العربية.

(٢٢): ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١١٩.

(٢٣): ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١١٩.

(٢٤): الاصطخري: مسالك الممالك ٦٦.

تحت سنابك الخيل وأقدام المشاة، وقوائم الدواب « وسائط القتال » المشتركة في المعركة.

تتدرج ميول أرض المعركة بالانخفاض من الشمال نحو الجنوب، ومن الجنوب نحو الشمال لتلتقي في الوسط في الخط الوهمي الذي يبدأ من جنوب زرعين ويتجه نحو الشمال مارا بجنوب العفولة، وبجنوب عين المغير كما تتدرج الميول بالانخفاض من جنوب شرقي سفوح جبل قفرة، ومن السفوح الجنوبية لجبل الدوهي نحو الجنوب الغربي حتى تصل عين جالوت وعين الميته ثم تستمر مع جريان وادي جالود. وكذلك من السفوح الشمالية الشرقية لجبل الفقوعه باتجاه وادي جالود، على أن الميول الأكثر طولا، والأكبر مساحة تبتدىء من غرب عين جالوت وتستمر في الإنخفاض باتجاه مجرى نهر المقطع حيث تنتهي في الساحل باتجاه الجنوب الغربي.

يتخلل أرض المعركة عدة مسالك ودروب تتجه من الجنوب إلى الشمال، وتكثر في الجهة الجنوبية الشرقية، وحول عين جالوت بالذات. وتقل في الجهة الغربية والشمالية الغربية، وبخاصة حول النفنفية وعين المغير. وهذا مما يؤكد على أن المعركة وقعت في الجهة الجنوبية الشرقية من سهل مرج ابن عامر، وذلك لسهولة التحرك في هذه المنطقة، كما يؤكد على أن الجيشين المتقابلين كان أحدهما في الشمال الشرقي والأخر في الجنوب والجنوب الغربي، وأن الصدام الحقيقي وقع غربي عين جالوت. إن إتجاه المحاور « الدروب » يحدد اتجاه القتال. فالقتال بالإتجاه اسهل بكثير من القتال بغير هذه الإتجاهات، ويصعب على الخيل أن تجتاز الدروب بصورة عرضانية لكثرة التعرجات والردميات التي تكون على جانبي المطريق، كما تحدد هذه الطرق الاقسومات من الأرض، تستطيع القوات المتقاتلة من خلالها أن تحدد قطاعا عسكريا بين طريقين متجاورتين لمباشرة القتال.

إن التربة ثابتة وصالحة للقتال في الجهة الشرقية، ورخوة غير متماسكة في الجهة الغربية، وهي لميولها لاتحتوي المياه، أوتتجمع في قاعها، بينما في الجهة الغربية حيث يقل الميل تكثر السبخات والمستنقعات مما يجعل السير في تلك الأراضي صعب. وإن الخيل لا يمكن أن تتحرك بحرية تامة. وهذا ما يؤكد ايضا على أن المعركة وقعت في الجهة الشرقية من مرج ابن عامر، أي بالقرب من عين جالوت، كما تقل الدروب والمسالك في المنطقة الغربية وذلك بسبب وجود هذه المستنقعات وعدم صلاحيتها حتى لسير المشاة.

ومما يلاحظ أن هذه المسالك اتخذت اتجاها يساير اتجاه الجداول والروافد للنهرين اللذين يجتازان أرض المعركة. وهذا دليل واضح على أن هذه الطرق تتخذ في اتجاهها الجداول وتسايرها فإذا أراد أن يقطع الفارس هذه الاتجاهات بصورة عرضانية لاعاقته تلك المسيلات والمجاري المائية أيضا، ولما استطاع أن يتحرك بحرية.

الفصل الثالث

القوام القتالي للطرفين المتقاتلين



لقد كان الجيش المملوكي خليطا من أقوام وأجناس مختلفة من أتراك وشراكسة وغير ذلك من أكراد، روم، عرب(١)، كما كان الجيش المغولي يحتوي أيضا في قوامه على بعض الفئات المغولية والتركية والارمنية إلا أنه في تركيبه البشري أقل خليطا من الجيش المملوكي(٢).

إن مثل هذه الجيوش لاتقاتل كما لو كانت من فئة واحدة إلا إذا زالت الاختلافات كما كان الجيش المملوكي وكذلك تعمق التدريب القتالي بالمشاريع والمناورات المشتركة.

إن الجيش المملوكي ركز على العقيدة، واعتنى بتربية العسكري منذ صغره، ورباه تربية فكرية، مكنته فيما بعد أن يدخل المعارك بكل إقدام وشجاعة، وجعلته يدخل الحرب دون خوف أو إحجام، ويلقي بنفسه حبا للموت فإن قتل فهو من الشهداء وإن عاش فهو من السعداء(٣)، وبالاضافة إلى ذلك فإن هذا الجيش اعتنى أيضا بالناحية الحربية، وأكمل التدريبات المختلفة(٤) أما الجيش المغعولي فقد بسط هيمنته على العالم بفضل قوته العسكرية ونظامه الصارم (الياسا) والتدريب القتالي العالي الذي كان يتصف بالاستمرارية والعيش في ظروف المعركة الحقيقة التي إن أخطأ بها أردت بحياته، وإن أهمل شروطها وخصائصها كلفته الهزيمة والعار. فهو إن قاتل فهو يقاتل عن جد وعزيمة، وإن حضر لها عاش حياة الحرمان مع الطبيعة في قرها وحرها، وفي ندرة المواد وخصبها، وفي صعود الجبال واتباع المضائق، وفي اجتياز الانهار وتفادي المخاطر(٥)

تعاقب على الحكم المملوكي فئتان كبيرتان هما «المماليك البحرية»(٦و٧) وأغلبها من الأتراك،

---

(١): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/٤٧٢، ابن تغري: النجوم الزاهرة ٧/٣٣٠، زكي: الجيش المصري في العصر الاسلامي ١١

(٢) - ابن الصقاعي تالي: وفيات الاعيان ٨٥، ١٦٧، العريني: المغول ٢٥٩

(٣): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٤٢٩، ٢/٢/٥٢٤، ابن خلدون: تاريخه ٥/٣٧١

(٤): الأشرفي: مخطوطة رمي النشاب ٣٦، المقريزي: الخطط ٢/٤٨٩، أبو شامة: كتاب الروضتين ٢/٥٧٩، مبارك الخطط التوفيقية ١/٨٢

(٥): أسعد: يولو ١١، ٧٣، البغدادي: الافادة والاعتبار ١٢٦، ١٢٧٧ الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ٢/٨٣، ٨٥

Rashid Al-Din,The Success Or Sofgnghis Khan/56

(٦و٧): شبولر: العالم الاسلامي في العصر المغولي ١٠٨ حتى تاريخ العرب ٧٦٣

وقد حدثت معركة عين جالوت في عهد هذه الفئة و «المماليك البرجية»[٨] وأغلبها من الشراكسة، وقد حدثت معركة النهاية معركة مرج دابق في نهاية عصر هذه الفئة حيث أخفقت في التصدي للعثمانيين فانهزمت وكانت هذه الهزيمة خاتمة حكم المماليك[٩] أما خانات المغول فقد انحدروا من سلالة جنكيز خان وكان حفيده هولاكو هو الذي اجتاح بغداد وحلب ولم يقدّر له حضور معركة عين جالوت للاختلال الذي حدث في بلاده، فأسرع في قسم كبير من الجيش، وأبقى قوة احتلال في بلاد الشام[١٠]

ـ القوام القتالي للجيش المملوكي:

لقد كان القوام القتالي متباينا في التدريب والتسليح والجنس والكفاءة القتالية والخبرة، فمن المقاتلين من كانوا لأول مرة يدخلون مثل هذه الحرب الحامية الوطيس، ومنه من كا ن له سبق في الحروب، وتمرس في المعارك، ومنهم من تعود على الكر والفر كحرب العصابات، فمثل هذا التباين يلزمه اشتراك جميع المقاتلين في بيانات أو مشاريع قبل الدخول في معركة حقيقة، وتنظيم الوحدات العسكرية بتنظيم يضمن تضافر كل الجهود لتحقيق الهدف الذي يصبو إليه هذا الجيش، وفرض انضباط قوي على العسكري وعلى القطعات على السواء ولعل أهم الفئات التي اشتركت في معركة عين جالوت هي:

أولاً: الترك:

جاؤ وا من بلاد القبجاق، واختلطوا مع المغول حين احتلوا بلادهم، وخضعوا لهم وكثر الرقيق المجلوب من هذه البلاد، واشترى الأيوبيون هذه الفئة وأدخلوها في قوام هذا الجيش ثم مالبثوا أن شكلو دولة قوية عرفت باسمهم، واستلم المماليك الحكم والجيش، فكان أول سلطان هو آيبك التركماني، وكذلك قطز وبيبرس اللذان قادا هذه المعركة الفاصلة[١١]

---

(٨): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/ ٣٣٠ شبولر: العالم الاسلامي في العصر المغولي ١٣٩

(٩): ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٥/ ٦٩ ومابعدها، القرماني: أخبار الدول وآثار الأول ٢٢٠

(١٠): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوم مصر والقاهرة ٧/ ٢٢٠، زامباور: معجم الانساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ٣٥٩ ـ ٣٦٢

(١١): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٣/٧، ٨٥، ١٨٣، ابن الفرات: تاريخ الدول

الـترك أمـة شرقيـة من مسـاكنهـا سهـوب تركستـان في ماوراء جيحون، لغتهم خاصة بهم، بشـرتهم بيضـاء لهم عيـون زرقاء، ووجوه مدورة، وقامة طويلة[١٢]، وهمة عالية، وشجاعة عالية وإيمان قوي وفروسية تدربوا عليها وأتقنوا خصائصها وشروطها، فكانوا في الرمي حاذقين، وفي ركوب الخيل نشيطين، وفي المناورة خفة وحركة، وفي فنون القتال مهرة[١٣]، إذ اتخذوا القتال دينا لهم فقـد استـوى فيهم من انضم إليهم من الأقوام الأخرى كالشركسي والرومي والكردي. مع اختـلاف أنسـابهم وبلدانهم[١٤]، لهم صبر على الحـروب، وثبات في القتال. وقوة احتمال على الجـوع والعطش والـبرد[١٥] واشتهـروا كذلـك بالـود واللين والوفاء مع القسوة والشدة[١٦]، ولقد انتشر الترك وتفرقوا إلى عدة قبائل منهم التتر ومنهم المغول، ومنهم الترك الذين نسبوا إلى أوغوز خان، وقد تشابهت في بعض الاحيان لغتهم وتباينت واتفقت في بعض الاحيان عقائدهم[١٧]، وقد انقسم الترك طبقا لوظائفهم ودخولهم في الخدمة وسنهم وانتمائهم إلى الفئات التالية:

١ ـ المماليك القراصنة:

هم الذين دخلوا في خدمة السلطان، وسبقوا غيرهم من المماليك، وهم المقربون إلى الديوان الشريف، وكانوا يتباهون على غيرهم بأنهم أقدم المماليك هجرة وانتسابا إلى الدولة والجيش،

والملوك ٩٧/٨، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك٣٦٣/١، ٣٦٨، ٨٩/٢، الكتبي: فوات الوفيات ١٥٩/١

(١٢): ابن صاعد: طبقات الامم ٨، الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب ١٢٢/٣

Lane- Poole, A History of Egupt in the Middle Ages, 9/262, 263

(١٣): ابن صاعـد: طبقـات الامم ٨، القلقشنـدي: صبـح الاعشى ٤٥٨/٤، الناصري: مخطوطة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ٢٤٢، لوبون: حضارة العرب ٢١٧، العزاوي: تاريخ العراق ٥١/١ ومابعدها

(١٤): الجـاحـظ: البلدان ٤٧٣، الـرمـزي: من تلفيق الاخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار ٣٥/١، العريني: المماليك ٢٤٦

(١٥): ابن صاعد: طبقات الامم ٨، الطباخ: اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٢٤٢/٣

(١٦): شيخ الربوة: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ٢٧١

(١٧): ابن صاعد طبقات الامم ٨، العزاوي: تاريخ العراق ٦٨/١ ومابعدها

وهم المرشحون للامارة والذين يعاملون بمنزلة أمراء الخمسوات[18] وكان لهم دور كبير في معركة عين جالـوت، وكـانت الأكثـريـة منهم في بدء تأسيس الجيش وتطويره، وقد كان لهم من الشدة والقوة في القتال، لكنهم ـ فيما بعد ـ وفي المعارك التي تلت تراخوا عن مهمتهم الاساسية واشتغلوا بالفتن والـدسـائس، وفي إثـارة القـلاقل والشغب[19] حتى أن بعض الباحثين والمؤلفين يعزون انهزام الدولة المملوكية في آواخر حياتها إلى انقراضهم وبخاصة في معركة مرج دابق[20]

كانـوا يتقـاضـون مكـافـآت ورواتب نقـديـة عنـد خروجهم بحملة خارج البـلاد وذلـك لاسـترضـائهم، ودفعهم أن يقـاتلوا مع الفئـات الأخـرى، فلم يقـاتلوا عن حب الوطن أوعن عقيـدة وإنـما كانت المصالح الشخصية والمنفعة الذاتية هي التي تدفعهم للقتال[21] ولكنهم ظلوا أوفياء أكثر من غيرهم، وأقدر على القتال والمجابهة.

٢ ـ المماليك الجلبان:

هم الـذين جاؤ وا إلى البـلاد وهم كبـار السن عن طريق الشـراء[22] ثم دخلوا الجيش وهم على عاداتهم القديمة التي ألفوها من قبل وكان من الصعوبة أن يتر بوا بتر بية المماليك الصغار، فلم يتقنـوا التـدريب العسكـري، ولم يؤسسـوا على تربيـة عقـائدية، فنشأت فيهم الفوضى، وانتشر الفساد، وسرت فيهم العادات السيئة وكثر السلب والنهب، وظلم الناس، وتفشى رفض الاوامر تجاه الرؤساء واختل الانضباط[23].

---

(١٨): ابن شاهـين الظـاهـري: زبـدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك ١١٥، زكي: الجيش المصري في العصر الاسلامي ١١

(١٩): ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣/ ٢٦٠، ٢٧٨، ٢٨٠، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٣/١/١٧٤، ٣١٤، ٣٨٦

(٢٠): ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٥/٦٨، الاسحاقي: أخبار الاول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول ١٤٤

(٢١): ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣/٢١٦، ٢٢٠، ٣/٢٣٦، ٤/٨٤

(٢٢): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٦/٣٨٦، القلقشندي: صبح الاعشى ٤/١٦

(٢٣): المقـريـزي: السلوك لمعـرفة دول الملوك ٣/١/١٣٤، ١٤١، ٣٨٣، ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣/٣٢٣، ٣٦٣

ومثـل هذه العـادات والصفـات تؤدي بالجيش إلى التفكك وانعدام التعاون، والتخاذل في القتـال، والاستهتـار بالمهـمات القتـالية والابتعاد عن المسؤولية والتأثير السيء على غيرهم من فئات الجيش الداخلة في القوام، فقد توصلوا إلى فرض رأيهم على قادتهم إذ بعد انتصارهم في معـركـة تراهم يضغطـون على السلطـان بصـرف مبالغ كبيرة من المال لقاء انتصاراتهم، فإن لم يعطوا قاموا بقتل قادتهم وزملائهم من الفئات الاخرى من المماليك[٢٤].

ولقـاء هذه الضغـوط كان السلطـان يستجيب لطلبـاتهم ويمنحهم مايـريـدون، وفي بعض الاحيـان كانت الضغـوط تضطـره لخلع نفسـه، كما كانـوا يتجاوزون حدودهم، فيعتدون على قادتهم، ويحاصرون رؤوسائهم في مقر عملهم وفي بيوتهم، وينهبون دورهم بعد مقتلهم أو بعد هروبهم[٢٥].

تزايد عددهم في عهود الدولة المملوكية وسيطروا على المماليك الأخرى، وخرجوا بالتجريدة أثـر التجـريـدة، وفي حرب إثر حرب، لكنهم طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، وكانوا مصدر الفتن والقـلاقـل في الـدولة[٢٦] وهؤلاء كانوا من مختلف الجنسيات وقد حاربهم الملك الأشرف، وقضى على أكثـرهم لما لمسـه منهم من تخريب وفـوضى، فتفـرقـوا فمنهم من دخـل في المـماليك السلطانية ومنهم من دخل مماليك الامراء. وقد استخدمهم أكثر ما استخدمهم الأمير يلبغا العمري[٢٧]، وقد أثاروا الخلافات وعمقوها وتمكنوا من الدولة، وكانوا سببا في انهيارها[٢٨] وهناك «عسكر الطبقة الخامسة» وهم قسم من مماليك الجلبان كانوا دون المماليك من بني جنسهم إذ كان يفرض عليهم الاتاوات وقسم من أموالهم ومن رواتبهم لصالح الجلبان[٢٩]

---

(٢٤): ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣/٢٦١

(٢٥): ابن اياس/ المصدر نفسه ٣/٣٢٣، ٣٦٣، ٣٧٥، ٤/١٧ القرماني: أخبار الدول وآثر الأول ٢١
Lane - Poole,A History of Egypt in the Middle Ages,11,329

(٢٦): ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٥/٣١

(٢٧): الجبرتي: عجائب الأثار في التراجم والاخبار ١/٣٥

(٢٨): ابن اياس بدائع الزهور في وقائع الدهور ٥/٦٩، القرماني: أخبار الدول وآثار الأول ٢٢، الاسحاقي: أخبار الدول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول ١٤٤

(٢٩): ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ١/٩٥

- المماليك السلطانية :

هم الفئة الخاصة بالسلطان التي جلبت إلى البلاد عن طريق الشراء، ولها مقام عند السلطان ثم انقسمت هذه الفئة إلى أقسام عديدة منذ أيام السلطان برسباي منها الظاهرية، الناصرية، الحاكمية، الأشرفية، نسبة إلى السلطان الذي تنتسب إليه هذه الأقسام والفروع[٣٠] ولكل قسم تنظيمه الذي يختلف عن الآخر، وتبلغ ذروة سيطرتها وعزها في أيام السلطان الذي قرب منه هذه الفئة، وبعد موته إما أن تحافظ على كيانها أو تنضم إلى فئة أخرى لسلطان آخر، ولكنه على الاغلب تبقى هذه الفئات متكتلة متجمعة، يرقى إليها الشك من قبل السلطان الصاعد[٣١]

لقد اختلف عدد المماليك السلطانية من زمن إلى زمن ومن سلطان إلى سلطان ففي أيام الظاهر بيبرس البندقداري بلغ عددهم / ١٦٠٠٠/ وفي عهد المنصور قلاوون / ١٢٠٠٠/ مملوك وفي ولاية الملك الاشرف خليل بن قلاوون / ٤٠٠٠ /[٣٢] وقد أصابهم ماأصاب غيرهم من الضعف والانحلال والفساد والفوضى.

٤) - أجناد الحلقة :

هم الذين كانوا ينتمون إلى فئات وطبقات مختلفة من المماليك وغير المماليك. وهم الكثرة الكثيرة، والأغلبية في الجيش، والعمود الفقري فيه، وهم الذين كانوا يشكلون تنظيمات القوات المسلحة من زمرة إلى لواء، ومن أمير خمسة إلى أمير فئة ومقدم ألف، وكل مائة لهم رأس باش[٣٣] ونقيب، فمنهم من ينتمي إلى البحرية، ومنهم من ينتمي إلى القوى البرية وقد بلغ عددهم في مصر / ٢٤٠٠٠/ وفي الشام / ٣٦٠٠٠/ جندي[٣٤].

---

(٣٠): ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٤/ ٣٧٠

(٣١): Coudefroy Demombynes la Syrie a le pogue des Mamelauks 3/32

(٣٢): ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف المماليك وبيان الطرق المسالك ١١٦أ، المقريزي: الخطط ١/ ٩٥

(٣٣): باش أي رئيس، زهي كلمة تركية، وكان باش العسكر برسباي. وكان الامير تمراز يحمل هذا اللقب أيضا بالاضافة إلى وظيفة أمير سلاح، وقد تطلق هذه التسمية أيضا على رئيس التجريدة. انظر ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ١/ ١٠٣، ١١٣، ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ١/ ٦٢

(٣٤): ابن تغري بردي: المنهل الصافي ٢/ ١١٣٥، ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك ١١٦، ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور: ٢/ ٩٣، ١٠١، ١٠٢، ١٣٧، المقريزي: الخطط: ١/ ٩٥، زكي: الجيش المصري في العصر الاسلامي ١١

٥) ـ المماليك الخاصة (خشداش)[٣٥]

هم الملازمون للسلطان في بيته وخارج بيته، والمقربون إليه، وهم الذين يقومون بسوق المحمل، وبتجهيز مهمات وسفر السلطان، ومايتطلبه ذلك، والمرشحون للامرة، وهم قلة قليلة لايمكن أن نطلق عليهم في هذه الأيام إلا الحراسة والمرافقة للقائد العام. وقد بلغ عددهم في أيام الناصر محمد بن قلاوون / ٤٠ /، ثم ازداد عددهم حتى بلغوا في عهد الملك الاشرف برسباي / ١٠٠٠ / مملوك[٣٦] لهذه الفئة خاصية قوى الرابطة الاجتماعية، وزيادة المعرفة فيما بينهم، سيما وأنهم نشأوا لايعرفون الاقارب والاخوة ولا الأم والأب، ومن هنا انبثق فيهم التعاون والحرص الشديد على الدفاع عن زملائهم في السلم والحرب.

٦) ـ أجناد الأمراء وأبناء الامراء والسيفية:

هم المماليك الذين ينضوون في خدمة الامير الذي يكون في السلطة، ويتدرجون في المناصب، ويأملون استلام أعلى المراتب في الجيش، وهناك أولاد الناس وهم مماليك أبناء الامراء الذين يخدمون في كنف ابن الامير، ويبقون تابعين له ومرافقين إياه، وهناك السيفية الذين مات سلطانهم أو أميرهم أو نحي عن السلطة.

ثانياً: الشراكسة:

بلادهم الاصلية جبلية، شاهقة الارتفاع، كثيرة التضاريس، تعصفها الثلوج وتتجمد فيها المياه في فصل الشتاء، وفيها الغابات والأمراج وتطل على البحار الدافئة كالاسود والبلطيق والخزر[٣٧] ألا وهي بلاد القوقاس التي تتوسطها من الشرق إلى الغرب جبال قازاق والجبال الممتدة على البحر الاسود، وتنحدر من هذه الجبال أنهار كثيرة أهمها قوبان والترك وكوفا التي ترفدها أنهار كثيرة تشكل في مجراها مستنقعات واسعة. منها مايصب في بحر الخزر من الشرق، ومنها مايصب في البحر الاسود من الغرب.

---

(٣٥): خشداش: كلمة فارسية معناها الزميل فيالعمل، والخشداشية في مفهوم المماليك الامراء هم الذين تربوا عند سيد واحد، ونشأت بينهم ألفة ومحبة، انظر المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٣/٣٨٨

(٣٦): ابن شاهين الطاهري: زبدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك ١١٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٢/ ١٧٥/ ٢٧٣/ ٢٨٥، زكي: الجيش المصري في العصر الاسلامي ١١

(٣٧): طرخان: مصر في عهد الدولة الجراكسة ٨، المفتي: أباطرة وأبطال في تاريخ القوقاس ١٢

وتقـع في الشـمال الاراضي السـوفيتية، وفي الجنوب الاراضي التركية(٣٨) أتى الشراكسة إلى مصر عن طريق الرق كغيرهـم من المماليك، فهم ذو بشرة بيضاء، وطول فارع، وقامة ممشوقة، وليـاقـة بدنيـة، وعيون زرقاء وجباه عريضة، وشعر ذهبي، يدرب الشركسي على ركوب الخيل منذ صغره ويلعب التمارين الرياضية المجهدة، ويصطاد الحيوانات الوحشية، ويسبح في الانهار ويعبرها مهما كانت شدة التيار، ويغزو غيره، ويحارب جيرانه التتار، ومن عاداته ألا يولي دبره في القتال أبداً، ويظل يقاتل حتى يقتل أو ينتصر. والعار كل العار إذا هرب أو استسلم أو تهاون في القتال(٣٩) وهو يحب الموت ويبذل روحه، ولا يحسب حسابا للعدو، فهذا أرسلان بك أمير صاخه ينادي بأعلى صوته عندما أقدم على القتال:

« ياإلهي أعرف بأنني عاجلا أم آجلا سوف أموت . . . »(٤٠)

إذا قابل الشركسي عدوا أقوى منه عدة وعددا لم يخف ويثبت أمام خصمه ويقاتله، وإذا ثار فإنه يثور لكرامته بدافع من الشعور بالواجب الاجتماعي، وإذا تنافس الشراكسة فيما بينهم كان ذلـك في البطـولات التي قدمـوهـا، وفي المعارك التي خاضوها، وهذا التنافس يدفعهم لبذل كل مايستطيعون، ويقدمون في سبيله كل غال وثمين. وإذا عهد إلى الشركسي بعمل أداه بحيوية ونشاط، دون أن يتطرق إليه الكلل أو الملل حتى ينتهي منه تماما، فإن اعترضه عائق تغلب عليه بكـل حيلة، وإن اعـترضتـه صعوبة تراه لايعبأ بها، ولايقيم لها وزنا، ولايعير لها بالا، فقد كان لدى الباحث ضابط شركسي مرؤوس أوكل إليه عملا عسكريا، وأثناء تنفيذه أصيب بيده وهذه الاصـابـة كافيـة لاسعـافـه إلى المستشفى، الا أنه لم يهتم بها، وعصب يده بنفسه بخرقة كانت معه، ثم تابع مهمته ونفذها وأكملها كما لو لم يكن قد أصيب أبداً، والشركسي خفيف الحركة، فهـو يعـدو كالخيـل ويلتفت كالنمـر ويقـدم كالاسـد، ويعقص عدوه كالنحـل، ويـدور حولـه كالصقـر، ويطارده كالذئب. فهو إن كان راجلاً أدى حركاته بمهارة وسرعة، وإن كان راكباً كان كالبهلوان يميـل يمينـا وشـمالا يقـاتل عدوه فيرتبك منه ويفر هارباً، ويحاول أن يصيبه فيخطىء سبهمه. ويعلو رمحه، وتطيش ضربته كل ذلك من الخفة التي يتميز بها، ومن الحركات التي يؤديها

---

(٣٨): المفتي: أباطرة وأبطال في تاريخ القوقاس ١٢

(٣٩): المفتي أباطرة وأبطال في تاريخ القوقاس ١٣، ١٥، ٧١، ومابعدها

(٤٠): سمكوع: مدخل إلى تاريخ الشراكسة ٧١

بسـرعـة عجيبـة، ومن إتقانه لفن الجري والتدريب القتالي، وإذا ركب الخيل شاهدت مهارته، فهوعلى ظهر جواده فارسا، يقفزعن الفرس المغير، ويستقيم على المهاجم منه، وينزل الارض ويؤ دي فنه بحركات تدل على قيادته الدقيقة والمحكمة لحصانه. فهو إن وجه وجهه نحو العدو أقـدم، وإلى الحـواجز الطبيعية قفز، وإلى البحر غاص، وإلى جناح العدوشق صفوفه، وإلى الفـرجـات عبرها وإلى المسالك طرقها، والممرات الجبلية الضيقة تجاوزها(٤١) وقيادة الحصان في وقتـه أصعب بكثـير من قيـادتـه الدبابة في الوقت الحاضر التي تتميز بحركيتها العالية، وبنيرانها الكثيفـة وبـزيـادة مدة قتالها(٤٢) ترى هل كان الحصان في زمن المماليك الشراكسة بالذات يملك مثــل هذه الصفـات؟ نعم إن الشـركسي كان يقـود حصـانـه بخفـة عجيبـة، يعـدوبه ويطلق الرصاص من بندقيته وهوعلى جواده المغير، ثم يحشوها من جديد، ثم يسحب سيفه فيقاتل، ثم يعــدو قافـزا على السـرج(٤٣) كل ذلـك في آن واحـد حيث أدى الحـركيـة، وأطلق النـيران الكثيفة، وظل يقاتل مدة طويلة، واصل الليل بالنهار دون أن تبدو عليه علائم التعب، أوتظهر عليه أثرة من قتر، أوذلة من عدو وإذا أريد التوسع في صفات الشركسي الحربية، فإنه يمكن الرجوع إلى المصادر والمراجع «سياحة في الحكومات الجنوبية للامبراطورية الروسية» للبر وفسور الألماني بالاس وبل ـ جورنال للاقامة في تركيا» للعالم الانكليزي جمس ستانيسلاس بل James Stanisles Bell وقفقاسيا وبلاد القوازق للعالم الألماني مورتيز فاغنر Moritz Vagner وكتاب الروس والشراكسة لشاعر القفقاس ميشل لرمونتوف Michal LerMontouf

ثالثا: الاكراد

استعـان بهم صلاح الدين الأيوبي في حروبه ضد الصليبيين واشتركوا في المعركة، واستعان بهم بيـبرس ضد الفئـة الايـوبية، وكانت مساكنهم في البلاد الساحلية من فلسطين وبخاصة في يافا، ومن التركمان طوائف عديدة منها البازاتية والأراكية وغيرهما(٤٤)

---

(٤١): الرماح: مخطوطة الفروسية في ركوب الخيل والنزول بالرمح ٣، ٤، ١٠، ١٢، ١٥٠، ٢٦ ومابعدها

(٤٢): ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك ١٠٥، ١٠٦

(٤٣): ابن شداد: الأعـلاق الخطـيرة ٧٩، ابن عبـد الظـاهـر: الروض الزاهر ٤٨، اليونيني: ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٠٠، عاشور: مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ١٧٥، ابن العميد: أخبار الايوبيين ١٧٥

(٤٤): ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك ١٠٥، ابن العميد: أخبار الايوبيين ١٧٥

رابعاً: المغول:

هاجروا من بلادهم التي اصبحت مسرحا للعمليات، ومرتعا للجنود والمغول أنفسهم دخلوا في الجيش المملوكي[٤٥] وقد كان عددهم في معركة عين جالوت قليلاً جدا ثم ازداد حجمهم فيما بعد، إذ أنضم إلى جيش الملك الظاهر بيبرس ثلاثة آلاف جندي حاربوا في صفوفه، وتولوا وظائف قيادية وإدارية فمنهم من تولى السقاية ومنهم من تولى طبلخاناه، ومنهم من تولى أمير عشيرة إلى عشرين ومنهم من تولى الامارة، ومنهم من استلم السلحدارية والجمدارية[٤٦] ثم انضم مائة وثلاثة عشر فارسا وعشرة آلاف مابين رجل وامرأة[٤٧] وأسلم كثير منهم حتى أن الملك قازاق دخل الاسلام وكان لاسلامه شيء من القوة أضيف إلى الجيش المملوكي[٤٨] وسكنوا في اللوق والحسينية، وأطلق عليهم «الوافدية»[٤٩] إلا أن هذه الفئة من المغول كانت دون المماليك الذين جاؤ وا عن طريق الرق والذين نشأت بينهم روابط كانوا يعتزون بها[٥٠]

خامساً: العرب:

هم الذين عاشوا على الارض العربية في مصر والشام، واشتركوا في معركة عين جالوت بكل فئاتهم، لم يكن لهم دور يذكر في العصر المملوكي، إذ كانوا يعتبر ون طبقة دون طبقة المماليك، فهم قد اختصوا بالزراعة والتجارة والاعمال الادارية في حين أن المماليك اختصوا بالقيادة والسياسة والجيش، أراد الملك الناصر أن يستبدل العرب بالمماليك، وما أن شرع في هذا السبيل من ترقيتهم إلى رتبة (الامير) وإدخالهم في صفوف الجيش، وتسليمهم وظائف قيادية حتى توقف كل شيء بموته، ثم اتى من بعده ابن أخيه الاشرف شعبان بن حسين فسار على طريقة

---

(٤٥): ابن تغري بدري: النجوم الزاهرة ٧/ ٣٣٠، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/ ٧٧٥، المقريزي: الخطط ٣/ ٣٤٨

(٤٦): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/ ١٩٠

(٤٧): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٨/ ٦٠، تسيتر/شتين: تاريخ سلاطين المماليك ٣٨

(٤٨): ابن الوردي: المختصر في أخبار البشر ٢/ ٣٤٤، الدوادري: الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ٦٧، السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/ ١٢٩

(٤٩): مبارك: الخطط التوفيقية ١/ ٨٤، ٨٩، ١٣٤

(٥٠): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٢/ ٣/ ٧٥٠

الملك النـاصـر وتـوقفت تلك الاعـمال والافكـار بموت السلطانين، إلا أن العرب برزوا كجنود أوفيـاء انضبـاطيـين، لديهم حب النظام وفهم لامور الجيش، وتولى عدد منهم رتبة أمير مقدم، ووظائف قيادية[٥١] ومن أبرز الفئات العربية التي اشتركت في المعركة هي:

١) ـ العربان

كان أشهـرهم آل ربيعـة بن طيء من كهـلان من القحطـانيـة، لقد ظهر منهم في أيام الدولة الايـوبيـة مانـع بن حدثيـة وغنـام بن الطاهر اللذان كانا في أيام الملك محمد بن العادل. وبقيت سلالتهم من بعـدهم في عصـر الـدولة المملوكية وكان أشهرهم زامل بن علي بن حدثية وأخوه أبا بكر بن علي وعيسى بن مهنا وأولاده الذين كانت لهمْ حظوة عند السلاطين وكانوا ينزلون عليهم فيحسنـون ضيـافتهم، ويقيمـون عندهم أياما، ويخلعون عليهم ويهدونهم أقمشة وامتعة قيمة. وكان آل مهنا هم الذين قادوا الاعراب في البادية، إذ يعين السلطان أميرا كبيرا عليهم يسوسهم ويقودهـم، كما يعين لكل قبيلة أميرا في الشام ومصر[٥٢].

لقـد اشـترك في معـركـة عين جالـوت أمـير العرب الكبير مهنا بن مانع بن حدثية، ثم عين الظـاهـر بيـبرس فيـما بعـد عيسى بن مهنـا أمـيرا، وكلفـه بالمحـافظـة على الطـرقـات ووفر له الاقطــاعــات وأعطــاه ماأعطى الامــراء. وظلوا يتعـاقبـون في الامـارة حتى آواخـر الـدولـة المملوكيـة[٥٣]. كما اشـترك آل مرا أخـوة آل مهنـا وكـان أمـيرهـم أحمد بن حجي في أربعة آلاف فارس. وقـد اشتهـر هؤلاء بالفروسية والشجاعة، وباقتنائهم الجياد العربية الاصيلة والاسلحة الجـديـدة والثياب الحمراء الاطلسية والخوذ القوية والرماح الخطية، والسيوف القاطعة[٥٤]. وآل علي وهم من آل ربيعـة أيضـا وأقـربـاء آل فضل وآل مهنا وآل مرا. منازلهم الغوطة والمرج شرقي دمشق، وكان من امرائهم رملة بن حجاز. وعيسى بن زيد بن حجاز وبنو جرم وكانت مساكنهم بلاد غزة والداروم والخليل. ينتشرون في أراض تلي الساحل إلى الجبل وكان أميرهم فضل بن

---

(٥١): ابن تغري بردي النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٠/ ٣٠٩/ ٣١٧

(٥٢): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/٢٠٣، ٧/١٨٤ ومابعدها.

Demombynes La Syrie lepogue des Momelouks: 184

(٥٣): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/٢٠٦، أبو شامة: الذيل على الروضتين ٢٠٧

(٥٤): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٣٦٥

حجي. وعلي بن فضل وبنو ثعلبة من طي ومساكنهم مصر إلى الخروبة وزبير ومساكنهم بالشام، قسم منهم بصلخد، وقسم بغوطة دمشق، وثالث في حوران، وكان أميرهم نوفل[٥٥]. وعرب البحيرة وكان يتزعمهم محمد بن أبي سليمان في الوجه البحري[٥٦] وعرب الوجه القبلي وكان يتزعمهم ناصر الدين عمر بن فضل وسمره بن مالك[٥٧]

٢) ـ المواطنون:

كان المواطنون غالبا مايشاركون في الدفاع عن البلاد إذا ماتعرضت لخطر الاحتلال وكانوا يجدون في المماليك قوة عسكرية أنقذتهم من هلاك محقق وتدمير وشيك الوقوع من قبل الجيش المغولي الذي توجه شطر الشام ومصر بغية احتلالها وإخضاعها لسيطرته وحكمه. ولم يشأ المواطنون إلا الاشتراك مع هذا الجيش الذي نذر نفسه للدفاع عن أرض مصر مشاركة فعالة في معركة عين جالوت، فالتحق في الجيش العدد الكبير من المصريين، ثم مالبث أن انضم إليه عدد كبير من المواطنين في أرض الشام على طريق التحرك إلى هذه المعركة لكنهم كانوا دون غيرهم تأهيلا وتدريبا وتسليحا، إلا أن معنوياتهم كبيرة، ولقاءهم لعدوهم أهون عليهم من الذل في عقر دارهم وبعد الانتصار في هذه المعركة شكل منهم فرقة كانت تدخل الحروب مع المماليك وتقاتل معهم وقد تنامت هذه القوات الشعبية وازداد حجمها[٥٨]

لقد أطلق على بعض المواطنين فيما بعد «الزعر» و«العوام»[٥٩] من هذه التسميات يتبين استهزاء واستهتار المماليك بالمواطنين الذين يعملون في قطاعات مختلفة من الاعمال الحرة، وظلت أعمالهم مقتصرة على المهن والصناعات التي تحتاجها القوات المسلحة، لاشك أن الدور الرئيسي ظل مقتصرا على المماليك على الرغم من ضم المغول والاكراد والتركمان والعرب في وحدات القتال[٦٠] كان هؤلاء المواطنون يعبر ون عن سخطهم للفروق والطبقية بالقتل والنهب

---

(٥٥): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/٢١٣

(٥٦): القلقشندي: صبح الاعشى ٧/١٦١

(٥٧): القلقشندي: صبح الاعشى ٧/١٦٢، سليم ـ عصر سلاطين المماليك ٢/٢٤٩

(٥٨): ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١٠٥و١٠٦

(٥٩): السخاوي: الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ٢/٣٤، ٤١، ٣٠٨، ٣٠٩، العريني: المماليك ٩٨

(٦٠): سليم: عصر سلاطين المماليك ٢/٢٧١

والسلب[٦١] وكانت هذه الفئة تقف أمام ظلم السلطان والوالي والأمراء فيرجمونهم بالحجارة، ويقفون أمام الممر، أو الاسطبل ويشددون عليهم الحصار ويطالبون بعزلهم وتنحيتهم حتى إذا تضايق أحدهم عمد إلى جمع مماليكه وخاصيته، فاستوقف عدد من المواطنين، وضربهم بالمقارع، فمنهم من يودع السجن، ومنهم من يقتل ويشتد حرب الشوارع والبيوت، لكن المعركة غير متكافئة، فالمواطن لايملك من السلاح إلا القليل، أما الجنود فهم مسلحون بالاسلحة المتنوعة وكانت المظاهرات تعم جميع المواطنين إذ يتمردون على الملوك فكان يخصص لهم في بعض الأحيان قوة كبيرة من الجيش المملوكي لإخماد ثورتهم[٦٢]

٣ ـ المشايخ:

كان لهم دور كبير، ونفوذ قوي في دولة المماليك، كما كان لهم نفس الدور والنفوذ في الدولة الايوبية من قبل. فلقد جمع صلاح الدين الايوبي المشيخة في شخص واحد، كما جمع الطرق الصوفية بشخص واحد يتولاها من خيار العلماء علما ومعرفة، واقتفى أثره المملوكون إذ ولوا عليها محمد شمس الدين البكري وذريته من بعده[٦٣] وكانت مهمتهم مايلي

ـ الحث على الجهاد:

حديث المشايخ أوقع في نفوس الجند من القائد أو الخليفة نفسه[٦٤] وكان الشيخ الخطيب أصيل الدين الصوفي يحض المقاتلين ويشجعهم ويزيد من معنوياتهم قبل معركة عين جالوت وأثناءها وبعدها، وقد حضر مع الملك المظفر قطز إلى دمشق وخطب بجامع بني أمية الكبير ثم عاد إلى مصر[٦٥]

ـ الاشراف التام على التوعية والتوجيه المعنوي:

ذلك عن طريق احتكاكهم المباشر مع الشعب والمواطنين في الزوايا والمدارس والمساجد، والتوجيه سلاح أقوى من سلاح المدفع والبندقية[٦٦] وكانت حلقاتهم تضم مئات المتعلمين في

---

(٦١): الصيرفي: نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ١/٢٠٣، ٢٠٩

(٦٢): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٣/١/١٧٤، ٣١٤، ٣٨٦، ٢١٣، ٦٧٦

(٦٣): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/٤٢، ١٩٣، زيدان: التمدن الاسلامي ١/٢٢٠

(٦٤): زيادة: دمشق في عصر المماليك ٢٠٠

(٦٥): الصفدي: الوافي بالوفيات ٢/٢/٣، أبو شامة: الذيل على الروضتين ٢٠٩

(٦٦): حمزة: الحركة الفكرية في مصر ٦٨

القـرآن والحـديث واللغـة والتـاريخ والفقه، وبخاصة فيما يتعلق بأمور الجهاد والاحكام الناظمة وتقديم الروح والمادة عن حب وتسليم[٦٧]

ـ النفوذ القوي:

حيث قضـوا في النـاس واستبينـوا في بعض الولايات وعهد إليهم النظر في الأوقاف والمدارس والمستشفيـات كالقـاضي شمس الـدين بن خلكان الأربلي الذي تسلم نيابة دمشق سنة ٦٥٩ ـ ١٢٦١، وكان كالحاكم المطلق يتصرف كيف يشاء[٦٨] وكالشيخ ابن تيمية الذي ظهر تأثيره على السلطان والامراء والقادة العسكريين وكالشيخ أحمد البدوي الذي كان له نفوذ كبير وتأثير على السـلاطـين فكـان الظـاهـر بيـبرس أحد الذين كانوا يقبلون يديه وقدميه، ويطلبون رضاه[٦٩] وكانوا يصحبون السلطان في سلمه وحربه، وفي حله وترحاله كالشيخ خضر بن أبي بكر الكردي الـذي كان مرافقـاً ومصـاحبـا للسلطـان الظـاهـر بيبرس إذ كان يزيد من معنويته ويبشره بفتح قريب، وينبئه عن نتائج معاركه في حصار أرسوف وحصن الأكراد[٧٠] وكالشيخ سليمان ابن أبي العز الملقب صدر الدين الحنفي الذي كان يرافق بيبرس أيضا في حروبه وفتوحاته وله منزلة عالية ومكـانـة رفيعـة عنـده[٧١] كما أن هذا السلطـان أخـذ برأي العلماء لجمع المال للتحضير للحرب وأشهدهم على ذلك[٧٢]. وماأكثر المشايخ الذين عاشوا في تلك الحقبة الزمنية قبيل وبعد معركة عين جالوت، والذين كان لهم الأثر الكبير في الثقافة الدينية وفي التربية الاخلاقية، وفي الحياة الاجتـماعيـة وفي الامـور العسكـرية، مما جعل الشباب والكهول يتسابقون إلى الموت وإلى نيل الشهادة، وتفرق المشايخ إلى أربعة

مذاهب الشـافعي والحنفي والحنـبلي والمـالكي[٧٣] ولكـل مذهب مؤ يـديـه وأنصاره حتى غدت

---

(٦٧): كرد علي: الاسلام والحضارة العربية ٢/٢٩٢

(٦٨): أبو شامة: الذيل على الروضتين ٢١٥، الصفدي: الوافي بالوفيات ٧/١٥

(٦٩): دائرة المعارف الاسلامية، المجلد الأول

(٧٠): الكتبي فوات الوفيات: ١/٢٩٨، ومابعدها، ابن الفرات: تاريخه ٧/١٠٢ ومابعدها

(٧١): ابن الفـرات: تاريخـه ٧/١١٩، ابن تغـري بردي: النجـوم الـزاهـرة في ملوك مصـر والقـاهرة ٧/١٦١ ومابعدها، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٥/٣٥١

(٧٢): كرد علي: الاسلام والحضارة العربية ٢/٢٩٢

(٧٣): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/١٢٣، ١٢٨

الـدولـة المملوكيـة وكأنها قبس من دين، أو شعلة من مذهب، أو عنوان ثقافة دينية واسعة. ومن أشهر رجال الدين في ذلك العصر علاء الدين المنجا وعماد الدين الحرستاني وشهاب الدين أبي شامة ومحي الدين النووي وابن كثير وابن قدامة وبهاء الدين المظفر وابن تيمية وغيرهم(٧٤)

- القوام القتالي للجيش المغولي:

كان القوام متجانساً وأغلب الجيش من المغول الذين هم من أجناس ماوراء النهر، ولذا فإن أوصـافهم تنطبق على المـماليـك الـذين هم من أصـل تركي. عريضـة وجـوههم، واسعـة صدورهم، بعيـدون مابـين المنكبـين، كاشحـة بطونهم، خفيفة أعجازهم، صغيرة أطرافهم، سمر الالوان، زرق العيون، أوزانهم خفيفة، قامتهم منتصبة، وحركتهم نشيطة لايثقلهم لحم، ولايخـالطهم شحم، تدل تعـابـير وتقـاسيم وجـوههم وأجسامهم على الجد والحيوية والنشاط، يمارسـون ريـاضـة الصيـد ويألفـون المصـاعب فقد اتصفوا بالبأس والشدة والقوة والعنف حتى الواحد منهم ليعد بمئة من غيرهم(٧٥)

عاش المغـول عيشـة الحـرمـان، وابتعدوا عن الترف، واعتادوا ركوب المخاطر، والضرب في جنبـات الارض، واقتحـام الشـدائـد والاهـوال، في كلامهم حدة، وفي تعـابـيرهـم قوة، وفي أجسامهم صلابة، وفي أعينهم نظرات ثاقبة، وفي أصواتهم جهرة وقوة(٧٦)

لقد اطلقت المصادر العربية أسماء عديدة على شعوب ماوراء النهر منها التتار والمغول الذين اشتهـروا بفتـوحـاتهم وشـدتهم. وكذلك الغز والبجناق والخزر والقبجاق، فهولاء كلهم ينتمون إلى أصـل واحـد، إلا أنهم تفـرقـوا في الارض وسكنوا في مناطق عرفوا بها أو عرفوا بالقبائل التي

---

(٧٤): النعيمي: الـدراس في تاريـخ المـدارس: ١/١٧ - ٣٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/١٢٣، ومابعدها. حمزة: الحركة الفكرية في مصز ١٥٤

(٧٥): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/٤٥٠، ٤٥١

البغدادي: الافادة والاعتبار ١٢٦

العزاوي: تاريخ العراق ١/٤٧ ومابعدها.

(٧٦): الـرمـزي: عن تلفيق الاخبـار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار ١/٢٦، ٢٧، البغدادي: الافادة والاعتبار ١٢٦

انتموا إليها[٧٧].

يقتنون الجياد المجربة والخيول الأصيلة، فيدربونها على أعمالهم القتالية، وعلى السرعة والسباق فلا يصح عندهم أن تسبق خيول غيرهم خيولهم وهم بهذه الصفة يمتلكون السرعة في القتال، والخفة في التنقل في ميدان المعركة، والمناورة بكل الاتجاهات[٧٨]

يتعلم المغولي جميع المهن التي يحتاجها المقاتل، فهو فارس قبل كل شيء يجيد الفروسية ويتقنها، ويعمل كل التدريبات التي تؤهله للارتقاء إلى أحسن فارس. وهو سايس يعلم طبيعة الدابة التي يركبها فيعلمها فتطيعه في مهماته، وهو بيطار يغير الحدوة بنفسه، ويعتني بالقوائم والحافر، وهو حداد إن تعطل شيء في عدته الحربية فهو يصلحها ويصونها ويستثمرها خير استثمار، ويشحذ سيفه ويحافظ على درعه، وهو راعٍ يرعى الخيل والبقر[٧٩].

إذن لا يحتاج إلى غيره ولا يتأخر عن زملائه وهذه الصفة تعطيه أيضاً السرعة في الأعمال الحربية والاستمرار في القتال، فلا يتوقف أبداً[٨٠]

ليس للمغول عقيدة عرفوا بها منذ القديم وإنما كانوا شعوبيين بعيدين عن الدين، ميالين الى الهوى، واتباع ماتزين لهم نفوسهم[٨١]

ترافقهم نساؤهم في الحروب وفي الاسفار، وتقاتل إذا اضطرت كالرجال، وهي في شجاعتها لاتقل عن الابطال، وفي رشاقتها عن الفرسان، وفي الخدمة والادارة عن الاختصاصيين، فهي تعتني بولدها كما تعتني بقوسها وسلاحها[٨٢]

يجيد المغولي من سلاحه الرمي بالنشاب إذ يصنعه بنفسه ويتدرب عليه، حتى لايباريه أي جندي من غيره من الجيوش المعاصرة فهو قد اتقن الصنعة والتدريب والصيانة والاستخدام[٨٣]

---

(٧٧): الرمزي: من تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار ١/٣٦، أسعد بولو: ١٢

(٧٨و٧٩): أسعد باركو بولو ١١

(٨٠): الرمزي: من تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار ١/٣٦، البغدادي: الافادة والاعتبار ١٢٦

(٨١): الرمزي: من تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار ١/٣٩

(٨٢): البغدادي: الافادة والاعتبار ١٢٦

(٨٣): البغدادي: المصدر نفسه ١٢٦

يعـزى انتصـار الجيش المغـولي قبـل معـركـة عين جالوت إلى حسن القيادة والحزم[٨٤] وإلى استخـدام الخـدعـة والتـورية[٨٥] وإلى بث التفرقة والفوضى في صفوف اعدائه[٨٦] وإلى بطشه وشدته في القتال[٨٧]، وإلى امتهان الجندية حتى لتكاد أن تكون ملتصقة به، وإلى حسن تدريبه المتواصل على حسب القاعدة: «الحرب بالحرب»[٨٨] وإلى تجزيء عدوه والانفراد بالواحد بعد الآخر ليسهل الانتصار عليه، وإلى التعود على شظف العيش وحياة الحروب القاسية[٨٩] وإلى الانضباط القوي[٩٠] الذي إن حدث خلل فيه من قبل عسكري مهما كانت رتبته عوقب بالموت أو بالعـذاب الشـديد، ولو كان من المقربين أو من أصحاب المناصب، وإلى سمعته التي ملأت الدنيا خوفاً ورعباً[٩١]، وإلى شعوره بالتفوق والانتصار في المعارك التي يخوضوها[٩٢] وإلى اللياقة البدنية والقوة الجسدية التي يتمتع بها الجندي المغولي[٩٣]، وإلى إغراءات الحصول على الغنائم والسبـايـا والامـوال الكثـيرة التي كان يحصـل عليها بعد انتصاراته وقهره للشعوب المغلوبة على أمـرهـا، إذ كان يقـاتـل ليجني من وراء قتـالـه ثروة طائلة وملكـا كبيرا[٩٤]، وإلى تحقيق رغباته وطمـوحـاتـه في التـوسع والفتوحات وبسط هيمنته على العالم[٩٥]، وبالحرب النفسية التي يشنها على عدوه قبـل التـلاقي معـه في ساحـات القتال، فهو يرسل الكتب والتهديدات[٩٦]، ويقطع

---

(٨٤): الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب ٣/١٧٢ ومابعدها

(٨٥): الصيرفي: نزهة النفوس ٢/٨٣

(٨٦): الصيرفي: المصدر نفسه ٢/٨٥

(٨٧): أسعد بولو ١١

(٨٨): أسعد: المرجع نفسه ١٣

(٨٩): أسعد: المرجع نفسه ١١ ومابعدها ٧٣

(٩٠): أسعد: المرجع نفسه ١١

(٩١): أسعد بولو ١١

Orientalia Vol. IV, 361,362

(٩٢): أسعد المرجع نفسه ١١ ومابعدها

(٩٣): البغدادي: الافادة والاعتبار ١٢٦

(٩٤): الصيرفي: نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ٢/٩١، كرد علي: خطط الشام ١٦٧

(٩٥): عبد اللطيف البغدادي: الافادة والاعتبار ١٢٧

(٩٦): كرد علي: خطط الشام ١٦٦، العزاوي ١/٥٥١

الاشجار ويغور الأنهار ويكثر من السفك والتمثيل[٩٧] ويعمل عملا يأباه الضمير الإنساني وتنفر منه الطباع البشرية، إذ يقدم على بقر بطون النساء وقطع الايدي والأرجل، وقتل الأولاد الصغار، لايرده قانون ولايقف أمامه نظام أو حرمة أخلاقية أو أدبية.

لقد ضم الجيش المغولي بالاضافة إلى المغول بعض المماليك الذين هربوا من مصر حسدا وخوفاً من الملك المعز آيبك لما تسلم السلطة برئاسة الأمير شمس الدين سنقر الاشقر الصالحي النجمي، والتجأوا إلى الملك الناصر يوسف وزينوا له احتلال مصر، فلم يكترث بهم، فالتجأوا إلى المغيث صاحب الكرك، فزينوا له قتال الملك الناصر، والتقى الطرفان في الغور بجانب أريحا، وجرت معركة بينهما أسفرت عن انهزام المغيث مع المماليك الهاربين[٩٩] فاتفق الناصر والمغيث على أن يستلم الناصر المماليك فاستلمهم ووزعهم على الجيش واعتقلهم في المناطق العسكرية[١٠٠]، ولما اجتاحت القوات المغولية أرض حلب سنة ٦٥٨/ ١٢٦٠ قبل معركة عين جالوت أحسنت إلى الامير شمس الدين سنقر والمماليك الهاربين معه، ونظمتهم في قواتها، وقاتلوا معها، لكن قتالهم كان غير جدي، وكانوا يسربون الاخبار إلى قادة الجيش المملوكي وذلك للعلاقة الطيبة التي كانت بين الامير سنقر قائد المماليك في الجيش المغولي وبين رئيس الاركان، وقائد الطليعة في الجيش المملوكي الظاهر بيبرس. وهذا مايبرر إكرام الامير سنقر من قبل القادة المماليك بعد نجاحهم في معركة عين جالوت[١٠١]

وضم الجيش المغولي ـ بالاضافة إلى المماليك ـ بعض الجنود الذين كانوا من شعوب وأمم كثيرة ممن استولى المغول على بلادهم وأخضعوها لسيطرتهم في أوربا وآسيا. إذ انخرطوا في صفوف هذا الجيش وقاتلوا معه، ولايدخل الجندي الشعوبي في القوات المسلحة المغولية إلا بعد تجربته وفحصه. وبعد التأكد من صفاته العسكرية والمهنية ومستوى تأهيله، وفي معركة عين

---

(٩٧): Rashid Al-Din, The Success or S.of Genghis khan 56

(٩٨): الصيرفي: نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ٢/ ٩٢ ومابعدها، كرد علي: خطط الشام ١٦٧، ١٧١ ومابعدها

العزاوي: تاريخ العراق ١/ ١٠٧ ومابعدها

(٩٩): ابن الصقاعي: تالي وفيات الاعيان ٩٨

(١٠٠): ابن الصقاعي: المصدر نفسه ٨٦، ١٦٧

(١٠١): ابن الصقاعي: المصدر نفسه ٨٥، ٨٦

جالـوت كان أكثـر هؤلاء الجند المختلطين من الكرج والارمن[١٠٢] وكان من حلفاء المغول أيضا الملك السعيد صاحب الصبيبة ومن معه[١٠٣] وكذلك كان لهم أعوان في الداخل في دمشق وغيرها[١٠٤]

ويعـود السبب في دخـول هؤلاء جميعـا مع المغـول هو الخـوف الشـديـد لبعضهم كما حصل للملك الظاهر أخو الملك الناصر إذ أرسل من قبل كتبغا في مجموعة من الجند لتخريب قلعة صرخد[١٠٥] والطمع في الاستيلاء على البلاد كما حدث للملك السعيد الذي توهم إنه سيملك الشـام بعـد الملك النـاصـر بعـد أن ملكه المغول قلعة البيرة وبانياس وقلعة الصبيبة[١٠٦] والحقد والحسـد من قبـل بعض الفئـات المتحالفة مع المغول مثل الامير سنقر ومجموعة الذين كانوا على عداء مع قطز[١٠٧] والخلافات المستحكمة على السلطة بين الأيوبيين والمماليك[١٠٨].

كما أن المسيحيـين النعميـين وقسم من الصليبيـين والافـرنج وسكان جرمانيا الشمالية كانوا مع المغول أيضاً[١٠٩].

وقد يتساءل الباحث التاريخي أو المنظر العسكري عن حقيقة هذا الجيش الذي أنزل العقاب بخصمه. وتغلب على الجيش الذي له ماض قتالي وخبرة طويلة.

في الحقيقة أن سر الانتصار يكمن في الامور التالية :

١) ـ الخلافات الكبيرة بين قيادات الجيش المغولي :

ماأن انتصر الجيش المغولي على الجيش العربي في العراق حتى قفل راجعا إلى سورية عن طريق الشمـال في حلب. وهنـا لايـزال هذا الجيش في عنفـوان نشاطه وأوج انتصاراته، ومن هنا

---

(١٠٢): أشار سمباط (أخو الملك الارمني هيتوم) في تاريخه ط. باريس ١٩٨٠ إلى وجود عدد كبير من الارمن في جيش المغول في عين جالوت ثم إلى التجاء المنهزمين إلى أرمينية ص ١٠٦ ـ ١٠٧

العريني : المغول ٢٥٩ وقد أشار فيه كذلك في كتابه : المسيحيون السريان في عهد المغول ص ٢٦

(١٠٣): ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٧ : ٨٠، الصفدي : الوافي بالوفيات ١٢/ ١٠٠

(١٠٤): ابن تغري بردي : المصدر نفسه القاهرة ٧/ ٨٠

(١٠٥): ابن العميد : أخبار الايوبيين ١٧٥

(١٠٦): ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٧/ ٨٠

(١٠٧): ابن الوردي : تاريخه ٢/ ٢٨٠، عاشور: مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ١٦٦

(١٠٨): دائرة المعارف الاسلامية، ٤/ ٣٦٤ ومابعدها، سبيكة : مملكة الفونج ١٤

أيضـا بدأ العـد التنازلي بسبب الخلافات المستحكمة في قياداته، هولاكو قائد الجيش في الشرق الاوسـط تحرك نحـو بلاده عنـدمـا سمع بهذه الخلافات التي ستؤثر على زعامته وسلطته، وقاتل هولاكـو أقـاربـه وانقسم الجيش. وسرى المرض في جسمه. وأثر ذلك كله على قوته وعلى سيره الحثيث في القتـال وانتقلت تلك العـدوى إلى صفـوف المقـاتلين، وحـرمـوا من القيادة الموحدة والمركزية، وأصيب الجيش بالضعف والجمود وانقسم إلى كتل وشيع تقاتل نفسها[110]

٢) ـ الجيش المغولي أقل عددا من الجيش المملوكي:

تحرك معظم الجيش المغـولي إلى بلاد فارس، ولم يبق في سوريـة سوى عدد قليـل يقدر بفرقة أي بحدود /١٥/ ألف مقاتل، وهذا العدد يبلغ ثلث عدد الجيش المملوكي[111] ومن الطبيعي أن يكون للعدد دوراً كبيراً في القتال إذا تساوت التقنية والاسلحة المشتركة في القتال، وقد أبدى قائـد الجيش المغـولي مخاوفـه من هذه القله ولكنـه وجـد نفسـه مرغـما على الـدخـول في القتال المفروض عليه[112]

٣) ـ الجيش المغولي يقاتل بعيداً عن قواعده:

انفصـل هذاالجيش عن كتلة الجيش الـرئيسيـة التي تحركت مع هولاكووبقي لوحده دون أن يكـون له احتيـاط قوي، أو قواعـد قريبة ليستطيع أن يطلب المدد في حالة حاجته إلى المزيد من المقـاتلين. خطـوط إمـداده بعيـدة، ومـع بعدها فإنه إذا طلب الامداد فإن قيادة الجيش المغولي المركزية لاتستطيع امداده لانشغالها بالقتال الداخلي ولو أتيح إرسال قوة لانقاذ هذا الجيش، فإن هذه القـوة ستتأخـر في الوصول إلى ساحة المعركة لبعد المسافة ولقرب بدء المعركة التي أصبحت قاب قوسـين أو أدنى، وبـالاضافة إلى ذلك فإن قادة الجيش المملوكي يسعون للتعجيل في هذه المعركة بعدما أدركوا تماما أن السرعة لصالحهم.

(١٠٩و١١٠): انظر كتـاب (المسيحيـون السـريـان في عهـد المغول، خانات الفرس، من القرن الثالث عشر- القرن الرابع عشر) لوفان ١٩٧٥ ل.ج.م. فييه.

(١١١): ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ٢٨٠، الشهابي: تاريخه ٤٣٨، ستيفن: تاريخ الصليبيين ٣

(١١٢): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٦٠

وبهذا فإن الجيش المغولي بهذه الظروف بات يقاتل بشكل منعزل غير ضامن نتائج المعركة، وبشكل محاصر، مما أثر على كفاءته القتالية ومعنوياته

٤) ـ تغيير القيادات:

من المفضل كقاعدة ـ أن يبقى القائد الذي كان قبل القتال ممارسا لقيادته أثناء القتال، ذلك لأن المقاتلين اعتادوا على هذه الممارسة، وكذلك فإن القائد عرف كل مقاتل فهو يضعه في المكان المناسب ويسند إليه المهام التي تلائمه، فقد تغير القائد العام المغولي وغادر البلاد، وبقي كتبغا الـذي تسلم قيـادة هذا الجيش القليـل في سوريـة ولم يكن قد تعـرف على المقـاتلين، وإن كان معـروفـاً عنـد بعضهم، وكـذلـك فإن بيـد قائـد الطليعة الذي غير قيادته أيضا، وضاع القادة والمقـاتلون معـا بهذه التغيـيرات لاسيما عندما اعتقد الجميع أن هولاكو قد رحل وتغير في الوقت الذي هم بأمس الحاجة إلى توجيهاته وقيادته البارعة(١١٣)

٥) ـ العقيدة

لايحمـل الجيش المغـولي عقيدة، وهي التي تبعث في المقاتل الحيوية والنشاط والصبر وتقديم المـال والنفس، وتـدفـع اليأس والقنـوط، وتعـامـل الاعـداء بالشـدة والقوة، والاخوة والرفاقية والاصحـاب باللين والسهـولـة والتطـاوع والـرحمة، من يحمل العقيدة يحمل القوة والنصر، ومن ليس له عقيـدة فلا يقـوى على القتـال والاستمـرار فيـه، إن الجيش المغـولي يقـاتـل لكي يقهر الشعـوب ويتفـوق عليهـا وليتـوسـع وليبسط هيمنته على العالم وليحصل على الثروة والمال(١١٤) ولهـذا فإن الجيش اصطـدم بواقـع مر في معـركة عين جالوت، ورأى أنه قد أحيط به وضيق عليه فاستسلم للقتل والمطاردة(١١٥)

تفرق المغول في أرجاء الارض بعد المعركة ولم يستطيعوا لم شعثهم وجمع قوتهم التي كانوا عليها

---

(١١٣): ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ٣٥٣، القرماني: أخبار الدول وآثار الأول ٢٨٦

(١١٤): الصيرفي: نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ٢/ ٩١، البغدادي: الافادة والاعتبار ١٢٧، كرد علي: خطط الشام ١٦٧

(١١٥): ابن تغـري بردي: النجـوم الـزاهـرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/ ٧٩، ٨٢، الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والاخبار ١٠/ ٢٩، مشرف حلب الشهباء ٢٨١

قبل المعركة، فقد اختلف هولاكو مع أخيه الاكبر ومع القادة الآخرين، وانشق الجيش إلى جيوش عديدة يتبع كل واحد الامير[116] وحاول هذا الجيش عبثا أن يستعيد قوته وسمعته لكنه لم يستطع إلى ذلك سبيلا وحاول عدة مرات أن يعيد اعتباره ويمسك بزمام المبادرة، لكن الجيش المملوكي ظهر وكأنه أقوى وأشد شكيمة وقتالا من خصمه إذ لم يستطع هذا الجيش رغم جهده أن ينتصر على الجيش المملوكي فقد هزم في أراضي حمص وفي مواقع عديدة وعلى الفرات وفي أرض الشام، وتتالت الهزائم والانكسارات والخسائر[117] وكان كلما هزته العواصف وتقابل مع الجيش المملوكي، ارتفعت سمعة الأخير القتالية وظهر في العالم كأنه الجيش الذي لايقهر وهذه السمعة أتاحت له فيما بعد أن يتصدى لجميع مناوئية من المغوليين والصليبين والارمن.

واكب هذا الظهور وهذه القوة نشاط بعض القادة المماليك الذين كانوا على جانب كبير من النبوغ الاستراتيجي، ومن الحس القتالي ومن الخبرة الحربية ومن التنظيم الاداري كالظاهر بيبرس[118] وتطوير للاسلحة والاعتدة القتالية[119] وفتوحات كبيرة كان معظمها في أراضي فلسطين[120] وتدريبات مختلفة شملت السيف والرمح والرمي واللياقة البدنية وغيرها[121].

قد يكون من السهل الحصول على النصر، ولكن الصعوبة كل الصعوبة في المحافظة على هذا الانتصار، إن الجيش المملوكي بعدما ظهر كأكبر قوة ضاربة في العالم، ظل محافظا على هذه

---

(١١٦): الهمداني: جامع التواريخ ٢/١/٣٣٢ ومابعدها

(١١٧): ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ٤/٣٢٤، الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن ولي من الولاة والسلاطين ١٢٧، ابن الفرات تاريخه ٨٢/٧، الكتبي: فوات الوفيات ١/١٦٢ ومابعدا، الصفدي: امراء دمشق في الإسلام ١٩

(١١٩): مبارك: الخطط التوفيقية ١/٨١، ٨٢

عمون: تاريخ مصر ١٩٧

(١٢٠): ابن يحيى: تاريخ بيروت ٢٢

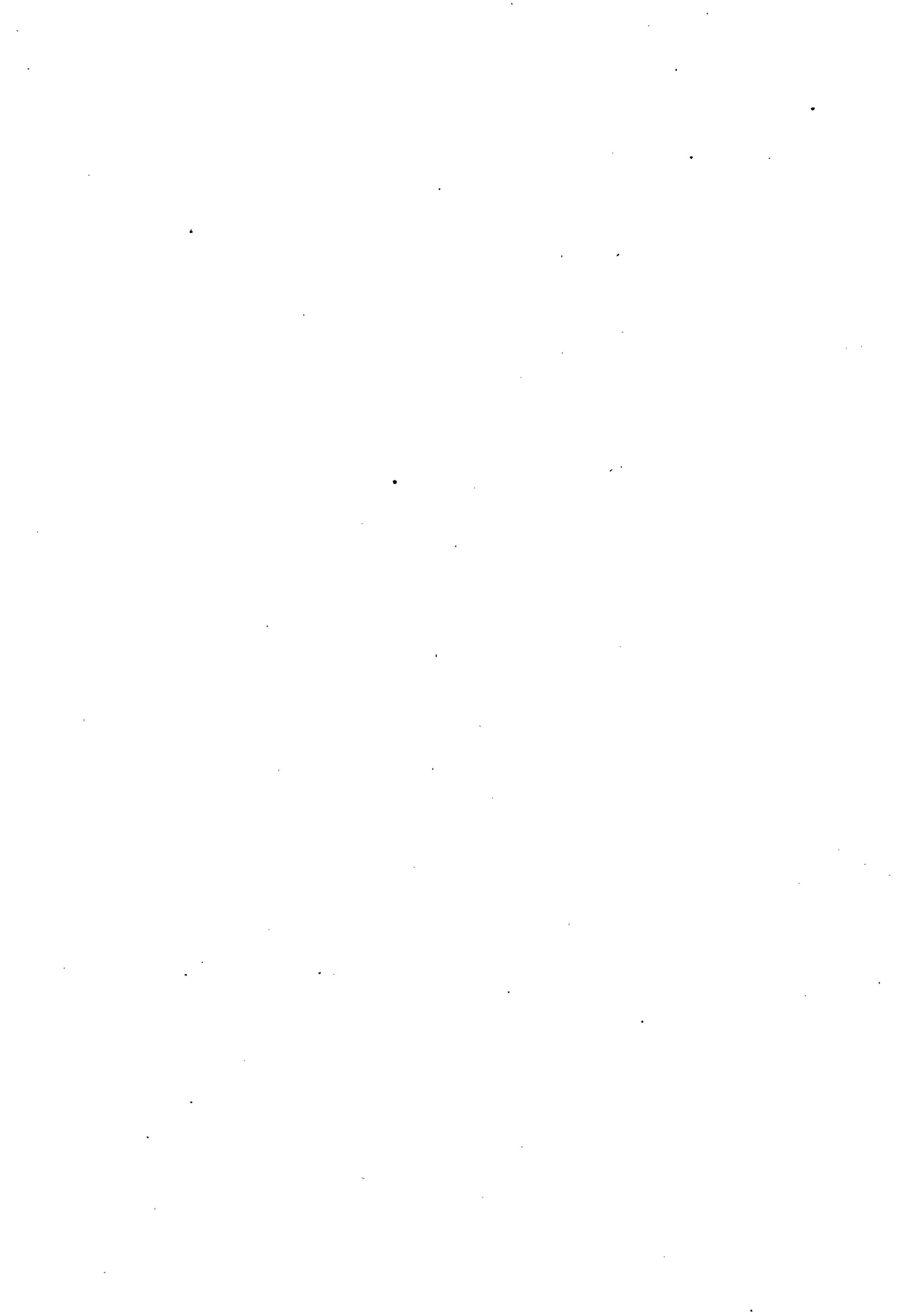
الكتبي: فوات الوفيات ١/١٦٦

(١٢١): البلقيني: مخطوطة قطر السيل في أمر الخيل ١٤٤ ومابعدها، ناصر الدين: مخطوطة المخزون لارباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح ٤١، الذهبي: مخطوطة غاية المقصود في العلم والعمل بالبنود ٢/١٦، الاشرفي: مخطوطة رمي النشاب ٥ ومابعدها، الزردكاش: الأنيق في المناجنيق ٤١ وما بعدها

القـوة وهـذه الانتصـارات زمنـا طويـلا لم يتـح لغـيره من الجيوش أن يحافظ عليها، فقد كان في جاهزية قتالية دائمة وكان على علاقة طيبة مع دول العالم التي تؤمن له هذه القوة وبخاصة مع القبيلة الـذهبيـة، وأقام التحالفات مع الدول المجاورة وهادن الصليبين لفترة محدودة وعمل كل مابوسعه للمحافظة على هذا التفوق وهذه القدرة العسكرية[١٢٢]

(١٢٢): الرمزي: تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٥٦٩

ويسلر: الحضارة العربية ٢٦٩



الفصل الرابع

قادة الجيش المملوكي والمغولي وأركانهما والصفات القيادية للقادة والأركان



لكـل جيش قادة وأركـان يتـوقف عليهم نجـاح الجيش أو إخفـاقـه، ولهم الـدور الكبـير في الانتصار على المستويين التكتيكي والاستراتيجي، وإن كان التدريب والتسليح والتنظيم يحتل حيـزاً كبـيراً في الحـروب وفي نتـائجهـا، إلا أن القيادة تبقى الموجه الاساسي والعقل المدبر لبناء الجيش وتحـديثـه على أسس علميـة متطـورة، وفن حربي إبـداعي، فخـالـد بن الـوليـد رمـز انتصارات العرب، وصلاح الدين الايوبي رمز انتصارات الجيش الأيوبي. ولقد برز قادة وأركان في الحـربـين العـالميتـين كان لهم دور كبـير في المعـارك وفي انقـاذ بلادهم من الانهيـار السياسي والعسكري، ولعل من المناسب أن نذكر قادة ورجال الجيشين المتقابلين في معركة عين جالوت.

أولاً ـ قادة وأركان الجيش المملوكي

ـ الملك المظفر سيف الدين قطز (٦٥٨/ ١٢٦٠):

مملوك من مماليك الملك أيبك، وهو ـ كما يرجح ـ من أصل خوارزمي[١] وقد شهد معارك كثيرة مع الأيـوبيـين مما أتيـح له خبرة في الحـروب. تسلق إلى السلطة بعد قتل المعز، كان منذ صغره يطمح في اعتلاء الملك والسلطة منذ أن كان خشداشيا للهيجاوي، ومنذ أن كان مملوكا لتاجر في القصاع بناحية دمشق، وكان يتوقع أن يتولى يوما ما سلطان الأمة، وأن يفعل الخيرات، وكيثر من المبرات ويقاتل المغول ويهزمهم، ويقضي على فلولهم ويكسر عنجهيتهم وهو بهذا كان مهيأ نفسيا منذ نعومة أظفاره في أن يكون قائدا فذا، يشار إليه بالبنان، ويكون صاحب شأن في دنيا مصـر والشـام وهـذا الطمـوح جعله يستعـد ويعمـل كل مامن شأنه الوصول إلى هذا المنصب الكبـير مهـما كلف ذلـك من تضحيـات، ومهـما بذل من خدمات وكان في هذا مصمما وواضعا نصب عينيه تحقيق هذه الاهداف الكبيرة التي لايرقى إليها إلا الذين كانوا على جانب كبير من علو الهمة ومقومات القيادة[٢]وكان يثور لكرامته ويتأسى بأخلاق الملوك ويتودد إلى أقربائه ويتأثر

(١): أحمـد اليونيني البعلبكي: ذيل مرآة الزمان: ج ١ص ٣٤٩ ـ ٣٧٤ ـ ٣٨٠ ـ ٣٨٤
زامبارو: معجم الانساب ٥٢

(٢): ابن العماد: شذرات الذهب ٥/٢٩٣، ٢٩٤

بهم ويعتز بعقيدته الاسلامية ويفاخر بها وقد ظهرت هذه الصفة عندما لطمه معلمه في دمشق (القصاع)[3]وكان يحمل الضغينة والحقد على المغول الذين أذاقوا خاله خوارزم شاه ومن معه شرا، ووطئوا بلادهم، وساموهم سوء العذاب[4]وهذا مايسوغ ويفسر اندفاعه واستجابته اللامحدودة عندما أقدم المغول فاجتاحوا البلاد الشامية وتوجهوا نحو مصر بغية القضاء على دولة المماليك التي لاتزال في بدء تطورها[5]، له من الصفات الجسمية مايؤهله لأن يكون قائداً فهو قوي البنية. مستدير الوجه، عريض الكفين، ممتلىء الجسم، أشقر، كث اللحية[6]

كان من المعلمين في الفروسية، والحاذقين في استخدام الرمح، وله طريقة عرف بها وهي الطعن بالرمح، فإذا أتاه الخصم من الخلف رمى الرمح أمامه بقدر ثلثه حتى إذا كان الرمح بين كتفي قطز أبطله وغرز رمحه في صدره لامحالة[7]

خدم عند السلاطين الايوبيين والمماليك بكل إخلاص وقد اشترك في قتل الامير فارس الدين اقطاي (الجمدار) الذي ثار على الملك المعز وأراد اغتصاب السلطة في سنة ٦٥٢/١٢٥٤[8]

وكذلك فإنه قبض على الأتابك علم الدين سنجر الحلبي في سنة ٦٥٥/١٢٥٧ وأودعه سجن القلعة في القاهرة عندما أراد أن يزيح السلطان علي بن الملك عز الدين أيبك[9]

كان حريصا على الشرعية في البلاد ولهذا فإنه كان يدافع عنها كلما اقتضت الضرورة لذلك،

---

(٣): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/٨٤، ٨٥.

اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٣٦٨.

(٤): الكتبي: فوات الوفيات ٢/٢٦٧

(٥): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/٨٥، ٨٦

(٦): ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٥/٢٩٤

الذهبي: دول الإسلام ٢/١٢٤

(٧): الرماح: مخطوطة الفروسية برسم الجهاد ١٧، ١٨

(٨): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/١١، ١٢، ٣٠، ٣٣، اليونيني: ذيل مرآة الزمان: ١/٥٩

(٩): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/٤١ ومابعدها، اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٦١

وقد تعرض لمخاطر كثيرة كادت أن تودي بحياته قبل أن يستلم السلطنة[10].

كانت تظهر بعض الخلافات بين قطز والامراء، أو بينه وبين السلاطين مثل السلطان المنصور علي بن عز الدين أيبك، لكن هذه الخلافات لاتصل إلى حد يمكن أن يفكر فيه قطز بقتل ملكه أو الاستبداد بالسلطة أو تخطيه قواعد التسلسل العسكري والانضباط[11] فهو حريص جداً على التمسك بما يضمن استمرار الحكم دون التعرض للفتن.

لما هرب بعض امراء البحرية إلى الملك المغيث صاحب الكرك وتجمعوا هناك وفيهم بيبرس البندقداري. وأرادوا الزحف بمن معهم على مصر، تصدى لهم قطز في سنة ١٢٥٧/٦٥٥ وأوقع فيهم القتل، وانتصر عليهم، وهرب بيبرس والمغيث ومن معهما، وارتدوا على أدبارهم[12] لاشك أن هذا العمل يدل على انضباط قطز وتحليه بالروح القيادية، وصدق انتمائه وتخطيه للعقبات والصعاب.

على الرغم من شدة الخلافات التي وقعت بين قطز وبيبرس، وبالرغم من الحروب التي جرت بينهما، وبالرغم من أن بيبرس كان يتحين الفرص للانقضاض على الملك، وقطز يدافع عن الملك، فإن هذا الاخير لما أحس بخطر هولاكو وزحفه نحو دمشق، وأن بيبرس طلب المعذرة والسماح له بدخول البلاد المصرية، رحب به، وأكرمه وأنزله منزلة تليق به[13]

لما داهم الخطر الارض الشامية والمصرية، وتحرك المغول بجيوشهم لكي يقضوا على المماليك اتخذ قطز آنئذ عدة إجراءات دفاعية منها الترحيب بالهاربين من المماليك، وتناسيه الضغائن والاحقاد والخلافات التي كانت بينه وبينهم[14] وعزل الملك المنصور علي لصغر سنه وعدم قدرته على ترتيب الأوضاع التي تحتاج إلى حزم ووحدة، وقيادة قادرة على محاربة المغول وذلك في سنة

---

(١٠): الصفدي: الوافي بالوفيات ٩/٤٨٤

(١١): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/٤٣، ٤٤

(١٢): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/٤٥، ٤٦

ابن الوردي: تاريخه ٢/٢٨٠، عاشور: مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ١٦٦

(١٣): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/٥٤، ٥٥، ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ٢/٣٦٤، ابن عبد الظاهر: تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور، عاشور: مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ١٦٨

(١٤): بيشوف: حلب الشهباء ٨٠

٦٥٧/١٢٥٩[١٥] وتحضير الامكانيات، وحشد الطاقات البشرية والاقتصادية[١٦] والتحالف مع الملك الناصر صاحب الشام، وتوحيد القوتين ليكون الجيش أقوى في مواجهة أعدائه[١٧].

بعد أن انتصر قطز في هذه المعركة، ضرب أعناق معارضيه، والذين كانوا قد انضموا إلى المغول ومنهم الملك السعيد صاحب الصبيبة (قلعة بلدة بانياس الجولان) الذي قاتل مع كتبغا القائد العام للجيش المغولي في بلاد الشام[١٨].

لقد كان سياسيا استراتيجيا مخططا أكثر منه مقاتلا إذ استطاع في مدة بسيطة أن يسوس بلاد الشام، وأن يحسن إلى الشعب، ويقدم له الامن والسلامة والاستقرار، وأن يهيىء له سبل العيش الكريم، وأن ينظم الامور الادارية، ويعين الحكام الاداريين للمدن التي احتلها واستردها من التتار[١٩] فأرسل إلى دمشق علم الدين سنجر الحلبي، وإلى قلعتها عز الدين الزراد، وأمر بترميم القلعة التي خربها المغول، ثم توجه إلى مصر لإعادة بناء الدولة الجديدة[٢٠]

هو بطل معركة عين جالوت، إذ استطاع أن ينتصر على المغول، ويقتل قائدهم. وبعد انتصاره حيكت له المؤامرات لقتله من قبل الملك الظاهر بيبرس حين أغرى هذا الاخير بعض الامراء لاغتياله بعد معركة عين جالوت مباشرة، لكن الامير جمال الدين العزيزي المتوفي ٦٦٤/١٢٦٦، رفض ذلك الاغراء[٢١] وكرر بيبرس محاولته وقتله وهو عائد إلى مصر[٢٢]

---

(١٥): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٥٥/٧، عاشور: مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ١٦٧

(١٦): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٨٢/٧، ٧٣، ٧٧، الشرقاوي: تحفة الناظرين **فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين ١٢٥**

(١٧): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧٣/٧

(١٨): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٨٠/٧، أبو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع ٢٠٧، الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠٠/١٢

(١٩): الكتبي: فوات الوفيات ٢٦٨/٢، أبو شامة الذيل على الروضتين ٢١٠

ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٨٣/٧ ومابعدها، عمون: تاريخ مصر ١٩٦

(٢٠): ابن الصقاعي: تالي وفيات الاعيان: ١٢٨، ١٣٤، ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٨٣/٧

(٢١): الصفدي: الوافي بالوفيات ٤٨٤/٩

(٢٢): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٥٤/٧، الصفدي: الوافي بالوفيات ٤٨٤/٩

إن مايتميز به هذا السلطان هو الإيمان الكبير، الذي لايرقى إليه ريب ولاشك، والفطرة السليمة التي جبل عليها وتربى في ظلالها، والعيشة الضنكى التي أهلته للصبر والوقوف أمام الشدائد، وتقلبه في البلاد، والحرمان الذي قاساه في صغره، إن المناخ الذي نمت فيه عقيدته كان مناخا ملائما، رسخ أيمانه، وهذب نفسه، وأصلح باله، وقوى من عزيمة الجهاد، ومن الاستهان بالموت، ومن الاقدام والعزيمة على قتال المغول، ومن الوثوق الكامل بالنصر عليهم[٢٣]

دلت حروب قطز التي خاضها مع الأيوبيين وضد الأمراء الهاربين إلى الكرك، وضد الأمراء الذين حاولوا اغتصاب السلطة، وفي معركة عين جالوت[٢٤] على أنه قائد حربي استراتيجي من الطراز الأول، فهو خفيف الحركة على حصانه، وهو الذي أجاد فن القتال بالاسلحة المستخدمة آنذاك، وكان صاحب قرار تميز بالدقة والوضوح والنظر الثاقب، وجلاء الهدف وبيان الحقيقة خاصة فيما يتعلق بمعركته هذه مع المغول وهو حازم وقت الشدة، ومصمم على بلوغ النصر مهما كانت العقبات أمامه ومتفهم لقدرة عدوه، ومقدر لقوة الصديق، وكان لكل شيء حسابه ويدقق المعلومات ويحافظ على مرؤوسيه، ويستميلهم بأسلوبه الجذاب، ويتعاون مع أركانه ويعطيهم الثقة، ويمنحهم المساعدة والعطاء، إلا أن خبرته بالرجال كانت ضعيفة مما كان لهذه الظاهرة أثرها السيء في مجرى حياته، إذا أقدم بيبرس على قتله دون أن يتخذ الحذر والحيطة، وهو يعلم أنه لايؤمن جانبه، فقد أعطاه الآمان ولم يحذره، وقد منحه الثقة ولم يراقب تصرفاته المشبوهة تجاهه، وكان منظما قاد الكتلة الرئيسية من الجيش في معركة عين جالوت، فنظم الميمنة والميسرة والقلب، وأناط لكل جناح قائدا شجاعا، ونسق الصفوف إلى عدة تراتيب، وجعل الميمنة تتقدم بالاحاطة، والميسرة بالالتفاف والقلب بالتقدم البطيء الزاحف، كما بث الحرس المتحرك على الاجناب والكمائن في المواقع التي لايتوقعها العدو مما جعله يتمكن من عدوه، ويقضي عليه بعد أن استدرجه للوقوع في النقطة الميتة التي وقع فيها عدد كبير من قتلى المغول[٢٥]

---

(٢٣): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٨٠ ومابعدها ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٥/٢٩٣

(٢٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١١/٧، ٣٠، ٤١، ٤٥، ٤٦، ٧٦، ٨٧

(٢٥): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧٢/٧، ومابعدها.

لقد حدد قطز قواعد وأسس الشؤون الادارية في الجيش المملوكي، إذ استطاع أن ينظمها ويحدد خطوطها العريضة بخاصة فيما يتعلق بحركيتها وخفتها، وقد ظهر ذلك جليا عندما حدد لصاحب حماة كيفية ونوع الامداد، وعندما أكد على أن الجندي يجب أن يكون خفيف الحركة لايثقله الطعام الكثير المتنوع، فأمر بوضع قطعة من اللحم في مخلاة عسكرية[٢٦]

ومما يشار إليه أن قطز كان متدينا عفيفا، صاحب تقوى وورع وهذه الصفة اكسبته الشجاعة والاقدام في الحروب، وجعلته يستبسل ويقدم روحه رخصية، ويستهين بالموت، وبخاصة عندما قتل حصانه واستمر في القتال دون جواد، وكان في مقدمة الجيش يقاتل عن حمية وعقيدة[٢٧]

- الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري (ت٦٧٦ - ١٢٧٧)

مملوك انتقل إلى عدة تجار عن طريق الشراء[٢٨] خدم في الدولة الايوبية لدى الملك الناصر يوسف، كان في معركة عين جالوت رئيس أركان الجيش المملوكي وقائد الطليعة[٢٩] طارد بيدرا قائد طليعة الجيش المغولي إلى أرض فامية[٣٠] ظهرت عليه النجابة والفطنة في سن مبكرة من حياته التي كان فيها مملوكا[٣١] وقربه وقدمه الملك الصالح على الجمدارية الذين كانوا عنده وحضر معه معركة دمياط وأبلى فيها بلاء حسنا، ظهرت عبقريته العسكرية وشجاعته الفائقة[٣٢].

---

(٢٦): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٨٧/٧

(٢٧): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧٩، ٨٥، ٨٦
الهمذاني: جامع التواريخ ٣١٣/١/٢

(٢٨): الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين ١٢٧
دائرة المعارف الاسلامية: ٣٦٣/٤، حتي: تاريخ العرب ٧٦٦

(٢٩): دائرة المعارف الاسلامية: ٣٦٣،

(٣٠): ابن الصقاعي: تالي وفيات الاعيان ٥٠

(٣١): دائرة المعارف الاسلامية: ٣٦٣/٤

(٣٢): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٩٦/٧، سرور: الظاهر بيبرس ٢٨
عطية: القاموس الاسلامي ٤٠١/١

لايـزال الكـره يملأ قلبـه والحقـد الكبـير على المغول الذين أهانوه وأسروه عندما كان عمره أربعـة عشـر عامـا، وبـاعوه فشروه التجـار إلى أن وصل إلى البندقداري الذي سمي الظاهر باسمـه، ثم انتقـل إلى الملك الصـالـح، هذه الفـترة رسخت في ذهنـه العـذاب الـذي لقيه، والاهانات التي آتته والتي كانت بسبب الحروب التي كان يشنها المغول في أنحاء العالم[٣٣]

حاول بيبرس عدة مرات قبل معركة عين جالوت أن يكون له شأن كبير في مصر، وقد عمل عدة محاولات مع بعض زمـلائـه الامراء للاعتداء على المناصب الرفيعة بالقوة والمراوغة، إلا أن محاولاتـه لم تنجـح ورحـل عن مصر في ضيافة الملك الناصر صاحب الشام فأكرمه، ثم رحل إلى الملك المغيث صاحب الكرك فحاول إغرائه لاحتلال مصر فلم يوافقه الملك المغيث إلى أن أقدم قبيل المعركة، وكان له ماأراد[٣٤]

بيـبرس خامس خمسـة مماليـك من المماليك البحرية وهومن أصل قبجاقي. وقد تسلم الملك بعد قطز مباشرة[٣٥] وعمل إصلاحات واسعة على جميع المستويات الاقتصادية والسياسية والعسكرية[٣٦]

لقـد اشـترك في قتـل توران شاه قبـل أن يقتـل قطـز بعشر سنوات، ولعل كان من عادته قتل السـلاطـين والملوك وبنفس الطـريقـة قتـل الاثـنـين إذ هوى على توران شاه بسيفـه عندما أقيم السـماط فقطـع أصـابعه[٣٧] ولما رأى الأمراء المتآمرون معه ذلك الفعل اتبعوا توران بضربات من سيـوفهم، ففـر إلى النيـل والتجأ إلى برج من الخشب فتعقبـوه وقتلوه. وبنفس الاسلوب قتـل قطز، وبهذه الاساليب دخل بيبرس الملك من مصراعيه بعد أن قضى على حكم توران شاه وقطز[٣٨].

---

(٣٣): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٩٦

(٣٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/١٩٧

(٣٥): زامباور: معجم الانساب ١٦٢، ١٦٦

(٣٦): ريسلر: الحضارة العربية ٢٥٠، ٢٦٩، شبولر: العالم الاسلامي في العصر المغولي ١٧٧، دائرة المعارف الاسلامية ٤/٣٦٤، سبيكة: مملكة الفونج: ١٤، حتي: تاريخ العرب ٧٦٧

(٣٧): بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية ٣٦٥

(٣٨): ابن إيـاس: بدائـع الـزهور في وقائع الدهور، ١/٢٨٤، الصفدي: الوافي بالوفيات ٩/٤٨٤، سرور: الظاهر بيبرس ٣٦

كان من أبطال معركة المنصورة التي كانت من المعارك الحاسمة بين الصليبين والايوبيين والتي انتصر فيها الجيش الايوبي الذي كان في أكثره من المماليك ورأى بنفسه أنه يمكن الانتصار على هؤلاء وغيرهم وأنه بإمكان المماليك ـ لو نظموا ودربوا ـ أن ينتصروا على كل طامع وغاصب(٣٩).

هو طويل القامة متناسق الاعضاء، يرى أثر بياض في عينية، يشعر بنقص من هذاالعيب، أزرق العينين(٤٠) جهوري الصوت، في مشيته قوة، وفي منظره رعب وهيبة، له عزيمة الرجال وقوة الابطال(٤١)

يتحمل التعب وينفذ في الاسفار ويجوب الاراضي. ويجهد في الحرب، وله خبرة في أنواع القتال والمطاردة، ويصمد أمام الأعداء، وتراه وكأنه ليث جمع قوته لاصطياد فريسته، لاتؤثر به الشدائد والصعاب، التزم صفة الحرب وآثرها على كل ماعداها، وقد اختص بحصار القلاع والحصون(٤٢) فكان يقطع الماء على المحاصرين، ويبتعد عن مرماهم، ويشدد عليهم في هجومه، ويضطرهم إلى الخروج من القعلة. وكان يشارك جنوده في العمل ويعلمهم طرق ومبادىء الحصار، وقد أذاق التتار والصليبين مر الشدة والبأساء في حروبه، كما ركز على الاغارة التي كان ينتقي لها الرجال الاقوياء، وحارب هنا وهناك في أرض الروم وفي أرض مصر والشام، وفي مياه الفرات ومياه البحر الأبيض المتوسط ومما يلفت النظر من الناحية العسكرية أنه كان قدوة لجنوده، يقتحم الصعاب أمامهم، ويشق الصفوف في مقدمتهم ويزج نفسه في أتون المعركة ويلقي نفسه بكل شجاعة(٤٣)

فتح الظاهر بيبرس مدنا كثيرة أهمها تلك المدن الفلسطينية التي كانت منها ساحلية محصنة، مثل يافا وأرسوف وقيسارية وأنطاكية، ومنها داخلية مثل طبرية وصفد والقرين(٤٤) وقد اتبع في

---

(٣٩): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٦/٣١٩، ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ١/٣٠٩، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٣٦٨، سرور: الظاهر بيبرس ٣٥

(٤٠): Lane - Poole, A.History of Egypt in the Middle Ages: 9/262,263.

(٤١): ابن الفرات: تاريخه ٧/٥

(٤٢): ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٥/٣٥٠

(٤٣): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٨٣، ١٧٧، الكتبي: فوات الوفيات ١/٢٦٢ ومابعدها، الصفدي: إمراء دمشق في الاسلام ١٩. ابن الفرات: تاريخه ٧/٨٢

(٤٤): ابن يحيى: تاريخ بيروت ٢

فتحها خطة الجيوش المتلاقية، وحاصرها من جميع جهاتها البرية، ووجه عليها الاسلحة البرية والبعيدة المدى كالمجانيق والسهام[٤٥]. للقلاع والمناطق المحصنة صفات معينة، لايمكن احتلالها بسهولة، إذ تتألف القلعة من عدة طباق نضد بعضه فوق بعض ومن أسوار سميكة، ومن قواعد وضعت فيها القضبان الحديدية وشبكت بالرصاص ومن أهمها حصون مرقية والاكراد وعكا وحصون الاسماعيلية التي من أهمها مصياف والقدموس[٤٦]، وكان الظاهر بيبرس يستخدم بفتحها الحروب النفسية، ويأتيهم من الاماكن التي لايتوقعونها كالسراديب والممرات المخفية والمستورة التي لايطلع عليها أحد، فإن ظهروا قاتلهم بجنود قد تمرسوا على القتال واتخذوا الانقضاض في مثل هذه الحالة وسيلة للوصول إلى أبواب القعلة حتى إذا فتحوها تدافع الجند بأفواج متتالية بصورة يصعب على المدافعين أن يردوا تلك الهجمات القوية وبذلك يتم احتلالها[٤٧] وقد امتدت فتوحاته إلى البلاد الارمنية وبلاد النوبة والبجة وغيرها[٤٨].

قاتل على جميع الجهات، ففي الخارج واجه الارمن بكل جد وحزم وتغلب على القوات الصليبية، ودحرها في أغلب المعارك وقضى على أهم مواقعها الساحلية، وانتصر على الجيش المغولي في عدة مواقع، ولم يتجرأ هؤلاء أن يتقربوا من حدوده، أو يمسوه بأذى، ووقع في نفوسهم الخوف والضعف وفي الداخل قاتل أيضا على عدة جبهات فقد تمكن من الحشيشية في وسط سورية[٤٩] وأخمد الثورات المتتالية التي كان يقوم بها النوبة في جنوب مصر، وقضى على الفتن الداخلية، وتخلص من الامراء الايوبيين الذين كانوا يشكلون حجر عثرة في طريق السيطرة على البلاد، وأوقف المد الشيعي الذي كان يتحفز منذ عهد الدولة الايوبية من أن يمسك بالحكم ويستعيده[٥٠]

---

(٤٥): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٣٨/٧ ومابعدها، الكتبي: فوات الوفيات ١٦٦/١، الصفدي: الوافي بالوفيات: ٣٣٨/١٠

(٤٦): القرماني: أخبار الدول وآثار الأول ١٩٩

(٤٧): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٣٨/٧ ومابعدها

(٤٨): ابن الفرات: تاريخه ٤٦/٧، ومابعدها، الجبرتي: عجائب الاثار في التراجم والاخبار ٣٠/١ ومابعدها

(٤٩): حتي: تاريخ العرب ٧٦٦، شبولر: العالم الاسلامي في العصر المغولي ١٧٧، دائرة المعارف الاسلامية: ٣٦٤/٤

(٥٠): دائرة المعارف الاسلامية: ٣٦٤/٤، ٣٦٥، بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية ٣٦٦، ٣٦٧، شبيكة: مملكة الفونج ١٤، الاسكندري: تاريخ مصر ٢٣٧

لقد عقد عدة تحالفات لكي يضمن التفوق على اعدائه واحدا بعد الآخر، فتحالف مع المغول والاوروبيين مثل بطريرك القسطنطينية، وشارل ده أنجو ملك صقلية، وجايمس ملك أراغون[٥١] مما يدل على اتساع أفقه الاستراتيجي وبعد نظره وتركيزه على منع الطامعين من الفرس، ومنعهم من التفكير في الاعتداء عليه.

اعتنى بالاستطلاع والاستخبارات وبث العيون في الداخل والخارج وكان يجب أن تأتيه الاخبار الحقيقية عن نوابه وقواده ومرؤسيه فإذا أتاه خبر قاطعه، وإذا أتته معلومات تأكد منها، فهو في صورة الموقف بصورة دائمة، وعلى علم تام بتحركات أعدائه التكتيكية والاستراتيجية إذ يستطيع أن يعلم تحرك الجيوش التترية بمجرد خروجها من بلادها، ويستطيع أن يعلم خطأ قادته بمجرد ارتكابهم اموراً غير صحيحة[٥٢]

طور السلاح الهندسي وجدد عمارة القلاع، الجزيره، القابون، دمشق، صرخد، حمص، الصبيبة، الشقيف، الشامية، السويس، وقلاع الاسماعيلية في مصر وبعلبك الاكراد وغيرها، وبنى الجسور القبلوبية، الاعظم، وجسر دامية بالغور وغيرها، وأنشأ القناطر المطلة على الميدان، السباع والمشرفة على بحر ابن منجى، والخلجان التي منها خليج القاهرة وخليج الاسكندرية، وعلى مدينة السيرج وست عشرة قنطرة التي يعبر منها على دمياط، وأقام الطباق لسكن المماليك وحفر البحار الأشموم، والصمصام، السردوس والكافوري وكذلك أقام الترع الكثيرة[٥٣].

ازداد حجم الجيش في زمنه إلى أربعة أضعاف مما كان عليه، فبلغ أربعين ألف فارس، وزاد في تسليحه وعتاده وطور تلك الأسلحة والمعدات وأنشأ تشكيلات جديدة[٥٤] وكان يملك أربعة آلاف مملوك[٥٥].

---

(٥١): حتي: تاريخ العرب ٧٦٧، دائرة المعارف الاسلامية: ٤/٣٦٥، بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية ٣٦٧

Lane - poole, A History of Egypt in the Middle Ages 9/265,266,270

(٥٢): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/١٨٢، ابن الفرات: تاريخه ٧/٥

(٥٣): ابن الفرات تاريخه: ٧/٨٢، ٨٣، الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠/٣٣٦

الكتبي: فوات الوفيات ١/١٦٧ ومابعدها.

(٥٤): الكتبي: فوات الوفيات ١/١٦٩

(٥٥): الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠/٣٣٨، ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/١٧٩، ١٩٧

اعتمد الملك الظاهر في حروبه على المدفعية (المنجنيق) وقد استخدمه استخداماً واسعا وعني به وفضله على كثير من الاسلحة في فتح الحصون والقلاع[٥٦] كما اعتمد من بعد نابليون بونابرت على هذا السلاح.

اعتنى بالسلاح البحري تنظيما وتسليحا وتصنيعا، وقوى الاسطول وضم إليه الرجال المتخصصين. وأوصى بتدريبهم، كما اعار أهمية لصناعة السفن والشواني، وجلب المواد الاولية والاخشاب من الداخل والخارج حتى أصبح الاسطول قوة يحسب حسابه، إلا أنه بعد وفاته دب إليه الوهن وضعف لقلة الاهتمام به[٥٧] كما اهتم بالرمي اهتماما كبيرا إذ اتخذ خارج القاهرة ميدانا لرمي النشاب أطلق عليه «الميدان الاخضر» وأطلق على آخر «الميدان الاسود» وهناك «ميدان القبق» الذي كان التدريب فيه مستمرا كل يوم للامراء والقادة والجنود يشهده السلطان ويشارك العسكريين ويحرض ويشجع المتفوقين[٥٨] واهتم بسباق الخيل ورياضة الصولجان[٥٩].

بيبرس أول من أحيا الخلافة، بعد أن اندثرت وضاعت بعد غزو المغول لمدينة بغداد، وقد نقل الخلافة من بغداد إلى مصر وبهذه المسحة الدينية والقانونية والخلعة والتفويض بالقيادة قوى مركزه العسكري والسياسي، وأصبح يخطب على المنابر مقرونا باسم الخليفة.

هو الذي أوجد الرتب والوظائف العسكرية في الجيش المملوكي وقسمها ووصفها ورتبها، وأعاد تنظيمها على أساس من الكفاءة والعلم فهناك «الدوادار» و «أمير مجلس» و «الحاجب» و «أمير آخور» و «الجمدار» و «أمير شكار» وغيرها من الوظائف التي حدد لصاحبها العلم الذي يعمله والاجراءات التي يتخذها، والجوانب العسكرية التي تقع على كاهله فوظيفة «رأس النوبة» استحدثت واقتبست من النظام التتاري ويسمونها «يَسَوول» وكذلك وظيفة « أمير آخور». يسمونها «أقاطاشي» وغيرها والغالب في الوظائف على أنها غير عربية وتعود في أصلها إلى التركية والفارسية أو الترية، وهي في معظمها مركبة وتدل على معنى معين[٦٠].

---

(٥٦): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/١٥٢ ومابعدها ١٥٥

(٥٧): مبارك: الخططالتوفيقية ١/٨١، ٨٢، عمون: تاريخ مصر ١٩٧

العبادي: تاريخ البحرية الاسلامية ٢٩٦

(٥٨): مبارك: الخطط التوفيقية ١/٨٢، ابن الفرات: تاريخه ٧/٦ ومابعدها

(٥٩): Lane - Poole, A.History of the crusades, Vol. III The Kingdom of Acre Book 3/chapter 3/34

(٦٠): ابن تغري بردي النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/١٨٣ ومابعدها، السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/١٣٣

لقد أعار أهمية كبرى للبريد وللحمام الزاجل وللمحطات والطرق ولوسائط النقل والقائمين عليها وذلك لوصول الاخبار بسرعة. ولربط البلاد بعضها ببعض، وكان لاحداث البريد قفزة نوعية في عالم النقل والمراسلات العربية على مستوى الجيوش المملوكية[٦١].

لتقوية جيشه والتفوق على خصمه، أسكن التتر في اللوق، وبنى لهم الدور، وأحسن وفادتهم فقدم عليه منهم أكثر من ألف شخص في بادىء الامر ثم تكاثروا فيما بعد، وذلك للاكرام والعطاءات التي منّ السلطان بها عليهم[٦٢].

للظاهر بيبرس سمعة قيادية ومهابة في الداخل والخارج ورعب يسيطر على أعدائه وحرب نفسية يشنها على من وقف أمامه[٦٣] وقد أكسبته هذه السمعة هروب عدوه أمامه قبل أن يلتقي به، واوقف كثير من الحملات والغارات التي كانت ستشن على بلاده، والابتعاد والخوف من التعرض له أو لرسله أو للمواطنين من بلاده، ومحاولة التقرب منه بالخدمات التي يقدمها أولئك الذين دعوا إلى السلم والسلام معه وهو بهذا فقد حقن دماء كثيرة وفتح بلادا واسعة دون خسارة كبيرة من القتلى والاسرى[٦٤].

مع شجاعة بيبرس وسمعته القتالية فقد كان يخشى الشجعان من بني جنسه ويتوجس منهم شرا ويتربص بهم الدوائر ومن عادته أنه إذا سمع ببطل أو اشتهر عنده من الامراء أو الضباط بميزة قتالية كان يسعى إلى تصريفه والقضاء عليه[٦٥] ويتحين الفرص للتخلص منه بأي ثمن **كما فعل بقائد طليعته الأمير عز الدين فحبسه، وكما دس السم للملك القاهر بهاء الدين الذي نجا منه ووقع هو فيه وكانت هذه الحادثة سبب وفاته، كما أبعد الشيخ محي الدين النووي عن**

---

(٦١): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٨٦/٧

حتي: تاريخ العرب ٧٦٧

Lane - Poole, A.History of Egypt in the Middle Ages; 9/246

(٦٢): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٩٠/٧، مبارك: الخطط التوفيقية: ١/٨٤،٨٥، عمون: تاريخ مصر ١٩٧، العبادي: تاريخ البحرية الاسلامية ٢٩٦

(٦٣): الجبرتي: عجائب الاثار في التراجم والاخبار ٣٠/١

(٦٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٨١/٧، ١٨٢، دائرة المعارف الاسلامية: ٣٦٤/٤

(٦٥): ابن تغري بردي: المصدر نفسه ٧٨/٧، الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ٣٤٤

دمشق لما تجرأ عليه في القول وخالفه[٦٦] ولعل الظاهر بيبرس لايريد من أي كان أن يتصف بصفات الرجولة إلا هو. ولايريد لاحد أن يعلوه، فهو كل شيء وماعداه فهم دونه، ولم يكن قتل قطز إلا للعجب الذي في نفسه، والحسد الذي في طريقه.

دلت فتوحاته الواسعة، وحروبه الكثيرة، ونشاطه الذي لايفتر وتحركه الذي لايهدأ وتنظيمه وفي حصاره القلاع والحصون واهتمامه الكبير بالخدمة الطبية والمستشفيات الاختصاصية، وبناء الجسور والقناطر ورعايته للتدريب وللأعمال الفروسية والرمي، وللتمارين والبيانات الفردية والجماعية، على أن بيبرس قائد استراتيجي كبير، ومنظم دولي وعلى مستوى عال من الفهم والادراك سياسي بارع مثله كمثل فنان بدأ برسم صورة ثم أكملها فيما بعد[٦٧].

ومما ساعد على الانتصار في حروبه:

١ ـ الثقافة العسكرية التي كان يتمتع بها[٦٨]، إذ كان شغوفاً بدراسة تاريخ المعارك والحروب، وكان يشجع ويحث العسكريين التركيز على هذه الدارسة، وبنفس الوقت كان يحب الاساتذة وخبراء الحرب ويميل إليهم ويكرمهم ويهيىء لهم الجو الملائم للتدريس وإعطاء المزيد من المعلومات التاريخية العسكرية، وكان يقول «سماع التاريخ أعظم من التجارب»[٦٩]، يضاف إلى ذلك أزدهار الثقافة وكثرة المثقفين والمؤلفين الذين كانوا من المماليك أنفسهم ومن المعاصرين لتلك الحروب والمواقع.

٢ ـ التدريب العسكري المتواصل.

٣ ـ الاهتمام بكل صغيرة وكبيرة من الامور المتعلقة بالسياسية أو الحرب

٤ ـ الصفات القيادية والشخصية التي كان يتمتع بها.

٥ ـ الحذر والحيطة لكل الأمور، واتخاذ المناسب حيال كل حدث أو اعتداء.

٦ ـ الخبرة الطويلة والمدة الزمنية الكبيرة التي قضاها في الحروب الحقيقية.

---

(٦٦): ابن الفرات: تاريخه ٧/٧٠، ٨٦، ١٠٩

(٦٧): ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ٢٨٢، ابن عبد الظاهر: تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور ٣٦٥، بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية ٣٦٦، الشيال: تاريخ مصر الاسلامية ٢/٢٠٥

(٦٨): العسلي: المظفر قطز ومعركة جالوت ١٤٤

(٦٩): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/١٨٢، عمون تاريخ مصر ١٩٧

كان الظاهر بيبرس ضارباً في مجاهل الارض جمع السياسة والحرب وكان بارعا في هذه وتلك مما اتيح له تثبيت ملكه وتعزيز سلطته وتخويف أعدائه[٧٠] ولقد اعتبر عصره من العصور الذهبية في الاسلام كما اعتبر بطلاً ومحرراً[٧١].

ـ الامير فارس الدين أقطاي المستعرب (ت ٦٧٣/ ١٢٧٤)

كان أتابك العساكر أثناء معركة عين جالوت[٧٢] وله خبرة في هذا العمل لخدمته الطويلة في هذه الوظيفة التي تولاها في أيام المنصورية، وبقي فيها حتى رفعه الملك قطز[٧٣] واستمر بها حتى عهد الملك الظاهر وحتى وفاته[٧٤] وهو أول من حلف للملك بيبرس وبايعه، فتبعه بقية الامراء وكان رجلا مقداما شجاعا وذا معرفة في الحروب، وكان قطز يعول عليه كثير أما بيبرس فقد ضايقه، بعد أن عين معه بدر الدين بيلك الخزندار فتعلم منه الكثير حتى استغنى عنه[٧٥]، ومن صفاته أنه كان هادئاً ورعاً، محباً للخير، مقربا إلى الملك قطز، ومحبوبا من قبل مرؤ وسية[٧٦] لكنه ظل محافظا على وظيفته الكبيرة في عهد الظاهر بيبرس، وذلك للخدمة التي قدمها لبيبرس عندما سهل له إعتلاء السلطة[٧٧].

ـ سنجر الحلبي (ت ٦٩٢/١٢٩٣)

كان أتابك العساكر في زمن الملك المنصور علي بن أيبك سنة ١٢٥٧/٦٥٥[٧٨] وكان نائب الملك المظفر قطز في دمشق في أعقاب معركة عين جالوت[٧٩] لما جاءه خبر مقتل قطز واستلام

---

(٧٠): المقريزي: الخطط: ٦٢٢/٢/١، بروكلمان: الامبراطورية الاسلامية وانحلالها ٢٤٢، ٢٤٣

(٧١): بروكلمان: الامبراطورية الاسلامية وانحلالها ٢٤٤

(٧٢): ابن كثير: البداية والنهاية ٢٢١/١٣

(٧٣): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧٨/٧

(٧٤): الصقاعي: وفيات الاعيان ١٠، ١١، ٥٥

(٧٥): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٢٤٢/٧، الصفدي: الوافي بالوفيات ٣١٨/٩، ابن الفرات تاريخه ٣٩/٧

(٧٦): ابن الصقاعي: تالي وفيات الاعيان ١٠

(٧٧): ابن الفرات: تاريخه ٣٩/٧

(٧٨): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٤١/٧

(٧٩): الصفدي: امراء دمشق في الاسلام ٣٩، أبو شامة: الذيل على الروضتين ٢١٠

الملك الظاهر ومبايعته هرب إلى بعلبك وضيق عليه ثم ألقي القبض عليه وسجن ثم اطلق سراحه[80]، وكان على درجة كبيرة من البطولة والشجاعة وقد أبلى بلاء حسنا في المعركة الفاصلة[81].

ـ آقسنقر الأمير شمس الدين الفارقاني (ت ٦٧٦/ ١٢٧٧)

كان من أركان بيبرس، وقد عرف بالشجاعة والبأس والشخصية العسكرية القوية، وقوة الجسم وحسن التصرف، وكانت له جولات في حروبه وصولات في ضروبه، إذ لا يخاف الموت ولا يخشى المصاعب كان محفوفا بالانتصارات ومقداما في المعارك، عينه الملك الظاهر قائدا للجيوش وناب عنه في غيبته[82].

ـ إيغان بن عبد الله الركني (ت ٦٧٥/ ١٢٧٦)

لقب بعز الدين وعرف بسم الموت، واشتهر بالشجاعة والحنكة والفروسية والمكانة المحترمة، كان ينـدب في مقـدمـة الجيـوش (الطليعة) وكان من أركان الملك الظاهر، وهومقدم ألف، وقد عهد إليه بقيادة الجيش في المهمات الصعبة التي يريدها السلطان وقد خاف بيبرس على نفسه من هذا الامير فحبسه في سجن القلعة وبقي في السجن حتى مات[83]

ـ آقوش الشمسي الامير جمال الدين (٦٧٩/ ١٢٨٠)

كان جنديا قويا، وأميرا موصوفا بالشجاعة والاقدام، والجرأة في التنفيذ، وقد كان خشداشيا عند الامير بدر الدين البيسري، كما خدم عند غيره، وقد ظهرت عليه تطلعات للارتقاء إلى المناصب العالية، حتى إذا كانت معركة عين جالوت، تسلل من وحدته العسكرية، وقصد مقر قيادة المغول، حتى إذا كان قاب قوسين أو أدنى من القائد العام للجيش المغولي انقض عليه فأصابه وطرحه أرضاً وأُسِرَ كتبغا، ولما رأى الجيش المغولي وقد أُسِرَ قائده خارت قواه وضعفت معنوياته وبهذا فقد حقق آقوش نصرا لجيشه بل كان منعطفا تاريخيا ثم ولي فيها بعد نيابة حلب

---

(٨٠): ابن كثير: البداية والنهاية ١٣/ ٣٣٤

(٨١): الصفدي: الوافي في الوفيات ١٥/ ٤٧٣

(٨٢): الصفدي: الوافي بالوفيات ٩/ ٣١٠

(٨٣): ابن الفرات: تاريخه ٧/ ٧٠، الصفدي: امراء دمشق في الاسلام ١٥

(٨٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/ ٧٩

وبقي فيها حتى توفي(٨٤).

ثانيا: قادة وأركان الجيش المغولي

ـ هولاكو بن تولي خان بن جنكيزخان (ت ٦٦٤/ ١٢٦٦)

تولى القيادة بعد موت أبيه، له سبعة عشر ولداً، دانت له بلاد كثيرة، وأراضي واسعة وأقوام مختلفة(٨٥) قبل معركة عين جالوت وفي سنة ٦٥٦/ ١٢٥٨ استطاع هولاكو (قائد الجيش المغولي) أن يستولي على بغداد، ويغرق أهلها وعسكرها في مياه دجلة بعد أن حاصرهم عدة أيام حتى استسلموا، وقتل الخليفة المستعصم الذي كان ضعيفا مهملا لأمور الجيش عابثا بمقدرات البلاد(٨٦)، ونهب وسلب وقضى على العلم والتراث والحضارة(٨٧)، وقد بلغ عدد القتلى ثمانمائة ألف أويزيدون(٨٨)، له أركان يساعدونه في حروبه وفتوحاته منهم كتبغا وابنه أشموط وبايجونين، على أن كتبغا كان يعتمد عليه في الملمات وفي المهمات الخطيرة لما يتميز به من حس حربي، وقدرة فائقة على قيادة القوات وكان هولاكو مصابا بالصرع ومات بهذا المرض(٨٩)، وكان له دور كبير في معركة عين جالوت إذ مهد لها بعد أن احتل بغداد ووصل حلب، وعمل الترتيبات اللازمة لمواصلة القتال والزحف نحو دمشق ومصر، وعين رئيس أركانه كتبغا ليكون قائدا للجيش الذي قدر له دخول هذه المعركة(٩٠).

كان هولاكو(٩١) شجاعا. إذا دخل المعركة لم يخش بأسها، وإذا قارع الابطال فإنه يصمد أمامهم وإذا بطش بطش كجبار في الارض، وكانت قيادته حازمة لايتراجع عن أمره إذا صدر

---

(٨٥): ابن تغري بردي: المصدر نفسه ٧/ ٤٧، ٢٢٠. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٥/ ٣١٦

(٨٦): ابن القاسم: غاية الأماني: ١/ ٤٤٦، السيد: مفتوح ١٣٠ ـ Lewis, The Arabs in History, 9/153

(٨٧): ابن الوردي: تاريخه ٣/ ٢٨٣. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٥/ ٢٧١

لوبون: حضارة العرب ١٧٨، السيد: مفتاح الذهب ١٣٠

(٨٨): ابن تغري: النجوم الزاهرة ٧/ ٤٩، ٥٠، ٥١. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٥/ ٢٧١

(٨٩): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/ ٢٢٠

(٩٠): الهمذاني: جامع التواريخ ٣/ ١/ ٣٠٩، ٣١٠. العبادي: قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام ١٦٣

(٩١): هومؤسس الدولة المنغولية في بلاد فارس سمى نفسه ب: الخان الكبير، دانت له أغلب القصور قوة دون أن يلقى مقاومة، وفي العراق هزم جيش الخليفة، إلا أنه فشل في غزو سوريا انظر:

Encyclopedie de L'Islam Publie Avesle Concours des Principaux Orientalistes - Tome II - 353

ولا عن قراره إذا قرر ولا عن هدفه إذا وضع نصب عينيه تحقيقه وكان سفاكا للانفس، وسفاحا للدم، وهو كأسلافه في الفتك وسياسية الارض المحروقة(٩٢)

كان منظما ومخططا للقتال، وذا هدف بعيد في التفكير الاستراتيجي وقائدا فذا على المستوى التكتيكي، فلقد حفر خندقا حول بغداد، وأقام له سترة وأبوابا وأمكنة لاسلحة الرمي، وبخاصة الاسلحة المدفعية كالمنجنيق والعرادات، وبدأ يرمي بأسلحته تلك المناطق المحصنة والاستراتيجية والتي يؤثر تدميرها على زعزعة الدفاع وبعثرة القوى والجهود وبقي مستمرا دون انقطاع في رماياته وتقدمه مما اضطر الخليفة إلى طلب الصلح ودخل بغداد، ووصل وحقق كل أهدافه القتالية(٩٣).

كان هولاكو حفيد الجنكيز خان وهو جد ايلخانات فارس والعراق، وقد اختلف بنوه من بعده، وقتل بعضهم بعضا، كما اعتنق بعضهم الاسلام مثل غازان محمود، والبوذية مثل أرغون(٩٤)، ومن الطبيعي أن يؤدي هذا الخلاف وهذا التباين في العقائد إلى ضعف الاستراتيجية، وإلى فوضى في التخطيط العملياتي، كان جهوري الصوت، مملوء الجسم، ضخم القامة مملوء الهامة، مبسوط الوجه عريضه، غائر العينين، أفطس الانف طويل الشاربين تهابه الملوك ويخشاه العظماء وترتعد منه قلوب الشجعان(٩٥)

اضطهد هلاكو العرب المسلمين في كل البلاد العربية التي احتلها وظهر هذا الاضطهاد واضحا في دمشق عندما أذاق أهلها من المسلمين العذاب، وبالمقابل فإنه كان يعطف على النصارى ويسمح لهم بإقامة الكنائس وإعلان الشعائر الدينية(٩٦) ولعل هذا العطف كان من تأثير امرأته (دوقوز خاتون) التي كانت نصرانية وكان لها حظوة كبيرة واحترام زائد من بين نساء

(٩٢): القرماني: أخبار الدول وآثار الأول ٢٨٦، ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ٣٥٣

(٩٣): ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ٣٥٩، ٣٦٢

(٩٤): زامباور: معجم الانساب ٣٥٩، ٣٦٢

(٩٥): عن رواية صارم الدين، أزبك بن عبد الله الاشرفي، نقلها الدكتور أحمد مختار العبادي في كتابه: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ٢٥٧، ٢٦٢، الرمزي: من تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار ١/٢٢.

Runci; an; A History of the Crusdaed Vol.III Donn of Acye Book 3 chaprer 4/315

(٩٦): ابن الوردي: تاريخه ٢/٢٩٧، اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٣٦١

هولاكو العديدات، وهذه العلاقة الطيبة بينها وبين زوجها، جعلها تتصرف في الأمور السياسية مما كان له رد فعل كبير في التودد إلى الصليبيين الذين كانوا يحكمون في فلسطين وبخاصة على الساحل[٩٧] وكذلك في بقية المناطق من بلاد الشام.

ـ كتبغا نوين (ت ٦٥٨/ ١٢٦٠)

رئيس أركـان الجيش المغـولي، وقائد أحد الجيوش التي استولت على بلاد واسعة[٩٨]، وقائد التشكيل من الجيش الذي احتل بغداد وشارك في مجازرها، وفي اجتياح حلب، وفي التقدم نحو دمشق، وهو قائد الجيش المغولي في معركة عين جالوت، الذي عهد إليه القيام باحتلال ماتبقى من بلاد الشـام، ثم المتـابعـة نحـو الاراضي المصرية، كلفه هولاكو بهذه المهمة الخطيرة، وتركه ليلتحق ببـلاد فارس مع الكتلة الـرئيسيـة للجيش، وبقي مع كتبغـا تشكيـل يقدر بعشرة آلاف جنـدي، لقـد وقـع الاختيـار على هذا القـائـد لما له من صفـات قيادية، وللثقة التي أولاها إياه هولاكـو وقـد اشتهـر بالفـراسـة وحسن التصـرف في جميـع الاعـمال المنوطة به[٩٩] وبفتح القلاع والحصون المنيعة[١٠٠] وقد قتل في هذه المعركة على يد آقوش الشمسي[١٠١].

بعـدمـا استـولى الجيش المغولي على بلاد الشام كلف هذا القائد بتوليه مسؤ ولية هذه البلاد وإدارتهـا فمن الـوجهـة العسكـرية قسم الاراضي المحتلة إلى مناطق عسكرية، وعين لها القادة المـوثـوقين، ومن الوجهة السياسية استعان بالعملاء من هذه البلاد بمعاونته في إدارتها، ثم اتخذ الاجـراءات الكفيلة للتحـالف مع الفـرنـج وكـان يدرك أهمية هذا التحالف للقيام فيما بعد ضد الجيش المملوكي والـدولـة المملوكيـة الجـديـدة التي اعتـبرت رمـزا للانقـاذ من بطش المغـول وسيطـرتهم، وإذا ماتحقق له تدمـير الجيش المملوكي فإنـه في الافضليـة الثـانيـة سيـدمر الجيش

---

(٩٧): أبـو شامـة: تراجم رجـال القـرنـين السـادس والسـابع ٢٠٨، الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/ ٢٢٠، ومابعدها، خطط الشام: ٢/١٠٨، العزاوي: تاريخ العراق ١/٢٥٢، ٢٥٣، الدوميلي: العلم عند العرب: ٢٩١، وكانت زوجة هولاكو تميل إلى السكان المسيحين، ملحقة الغدر بالمسلمين انظر:

Encyclopedie de L'Islam - Publie Avesle Concoûrs Des Principaux Orientalistes - Tom II - 353

(٩٨): الهمذاني: جامع التواريخ ٣/١/٢٤٣، ومابعدها ٣١٤

(٩٩): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/٩١

(١٠٠): الهمطاني: جامع التواريخ ٢/١/٢٤٣

(١٠١): ابن تغريّ بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/٩٣

الصليبي وبذلك يقضي على عدوه بالتالي جزءا فجزءا، ولكنه لم تتح له الظروف المواتية فانهزم جيشه في معركة عين جالوت، وابتعد الفرنج عن التحالف وباتوا يتقربون من الدولة المملوكية ويظهرون الود والتأييد(١٠٢).

- اشموط بن هولاكو:

هو الابن الثالث لهولاكو(١٠٣) واحد قادة التشكيلات المغولية، والذي كان مع أبيه أثناء الاجتياح، والذي كلف بعد احتلال بغداد أن يتوجه إلى حلب، ويقطع الفرات ويصل بجيشه إلى نهر الجوذوتل باشر مار بالمسلمية ثم جيلان والحاري(١٠٤)، ولهولاكو ولد آخر يدعى أبغا الذي كان أيضاً من القادة المشهورين، وقد هزم أمام ابن أخي بركة خان الذي كان على خلاف مع بني جنسه(١٠٥) وهو نفسه الذي تحرك للثأر من المماليك في سنة ٦٥٨ / ١٢٦٠ في أعقاب معركة عين جالوت على أثر هزيمة المغول فيها، فوصل حلب، ولكنه فر عندما علم بتحرك الملك الظاهر بيبرس إليه(١٠٦).

- بايجونين:

كان قائدا مشهورا بالشجاعة والبطش وكان موضع ثقة هولاكو إذ كان يرسله في حملات كبيرة، ومهمات صعبة إلى إيران، وبلاد الروم(١٠٧) وكان رئيس أركان الجيش المغولي الذي كان يتقدم جيش هولاكو عند زحفه على بغداد(١٠٨)، تقدم بجيشه نحو العاصمة العراقية وقبل

---

(١٠٢): العريني: المغول ٣٥٤

Runciman; A History of The Crusades Vol. III The Kingdom of Acre Book 3/chapter 4/317.

(١٠٣): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٢٢٥

(١٠٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/٧٤

ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٥/٢٨٨

الشهابي: تاريخه ٤٣٢، ٤٣٦

(١٠٥): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/١٤٩

(١٠٦): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/١٥٥

(١٠٧): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٢٣٣ ومابعدها ٢٣٥

(١٠٨): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٤٩

الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ٣٢٠، ٣٢٣

مرحلتين من الوصول إليها استطاع أن يجر بحيلته وخداعه الحربي جيش بغداد خارج المدينة، فلما وقع الجيش العراقي في الفخ أطبق عليه بايجونين من الميمنة والميسرة وابتلعه كما تبتلع الحية فريستها بأسلوبي الالتفاف والاحاطة، وهما الاسلوبان اللذان كان يستخدمها الجيش المغولي في قتاله ومن ميزاتها استدارج العدو حتى يصل إلى الارض التي يمكن أن يكون فيها، حيث يحاط به من الامام والمجنبات والخلف[109].

تقدم رئيس الاركان هذا بعد أن قضى على الكثرة الكثيرة من الجيش وحاصر بغداد بخطة عسكرية طبق فيها مبدأ الحصار من جميع الجهات ولم يدخلها إلا بعد التأكد من نفاذ التموين والتكديس من المؤ ن والذخائر، وبعد سيطرة رعب خيم على سكان بغداد الهاربين إليها منذ الوقعة الكبر ى[110].

خلال الحصار حفر خندقا وسورا لئلا يقع تحت هجوم مضاد، يتوقع أن يشنه سكان بغداد والعسكريون وكذلك فإنه يستفيد منه في المراقبة وفي حماية جنوده المنتشرين كطوق يحيط بالمدينة[111].

بعد هذه العمليات المتتابعة من الحرب المادية والنفسية، خرج الخليفة يتلمس الصلح، ويطلب حقن دماء هذه المدينة، لكن هولاكو القائد العام للجيش المغولي أمر بقتل الخليفة وبطش بالمدينة، ونزل إليها فدمرها وأحرقها وسبى أهلها، وقتل أكثر من فيها وأحرق الكتب[112].

- بيدرا:

حفيد هولاكو قائد مغولي، كان قائد الطليعة التي وصلت إلى غزة، والذي أرسل تقريرا إلى قائد الجيش كتبغا يخبره فيه عن قوة الجيش المملوكي وأسلحته ونيته للقتال وقادته، والذي تراجع تحت ضغط الجيش المملوكي من غزة إلى عين جالوت بالرغم من صدور الأمر إليه من قائد جيشه (كتبغا) بالثبات في مكانه حتى وصول القوة الرئيسية من الجيش المغولي إليه، لكنه لم يستطع

---

(١٠٩): ابن تغري بردي: المصدر نفسه ٧/ ٤٩

(١١٠): ابن تغري بردي: المصدر نفسه ٧/ ٤٩

(١١١): ابن تغري بردي: المصدر نفسه ٧/ ٤٩

(١١٢): ابن تغري بردي: المصدر نفسه ٧/ ٥٠ ومابعدها.

الثبات بسبب قوة اندفاع الجيش المملوكي وآثر الانسحاب إلى مناطق نائية في الشمال مما سمح للجيش المملوكي أن يتقدم بسرعة ويسبق خصمه في احتلال المواقع المناسبة، وبنفس الوقت فإن الجيش المغولي لم يستطع أن يرسل طليعة أخرى للسرعة التي كان عليها خصمه، وللارتباك الذي حصل نتيجة الانسحاب الاضطراري، حينئذ استطاع الجيش المملوكي أن يستغل هذه الظروف ـ وهذا الوقت بالذات ـ أن ينفذ إلى الساحل وأن يغيب عن أعين الرصاد(١١٣).

لقد قاد بيدرا الجيش المغولي المشتت بعد إعادة تجميعه بعد معركة عين جالوت، وهاجم باتجاه المحور الشمالي إلى حلب حماة حمص ولكنه فشل في هجومه هذا، ومني بهزيمة نكراء في سنة ٦٥٩/١٢٦١ على يد الجيش المملوكي الذي أظهر من الشجاعة والتصميم، والخفة والمناورة(١١٤).

إذا استعرضنا القادة والاركان في الجيشين المملوكي والمغولي، لوجدنا الصفات القيادية متشابهة، وإن اختلفت بعض منها، فإنهم جميعا يتصفون ببعد النظر، والحس الحربي، ولهم تجربة وخبرة في قيادة الجيوش والتشكيلات المقاتلة، وإن كان قادة الجيش المغولي أعمق خبرة وتجربة، يقابله في الجيش المملوكي التدريب المتواصل على الاعمال الحربية ويتحملون جميعاً الاعباء الجسام، والمسؤوليات الكبيرة، ويصبرون في الشدة والبأس، ويقدمون حين يدعون إلى الحرب ولايخافون إن اعترضتهم المخاوف.

لدى قادة الجيش المملوكي صفتان مهمتان في الحرب هما التصميم والتركيز، فلقد كان هؤلاء مصممين على النصر مهما كلف ذلك من ثمن سيما وأنهم يدركون نتائج الفشل في هذه المعركة التي ـ وإن كان تصميمهم فاترا ـ فسوف يلقون الموت والعذاب ولاتقوم لهم قائمة بعد الان.

وأما التركيز فكان يظهر في دراسته المخطط القتالي بكل حذر وحيطة، ويدركون تماما الخطوات التي تسبق المعركة الفاصلة فهم قد طاردوا بيدرا، وأخفوا عن القادة المغوليين كل تحركاتهم وركزوا جهدهم الرئيسي في الاسباب الموصلة إلى النصر، في حين أن قادة الجيش

---

(١١٣): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣١٣ العريني ـ المغول ٢٥٨

Runciman; A History of The Crusades Vol, III The Kingdom of Acre Book 3/chapter 4/317.

(١١٤): الذهبي: دول الاسلام ٢/١٢٥

المغـولي كانـوا معجبـين بأنفسهم قد غرهم الانتصـار السابق في دول مختلفة وكان التراخي يبدو على تحركاتهم في مسرح العمليات وعلى ملاقاتهم أثناء المعركة وفي مطاردة فلولهم المهزومة بعد المعركة[115].

وإذا كانت المظاهر الجسمية تدل على القائد والقيادة فإن قادة الجيشين كانوا من أصل متشابه إلا أنهم يختلفــون في بعضهـا، فإذا دققنـا في الصفـات التي مرت نرى المغـول يتميـزون بكـبر هامـاتهم، ورشـاقة أجسامهم، مما أعطاهم خفة وحركة في ميدان المعركة، أما القادة المملوكيون فإنهم يتميـزون بطـول أجسـامهم وعرض المنكبين وكما هومعلوم فإن للصفات الجسمية كالشعر والانف والاذن والعـين والاعضـاء دلائل تشير إلى الرجل القوي والشجاع، وإلى القائد الذي يتميز بقيادته[116]، فهم جميعا متشابهون يوازن بعضهم بعضا من هذه الناحية.

---

(١١٥): الاسحاقي: أخبار الأول فيمن تصرق في مصر من أرباب الدول ١٣٢

(١١٦): الرماح: مخطوطة نهاية السؤال والامنية في تعلم أعمال الفروسية: ١٠٩ ـ ١١٢

الفصل الخامس
التنظيم والتوجيه المعنوي





وهـو الـرجـل المعدود الذي فتح بلادا كثيرة، ودخل مواقع حربية متعددة[٣]، والاتابك معناه أيضا الرجل الذي يربي أولاد الملوك[٤]، وهذا اللفظ ايضا استخدمته الدولة الرسولية في اليمن التي كانت معـاصـرة للدولة المملوكية[٥]، وممن تولوا هذه الوظيفة الظاهر بيبرس، وفارس الدين أقطاي المستعرب في معركة عين جالوت[٦]، وقد اشتهر من الاتابكة يلبغا وكان تحت امرته ثلاثة آلاف وخمسـمائـة مملوك[٧]، وإينـال اليـوسفي في أيام السلطان حاجي[٨] بيده الأمور العسكرية، يتصـرف في الجيش، ويعيـد تنظيمـه، وينقله من مكان لآخر، وعادة مايوكل اليه أمر البلاد بعد موت السلطان، او بعد خلعه، أو حين تولي السلاطين الصغار الملك[٩].

أمير سلاح:

يكون من أمراء المئة وهو مقدم (السلاحدارية)، وظيفته تولي أمور السلاح الخاص بالسلطان أو الأمـير، والمسؤول عن المستـودعات الخاصة بالسلاح وحفظه وصيانته، وعن العاملين، وعن نقـل السـلاح وتأمينـه الى السلطـان عن طريق الشـراء أو التصنيع[١٠]، وكان امير سلاح اينال اليحياوي الظاهري الملقب (الاشقر)[١١]، وهذه التسمية اتخذها الأيوبيين من قبل، وتدل على نفس المعنى[١٢]، وهو مايعبر عنه في الوقت الحاضر مدير ادارة الاسلحة والذخائر.

---

(٣): ابن خلدون: تاريخه ٥/٢٢٧ ومابعدها.

(٤): ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ٧.

(٥): الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ٢/١،٢، ٨٨٤٤، ١٠٤، ١٦٨.

(٦): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٧٨، ٩٠، ٣١٨.

(٧): ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك ١١٣.

(٨): ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١/٤٣٣.

(٩): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٦٥٦، ٦٥٨.

(١٠): القلقشـنـدي: صبـح الاعشى ٥/٤٥٦، الصـيرفي: نزهـة النفوس والابدان في تورايخ الزمان ١/٣٧، زكي: السلاح في الاسلام: ١١. Coudefroy Demombynes La Syrie a lepoque des Mamlouks 3157.

(١١): السخاوي: الضوء اللامع في أخبار القرن التاسع ٢/٢٣٠.

(١٢): أبو شامة: كتاب الروضتين ١/١١٤/٢٦٦، الداوادراي: الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ٩/٣٩، ٣٠٥.

أمير مجلس :

يختص بمجلس السلطـان أو الامـير وتـرتيبه وحراسته والمحافظة عليه[١٣]، وهو المسؤول عن الاطباء، والشؤون الطبية والأدوية، وكل ما يتعلق بأمور العلاج.

أمير دودار الكبير[١٤] :

وظيفتـه حمل دواة السلطـان أو الأمـير، وعمل كل ما يتعلق بها ويرتبط من أعمال[١٥]، وتبليغ الـرسـائـل الصادرة عن السلطان والامور العامة، وتقديم البريد، والمشاور في أمر من يحضر الى الباب، واخذ العلامة من السلطان في كل المكاتبات التي تصدر عنه، وقد يكون «الدوادار» نائبا في احدى النيابات، أوحاجب الحجاب، وقد يطلق عليه الدوادار الكبير[١٦]، وقد يأخذ ارقاما، أويتولى وظائف كنائب نيابة أو كوالي[١٧]، كما استخدم الايوبيون من قبل هذا اللفظ[١٨].

أمير آخور الكبير[١٩]:

يضـاف «الكبـير» في مصـر وفي النيـابات الرئيسية مثل دمشق وحلب[٢٠]، وظيفته تأمين كل مايلزم لشؤون الخيـل والابـل ونحـوهـا من مأوى «اسطبـلات وعلف، وتنظيم الخدمة الطبية،

---

(١٣): القلقشندي: صبح الاعشى ٥/٤٥٥، السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/١٣٣.

(١٤): الدوادار لفظ عربي فارسي مركب من الدواة وهو مايكتب منها، ودار ومعناها ممسك، ويكون ممسك الدواة.

(١٥): القلقشندي: صبح الاعشى ٥/٤٦٢، السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/١٣٠، ١٣٤، ستينجاس: المعجم الفارسي الانكليزي ٤٩٥.

(١٦): ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١١٤.

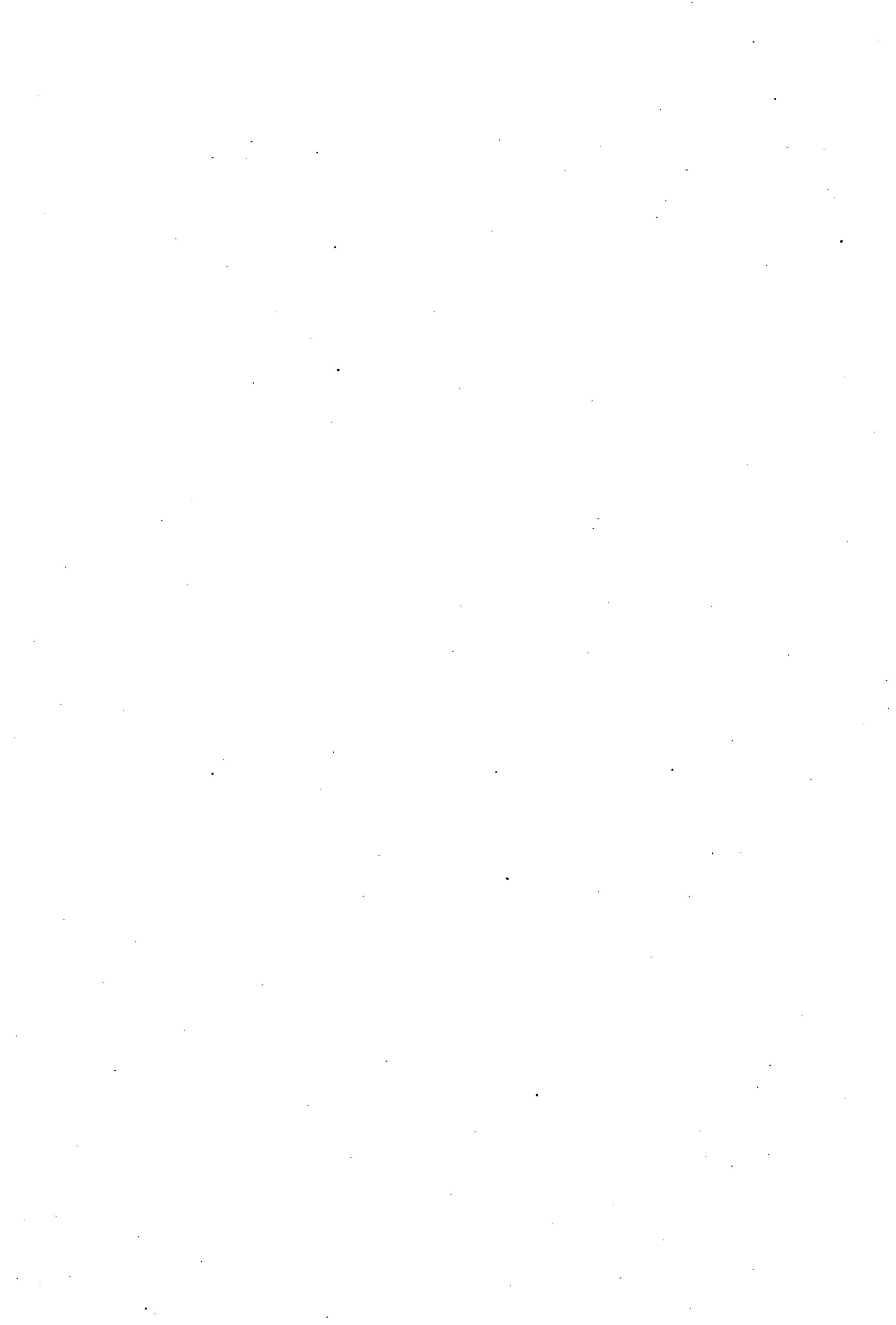
(١٧): ابن طولـون: مفـاكهـة الخـلان في حوادث الـزمـان ١/٧٨، ٨٣، ١٦٤، ١٦٦، ٢/٨١، ابن تغـري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٢/٥٥، ٧٨، ١٢٩، ١٦٣، ١٨٩، ٢١٢، ٢٩٠، السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/١٣٤.

(١٨): الدواداري: الدر المطلوب في أخبار بني أيوب ٧/٢٧٣.

(١٩): هو لفظ بمجمله عربي فارسي مركب من أمير، وخور معناه المعلف فيكون أمير الملعف أو المذود.

(٢٠): ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ١/٤٢، ٩٥.





يشغل هذه الوظيفة، إنما هو من أقرب المقربين إلى الملك وبيده كل شيء فيما يتعلق بتصريف الأمور[٣٤]، وله وظائف منها مرافقة السلطان في المواكب والاحتفالات والفصل في الدعاوي، وكذلك تلك التي لاتعرض على الديوان، والحكم بكل صغيرة وكبيرة، وإنصاف الامراء والجند أما مباشرة من قبله، أوعن طريق السلطان أو النائب، وتقديم أو رد من يشاء من الجند وغيرهم[٣٥].

يطلق على أكبر الحجبة (صاحب الحجاب) أو (أمير حاجب الحجاب)[٣٦]، وهويلي في المرتبة نائب السلطان[٣٧]، الذي اتسعت صلاحياته، وتجاوز الذين يتولونها مهامهم المحددة، إذ صاروا ينظمون في أمور الناس بالاضافة إلى العسكريين لابتزاز أموالهم، فيتحكمون فيمن يشاؤون بالضرب وأخذ المال، فلا يتعرض لهم أحد، ولايمانعهم القضّاة الشرعيون الذين كان من اختصاصهم النظر في هذه المواضيع التي استبد بها الحجاب وأميرهم[٣٨]، ومضت فترة على هذ الوظيفة كان الأمير فيها كنائب السلطنة تماما، يحكم بين الناس وتعرضت لمد وجزر، إلى أن استمرت في صلاحياتها الواسعة ونفوذها بين العسكريين والمدنيين على السواء[٣٩].

أمير خازندار الكبير[٤٠].

وظيفة هذا الامير حفظ الاموال بعد استلامها من الجهات المختصة وتوزيعها تبعا لاوامر السلطان أو الامير[٤١] ويقود عدد من الخازندارية على مختلف الدرجات[٤٢] ويمثل في الوقت

---

(٣٤): ابن تغري بردي النجوم الزاهرة ٧/١٨٥

(٣٥): ابن خلدون: تاريخه ١/٢٠٢

(٣٦): ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١١٤

الصيرفي: نزهة النفوس والابدان في تاريخ الزمان ١/٤٧ Lane-Poole A History of Egypt in

(٣٧): الصيرفي: نزهة النفوس والابدان في تاريخ الزمان ١/٤٧ the Middle Ages 5/1557 156

(٣٨): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣/٦٠، السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/١٣١

(٣٩): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣/٦٤

(٤٠): لفظ عربي فارسي مركب من أمير وهي عربية، وخزانة أي مستودع أوخزينة المال، ودار وهي فارسية ومعناها ممسك فيكون المعنى ممسك الخزانة

(٤١): القلقشندي: صبح الاعشى ٥/٤٦٢، ستبنجاس: المعجم الفارسي الانكليزي ٤٩٥ - ٦٩١
Lane- Poole: A History of Egypt in the Middle Ages 5/1557 156

(٤٢): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٣/١/٣٥، ٨٤، ٣/٢/٥٨٤، ٣/٣/١١٠٥

الحاضر مدير الادارة المالية مع توسيع الصلاحيات في ذلك، والتخصيص في هذا الوقت.

أمير جاندار[٤٣]

وظيفته استئذدان الامراء في أيام العرض، وعند الجلوس بدار العدل والمسؤول عن باب السلطان وحاشيته، وتقديم البريد، وتنفيذ عقوبة القتل للامراء الذين يرتكبون جرما، والذين قرر السلطان إعدامهم والاحتفاء بالسلطان في حال قدومه من السفر، والسجن[٤٤] «الزردخاناه» والذين يحملون «الغاشية» بين يدي السلطان «الركبدارية» «والمرؤوسين من الجندارية» وعن المعتقلين وغيرهم[٤٥].

هناك بعض الامراء الذين تقل أهميتهم ورتبتهم عن الذين سبق الكلام عنهم، وهم الذين لايشترط أن يكون تحت أمرتهم بعض العسكريين مثل «أمير شكار»[٤٦] وظيفته تأمين جميع أمور الصيد وما يتعلق بها وهو يساعد الملك في الصيد، ويرافقه في رحلاته[٤٧].

و«أمير طبر»[٤٨] وظيفته مرافقة السلطان أو الأمير، والاشراف على العناصر (الطبردارية) وتأمين مايلزم لهم[٤٩] و «أمير علم» وهو الذي يتولى أمور الاعلام والرايات ومايتعلق بها، وأمور (الطبلخاناه) ومافي حكمها[٥٠] و(أمير المنزل) المسؤول عن حراسة المنازل والبيوت للسلطان

---

(٤٣): لفظ عربي فارسي مركب من ثلاث كلمات الأولى أمير، والثانية جان ومعناها الروح والثالثة دار فيكون المعنى بالكامل «الامير الممسك بالروح».

(٤٤): القلقشندي؛ صبح الاعشى ٤٦١/٥، السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ١٣٠/٢، الصيرفي: نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ٣٥/١، ستبنجاس: المعجم الفارسي الانكليزي ٣٥٣، التوتنجي: المعجم الذهبي ١٩٩

(٤٥): المقريزي: الخطط ٦٤/٣. ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: ٢٠/٤، أبو شامة: كتاب الروضتين ٢٤٦/١

(٤٦): لفظ عربي فارسي مركب من أمير وشكار معناها الصيد فيكون المعنى بالكامل أمير الصيد.

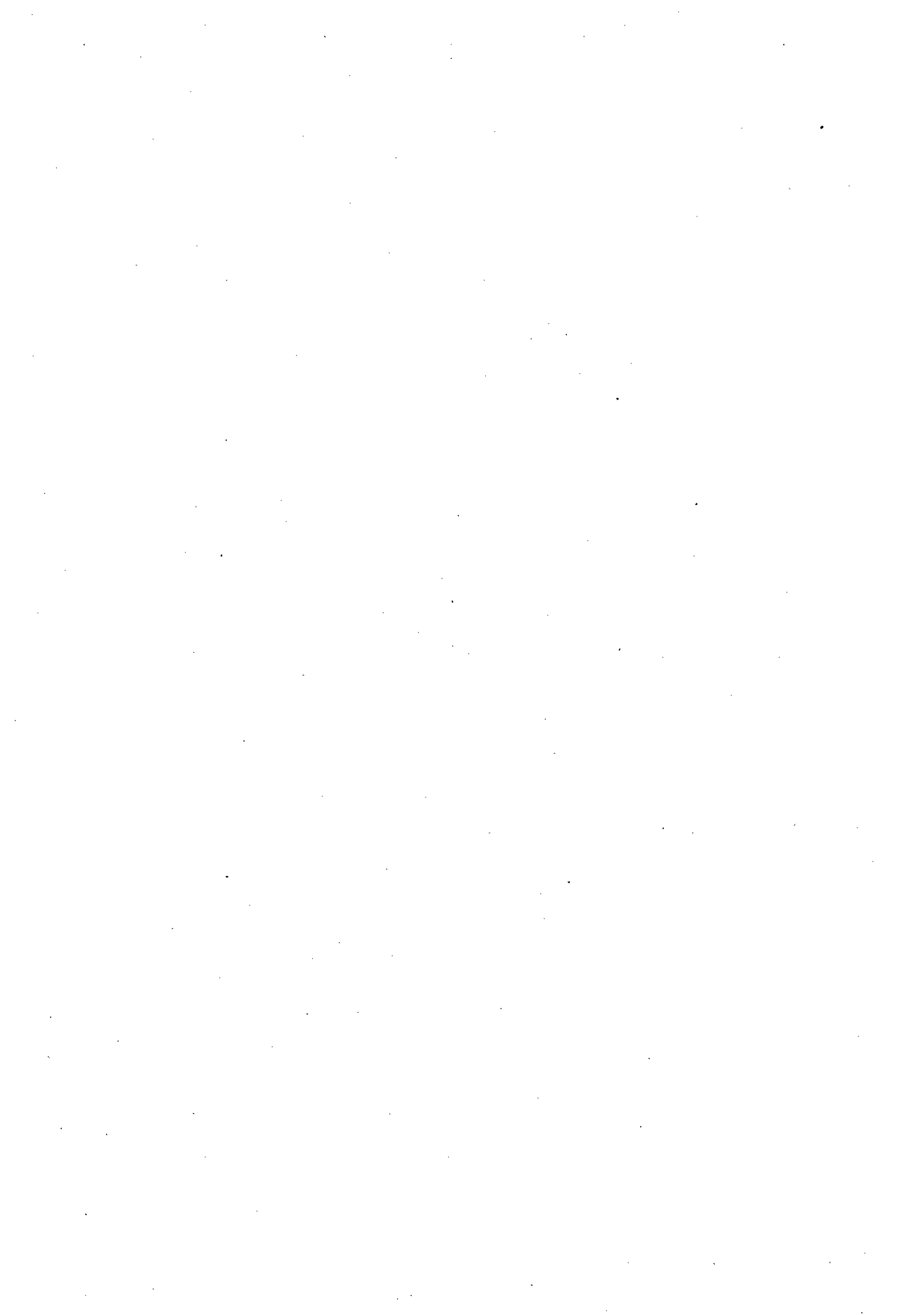
(٤٧): القلقشندي: صبح الاعشى ٤٦١/٥، ستيجناس: المعجم الفارسي الانكليزي ٧٥١

(٤٨): وهو لفظ عربي فارسي مركب من أمير وطبر هو الفأس.

(٤٩): القلقشندي: صبح الاعشى ٤٦٢/٥، ستينجاس: المعجم الفارسي الانكليزي ٨٨

(٥٠): القلقشندي: صبح الاعشى ٤٥٦/٥، ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١١٥





أثناء القتال فقط[٦٦].

أمير خمسين:

هو تنظيم استثنائي، يلجأ إليه في بعض الاحيان وعندما تدعو الضرورة، وعندما يراد زيادة بعض الامراء بعشرة فوارس أو بعشرين[٦٧]

أمير ثمانين فارسا:

لاتوجد هذه الوظيفة وهذا العدد إلا في سلاح الفرسان[٦٨] وهي جماعة من الخيل تدعى المقنب، أو المنسر[٦٩]

أمير مئة:

يقابله اليوم قائد سرية[٧٠]

أمير ألف:

وهو أعلى تشكيل في القوات المسلحة المملوكية، يقود هذا الامير ألفا من المقاتلين وعادة ما يكون من الامراء ومن الرتب العالية، ومن المقربين إلى السلطة[٧١].

أمير مئة مقدم ألف:

هذه تسمية تركية، تدل على أن الامير له مئة مملوك يقومون بخدمته، وقد يزداد هذا العدد إلى عشرة أو عشرين فوق المائة، وقد يصل إى الثلاثمائة وهذا نادر[٧٢] ولهذا القائد بنفس الوقت ألف من أجناد الحلقة يقودهم أثناء الحروب، ويقابل اليوم قائد لواء، ورتبة المقدم هذه أعلى

---

(٦٦): المقريزي: الخطط ٣/٥٢/٥٣

(٦٧): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢/٨٩، ١٧٧، المقريزي: الخطط ٣/٥٢

(٦٨): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٨/١٦، ١٢/١٧٧، ١٧٨

(٦٩): السكيت: مختصر تهذيب الالفاظ ٨٧، ابن سيده: المخصص ٦/٢٠٠

(٧٠): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٩/٧٩، ١٠/٢٣، ١٢/٩، ١٢٦

(٧١): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢/٧١، ٨٩، ١٤٢، ١٨٨، ٢٧٦

ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ١/٣٥

ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٣/٢٤٥

(٧٢): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/١/٩، ٢٣، ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣/٣٨٥

الـرتب في الجيش المملوكي، كما كانت من قبـل في الجيش السلجـوقي والجيوش التي تلت(٧٣)، والمقدم حسب اختصاصه وانتمائه قد يكون مقدم المماليك السلطانية، أو مقدم العساكر المجـردة(٧٤) أو مقـدم الجيش أو الاسطبـل أو الـرفرف أو البريدية، أو الطبلخاناة، أو الحلقة، أو الوالي، وهناك مقدم الجبلية، ومقدم التركمان(٧٥)، وللمقدم هذا نائب ينوب عنه في حال غيابه أو قتله في المعركة(٧٦)، وقد يكون العسكر فوق كل المقدمين إذ يمكن أن يكون رئيس تجريديه، أو رئيس مجموعة قتالية، أو قائد جيش ميداني(٧٧)، وهناك وحتى على مستوى البحرية كان يطلق على القائد مقدم البحرية الذي كان يقود السلاح البحري بكامله(٧٨)، وبهذا فإن المقدم قد يقود أربعين، أو يقود الفا، أو أكثر، وذلك حسب وظيفته إن كان مقدم طبلخانـة، أو مقدم العساكر، أو مقـدم البحـريـة، ويقوم بخدمة كل أمير عدد من المماليك حسب رتبّته ووظيفته فإن كان أمير عشـرة، فإنه يقوم بخدمته عشرة مماليك، وإن كان أكثر من ذلك فإنه يقوم بخدمته حسب العدد المخصص له، أما المقدمون فيقوم بخدمتهم مائة مملوك، ويتبع له أيضا جوقة موسيقية مؤلفة من ثمانية أحمال طبلخانة وطبلين وزمرين وأربعة انفرة(٧٩).

هؤلاء الأمراء يقودون تشكيلات مختلفة في الحجم تبتدىء من:

---

(٧٣): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٠/٢٣، ٢٥٩، ١٢، ٥، ٦٢، ٧٨

(٧٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٠/١٠٧، ١١٥، ١٣٧، ٣٣١

(٧٥): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢/١٢٦، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢٥٠، ٣٠٥

القلقشندي: صبح الاعشى ٥/٤٦٨

(٧٦): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٣/١/٦٨

ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١١/١٠٥، ١٢/٢٥٠، ٣٥٠

(٧٧): الحلبي: تحفة الظرف في مناقب الملوك والخلف ٧٥٦

(٧٨): ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١١٣

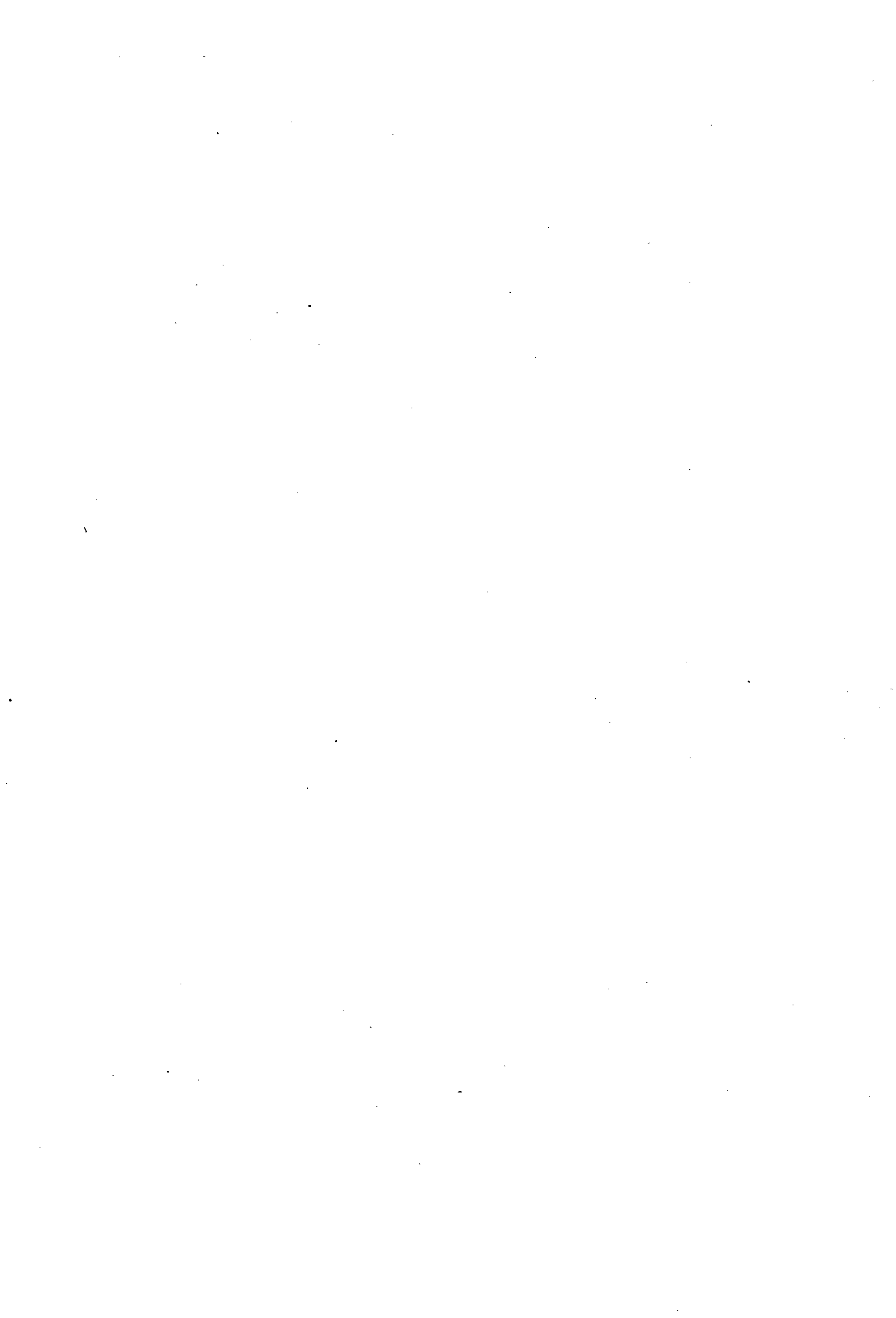
(٧٩): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢/٧١، ٩٤، ١٠٤، ١٤٢

المقريزي: الخطط ٣/٥٢

ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ١/٣٥

ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣/٣٨٥

(٨٠):





والتجهيزات اللازمة للقيام بالاعمال القتالية(٩٢).

- حجم الجيش:

كان في عهد الملك الظاهر أربعين ألفا(٩٣)، وبلغ عدد المماليك أثني عشر ألفا(٩٤) وبلغ الجيش الناصري عندما فتح القاهرة وتغلب على الملك الظاهر برقوق ستين ألفا(٩٥)، وفي زمن الملك المنصور قلاوون سبعة آلاف والأشرف خليل ابن الملك قلاوون اثني عشر ألفا، والناصر محمد بن قلاوون أربعة وعشرين ألفا والظاهر برقوق ثمانية آلاف والملوك الذين أتوا من بعده خمسة آلاف جندي(٩٦) وبلغ حجم الجيش المركزي أربعة وعشرين ألفا من أجناد الحلقة وعشرة آلاف من المماليك السلطانية، وثمانية آلاف من مماليك الامراء(٩٧).

---

(٩٢): المقريزي: الخطط ٣/٥٢

(٩٣): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/١٩٦

(٩٤): مبارك: الخطط التوفيقية ١/٩٨

(٩٥): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١١/٢٨٧

(٩٦): المقريزي: الخطط ١/١٧٤ ومابعدها

(٩٧): ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١٠٤

حجم الجيوش الاقليمية

الجيوش	أميركبير نائب	حاجب الحجاب	مقدم الف	أمير طبلخا	أمير ٢٠	أمير ١٠	أمير ٥	كاتب سر	ناظر الجيش	استادار العالية
دمشق	١	١	١	٢٠		٦٠		١	١	١
حلب	١	١	١	١٠		٢٠		١	١	١
طرابلس	١	١	١	١٠		٣٠	١	١	–	١
حماة	١	١	١	٥		٢٠	١	١	–	١
صفد	١	١	١	٣		٢٠	١	١	–	١
الاسكندرية	١	١	١	–		١٢ مقدم لكل مقدم ٣٠ جندي		١	١	–
الكرك	–	–	–	–				١	١	–
غزة	١	١	١ [99]	–		١٠		١	١	–
فلسطين	١	١	١	٨		٣٠		١	١	–

٩٨ الكرك : يتولاها أتابك العساكر ويقوم مقام نائب السلطان في كل وظائفه انظر ابن شاهين الظاهري : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١٣٢ .

وكانت هذه المملكة قليلة الاهمية بالنسبة للممالك الاخرى، فيما يتعلق بالامور العسكرية انظر البخيت: مملكة الكرك ١٢٣ .

ناظر خاص	وزير	نائب قلعة	كاشف	نقيب الجيش	حجاب	جنود حلقة	المماليك	الاتابك	مقدم بريد	شاد بحر	شاد سلاح
١	١	١	٢	١	٧	٢٠٠٠	٣٠٠٠	١	١		
١	١	١	١	١	٥	٦٠٠٠	١٥٠٠	١	١		
١	١	١	١	١	٤	٤٠٠٠	٦٠٠	١	١	١	
١	١	١	١	١	٤	٤٠٠٠	٦٠٠	١	١		
١	١	١	١	١	٤	١٠٠٠	١٠٠٠	١	٢		
١	–	١	–	١	٣	٣٦٠	–	–		١	١
–	–	١	١	–	٢	١٥٠	–	–(٩٨)			
١	١	١	١	١	–	١٠٠٠	–	–			
١	–	١	–	١	–	١٠٠٠	–	–			

٩٩ غزة: مقدم العسكر هو الذي يتولى شؤون العسكر في غزة، ويقوم مقام العساكر: انظر ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١٣٤.

كان عدد الجيوش الاقليمية غير متساو فهو في دمشق معظمه[١٠٠] وفي الكرك أقله، ويأتي جيش حلب في المرتبة الثانية بعد جيش دمشق[١٠١]، ومما يذكره المؤرخون أنه كان في حلب ثلاثة أمراء برتبة مقدم ألف وثلاثون أميرا برتبة (طبلخاناة) وعشرون ضابطا آخر وقائد القلعة الذي كان مستقلا[١٠٢]، ولكل جيش إقليمي جهازه الخاص به وإمراؤ ه ومقدموه، كما أنه يلاحظ أن لكل جيش بحارته وجهازه الخاص، فهو يمتاز بمواكبه واستعراضاته وتراتيبه وبمراكبه البحرية.

ليس العدد واحدا في كل زمان ومكان، فهو يتغير تبعاً للمهام المكلف بها، ولفكرة السلطان القاضية بإعادة تنظيم هذا الجيش بما يتناسب مع الامكانيات والظروف الراهنة، ففي هذا الجدول بلغ عدد الجيوش الاقليمية حوالي ٣٥٫٠٠٠ ألف أو أكثر، بما في ذلك المماليك الذين كانوا يشكلون نسبة قليلة من تعداد الجيش العام[١٠٣].

يمكن للجيش الاقليمي أن يدخل المعركة لوحده، وذلك لوجود الصنوف المختلفة من الاسلحة المتوفرة فيه في ذلك العصر، وهو بهذا يعتبر قوة مشتركة لايحتاج إلا إلى دعم بحري حين يدخل معركة بحرية، وإلى دعم بري حين يكون عدوه أكثر منه عدة وعددا.

هناك جيوش اقليمية غفل عن ذكرها ابن شاهين الظاهري في كتابه زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك كجيوش حمص والقدس وما إلى ذلك، في حين أنها اشتركت في القتال مع الجيوش الاقليمية الاخرى، وصدت بعض غزوات الاعداء، كما أنها كانت تسكن في قلاع الولايات، ولها الامراء المعينون لقيادتها[١٠٤]

---

(١٠٠): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/١٨٢

(١٠١): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/٢١٦

(١٠٢) Rey- Les Colonies Franques De Syrie Aux XII Ne Siecles Pages : 143.

(١٠٣): ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١٠٤ ومابعدها ١٣١ ومابعدها.

(١٠٤): الحنبلي: الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ٢/٢٧١، ٢٩٣

المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٤/٤٤٦

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: دراسات في تاريخ وآثار فلسطين ١/١٥٠ ومابعدها

حجم الجيوش الاحتياطية:

هذه الجيوش تعبأ عند اللزوم وهي قد توجد في كل ولاية، ويمارس الرجال فيها أعمالهم المعتادة أثناء السلم وفترات الهدوء في البلاد، وهي تنتسب إلى فئات مختلفة من المواطنين منها: العرب البدو الذين ينتمون إلى قبائل مختلفة منها الطوائف التركمانية ومنها العشائر الكردية، ومنها المصريون سكان البلاد الذين يسكنون في بلادهم ومناطقهم وأراضيهم لكل فئة من هذه الفئات جيشها الذي تعده بما يلزم من وسائط القتال، ومن الاعتدة الحربية التي تفرض عليهم من قبل الولاة والأمراء، لهذه الجيوش تقسيماتها ووظائفها العسكرية كما في الجيش النظامي تماما، ولها دور كبير في الحروب وبخاصة في الدفاع والحروب المحلية[١٠٥]

لقد بلغ حجم جيش القبائل العربية ٩١ ألف مقاتل[١٠٦]، وكان مؤلفاً من عدة قبائل، ويختلف حجم كل قبيلة وذلك تبعا للامكانات الاقتصادية المتوفرة، وللمهام المكلفة بها، ولعددها، وكان حجم قبيلة «قبائل» آل فضل وعرب الحجاز وعرب هواره يفوق عدد القبائل الاخرى إذ بلغ الجيش ٢٤ ألف مقاتل، ثم يأتي في الدرجة الثانية عرب الحجاز والعراق إذ بلغ ٢٠٠٠ مقاتل ثم يأتي بعد ذلك الأعراب الأخرى مثل يلملم والجزيرة ومتروك والجرم وجذام والعائد ومحارب وفزاره وغيرهم إذ بلغ جيش كل قبيلة من هؤلاء ألف مقاتل[١٠٧].

ولقد بلغ حجم جيش التركمان ١٨٠ ألف مقاتل[١٠٨] وكان منتشراً، ومقسما في الطوائف التركمانية التي كانت تسكن حول غزة إلى ديار بكر، وكان أشهر هذه الطوائف الأوزاية وبكرلو والبازاتية والمرعشكولار والآراكية والخرنبدليه وغيرها يشكلون جميعا هذا الجيش الكبير الذي فيه من الامراء خمسة وثلاثون، وكان كل أمير يقود ألفا من المقاتلين، ولهم شدة وبأس في القتال.

أما جيش الاكراد فقد بلغ ٢٠ ألف مقاتل، وأما المواطنون فكانوا يشكلون ٦٦ ألف مقاتل[١٠٩]، إن هذه الجيوش كانت تشكل قوة كبيرة، ورفدا كبيرا للجيش النظامي ولقد كان

---

(١٠٥): ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١٠٥، ١٣٦

(١٠٦): ابن شاهين الظاهري: المصدر نفسه ١٠٥، ابن خلدون: تاريخه ٤٣٦/٥ ومابعدها

(١٠٧): ابن شاهين الظاهري: المصدر نفسه ١٠٥ ومابعدها

(١٠٨): ابن شاهين الظاهري: المصدر نفسه ١٠٥

(١٠٩): ابن شاهين الظاهري: المصدر نفسه ١٠٥

لها دورها التاريخي والبطولي في معركة عين جالوت، صحيح أن هذا العدد الكبير لم يشترك في القتال في تلك المعركة، إلا أن معظم القبائل شاركت بأعداد ساهمت في نجاح المعركة، وفي صنع النصر.

حجم الجيش في معركة عين جالوت:

لقد اشترك في هذه المعركة القيادات العسكرية والمؤسسات القيادية المملوكية، والتشكيلات المقاتلة النظامية، والجيش المركزي، والجيوش الاقليمية، ولاسيما الجيوش المصرية والحمصية والدمشقية، والجيوش الاحتياطية بما فيها القبائل العربية والتركمان والاكراد. لكن هذه الجيوش لم تعبأ تعبئة كاملة في أعدادها الكبيرة التي مرت معنا لعدة أسباب أهمها: الخوف الشديد من الجيش المغولي الذي أدخل الرعب في قلوب العالم، ولأن هذه المعركة هي أول معركة يخوضها الجيش المملوكي الذي لم تختبر قدرته القتالية بعد، ولأن الوقت كان غير كاف لحشد العدد الكبير من هذه القوات، وما أن جاء النذير من قبل قادة الجيش المغولي، حتى أعلن قطز التحضير لهذه المعركة، وتحرك الجيش النظامي من مصر باتجاه بلاد الشام وصارت تنضم القبائل والجيوش الاقليمية والاحتياطية والسكان المحليين، ممن كان لديهم السلاح والقدرة على القتال.

قدر المؤرخون في ذلك العصر أن حجم الجيش المملوكي بالكامل كان في حدود ٤٠ ألف مقاتل[١١٠] في حين قدره آخرون في حدود ٩٠ ألف مقاتل[١١١] وفي تقديري أن حجم هذا الجيش كان بين الرقمين أي في حدود ٧٠ ألف مقاتل ذلك أن الجيش بعد المعركة مباشرة وبعد استلام الظاهر بيبرس كان في حدود ٤٠ ألف مقاتل[١١٢] وقد انضم إليه الاحتياط، والقبائل العربية وغيرها، مماانتهى إلى هذا العدد[١١٣]، وإن عدد الفرسان كان قليلا وفي حدود ١٠ آلاف فارس وأغلبهم من المماليك وقسم قليل من غيرهم من المشتركين في المعركة[١١٤].

---

(١١٠): ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ١/٣٠٥

(١١١): Henri Laöst Les Gouverneurs de Damas Sous Les Mamlouks et Les Pramiers Attomans 4.

(١١٢): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/١٩٧

(١١٣): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/٢٠٣ ومابعدها ٢٠٩

(١١٤): الكتبي: فوات الوفيات ١/١٦٩

ـ حجم الجيش المغولي في معركة عين جالوت:

قدر عدد الجيش المغولي عندما اجتاح بغداد في حدود ٤٠ ألف مقاتل[١١٥] في حين قدره آخرون بأقل من ذلك[١١٦]، وفي الحقيقة أن الجيش المغولي كان قبيل المعركة الفاصلة في ١٥ ألف مقاتل، وذلك أن القوة الرئيسية من هذا الجيش تحركت باتجاه فارس مع هولاكو، وتوزعت بعض القوى الاخرى في المناطق التي احتلها مرورا ببغداد وانتهاء بالشام والجيش الذي سيقاتل في معركة عين جالوت هو القسم الذي بقي مع كتبغا حاكم الشام[١١٧].

وكان في اعتقاد القادة المغول إن هذا العدو قادر على تحطيم وتدمير الجيش المملوكي بكل سهولة طالما إن له الخبرة في الحروب وسبق أن انتصر على كل الجيوش التي اشتبك معها[١١٨].

ومما يؤكد على أن هذا الجيش كان في حدود ١٥٠٠٠ هو:

ـ تقدير هولاكو الخاطىء في مهمات الجيش المتبقي بعد انسحاب الكتلة الرئيسية إلى فارس، فهو كان لايتوقع أن تحدث هذه المعركة وإنما كانت المهمات في نظره تثبيت وضع الاحتلال، الذي لايحتاج إلى جيش كبير، ورد أو قمع المقاومة الداخلية التي تنشأ من داخل البلاد المحتلة[١١٩].

ـ تأكيد اغلب المصادر على تثبيت هذا العدد[١٢٠] مثل جامع التواريخ وتاريخ مختصر الدول، وتاريخ الشهابي، وتاريخ الصليبين، وتاريخ الزمان.

---

(١١٥): ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ٢٧٩

(١١٦): الاسحاقي: أخبار الاول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول ١٣٢

(١١٧): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣٠٨، ٣٠٩

ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٨٠، الصفدي: الوافي بالوفيات ١٢/١٠٠

العريني: المغول ٢٥٧، أبو الفرج بن العبري: تاريخ الزمان ٣١٦، ٣١٧

(١١٨): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣٠٩، ٣١٠

(١١٩): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣٠٩، ٣١٠

الشهابي: تاريخه ٤٣٩

العبادي: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ١٦٣

(١٢٠): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣٠٨، ٣٠٩، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ٢٨٠، وفي كتاب تاريخ الصليبيين لمؤلفه الشهابي: تاريخه ٤٣٨، أبو الفرج ابن العبري: تاريخ الزمان ٣١٦، ٣١٧

Runciman, steven 313/311

- إن كتبغا القائد المغولي هو نفسه الذي لمح بعدد جيشه القليل جين طلب المد من هولاكو، وقد أشار عليه في ذلك بعض أركانه فتردد وآثر أن يدخل في هذا العدد بالرغم من قلته(١٢١).

- إن كتبغا نوين هو من كبار الضباط الذين يقودون تشكيلا يبلغ تعداده عشرة آلاف، وكذلك فإن (نوين) المضافة إلى اسمه تعني عشرة آلاف(١٢٢).

٣) - الوظائف والرتب الاختصاصية والادارية في الجيش المملوكي:

الضباط في الدولة الفاطمية ثلاث فئات، فالفئة الأولى هم الامراء المطوقون بالطوق الذهبي، ويقابلهم في الجيش المملوكي متقدموا الالوف(١٢٣) وفي الوقت الحاضر الضباط والامراء، أما الفئة الثانية فهم أصحاب القصب الفضة، ويحملونها في أيديهم، ويقابله في الجيش المملوكي أمراء الطبلخانات(١٢٤)، وفي الوقت الحاضر الضباط القادة، أما الفئة الثالثة فهم أدوان الامراء ويقابلهم في الجيش المملوكي مقدموا الجند وأمراء العشرات والخمسات(١٢٥) وفي الوقت الحاضر الضباط الأعوان.

- وظائف ديوان الجيش :

لصاحبه وظيفة عالية ومرتبة كبيرة، كما كان من قبل في زمن الدولة الفاطمية والأيوبية(١٢٦) ومن مهمته استعراض العسكر وخيولهم وله حجاب وموظفون، يرأس هذا الديوان ناظر الجيش، يساعده في ذلك نقيب الجيش وصاحب الديوان، وللديوان كتبة ومكان الديوان في القلعة(١٢٧)، وينقسم إلى قسمين ديوان الجيش المصري، وديوان الجيش الشامي، ويتبع

---

(١٢١): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٦٠

(١٢٢): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/ ٤٢٣، ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ٢٢٦

(١٢٣): القلقشندي: صبح الاعشى ٣/ ٤٨٠، ٤/ ١٤، ٧/ ١٥٨

(١٢٤): القلقشندي: صبح الاعشى ٣/ ٤٨٠، ٤/ ١٥، ٧/ ١٥٩

(١٢٥): القلقشندي: صبح الاعشى ٣/ ٤٨٠، ٤/ ١٥، ٧/ ١٥٩

(١٢٦): ابن الفرات: تاريخه ٤/ ١/ ١٤٣، القلقشندي: صبح الاعشى ٣/ ٤٩٢
متز: الحضارة الاسلامية ١/ ١٣٠

(١٢٧): ابن يحيى: تاريخ بيروت ٢٢٠، القلقشندي: صبح الاعشى ٣/ ٤٩٢
متز: الحضارة الاسلامية ١/ ١٣٠

لصاحب الديوان النائب ناظر الجيش أومستوفي الجيش ومستوفي قطاع العرب، ومستوفي الرزق(١٢٨)، ولكل واحد مهامه المحددة في النظام مثل مستوفي الجيش الذي يجلس بين يدي السلطان وله مقام خاص عنده، وله حاجب وخازنان ونقباء الأجناد ولكل واحد أيضا منهم عمله المكلف به ومهمته النظر في أمور الجند فيما يتعلق بمهماتهم وخيلهم وحياتهم وموتهم وصحتهم وما إلى ذلك(١٢٩).

قيل عن الديوان بأنه عربي، وقيل فارسي وفي الحالتين فإنه يدل على المرجع الذي تؤول إليه الأمور والقضايا، ويعمل فيه الكتبة المتميزون بالخدمة والدقة والاطلاع، وأول ديوان للجيش كان في زمن عمر بن الخطاب(١٣٠) وقد تبدل اسم الديوان بكاتب السر في أيام المنصور قلاوون ولكن وظيفة ناظره بقيت على ما هي عليه منذ تأسيس الدولة المملوكية وحتى زوالها، فهو يعين ويرفع ويفض الكتب الواردة، ويرد عليها بما يتناسب مع الذي يوجه إليه ويدققه قبل صدوره، ويؤمن تسييره بالبريد، وينظر في أبراج الحمام وأمور الغداوية، والعيون والجواسيس ويعتني بأمور المراسلين الذين يحملون الكتب، وينظر في الأمور العامة التي تعود بالنفع على الجيش(١٣١) كما وينظر في كل مايتعلق بحجمه وتنظيمه.

ـ نقيب الجيش:

رتبة لها أهميتها ووظيفة لها قدرها، وهو رئيس الحرس السلطاني يمشي وينظم العرض والاستعراض العسكري في كل المناسبات، وهو الذي يتولى إحضار أو ترسيم أو استعجال الأمير أو الجندي إذا طلب منه من قبل السلطان أو النائب أو حاجب الحجاب، وإليه يتبع باقي الموظفين، هذا في بدء إحداث هذه الوظيفة، أما فيما بعد فقد تدنت قيمتها، وغدت كأنها وظيفة

---

(١٢٨): ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١٠٣ ومابعدها، زكي: الجيش المصري في العصر الاسلامي ٦

(١٢٩): المقريزي: الخطط ١/٤٠١

(١٣٠): القلقشندي: صبح الاعشى ٣/٨٩ ومابعدها

(١٣١): ابن مماتي: قوانين الدواوين ٧

ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١٠٩

القلقشندي: صبح الاعشى ١/١١٠

موجهة ضد الشعب، وذلك لما يتصف رئيسها وموظفوها من ترويع للمواطنين وأخذ أموالهم عند إحضارهم إلى السلطات المسؤولة(١٣٢).

ـ طبلخاناه: (١٣٣)

كانت تحت القلعة وتحتوي على عدد من الآلات الموسيقية كالطبول والأبواق والمزامير وغيرها(١٣٤)، يتولى هذه المؤسسة الموسيقية أمير من أمراء العشرات مهمته الاشراف على شؤونها، وتدريب أفرادها والاعلان عن كل مضرب بايقاع(١٣٥)، كما في رفع وتنزيل العلم في الوقت الحاضر. وقد تولى هذه الوظيفة أمراء كثيرون ولهم ملاكهم الخاص من الاختصاصيين الموسيقيين(١٣٦)، وكان هؤلاء الأمراء يتولون الوظائف الخاصة المحددة لهم مثل: «الدوا دار» الثاني. و«الرزدكاش» وأمير «شكا» وغيرها(١٣٧).

كان للسلطان موسيقى. وكذلك للامراء قادة التشكيلات، تستخدم هذه الموسيقى في العرض والاستعراض، وفي الاحتفالات وفي الاعلان عن الحرب، كما كانت ترافق الجيش في الحملات القتالية، وفي التحرك والمسير إلى وجهات عديدة، وفي الدعوة إلى الاجتماعات الطارئة والاستنفار، وكان لها دور كبير في إرهاب العدو في القتال، وإعادة تجميع القوات بغية تلقي مهام جديدة، وفي تقوية المعنويات والتحريض على القتال، وكان ملاك الموسيقى في الجيش المملوكي ٤٠ من «الكوسات»(١٣٨) طبول صغار و ١ طبل كبير يطلق عليه الهول و ٤ زمور

---

(١٣٢): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/١٩٠، السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/١٣١، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٢/٢/٥٢٠

(١٣٣): لفظ عربي فارسي مركب من طبل وخاناه وتعني بيت الموسيقى.

(١٣٤): القلقشندي: صبح الاعشى ٢/١٢٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٠/٤١

(١٣٥): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/١٣، ١٥، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٠/٢٣

(١٣٦): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٨/٤٤، ابن شاهين الظاهري: المصدر نفسه ١١٣/١٢٥

(١٣٧): ابن شاهين: المصدر نفسه ١١٤

(١٣٨): الكوس: الطبل الكبير. وقيل: هي الصنوجات من نحاس تشبه الترس. يمرر احدهما على الاخر بإيقاع وكانت تدق ببعضها وأصل معناها الصدمة، وكاس وكاسة وكوس لغات بالفارسية وكانت قد استعملت هذا اللفظ الدولة الايوبية التي سبقت الدولة المملوكية، وظلت هذه الكلمة تأخذ نفس معناها السابق. انظر التونجي: المعجم الذهبي ٤٨٤، الكداني: الالفاظ الفارسية المعربة ١٤٠، الحجازي: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ١٢٦

و ۲۰ نفير «بوق» ويتبع لكل أمير ثلاثة أحمال طبلخاناه ونفيران ثم صار يتبع له بعد ذلك طبلان وبوقان فقط[١٣٩]، لقد دقت الموسيقى أثناء معركة عين جالوت، وصدحت بين تلال وجبال ووديان فلسطين وفي سهل مرج ابن عامر وفي عين جالوت. لكل فئة من المتحاربين موسيقى لها إيقاع خاص بها، وكان الاعتقاد في المعارك وفي هذه المعركة بالذات التكثير من (الطبلخانات) لارهاب الجانب الآخر ورفع الروح المعنوية وشحذ الهمم والنفوس[١٤٠] وقد اعتاد كل من الجيشين المملوكي والمغولي على استخدام الموسيقى واصطحباها في الحروب وكان للجيش المملوكي الملاك الذي خصص له، أما الجيش المغولي فقد كان معه ثلاثمائة طبال يطبلون بوقت واحد ونغم واحد، وكان صوت الطبول يطغى على كل صوت ولكن صوتها اختفى وضاع أمام صوت جلجلة السلاح وحوافر الخيل[١٤١]، ولم يلبث أن انتهى تماما عندما هرب الطبالون وقتل أغلب الموسيقين.

ـ الاستادار «الاستدار»[١٤٢]

وظيفته قبض مال السلطان والتصرف به على وجوهه المحددة من قبل السلطان، والمسؤول عن المطابخ والعاملين بها، والساعي إلى مايلزم السلطان في الاسفار والحملات، وفيما بعد صار يتصرف بالامور كوزير، وله نفوذ في كل أمور المملكة والجيش[١٤٣]، وهو بهذه الوظيفة له علاقة بالامداد والتموين في العمليات الحربية، وقد أضيفت هذه الكلمة إلى عدد من الوظائف تدل

(١٣٩): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٨/ ٤٤، ابن تغري بردي: المنهل الصافي ١٤١، ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ٣/٩١/٩٥
القلقشندي: صبح الاعشى ٢/ ١٢٨، ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١١٣/ ١٢٥

(١٤٠): الناصري: مخطوطة الحيل والحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ٢١٢

(١٤١): الشهابي: تاريخه ٤٣٩

(١٤٢): لفظ فارسي مركب من (استد) ومعناها الاخذ و(دار) معناها الممسك

(١٤٣): القلقشندي: صبح الاعشى ٥/ ٥٤٧، السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/ ١٣٠، ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ١/ ٤٦، ١٠٨، ١٧٣
عطية: القاموس الاسلامي ١/ ٨٣

عليها مثل: أستادار الصحبة والذخيرة والمالية[١٤٤]، ويتبع لهذا الامير عدة مستودعات تموينية مختلفة تحفظ فيها الوسائط المادية لمدة سنة[١٤٥]، وتوزع وتصرف بمعرفة القائد الأعلى (السلطان).

- المهمندار[١٤٦]:

وظيفته استقبال الضيوف من رسل الملوك أو العربان القادمين إلى السلطان وتأمين ضيافتهم وإكرامهم وتقديم مايلزمهم[١٤٧]، وهي وظيفة موجودة من قبل[١٤٨]، وكأنها وظيفة تشبه المراسم والعلاقات العامة في الجيش في الوقت الحاضر.

- الجاشنكير[١٤٩]

وظيفته ذوق المأكول والمشروب قبل أن يقدم إلى السلطان أو الامير للتأكد من أنه خال من جميع أنواع السموم ونحوه[١٥٠]

- الأوجاقي

ووظيفته التحضير لركوب الخيل في النفر إلى الحرب والمواكب والرياضة والتدريب[١٥١]، وهو

---

(١٤٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢/١٤، ٩٨، ١٢١، ١٧٨، ١٧٩

ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١٠٦

(١٤٥): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٨/٢٤٣

(١٤٦): المهمندار: لفظ فارسي مركب من (مهمن) ومعناها الضيف و(دار) ومعناها ممسك فيكون المعنى ممسك الضيف، انظر القلقشندي: صبح الاعشى ٥/٤٥٩

(١٤٧): السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/١٣٠، ستينجاس: المعجم الفارسي الأنكليزي ١٣٥٦

Coudefroy Demombynes La Syrie a'lepaque des Mamlouks 3/63

(١٤٨): الدواداري: الدر المطلوب بأخبار بني أيوب ٧/٣٧٣، ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ٤/٦٢٦، القلقشندي: صبح الاعشى ٤/١٨٧.

(١٤٩): الجاشنكير: لفظ فارسي مركب من الجاشنا ومعناه الذوق وكير ومعناه متعاطي فيكون المعنى الاجمالي الرجل الذي يذوق انظر القلقشندي: صبح الاعشى ٥/٤٦٠، عطية: القاموس الاسلامي ١/٥٥٦

(١٥٠): ستينجاس: المعجم الفارسي الانكليزي ٣٨٦، التونجي: المعجم الذهبي ٢١٢

(١٥١): القلقشندي: صبح الاعشى ٥/٤٥٤ Dozy: Suppl. aux Die Arubes.11.p.43

الـذي يقـوم بحـراسـة الاسـير إذ يركب على فرس وبيـده خنجر مسلول وقد يردف أيضا خلف المعتقل من الافراد ومن الامراء أو المساجين حتى يصل به إلى المقر[١٥٢]

ـ المشرف:

وهو الذي يقوم بالاشراف على صحة الطبيخ ونظافته[١٥٣].

ـ والساقي:

وظيفتـه سقي المشـروب، ووضـع الطعـام ورفعـه وتقطيع اللحم وكان رئيسهم يدعى (شاد الشراب خاناه)[١٥٤].

ـ الجوكاندار[١٥٥]

وظيفته حمل الجوكان للسلطان للعب بالكرة.

ـ السنجقدار[١٥٦]

وظيفته حمل السنجق خلف السلطان.

ـ المرقدار:

وظيفته الخدمة في المطبخ وتأمين الطعام وحفظه وتقديمه[١٥٧]

ـ البشمقدار[١٥٨]

ويكلف بحمل نعل السلطان أو الامير.

---

(١٥٢): ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ١/٩٨، ٣/٧/٣٢٤

(١٥٣): القلقشندي: صبح الاعشى ٥/٤٥٤

(١٥٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١١/٥٨، القلقشندي: صبح الاعشى ٥/٤٥٤

(١٥٥): الجـوكـانـدار: لفـظ فارسي مركب من «جـوكـان» وهـو المحجن الـذي تضـرب به الكـرة، ويقال له: الصولجان أيضا ومن «دار» ومعناه ممسك. انظر القلقشندي: صبح الاعشى ٥/٤٥٨
Dozy: Suppl. aux Dic. Arabes 11.p.235

(١٥٦): لفظ تركي فارسي مركب من (سنجق) ومعناه الرمح و (دار) معناه الممسك فيكون المعنى ممسك الـرمـح انظـر القلقشندي: صبح الاعشى ٥/٤٥٨. ستينجاس: المعجم الفارسي الانكليزي ٤٩٥، تونجي: المعجم الذهبي ٣٥٢

(١٥٧): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٩/٥٤، القلقشندي: صبح الاعشى: ٥/٤٧٠

(١٥٨): لفظ تركي فارسي مركب من «بشمق» ومعناه النعل و«دار» ومعناه ممسك النعل انظر القلقشندي: صبح الأعشى ٥/٤٥٩. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٠/٦١ Dozy: Suppl.aux Dic. Arbabes 11.p.91

ـ الجمدار[١٥٩]

وظيفته الباس السلطان أو الامير ثيابه.

ـ وشاد السلاح:

وهو الذي يتولى شؤون السلاح[١٦٠]

ـ والركبدار[١٦١]و المهتار

وهو الرجل الذي يعمل في البيوت ويقوم بجيمع الخدمات فيطلق عليه مهتار الشراب خاناه، ومهتار الطست خاناه[١٦٢]

ـ الرختوان[١٦٣]

وهناك وظائف كثيرة أغلبها إدارية وأغلب رجالها يعملون في البيوت وفي خدمة الضباط، وبعضهم يعملون في التسليح، وفي الأموال وفي الامداد والتموين، وفي أمور الخيل والاصطبلات والمشافي، وفي المستودعات وشؤون الخزن فيها، وحفظ المواد بداخلها وإذا شئنا مزيد من معرفة الوظائف والرتب المتنوعة والمتعددة يستحسن الرجوع إلى ابن تغري في مؤلفاته التي من أهمها النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، والمنهل الصافي. والقلقشندي: الذي جمع هذه الوظائف ورتبها وصنفها في كتابه صبح الاعشى. والسيوطي في كتابه حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة الذي عرف هذه الوظائف وحددها، وابن إياس في كتابه بدائع الزهور في

---

(١٥٩): الجمدار: لفظ فارسي مركب من «جاما» ومعناه الثوب ودار ومعناه الممسك فيكون المعنى ممسك الثوب انظر القلقشندي: صبح الاعشى ٥/٤٥٩

ستيجناس: المعجم الفارسي الانكليزي: ٣٨٧، ٤٩٥، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٢/٤٠٢، التونجي: المعجم الذهبي ١٩٨

(١٦٠): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢/١٨٩

(١٦١): الركبدار «الركابدار» وجمعه الركبدارية وهم الرجال المكلفون بحمل الفاشية بين يدي السلطان أثناء الموكب والاحتفالات انظر القلقشندي: صبح الاعشى ٤/٧/١٢

(١٦٢): المهتار: لفظ فارسي مركب من (مه) وهو الكبير وتار بمعنى أفعل التفضيل انظر القلقشندي: صبح الإعشى ٥/٤٧٠. ستينجاس: المعجم الفارسي الانكليزي ٢٧، ١٨٥٠

(١٦٣): الدختوان: لفظ فارسي يعني الرجل الذي يتولى أويتعاطى القماش. انظر القلقشندي: صبح الاعشى ٥/٤٧١، ستينجاس: المعجم الفارسي الانكليزي ٥٧٢

وقائع الدهور، وابن شاهين الظاهري في كتابه زبدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك، وهناك المعاجم العديدة العربية منها والأجنبية ذكرت هذه الوظائف وعرفتها وعدد مهامها ووظائفها أهمها القاموس الذهبي للتونجي، والقاموس الاسلامي لعطية، والمعجم الفارسي الانكليزي ل سيتنجاس ومعجم دوزي، على أن المصادر الاخرى لاتخلو من ذكر هذه الوظائف وتعريفها.

٤ ـ الوظائف والرتب العسكرية في الجيش المغولي

قد تتشابه الوظائف والرتب هذه مع وظائف ورتب الجيش المملوكي وقد تختلف في بعض الاحيان، إن التنظيم العشري في كلا الجيشين، إلا أن أكبر تشكيل في الجيش المملوكي هو ألف، بينما في الجيش المغولي عشرة آلاف، عند استلام الدولة المملوكية لزمام الحكم في الديار المصرية أحب سلاطينها وبخاصة الملك الظاهر بيبرس أن يقلد غيره من الحكام فقلد الطريقة التترية في الوظائف والتسميات وأحدث الرتب والوظائف الكثيرة مثل أمير سلاح وأمير آخور وحاجب الحجاب، وغير ذلك من الوظائف التي نراها مثبوته في هيكل الجيش وتنظيمه، وتعاقب السلاطين فمنهم من جدد ومنهم من ألغى ومنهم من استبدل، على أنه كانت الوظائف هي كما ألفوها منذ تأسيس دولتهم(١٦٤).

كما يلاحظ أن النظام القيادي في الجيش المغولي هو نظام عشري، إذ يتولى القائد منهم عشر وحدات عسكرية دونه، فأمير عشرة جنود، أما أمير المئة فعنده عشر عشرات، وأمير ألف عنده عشر مئات، وأمير عشرة آلاف عنده عشرة ألوف. وهكذا تتدرج القيادة من عشرة إلى عشرة آلاف أصغر وحدة وأكبر تشكيل(١٦٥)، أما القائد العام للجيش فهو أمير الامراء كما كان قطلو شاه عند غازان وجوبان عند خدانبدا، وكما كان كتبغا في معركة عين جالوت(١٦٦)

ـ أمير عشرة: هو قائد جماعة، وهو أول قائد وحدة عسكرية صغيرة(١٦٧)

---

(١٦٤): السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/١٣٣

(١٦٥): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٦٨/٧، القلقشندي: صبح الاعشى ٤/٤٢٣

(١٦٦): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/٤٢٣، المقريزي: السلوك لمعرفة الملوك ١/٢/٤١٧

(١٦٧): القلقشندي: صبح الاعشى٤/٤٢٣، ابن الفرات: تاريخه ٥/١/٢١١

- أمير مئـة: هو قائد فصيلة وفيها عشر عشرات من الجنود مع كل عشرة أمير، أو هو قائد سرية قتالية(١٦٨)

- أمير ألف: هو قائد لواء. الذي يعادل أكبر تشكيل نظامي في الجيش المملوكي(١٦٩)

- أمـير عشـرة آلاف: وهـذا تشكيـل غير موجـود في الجيش المملوكي في هيكل النظام إنما يقابله تجريده التي هي تشكيل عند الحاجة، يدعى قائد هذا التشكيل في الجيش المغولي «أمير تومان» و «تومان» اصطلاح فعلي يدل على العدد عشرة آلاف، ثم تطور فاتخذ معنى الفرقة التي تتألف من هذا العدد(١٧٠).

يتألف الجيش المغولي من عشـرين تومـان أو ثلاثـين، إلى ثلاثمائة فيما بعد(١٧١) ففي سنة ٦٩٨/١٢٩٩ قاد غازان القـائـد المغـولي تشكيـلا تعبـويـا كبـيرا تعداده مائة ألف. وعبر به نهر الفرات ليلتقي بالجيش المملوكي عند سلمية، و «قطلوشاه» كان يقود جيشا من المغول قوته مائة ألف مقاتل(١٧٢)

ثانياً: القضاء العسكري والانضباط:

إدارة القضـاء العسكـري مكـانهـا في دار العـدل أو مايسمى اليوم (القصر العدلي) وإن كان مكانها في بعض الاحيان في القصور السلطانية كان السلطان هو رئيس القضاء وهو الذي يفصل في الدعاوي المدنية والعسكرية، ويخصص لها يومي الاثنين والخميس من كل اسبوع، وهو الذي يعين القضاة(١٧٣)، تتألف هيئة المحكمة من السلطان رئيسا وعلى يمينه قضاة المذاهب الاربعة الشافعي فالحنفي فالمالكي فالحنبلي ثم الوكيل عن بيت ثم الناظر في الحسبة، وعلى يساره كاتب

---

(١٦٨): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/٤٢٣، ابن الفرات: تاريخه ٥/١/٢١١

(١٦٩): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/٤٢٣، ابن الفرات: تاريخه ٥/١/٢١١

(١٧٠): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/٤٢٣، عطية: القاموس الاسلامي ١/٥١٥/٥١٦

(١٧١): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/٤٢٤/٤٢٥

(١٧٢): كرد علي: خطط الشام ١٣٤، زقلمه: المماليك في مصر ٤٦

الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٢، ٣، ٤

(١٧٣): زيادة: دمشق في عصر المماليك ٦٤

السر، وأمامه ناظر الجيش وكتاب الضبط[174]، أما الوزير فيجلس بين السلطان وكاتب السر إن كان من أصحاب الأقلام، وإن لم يكن وقف مع بقية الموظفين، ويقف خلف السلطان بعض الامراء وهم المقربون ويكونون في الصف الأول ثم إمراء المشورة في الصف الثاني خلف الخاصية ثم يأتي الصف الثالث من بقية الأمراء وأما الصف الرابع فهو من الحجاب والمدعين وأصحاب الحقوق، وقد يتبدل الفصل أو جلوس هيئة المحكمة بتبدل الملوك، إذ يجلس القضاة مثلا عن يمينه ويساره، فالشافعي على اليمين ثم المالكي، ثم قاضي العسكر ثم المحتسب وعلى اليسار الحنفي والحنبلي، وكذلك في النيابات حيث يقوم نائب السلطنة بهذا التقليد[175].

كان القاضي العسكري يحضر مع القضاة الاربعة بدار العدل، وله مكان خاص يجلس به، ويسافر مع السلطان في حروبه[176]. وكان يسمع إلى كل خصم على حده في غياب الخصم الآخر، كما كان يستمع إلى الشهود على انفراد، وكانت المحاكمة تطول عدة أيام، حتى إذا انتهى من الوقائع والشهود أصدر حكمه في القضية[177]، وكان القضاة، ورؤساء هيئات المحاكم والسلطان والامراء يقسمون يمين الولاء والاخلاص أمام حشد كبير من القضاة والامراء[178]

ومن المرجح أن محاكمة كتبغا تمت على هذا النحو وكان السلطان قطز القائد الأعلى للجيش هو الذي تولى رئاسة المحكمة، وقد حضر الامراء والقضاة وتمت المراسيم المعتادة، وجيء بكتبغا إلى أمام المحكمة التي انعقدت لتحاكمه على أنه مجرم حرب، ارتكب أعمالا وحشية ضد الانسانية وضد البشرية سفك الدماء البرئية، وقتل الابرياء، وحطم التراث العلمي، وقضى على حضارات برمتها، وهدم البيوت وأماكن العبادة، وروع النساء والشيوخ ويتم الأطفال. جوبه كتبغا بكل هذه الحقائق فأقرها، ولكنه كان يأنف من هذه المحاكمة، ويزدري الاشخاص

---

(١٧٤): القلقشندي: صبح الاعشى ١٩٢/٤

(١٧٥): المقريزي: الخطط ٣٩/٣ ومابعدها، السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ١٢٧/٢، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دراسات في تاريخ وآثار فلسطين ١٤٧/١ ومابعدها

(١٧٦): سرور: الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره ١٤٠

(١٧٧): المقريزي: السلوك لمعرفة الملوك ٦١٢/٣/٢

(١٧٨): ابن تغري بردي؛ النجوم الزاهرة ٢٥٤/١٠، ٣٠٢

الـذين يحاكمـونـه، ويهـدد بجيش المغول وهولاكو إن قتل، ويحذر رئيس المحكمة من وبال هذه العاقبة، ويفاخر برجولته وشجاعته. ويعتز بقائده الذي يتمنى أن يكون له عبداً وخادما أمينا، واعترافا منه بمجازره فقد طلب تنفيذ الحكم عليه سريعا، وكان الحكم عليه بفصل رأسه عن جسده[179].

وبعـد أن أعـدم ثارت ثائـرة هولاكـو، فأرسـل جيوشا متتالية في أزمنة مختلفة للانتقام، لكنها باءت بالفشـل، وردت على أعقـابهـا خاسـرة ذليلة ولم تتـح له الفـرصة الكافية للخلافات التي حصلت في بلاده، وبسبب وفاة بعض الامراء الذين كان يعتمد عليهم في الحروب[180].

لقـد أبـدل المـماليـك القـوانـين المستـوحاة من الشريعة الاسلامية بقوانين المغل التي وضعها جنكيـزخـان (الياسة) ثم حرفوها إلى (سياسة) وبذلك فقدوا أمور العدل والقضاء، وكان ذلك سببا في انهيار دولتهم وذهاب ريحهم[181].

وكـان من العقـوبـات السجن، وكان يسجن الشخص أو العسكري في حال ارتكابه جريمة يعاقب عليها القانون سواء مصدرها وظيفيا أو سياسيا، وقد انتشرت السجون في أماكن مختلفة من البلاد، واختص قسم منها بالعسكريين والامراء، واختص القسم الآخر بالجرائم العادية أو السياسية وأغلب السجناء كانوا يسجنون في القلاع مثل قلعة الكرك، وبانياس «الصبيبة» وقلعة دمشق[182]، وفي الجب الذي كان داخل قلعة الجبل الذي كان مظلما يكثر فيه الجرذان والحشرات، وتنبعث منه رائحة كريهة. وفيه رطوبة، يحبس فيه الامراء والمقدمون[183]، والبرج الذي يزج فيه الامراء أيضا[184] خزانته التي كان يسجن فيها من كان محكوما بالقتل أو قطع

---

(١٧٩): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣١٠، ٣١٣

القرماني: أخبار الدول وآثار الأول ١٩٨، أبو الفداء: تاريخه ٢/١/٢١٤ ومابعدها.

(١٨٠): متز: الحضارة الاسلامية ٢/١٨٦ ومابعدها

(١٨١): مبارك: الخطط التوفيقية ١/١٣٧

(١٨٢): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٠/٦٨، ١٢/١٠٠

(١٨٣): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٤٠٢

(١٨٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٠/٤٣

اليد[185] و«الزردخاناه» الذي خصص للأمراء وأرباب الوظائف وقادة الجند [186]، وحبس الصيار الذي يحبس فيه الولاة، وخزانة البنود في القاهرة، وكانت خزانة لصنع السلاح ثم انقلبت فيما بعد إلى سجن للامراء والأعيان، وسجن المعونة في القاهرة وكان معدا لسجن الاشخاص الذين ارتكبوا الجرائم الكبيرة وقطع الطرق وهو ضيق لاتكاد تتسع الحجرة منه إلى شخص واحد، تنبعث منه رائحة كريهة، والمقشرة بالقاهرة بجانب باب الفتوح وهو سجن ضيق غير صحي يسجن فيه من كان مدانا بجرائم شائنة[187]، وكان السجين يلبس لباسا خاصا مميزا، هو عبارة عن قميص واسع الكمين طويلهما، قصيرا، مسدود الصدر، وهو كالقباء في شكله ويضرب بخيط الحرير، ويزر بأزرار، ويلبس فوق الثياب، ويغلب على لونه البياض، وكانوا يطلقون عليه «الملوطة»[188].

لاشك أن قوة الجيش في انضباطه، وتقل العقوبات وتتدنى خطوط بياناتها فيما إذا حافظ الجندي على النظام والطاعة، والتزم بتنفيذ الاوامر المعطاة له، ويفضل دائما الانضباط الطوعي عن الانضباط القسري، فالاول كان يتحلى به الجيش المملوكي، والثاني كان يتصف به الجيش المغولي.

لقد كان الجيش المملوكي عقائديا، مقتنعا بعدالة قضيته، مستجيبا للنداء الذاتي النابع من صميم قلبه، مدركا لعظم المسؤولية التي حملها منذ تأسيسه، قادرا على مجابهة الاخطار التي تحيط به، مبدعا في تنفيذه الأوامر المعطاة له، واضعا نصب عينيه تحقيق الهدف الذي يصبوا إليه، واثقا من رؤوسائه، مؤمنا بالله ورسوله وهذا مايحتم عليه الانصياع للاوامر المعطاة له، موحدا المفاهيم القتالية التي تتعلق بفرضية الجهاد ومقابلة الاعداء صفا واحدا دون تأخير أو تردد، توجه هذا الجيش للقاء عدوه في معركة عين جالوت وهو موقن بالنصر منسجم في قياداته

---

(١٨٥): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٠/١٦، ٢٨، ٢٩

(١٨٦): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٣٠٦

الصير في: نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ٢/١٦٤

(١٨٧): المقريزي: الخطط ٢/١٨٨

ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في تاريخ مصر و القاهرة ١٠/٢٨

(١٨٨): الملوطة: كلمة يونانية (Menout) انظر رحلة ابن بطوطة ٣٨٨. الزبيدي: تاج العروس ٥/٢٨

ومرؤ وسيه[189].

أما الجيش المغولي فقد كان عسكره أصحاب بأس وقوة ومنعة ورجال حرب وتدمير، وأبطال الصحارى والجبال، وأهل ثبات وتصميم، فكانا أول الجنود في العالم بالانضباط والطاعة لرؤ سائهم[190]، وبمجرد سماعهم أمر رئيسهم كانوا ينفذونه ولو أدى هذا التنفيذ إلى قتلهم أو تعذيبهم[191]. ومما زاد في انضباطهم تلك القوانين القاسية والصارمة التي تجعل الجندي يلتزم بالطاعة. فإن عصى فإنه عليه الجزاء الأدنى، فلا رحمة ولاشفقة أبدا، إن كتاب (إلياسا الكبير) شرح معاني الانضباط والعقوبات المترتبة على المخالفات المرتكبة والمحددة في هذه النصوص والفصول[192]، إن من شذ عنها أو انحرف فيستعرض إلى عقوبات رادعة حتى ولو كان قائدا كبيرا. فقد حاكم هولاكو قائد جيشه الكبير بانجوين بالرغم من الانتصارات التي حققها في بلاد الروم بسبب عدم تمكنه من اتمام فتحها والوصول إلى بغداد في الوقت المحدد، فجاءه طائعا منقادا لاوامره وقال: «فأنا بكل مايأمر به عبد مطيع ومنفذ لأوامره»[193].

ليست القوة والشدة في الانضباط قوة، كما أن التساهل يسيء ويصرف العسكريين عن مهامهم الأساسية. فالتشدد يعطي مفعولا سلبيا يذهب بالجنود والمرؤ وسين إلى كره رئيسهم والانتقام والتخلص منه. وهكذا كان بعض قادة الجيش المغولي والمملوكي إذا كان أتابك العساكر يشد ويضيق على مرؤ وسيه، ويحاسبهم على هفواتهم أشد وأقسى من نوع الجرم المرتكب مما سبب في كرهه والتآمر عليه وقتله في بعض الأحيان[194].

إن خرق الانضباط يعد كارثة تحل بالجيش، فلقد انتصر الجيش المملوكي بفضل انضباطه في معركة عين جالوت، ولكن مالبث أن نسي الانضباط وتفشت فيه الفوضى وعدم إطاعة

---

(١٨٩): ابن صاعد: طبقات الامم ٨، القلقشندي: صبح الاعشى ٤/ ٤٥٨

الرمزي: من تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار ١ /٣٥، المزاوي: تاريخ العراق ١/ ٥١

(١٩٠): أسعد: بولو ١١

(١٩١): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/ ٣١٣، ٤٥٠

(١٩٢): القرماني: أخبار الدول وآثار الأول ٢٨٤

(١٩٣): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/ ١/ ٢٦١

(١٩٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١١/ ٣٦

المرؤوس لرئيسه. وتطاوله عليه في بعض الاحيان، والضغط عليه، حتى لايجد القائد مفرا من مسايرة مرؤوسيه على حساب الانضباط[١٩٥]، فكثر الترفيع على غير الاسس المحددة، ويترقى الجندي إلى قائد، وغدا الاجير أميرا[١٩٦]، مما سبب في كثرة الاختلافات والاقتتال بين المماليك أنفسهم وانقسموا إلى فرق وأحزاب، وهمت كل فرقة أو تشكيل برئيسهم وقائدهم، فانتشر النهب والسلب والهرب من الجيش[١٩٧].

ثالثا: المراسم والعلاقات العامة

هي الاجراءات التي تقام للسلطان أو للامراء أو لقادة الجند احتفاء بهم. والمراسم التي تقام لضيوف المملكة. والتشريعات التي تقدم لاصحاب الوظائف والرتب العسكرية، والمظاهر التقليدية عند اللقاء في المعارك القتالية. وعند العرض والاستعراض[١٩٨].

ـ مراسم تولية السلطان وخلعه:

في اجتماع يضم الخليفة والقضاة والأعيان يقوم الخليفة بالقاء (خلعة السلطنة) السوداء[١٩٩]، ثم يقوم الامراء بالحلف له[٢٠٠]. ويتم خلع السلطان وعزله من قبل الأمراء[٢٠١]. وفي بعض الأحيان يتفق الامراء على سلطنة ملك، ثم يحضرون الخليفة لكي يفيض عليه الخلعة، ثم تأخذ شكلها القانوني بحضور القضاة[٢٠٢]، وأحيانا أخرى يقوم أحد الأمراء المتنفذين مثل «أتابك العساكر» فيخلع سلطانا وينصب آخر. وينقسم الامراء فريق مع السلطان المخلوع،

---

(١٩٥): ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣/٢٦، ٢٧٨، ٢٨٠، ٣٥٩

(١٩٦): ابن إياس: المصدر نفسه ٣/٢٦٣ ومابعدها

(١٩٧): ابن إياس: المصدر نفسه ٣/٣٢٣، ٣٦٣، ٣٧٥، ٤/١٧

القرماني: أخبار الدول وآثار الأول ٢٠١

(١٩٨): ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ١/٣٤١، هندي: الجيش العربي في عصر الفتوحات ٤٩، هل: الحضار العربية ٨٥

(١٩٩): السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/١١٢

(٢٠٠): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١١/٣

(٢٠١): ابن تغري بردي: المصدر نفسه ١١/٦

المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٤٣٥، ٦٥٤

(٢٠٢): ابن تغري بردي: المصدر نفسه ١١/٢٤

وآخر مع السلطان الصاعد[٢٠٣].

وفي أمور استثنائية قد يخلع الملك نفسه للضجر الذي يصيبه، وللشدة التي يتلقاها وللضغوط الكثيرة من خاصيته ومماليكه[٢٠٤]، وبعد هذا يقوم الأمراء بالمسير أمام السلطان الصاعد حتى يصلوا به إلى قصر السلطنة «الايوان» فيجلس على كرسي الملك، ويقبل الامراء الارض بين يديه ويحلفون[٢٠٥]، ترى كيف استلم قطز السلطنة وهل أجريت له هذه المراسم؟ فلقد كان قائد معركة عين جالوت مملوكا، وتدرج في معارج الوظائف حتى وصل إلى «أتابك» وقبيل المعركة عزل السلطان الصغير المنصور علي ونصب نفسه ملكا، ثم أجريت له المراسم المعتادة، واستلم الحكم وقاد الجيش في أشرس معركة مع المغول[٢٠٦]، ومما يشار إليه أن الخليفة لم يكن بعد قد حضر إلى مصر، أي أن الاجتماع كان خال من الخليفة، وماعدا ذلك فإن المراسم كانت كاملة عند تنصيبه، ذلك أن هذه التقاليد ورثها المماليك من الايوبيين واستمروا في أدائها[٢٠٧].

إذا سار السلطان إلى الحرب أو إلى الميدان أو إلى حفل أو عيد، أو إلى صلاة جمعة، أو إلى صيد، أو ركب إلى الربدانية، أو لعب الكرة، أو كسر النيل أو دوران المحمل، أو دخل القاهرة، أو مدينة من المدن، أو جاء من سفر، اتخذ من الزينة أحلاها، ومن الخيل جنائبها، ومن العتاد المزركش المذهب أجوده، ومن الحرير أزهاه وأنفعه، يغلب عليه اللون الاصفر، ومن الأديم المزركش أقواه، ومن الكوفيات المذهبة أحسنها، يسير السلطان في وسط الموكب على فرسه المزينة بأحسن زينة، يحف به الامراء وأصحاب الوظائف والحرس[٢٠٨]، يسير أمام فرسه فارسين على حصانين يشبهان في زينتهما الفرس الذي يركبه السلطان وهما احتياطيان معدان

---

(٢٠٣): ابن تغري بردي: المصدر نفسه ١١/٣٧

(٢٠٤): الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين ١٣٤

(٢٠٥): ابن تغري بردي: المصدر نفسه ١١/١٤٩، ٢٠٧

(٢٠٦): ابن تغري بردي: المصدر نفسه ٧/٥٥

عاشور: مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ١٦٧

ابن الوردي: المختصر في أخبار البشر ٢/٢٩٧

(٢٠٧): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٢٩٧

(٢٠٨): ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ٢/١٥

لركـوبـه . وأمامه حامل السرج وعلى رأسه «العصابة» ومن حوله وأمامه «الطبردارية»[٢٠٩] مشاة يحملون الاطبـار، ولهؤلاء مقـدم مسؤول عنهم[٢١٠] . وأمام السطان فارس يلعب بشبابة، ومن خلفـه الجنـائب[٢١١]، وفي نهايـة المـوكب يقـوم بتـوزيع الهدايا والخلع على الامراء، من الاقبية المطـرزة والمـزركشـة والصـوفيـة وغيرها، كل حسب رتبته ووظيفته، كما يرافق السلطان (القائد الاعلى للجيش)، النقارات (الكوسات) يحملها عشرون بغلا على كل بغل ثلاث، لها صوت جميل ناعم، وتسير اثنين اثنين بصف منتظم جميل[٢١٢]، كما ترافقه الصناصم والدبابيس ولتوت الحـدي، وستـمائـة حربـة، وثلاثمائة درقة يحملها ثلاثمائة عبد سود كل عبد يحمل حربتين ودرقة واحـدة، وستـون رمحـا بطـول سبعة ذرع يحملها جنود يطلق عليهم (السريرية) يفتلونها بأيديهم اليمنى، ومـائـة درقـة أخـرى غير التي ذكـرت وهي أخف من الاولى، ومائة سيف يحملها مائة رجـل راجلين بيـد كل واحـد درقـة وسيف، وعشـرة سيـوف يقال لها: «سيوف الدم» وتكون في مؤخـرة المـوكب، ومهمتهم ضرب أعنـاق من يأمر الخليفة بضربه، أما الاسلحة المرافقة للامراء وأصحاب الوظائف فتكون كثيرة وتسير مع الموكب كلها[٢١٣] .

ـ المرافقة والحراسة :

كان يرافق الملك، أو الأمير، أو قائد التشكيل في القوات المسلحة المملوكية كثير من المماليك مهمتهم مرافقة السلطان أو القائد وحمايته وحراسته وخدمته، ويكون عددهم تبعا لوظيفة ورتبة المرافق[٢١٤]، ومن الذين يمكن تصنيفهم مع هذه الفئة الذين يحملون نعل السلطان أو الأمير

---

(٢٠٩): الطـبردارية: جماعـة من الأكـراد من ذوي الاقطـاعات والامرة، يحملون الفؤوس أمام السلطان عند ركـوبـه في المـراسيم. انظر القلقشندي: صبح الاعشى ٤٥٨/٥، ٤٦٢، السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ١٢٨/٣، ابن الفرات: تاريخه ٢٩٥/٢/٩، المقريزي: الخطط ٢٥/٣

(٢١٠): تيسير شفيق: تارخي سلاطين المماليك ١٨٩

(٢١١): المقريزي: الخطط ٢٤/٣ ومابعدها

Lane-Poole:A History of Egypt in the Middle Ages: 9/248,249.

(٢١٢): القلشندي: صبح الاعشى ٤٧٥/٣

(٢١٣): القلقشندي: صبح الاعشى ٤٧٤/٣

(٢١٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٢/٤/، ٨٩٦٣، ١٧٧، ٢٣٦

المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٢٣/١/١

ويطلق عليهم «البشمقدار»[٢١٥] كما يقوم بخدمة هؤلاء «البازدار»[٢١٦]، وخادم الطير وهو الذي يقوم بتأدية جميع خدمات الطيور من طعام وسكن ومعالجة طبية وغير ذلك[٢١٧] والطلب (الاطلاب) وهو الحرس الخاص الذي يشكل مع زملائه مجموعة عسكرية تبلغ مائتي فارس وهذا اللفظ كردي استخدم في أيام الدولة الأيوبية، وجاء معناه أيضا الفوج الذي يبلغ تعداده مئة من المقاتلين[٢١٨]، وخاصية السلطان أو الأمير وحاشيتهما المقربين إليه وهم الذين يتولون الأعمال الهامة والخاصة في البيت وخارج البيت[٢١٩]

- التشريفات الملكية والمراسم:

عندما يقدم إلى البلاد رجل كبير، أوسلطان عظيم، أو أمير معروف من خارج المملكة كانت تقام له الحفلات في دار الضيافة «الايوان» وتصرف عليه الاموال الكثيرة، وتغدق عليه الهدايا الكبيرة، ويقدم له الطعام الفاخر والشراب اللذيذ، ويقصد به أمكنة جميلة للاطلاع عليها، والتفرج على عمرانها وطبيعتها[٢٢٠]، يقام له عرض عسكري واستعراض عند قدوم الضيف وعند توديعه مكان قوام هذا العرض من «الاطلاب» الذين نظمهم الملك في أحلى تشكيلة عرضية، وألبسهم أفخر اللباس، وقدم حرسه «أطلابه» على بقية الحرس فجعلهم في المقدمة، ثم حرس الامراء ميمنة وميسرة وقلبا وجناح أيمن وجناح أيسر، ثم أعقب بعضهم بعضا في رتل منسق، ثم أمر الموسيقى فدقت طبولها، وأرسلت مزاميرها، ثم ابتدأ عرض

---

(٢١٥): البشمقدار: لفظ تركي فارسي مركب من «بشمق» ومعناه النعل و«دار» ومعناه ممسك فيكون المعنى ممسك النعل انظر القلقشندي: صبح الاعشى ٤٥٩/٥

(٢١٦): البازدار: لفظ عربي فارسي مركب من باز وهو الطير ودار وهو ممسك ومعناه حامل الطير. انظر القلقشندي: صبح الاعشى ٤٦٩/٥، سيتنجاس: المعجم الفارسي الانكليزي ٤٩٥

(٢١٧): القلقشندي: صبح الاعشى ٤٦٩/٥، ٤٧٠

(٢١٨): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢٩/١، ٢١٨. ٦٩/٠

الحجازي: النجوم الزاهرة فيحلي حضرة القاهرة ١٢٥

تسيترشتين: تاريخ سلاطين المماليك ١٢٥

(٢١٩): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ١٧٥/١٢، ٢٧٣، ٢٨٥، زكي: السلاح في الاسلام ١١

(٢٢٠): ابن تغري بردي: المصدر نفسه ٤٦/١٢، ٥٣

المراسم حتى لتشهد أنه من أحسن واجمل العروض العسكرية(٢٢١)، كانوا يتباهون بالزينة، ويفتخرون بالحلي والمتاع، ويهتمون بالمظاهر الخارجية، وبالتقاليد العسكرية ويبالغون في الصرف على أعتدتهم الحربية(٢٢٢)، كانوا في ذهابهم إلى حروبهم كذهابهم إلى عرض واستعراض فلقد طلع الجيش المملوكي في معركة عين جالوت في عرض لفت انظار القادة في الجيش المغولي فلمعت سيوفهم وشاراتهم، وأعطت شعاراتهم (رنوكهم) منظرا جميلا أخاذا وتقدموا نحو القتال وهم في أحلى حلة وأجمل ثياب، ترافقهم الموسيقى التي ترسل نفحات الحرب وويلات اللقاء وصيحات الرعب(٢٢٣)

- مراسيم استقبال وتوديع الجند والقائد:

يقوم السلطان «القائد الاعلى للجيش» بتوديع الجند الذين يذهبون لقتال العدو في مكان التجمع بالربدانية بالقرب من القاهرة، ثم يقوم باستقبالهم عند انتهاء العمليات وقدومهم إلى البلاد(٢٢٤) هذا فيما إذا لم يكن القائد العام قد نفر مع الجيش، أما إذا كان مع الجيش كما في معركة عين جالوت، فإن المواطنين والمتخلفين لاسباب ضرورة يقومون بتوديع الجيش، ويظهرون ابتهاجهم، ويرفعون أصواتهم بدعاء النصر، والعودة بالسلامة، لقد بذل الشعب مافي يديه وأنفق مافي وسعه، وبارك للجيش وقائده عندما خرج للقاء الجيش المغولي(٢٢٥). ولما أسفرت تباشير النصر وتغلب الجيش المملوكي في هذه المعركة عاد قطز القائد العام فاحتفى به الشعب أيما إحتفاء، ونصبت له الزينة وأقواس النصر، وعم الفرح جميع البلاد(٢٢٦)، ومن

---

(٢٢١): ابن تغري بردي: المصدر نفسه ١٢/٥٤

(٢٢٢): ابن تغري بردي: المصدر نفسه ١٢/٦٣، ٦٧

(٢٢٣): الشهابي: تاريخه ٤٣٩

Magizine Orientalia Vol. IV,366.

(٢٢٤): ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣/٢٣، ٤٣

(٢٢٥): الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن ولي من الولاة والسلاطين ١٢٥

Henri Zaoust; Les gouvernurs Damas Sous Les Mamlouks Les Premier

(٢٢٦): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٣٦١

ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الذهور ١/٣٠٧

العادة المتبعة إذا خرج الجيش في مثل هذه الحالة لم يتخلف فارس واحد، وكذلك كان بيبرس في معاركه التي تلت ينفر معه الجيش والشعب نفرة رجل واحد(٢٢٧).

- استعراض الجيش:

يجري استعـراض الجيش من قبـل القـائد الأعلى، ومن قادة التشكيلات كل على مستواه، وهـذا الاستعـراض إمـا أن يكـون تدريبيـا كما كان يجري في أيام المواساة، والغاية من تفقد عدد الحرب، والتأكد من جاهزيتها، وتمامها، وزيادة نشاط العسكريين وحثهم على اقتناء السلاح، والمحافظة على الانضباط وكان يبتدىء من طلوع الشمس ويبقى حتى غروبها، وكان كل أمير مع جنـوده في لبـاس الحـرب الكامل، يركبون الجنائب ويمرون أمام السلطان، وكانت تشكيلة العـرض مرتبـة خلف بعضهـا بترتيب خماسي ثم عشـري كما في تشكيلات العرض المختلفة في الـوقت الحـاضـر، وبعـد انتهاء العرض ينزل السلطان من المنصة ويسير بين الجنود ويستعرض تشكيـلا تشكيـلا حتى ينتهي إلى آخـرهم، عرض جميـل، وممـا يزيد في جماله تلك الخيول التي كانت تزين بشريط في صدرها، والأسلحة الحربية المذهبة التي على ظهرها(٢٢٨)، واما أن يجري الاستعـراض قبيـل المعـركـة وتكون الغاية منه الوقوف على حقيقة وواقع العسكريين واستكمال النواقص، وتنظيم القطعان والتشكيلات(٢٢٩).

- الرايـات والأعــلام:

ترافق الجيش في المناسبات العديدة، وبخاصة عند خروجه إلى الحرب، وهي التي يتخذها السلطـان والقـادة والعسكـريـون لاظهار هيبتهم وإرهاب عدوهم، وزرع النخوة والشجاعة في نفـوس جنـودهم، ومرؤ وسيهم من قادتهم الذين تحت إمرتهم، وتقرير مبدأ التنافس في الحرب، والاستماتة لحماية راياتهم وأعلامهم(٢٣٠) وأهمها:

---

(٢٢٧): ابن تغري بردي: المصدر نفسه ١٨٢/٧

(٢٢٨): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٥١٧/٢/١

(٢٢٩): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٣٥/٩

هل: الحضارة العربية ٨٥

(٢٣٠): ابن خلدون: تاريخه ٢١٥/١، ٢١٧

ـ الرنك:

اعتاد ملوك وأمراء الدولة المملوكية على اتخاذ شعار لهم اعتبروه رمزا لهم، يمثل الماضي التليد، والصفات الحربية للمقاتل الذي كان يفتخر بالشجاعة والاقدام، كما يمثل الأعمال التي تسلمها، **وكانوا يطلقون عليه اسم** (الرنك) ولعل هذه «الرنوك» استوحيت من الايوبيين الذين حكموا مصر قبل المملوكين، أومن الافرنج الذين أتوا به من بلادهم(٢٣١) لقد تضمنت صورا مختلفة أهمها: السيف والبقجة ونعل الفرس والطاولة والعلم والابريق والعصا والطبل والكأس، فمنها مايحتوي على صورتين في أول الأمر، ثم إلى تسع فيها بعد، وأحيانا تكرر الصورة نفسها كما في رنك «أتابك العساكر» ومرداش الظاهري، ويشبك الشعباني أوثلاث أو أكثر، على أنه في كل الاحوال فإنها تدل على تاريخ السلطان أو الامير فالذي كانت وظيفته أمير آخور مثلا كان «رنكة» يحتوي نعل فرس، والجمدار بقجة والسلاحدار وهكذا(٢٣٢) . . . ينقش هذا الشعار على الاعلام والرايات والسلاح والاثاث وكل شيء يعود ملكيته لهذا القائد. وها قد أقبلت (رنوك) قادة الجيش المملوكي وهم يتقدمون نحو الجيش المغولي عند طلوع الشمس، وقد شاهدها كتبغا قائد هذا الجيش الذي كان يرقب المعركة(٢٣٣)، وكان «رنك» الظاهر بيبرس قائد الطليعة تظهر عليه صورة أسد التي تدل على بطولته وشجاعته(٢٣٤) وقد اعتاد هذا القائد على أن يكون هذا الشعار موجودا على كل التماثيل والحاجيات الخاصة به، إذ أقام أربعة تماثيل أُسود على قنطرة الخليج بالقاهرة(٢٣٥).

ـ السنجق(٢٣٦)

وهي راية صغيرة أصغر من العصابة والجاليش، ترفع هذه الاعلام (الرايات) الثلاثة فوق

---

(٢٣١): Roy- Les Colonie Franques De Syrie Aux XII Meet XIII me siecles Pages 51

طرخان: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ٣٢٤ وما بعدها

(٢٣٢): ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣: ٢٣، ٤٣

(٢٣٣): الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين ١٢٥

Henri Zaoust; Les gouvernurs Damas Sous Les Mamlouks Les Premier

(٢٣٤): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٣٦١، ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ١/٣٠٧

(٢٣٥): ابن تغري بردي: المصدر نفسه ٧/١٨٢

(٢٣٦): السنجق: لفظ تركي يعني «السرمح» انظر القلقشندي: صبح الاعشى ٢/١٢٨، ٥/٤٥٨، سيتنجاس: المعجم الفارسي الانكليزي ٤٩٥

رأس القائد الاعلى أو قادة التشكيلات وهذه الراية تكون في أعلى الرمح وهي خاصة بالامراء[٢٣٧].

- الجاليش[٢٣٨]

هو العلم الذي أصغر من العصابة وأكبر من السنجق، وهو من الحرير الابيض تعلو خصلة من الشعر.

- العصابة جمع عصائب:

وهي اللواء في أعلى الرمح، وقد جاءت من عصابة الرأس، وهو أكبر من الراية، وكان قائد **الجيش أو من ينتدبه هو الذي يحمله في الحروب والمراسم، أما في العصر المملوكي، والعصر الذي سبقه فكان يحمل فوق رأس القائد[٢٣٩].**

- الجتر:

كلمة فارسية وتعني القبة والطير، وتعني المظلة أو الخيمة، وهي من حرير أصفر، في أعلاها هلال من ذهب، تعلق على رأس رمح بيد أمير يكون راكبا بحذاء الملك «القائد العام»[٢٤٠] وقد استخدمها الايوبيون من قبل هذا الاسم، ولهذا الغرض[٢٤١] وهي تحمل في جميع المناسبات التي مر ذكرها.

- الغاشية:

هي سرج من جلد موشاة بالذهب، وهي التي تحمل أمام السلطان من قبل الركبدارية

---

(٢٣٧): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١٢/٢/٣٤٤، ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ٢٥/٤، أبو شامة: كتاب الروضتين ١٦٨/١

(٢٣٨): الجاليشس أو الشاليش كلمة تركية معناها المقدمة - انظر ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٩/١١، التونجي: المعجم الذهبي ٢١٣، وقد يأتي معناها لاسم الرجل الذي يتولى قيادة المقدمة، أو مقدمة الجيش (الطليعة) انظر ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١١/١٥٦/١٧٧

(٢٣٩): القلقشندي: صبح الاعشى ١٢٨/٢، الألوسي: بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ٦٧/٢، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٤٤٣

(٢٤٠): القلقشندي: المصدر نفسه ١٢٦/٢، ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ١٤٩/٤، الكداني: الالفاظ الفارسية المعربة ٣٨، تونجي: المعجم الذهبي ٤١١

(٢٤١): المقريزي: الخطط ١٥/٣، ابن ا لساعي: الجامع المختصر ١٧٣

«الركابدارية» في المناسبات ولاسيما في العرض والاستعراض[٢٤٢]، وهناك (القبة) وهي التي تعلو رأس السلطان المطرزة بأطلس أصفر مزركش[٢٤٣] و (الطير) ويكون في أعلى المظلة[٢٤٤].

ـ لواء الحمد:

هما رمحان طويلان ملبسان بأنابيب من ذهب إلى القاعدة وفي أعلاها رايتان من الحرير الابيض ملفوفتان على الرمحين، وهما خاصان بالمواكب السلطانية[٢٤٥]

ـ رمحا الأهلة:

وهما رمحان برؤوسهما أهلة من الذهب، ملبسان بالديباج الأحمر والاصفر، يخرجان من طارة مستديرة، يحملها فارسان صغيران اثناء المناسبات[٢٤٦].

ـ الراية:

مستطيلة: عرضها ذراع ونصف، وطولها ذراعان، فإذا كان السلطان في استعراض كان عدد الرايات إحدى وعشرين يحملها أحد وعشرون فارسا من الفرسان الخاصكية «صبيان الملك» يركبون على بغال، وبالاضافة إلى ذلك فإن هناك أربعمائة راية مرقومة الاطراف ترافق المواكب[٢٤٧].

من التنظيم أيضا الشؤون الشخصية التي تعني بالفرد وبتطويره فيما يتعلق بتطوعه وخدمته في القوات المسلحة، والترقي والمكافآت والعقوبات والاجازات وما إلى ذلك ففي الترقية كان ينظر إلى الخاصكية، الذين خدموا مع السلطان إذ يرفعون بسرعة إلى المراتب العليا[٢٤٨]، والجنس فمن كان تركيا في العصر الأول رفع بسرعة، ومن كان شركسيا في العصر الثاني رفع

---

(٢٤٢): القلقشندي: صبح الاعشى ٢/١٧٢، المقريزي: الخطط ٣/٢٥، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٨/٢٦٥، ١٠/٧٩

(٢٤٣): السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/١٢٨

الكلداني: الالفاظ الفارسية المعربة ١٢٣

(٢٤٤): المقريزي: الخطط ٣/٢٥، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٠/٣٦، ٧٩

(٢٤٥): القلقشندي: صبح الاعشى ٣/٤٧٣

(٢٤٦): القلقشندي: صبح الاعشى ٣/٤٧٣

(٢٤٧): القلقشندي: صبح الاعشى ٣/٤٧٢، ٤٧٤

(٢٤٨): ابن تغري بردي: المنهل الصافي ١/٤٠٥. القلقشندي: صبح الاعشى ٤/١٥

بسرعة[٢٤٩]، «والخشداشية» وهي الزمالة وهي التي إن رفع منها واحد رفع زملاؤه الذين كانوا معه[٢٥٠]، فالسلطان بيبرس الجاشكير عين نوابا له في نيابة دمشق لأنهم من زملائه[٢٥١]، والصورة الجميلة التي تدفع بصاحبها بعد أن يرقى قبل غيره[٢٥٢]، وإلى البطولات الحربية فكان عندما يقوم الجندي بعمل يدل على الشجاعة كان يرقى إلى رتبة أعلى، ففي معركة عين جالوت أقدم الجندي آقوت الشمس على قتل كتبغا قائد الجيش المغولي فرقي إلى مرتبة الضباط، وكذلك عندما هاجم الظاهر بيبرس انطاكية تمكن أحد الجنود من أسر أحد القادة الروم فأنعم السلطان عليه بترقية إلى أمير عشيرة[٢٥٣]، وأبى قلاوون إعطاء ابنه إقطاعية لأنه لم يشارك في القتال[٢٥٤]، لم تحدد المدة للترقية بين رتبة وأخرى. إنما يمارس العسكري مدة قصيرة في رتبته الحالية ثم يرقى إلى الاعلى، وهكذا في غضون بضع سنوات يصبح أمير ألف، فالمملوك مامش المحمدي بقي يتدرج حتى وصل إلى مقدم ألف في غضون ثماني سنوات[٢٥]، لم يكن الترقي إلى الوظائف العليا نتيجة خبرة أو أهلية أو تدريب، وإنما صار يرقى العسكري في العهود الاخيرة من الدولة المملوكية نتيجة تقربه من السلطان أو الامراء، أو دفعة واحدة أو يرقى «اللحام» (الجزار) من وظيفته هذه إلى ناظر الدولة مرة واحدة حيث خلع لباس السوق «الزفورية» و«المرقدارية» كما كانوا يطلقون عليه، ولبس لباس رؤ ساء الكتاب، لالعمل عمله، أو لتضحية قدمها، أو لعلم تعلمه وإنما حصل عليها بكثرة دفع المال، وتقديم الاطباق الشهية للملوك والامراء وصار يدعى بالوزير والقاضي بعد أن كان يدعى بالمعلم الذي لايحسن القراءة والكتابة[٢٥٦]، أما الاجازات فكانت تعطى دون نظام أو تقييد[٢٥٧]، وأما المكافآت فكانت

---

(٢٤٩): ابن تغري بردي: المنهل الصافي ١/٢٤٢، ٤٥٦، ٩٢، ٢٥/٣

(٢٥٠): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١/٣٦٨، ٧/٤٢، ٨/١٨١

(٢٥١): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٤٢/٨

(٢٥٢): ابن تغري بردي: المنهل الصافي ٣، ٥٧٧

(٢٥٣): العيني: عقد الجمان ٥٢٩/٥٥

(٢٥٤): المقريزي: الخطط ٣٥١/٣١

(٢٥٥): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣٢٢/٦، ابن تغري بردي المنهل الصافي ١٨٩/٢
السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٣٠٨/٣

(٢٥٦): الحلبي: تحفة الظرف في مناقب الملوك والخلف ٧٧١، ٧٨٠ ومابعدها

(٢٥٧): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٥٠٩/٦

تعطى لمن قام بعمل مجيد تجاه السلطان أو في الحرب أو في التدريب(٢٥٨).

إن التنظيم في الجيش كان غير مترابط إذ أن كل أمير له عدد من المماليك يتبعون له مباشرة، وكانوا غير مرتبطين بسلم القيادة، وحين تدق «الكوسات» يجتمع الامراء مع جنودهم، ويقاتل بهم، وعليه تدريبهم وتهيئتهم للقتال، كما وعليه إطعامهم والاشراف على شؤون حياتهم وكان الجنود غير مشدودين إلى رئيسهم من الناحية العسكرية إلا بمقدار مايقدم لهم من مزايا، إذا لما يتضايق المملوك كان يفر من قائدة ليلتحق بآخر يؤمن له ميزات أفضل(٢٥٩).

لقد كثر القادة والامراء، وازداد عددهم نسبة إلى عدد الجنود الذين تحت إمرة الضباط، وبخاصة في أيام الاختلافات والانقلابات إذ ينعم قائد الانقلاب على الجنود وعلى الامراء بمزايا كبيرة، مما أخل في البنية التنظيمية في الجيش . . . وفي بعض الاحيان زاد رؤوس النواب على عشرة(٢٦٠)، وقد بلغ أمراء الالوف فيها بعد ٢٤ أميراً في حين كان عدد المماليك ٢٤٠٠ فارسا(٢٦١)، فالزيادة إما أن يكونوا نوابا للقادة وهذا غير ممكن، أويكونوا بدون عمل، فالمهم عندهم أن يصبحوا أمراء ألوف، ولا يهمهم أن يكون خللا في التنظيم، وبالتالي فإن هذه الزيادة تخلق الفوضى والارتباك وتضيع الجهود، وتقسم الطاقات وتبعثرها، ولا أدل على ذلك من قتل الظاهر بيبرس للسلطان قطز عندما رأى أن هذا السلطان سيحول بينه وبين ترقيته إلى رتبة القائد العام، وقد تنبه أعداء الدولة المملوكية إلى هذا الخلل فأغاروا مرارا على بلادهم بعد معركة عين جالوت، ونالوا منهم في بعض الاحيان وكان التتار وزعيمهم تيمورلنك قد أشاروا إلى هذه الناحية وصرحوا بها أمام ملأ من الناس(٢٦٢).

رابعا: التوجيه المعنوي:

الغاية من التوجيه المعنوي في الجيش المملوكي التذكير بالجهاد، والحث عليه، والترغيب، وشحن النفوس بمقارعة ومحاربة العدو، وصون الديار والحرمة الاسلامية، القوة المعنوية إحدى القوى الثلاث التي يركز عليها في كل الجيوش، فلا ينتصر جيش بدون معنويات، ولهذا فإن

---

(٢٥٨): ابن تغري بردي: المصدر نفسه ٦/٣٨٦/٥٠٩

(٢٥٩): ابن تغري بردي: المصدر نفسه ١١/٣٤٧

(٢٦٠): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢/١٧٨

(٢٦١): المقريزي: الخطط ٣/٥٦

(٢٦٢): ابن تغري بردي: المصدر نفسه ١٢/٢١٧

القيادة تسعى دائماً إلى زيادة هذه القوة ورفعها، فهي تحاول أن يكون السلاح حديثاً موثوقاً به، والشؤون الإدارية بحالة جيدة كالطعام واللباس والحاجيات الاخرى.

لقد أكثر المماليك من الوسائل التي ترفع هذه القوة كالمكافآت والترقيات. إغداق الأموال ولكن هذه الوسائل كانت موقتة للسكن الذي لايلبث أن يعود الجندي إلى حالته الطبيعية، ولكن هناك وسيلة كبيرة هي العقيدة التي كانت تأمر بالقتال، وإن النتيجة مع المقاتلين في النصر أو الاستشهاد، وقد استغل هذه الناحية المشايخ في الجيش المملوكي فأججوها، ورفعوا بها إلى المكان الذي يمكن أن يأخذوا من الجندي كامل طاقته وقدرته القتالية[٢٦٣].

إذا أردنا أن نحمل بواعث المعنويات عند الجيش المملوكي في معركة عين جالوت للخصناها بمايلي:

١ ـ زيادة حجم الجيش المملوكي وتفوقه على خصمه.

٢ ـ الثقة الكاملة بالنصر يتضح ذلك من تصريحات القيادة العامة بذلك واستعدادها النفسي لملاقاة العدو.

٣ ـ الانتقام من المغول الذين طغوا وبغوا في البلاد التي احتلوها، والثأر لكل المظلومين والمقهورين.

٤ ـ العقيدة التي أججت في المقاتلين روح التضحية والفداء، وجعلتهم يقدمون على الموت، وهو أحب إليهم من الحياة.

٥ ـ الاستعداد الكامل والتحضير لهذه المعركة، وحشد كل الطاقات والامكانات لنجاحها.

٦ ـ تراخي العدو وعدم اكتراثه، وعدم تطبيقه الاسس والمبادىء الحربية، وعدم أخذ الحيطة والحذر.

ارتفعت معنويات الجيش المملوكي عندما تأكد أن عدد الجيش المغولي أقل من عدده، وأن هولاكو من مكان بعيد لم يقم بإمداده، أو أن كتبغا قائد الجيش المغولي في هذه المعركة لم يطلب النجدة[٢٦٤]، وزادت المعنويات عندما جاء الخبر إلى قادة الجيش المملوكي من الصارم المملوكي الذي كان في خدمة هولاكو والذي كان ينقل أخبار الجيش المغولي ويدل على مواطن ضعفه

---

(٢٦٣): الصفدي: الوافي بالوفيات ٢، ٢، ٣، أبو شامة: الذيل على الروضتين ٢٠٩

(٢٦٤): ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ٢٨٠

وقوته، وعلى أنه كان قليلا وضعيفا في معنوياته[٢٦٥].

لقد قيض الله للجيش المملوكي رجلا من المماليك أسر مع من أسر في حلب قبل معركة عين جالوت، وعاش مع هولاكو ومع أسرته ومع جنوده، حتى اطلع على أسرار الجيش المغولي وأسرار قيادته، ولما أزفت الساعة، وتلاقى الجيشان في سهل مرج ابن عامر ظهر دور هذا الاسير الذي أصبح مستشارا لقائد الجيش المغولي في هذه المعركة ـ صارم الدين أزبك بن عبد الله الاشرفي ـ فأحبط الروح المعنوية لدى كتبغا وأدخل في نفسه الرعب، عندما صور له قوة الجيش المملوكي واستعداده وأنه لاقبل له بمحاربته أو التصدي له وأشاع الذعر في صفوف الجنود المغوليين. مما سبب إحباط الروح المعنوية لدى هذا الجيش[٢٦٦]، وانفرط عقده بعد ساعات من القتال.

كانت المعنويات في كلا الجيشين غير منظمة التنظيم الدقيق الصحيح، فلا الجيش المملوكي كان يحافظ عليها، ولا الجيش المغولي كان يهتم بها، إذ لم يوجد جهاز خاص بالقضاء على الاشاعات، ولاهو قادر على فرز العناصر التي دخلت في جيشه وتقوم بدور الاحباط وانخفاض الروح المعنوية، كما أنه ليست هناك ثقة متبادلة بين هذا القائد وجنوده المغولين الذين كرهوا الحروب، وأنفوا أن يقاتلوا أو أن يستمروا في القتال، صحيح أن هناك انضباطا قويا بين جنود المغوليين ولكنه انضباط ارتكز على الالزام والشدة والقسوة[٢٦٧]، فلا يقدم مثل هذا الانضباط المعنويات المطلوبة في مثل هذه المعارك الطاحنة، وهناك مثل هذه الحالة كانت في الجيش المملوكي، فالمملوكي نشأ يتيم الأب وا لأم وهما أحياء، نشأ عند سيده فرباه التربية الاجتماعية البعيدة عن حنان الوالدين، فتولد لديه غلظة وسوء طبع أثرت على معنوياته وسلوكه، صحيح أنه قاتل في بادىء الامر وفي المعارك الاولى لتأسيس الدولة المملوكية، وبخاصة في معركة عين جالوت أشد القتال، إلا أنه كان بمعنويات دون حرية وبقسوة دون رحمة، وبفوضى من

---

(٢٦٥): رواية صارم الدين أزبك نقلها الدكتور أحمد مختار العبادي في كتابه (قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ٢٦٦، ٢٦٧)

(٢٦٦): Magizine Orientalia Volumen IV/366

العبادي: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ١٦٤

(٢٦٧): القلقشندي: صبح الاعشى ٣١٣/٤، ٤٥٠، الهمذاني: جامع التواريخ ٢٦١/١/٢

الاضطراب النفسي دون الاستقرار، لقد أعطت هذه الصفات في باديء الامر نتائج كبيرة على المستوى العسكري، إلا أنها أثرت في النهاية على قوة الدولة العسكرية، بل وعجلت بانهيارها(٢٦٨).

لقد كان المملوكي مشدودا إلى زميله المملوكي بحب الانتساب إلى هذه الطبقة فهم جيمعا في مرتبة العبيد. كلهم اتبعوا وصاروا عند السلاطين والامراء في بيوتهم وتحت تصرفهم وليس لهم سلطـان على أنفسهم، وكـانـوا يخضعـون لتربيـة تتصـل بتربية أسيادهم وتتأثر بها من جوانب مختلفـة، وتتبـاين بين كل سيـد وسيـد، وكذل فإنهم ينتسبون إلى فئات وقوميات مختلفة، فالفئة الـواحـدة ترى أفـرادهـا أقـرب إلى بعضهم من باقي القوميات الاخرى. فالمجموعة الشركسية تتجمـع مع بعضهـا وتأتلف، كما تتجمـع المجموعة الكردية أو التركية أو الرومية وتجدهم أقرب مودة إلى بعضهم من غيرهم، وهـذا الامـر جعـل الامـراء يقسمـون هذه المجمـوعـات لتقاتل كمجموعة أو لتعيش مع بعضها، وهذا مما جعل التنافس وإيقاظ الروح المعنوية على أشدهما، وبخاصة في القتال وأثناء الالتحام مع الجيش المغولي(٢٦٩).

إن الـذي يلفت النظر في موضـوع المعنـويات هو العقيدة، فيها اجتمعوا وتوحدوا على مستوى واحـد، وأرضيـة واحـدة، فالمملوكي مهـما كانت طبقته وقوميته فهو عقائدي، وبهذا الانتماء قدم الجهاد، وبهذه المزية اندفع بمعنوية لاتقابلها معنوية في الجيش المغولي، فذاك قطز نادى بأعلى صوته «واسلاماه»(٢٧٠) فاجتمع له الجيش بفئاته المختلفة بمعنويات عالية، ذلك لأن هذا النداء العقـائـدي أجـج في نفـوس القادة والجنود كل إمكانيات المقاتل القتالية وجعله يقدم الارادة حبا وتضحية، وفداء واستبسالا، على هذا النداء قاتل الجيش المملوكي قتال رجل واحد فانتصروا على أكبر قوة في تلك الحقبة(٢٧١)، وذلك الظاهر بيبرس فيما بعد، قال قولا عقائديا لبعض قادته عندما ألقوا إلى مسامعه أن وسائط النقل قد قلت فقال: «ماأنا في قيد الجمال، أنا في قيد نصرة

---

(٢٦٨): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك

(٢٦٩): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٣٨٨

(٢٧٠): المقريزي: المصدر نفسه ١/٢/٤٣١، اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٣٨١، ٣٨٣

(٢٧١): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٧٩

أبو الفداء: تاريخه ٢/١/٢١٤

السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/٣٩

الاسلام(٢٧٢)، ومضى في قتاله فانتصر، إن العقائد تفعل سحرها، وإنها لسحر عظيم في المعنويات وفي استمرارها وتقويتها.

---

(٢٧٢): المقريزي: المصدر نفسه ١/٢/٥٢٤

الفصل السادس

الصنوف والأسلحة المشتركة في القتال



قد تتشابه الصنوف (التشكيلات) والأسلحة في الجيشين المملوكي المغولي في معركة عين جالوت، إلا أن النشاب والمجانيق في الجيش المغولي أكثر تطورا، بينما كانت السيوف في الجيش المملوكي متقدمة من الناحية الفنية سقيا وصقلا وملمسا(1). أما الصنوف في كلا الجيشين فقد كانت كثيرة وفي مقدمتها سلاح الفرسان الذي تميز بالخفة والرشاقة والمناورة والحركة السريعة في الميدان. وكان الاهتمام به كبيراً من قبل المملوكيين حيث كانوا يشترون الخيل بأثمان غالية من جميع أنحاء العالم(2). وقد ظهر ايضا في هذه المعركة دور سلاح النفط والنيران حيث استخدمه الجيش المملوكي(3) أما الأسلحة فقد كان أغلبها ينتج محليا، وأهم الصناعات الحربية التي برز فيها الجيش المملوكي هي صناعة النشاب والقسي(4).

أولاً: صناعة الأسلحة:

هذه الصناعة قديمة. وقد لجأ إليها الإنسان منذ أن خلق على هذه الأرض للدفاع عن نفسه، ولرد الإعتداء، وقد مرت في أطوار مختلفة وفي عهود متتالية، ففي العصر المملوكي وجدت أسلحة جماعية مثل صناعة المنجنيق، ووجدت أسلحة فردية مثل صناعة السيف والرمح والقوس والنشاب. كما صنفت إلى صناعة خفيفة كأسلحة الخناجر والطبر والرمح، وصناعة ثقيلة كالدروع والزرديات والدبابات وأهم هذه الصناعات:

صناعة النشاب:

لقد ألفها المماليك قبل مجيئهم إلى مصر، وقد كانت محببة حتى إلى القائد الاعلى للجيش، وإلى قادة التشكيلات حيث كانوا يقومون بأنفسهم بصناعتها ونحتها وتريشها وتفصيلها(5).

---

(1): زيادة: دمشق في عصر المماليك ١١٠، الاسكندري: تاريخ مصر ٢٢١، ويسلر: الحضارة العربية ١١٧ - ١١٩.

(2): ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ١٣٢، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١١ / ٣٥٧، مبارك: الخطط الوفيقية ١ / ١٤٤.

(3): الهمذاني: جامع التواريخ ٢ / ١ / ٣١٤

David Ayelon, Gunpowder and fire Arms in the Mamluk kingdom: 14

(4): ابن الفرات: تاريخه ٧ / ٦٨، أبو البقاء: نزهة الانام في محاسن الشام: ٣٦٣، ٣٦٤.

(5): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١ / ٢ / ٦٠٣.

وقـد كان الصنـاع المهـرة المختصون يتقنون صنع هذا السلاح، ثم يقومون بتجربتها، فإذا ظهر فيها عيب عدلت، حتى إذا استوت بعد كل التجارب دخلت ضمن أسلحة الجيش وهي ترمى رشـا ودراكـا وتصـل إلى مسـافـات بعيـدة[٦]. وقد كانت هذه الصناعة منتشرة في جميع نيابات المملكـة وذلـك لأن أغلب المـواد الأوليـة التي تصنع منها السهام متوفرة في كل مكان، وأشتهرت نيابة دمشق بهذه الصناعة التي كانت تمر بمراحل متعددة حتى يخرج السلاح في وضع الجاهزية للاستخدام، وقد كان يمر على عشرة عمال (مراحل)[٧].

وبهذه المراحل تتعدد اختصاصات العمال، ويدل هذا العمل دلالة قاطعة على الأخذ بمبدأ التخصص والتخصص الـدقيق في الصنـاعـة الـواحـدة، وقـد قالوا: « النشاب سلاح الفارس والترس حصنه. . »[٨] وقد شاعت صناعة النشاب والقسي[٩]، وأهتم بها القادة والجنود، وقد عدت الصنـاعـة الشـاميـة للاقـواس من أفضل الصناعات النشابية وكان أجودها الفحل[١٠] إذ ينتقي لنجـارة الخشب فصـل الخـريف، والجمـع والحـزم في فصـل الشتاء، وتركيب العقب في الربيع، والدهان والتصقيل في الصيف[١١]. وهكذا يمضي على الصناعة عام واحد يصل فيه النشاب إلى أعلى درجة من المتانة والقوة. وكذلك فإن الاعتناء بهذا السلاح وصيانته كانت تتم في الاوقات المحددة[١٢].

للسهم أنواع وأقسام كالنفيل والعود والعقب والعوف، ومنها السهام (الخطاية) وهي سهام عظام يرمى بها عن قس عظام فتكاد تخرق كل ما تصل إليه[١٣]، أما أنواعها فمنها (النشاب) وهو عادة ما يكون نصله مثلثا من الخشب و (الجراد) أو الشبر وهو ما يكون قصيرا بقدر شبر الرجل وهو ذو

(٦): ابن العماد الحنبلي: شذران الذهب في أخبار من ذهب ٤ / ٧ / ٣١٥.

(٧): أبو البقاء: نزهة الانام في محاسن الشام ٣٦٣ وما بعدها.

(٨): الرماح: مخطوطة نهاية السؤال والامنية في تعلم أعمال الفروسية ٣٠.

(٩): مجهول: مخطوطة الخيل والحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ٤٦.

(١٠): مجهول: مخطوطة في علم الفروسية ورماية النشاب على ظهور الخيل ٢.

(١١): الأشرفي: مخطوطة النشاب ١٤، مجهول: مخطوطة الخيل ٢.

(١٢): الناصري: مخطوطة الخيل في الحرب وفتح المدائن وحفظ الدروب: ١٣٢ وما بعدها، الكندي: مخطوطة النجوم الشارقات ٢٢، زكي: السلاح في الإسلام ٣٣.

(١٣): القلقشندي: صبح الاعشى ٢ / ١٣٧.

مواصفات قتالية عالية إذ يتميز بسرعة كبيرة ودقة في الإصابة[١٤] ومنها الزنبورك وهي في شكل الإبهام وطول الذراع وذو اجنحة، وله أربعة أوجه ونصل حديدي مما يجعله ثابتا مستقيما، يصل إلى مسافات بعيدة، سريعا في طيرانه ووصوله إلى الهدف[١٥] وللسهم أيضا اسماء منها (أقد) وهو الذي لاريش له، و(جباع) وهو بدون نصل و(زمخ) وهو النشاب و(صادر) وهو النافذ و(معراض) وهو الذي له ريش، وأحسنها ما كان من ريش النسر ثم ريش العقاب[١٦] و(مشقص) وهو العريض. وتوضع السهام في (التركاش) وهي الجعبة أو الكنانة التي يضع العسكري بها هذه الذخيرة[١٧].

صناعة القوس:

للقوس انواع منها: قوس اليد، وهو ما أشتهر به العرب، ويدل من اسمه على أنه يستخدم باليد، فتنطلق منه سهام عديدة في جهات مختلفة بدفعة واحدة، وهو مايشبه السلاح الصاروخي المتعدد الفوهات في الوقت الحاضر. ويمتاز هذا النوع من الاقواس بالدقة والتناثر والسرعة والإصابة المحققة. ومن الأقواس ما يكون طولها اثنا عشر شبرا، ويرمي عنها رجل واحد، في دفعة واحدة بثلاثين سهما[١٨].

أما قوس الرجل فهو ما أشتهر به الافرنج ويستخدم بالرجل وهو بطيء الحركة وغير دقيق في الإصابة إلا أن مداه أطول واطلاقه أسهل[١٩] وهناك قوس اللولب وقوس الركاب اللذان يحتاجان إلى مهارة وتدريب[٢٠]، وهناك أنواع أخرى تختلف في صناعتها ومقاييسها والمواد الاولية التي صنعت منها وفي الطول والمدى[٢١].

(١٤): ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ٦٦، ريسلر: الحضارة العربية ٨٠.

(١٥): الاصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي ١٦٣.

(١٦): الاشرفي: مخطوطة النشاب ٢٠، مجهول: في علم الفروسية ٢٣١.

(١٧): النويري: نهاية الارب في فنون الأدب ٦ / ٢٣٠ وما بعدها، الالوسي: بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ٢ / ٦٥.

(١٨): الناصري: مخطوطة الخيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ١٤٦ فما بعدها.

(١٩): مجهول: مخطوطة الخيل والحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ٩١.

(٢٠): مجهول: مخطوطة الخيل ١، ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ٦٦.

(٢١): الناصري: مخطوطة الخيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدورب ١٤٦، مجهول: مخطوطة الخيل ٢، ٣.

صناعة السيف :

لقد اهتمت الامم السابقة واللاحقة بصنع السيوف ، وقد وجدت عدة مخطوطات ، وأبحاث تدل جميعها على هذه الصناعة العريقة(٢٢) .

وإن المواد الأولية التي تصنع منها السيوف متوفرة محليا ففي جبال لبنان يوجد الحديد ، كما كان يستورد من أرمينيا ، ويوجد الخشب في لبنان كما توجد المواد الأخرى(٢٣) ، ولشدة اهتمام الجيش المملوكي بالصناعة الحربية وبخاصة بصناعة السيوف فقد أنشأ مدرسة أطلق عليها « مدرسة صانعي السيوف » وكان مركزها في القاهرة في قصر المأمون(٢٤) .

صناعة الجوشن :

يصنع من مركب من العاج والفولاذ وقرون التيوس والسناذج بنسب متفاوتة ثمْ يدق ناعما ، ويعالج بخل خمر ، ويسقى بدهن صيني لمدة سبعة أيام ، ثم يوضع تحت أشعة الشمس لمدد مختلفة بعد كل معالجة وسقاية(٢٥) ، وقد يصنع الجوشن من الجلود ثم يضاف إليه بعض المواد لمعالجته وصنعه(٢٦) .

صناعة المدفعية :

اعتنى المملوكين بصناعة المدفعية ، وأولوها اهتماما كبيرا . وقد جرت عدة محاولات لتطوير هذا السلاح ، وذلك لأهميته القتالية في المعارك ولا سيما في دك القلاع والحصون ، وتدمير المناطق والنقاط المحصنة ، كما جرى الاهتمام أيضاً بتصنيع مدافع النفط وقد بلغت ذروة التصنيع في عهد السلطان قاتباي(٢٧) إذ أمر بصناعة مدفع بلغ طول سبطانته خمس أذرع وربع وفوهته ثلاث أذرع وثلاث أرباع الذراع ، وسماكتها من الحديد ثلث الذراع وهذا المدفع عبارة

---

(٢٢) : الكندي : مخطوطة السيوف وأنواعها وسقيها ١٠ ، الرماح : مخطوطة نهاية السؤال والامنية في تعلم أعمال الفروسية ١٦٥ ، الزردكاش : مخطوطة الانيق في المناجيق ٢٢٥ ، ٢٣٠ .

(٢٣) : Rey - Les Colonie Franques De Syria Aux XIIme Siecles Pages: 218.

(٢٤) : Lane - poole: A history of Egypt in the middle Ages ages: 7 / 204.

(٢٥) : الناصري : مخطوطة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ١٤٩ وما بعدها .

(٢٦) : الناصري : مخطوطة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ١٦٢ .

(٢٧) : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٢/ ١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٤٢ ، ٣٠٥ ، ٣١١ .

عن قطعة واحدة يرمي الحجارة إلى مسافة بعيدة بلغت ٣ كم تقريبا. وهي مسافة نموذجية إذا قيست بمديات المدفعية في ذلك الوقت[٢٨]، وكانت ذو قياسات ومديات مختلفة[٢٩] وقد صنع الجيش المملوكي مكاحل النفط من النحاس والحديد، وبلغ الانتاج في إحدى السنين سبعا وخمسين مكحلة[٣٠]، وكانت المدفعية تحمل على ظهور الجمال في بدء تشكيل الجيش المملوكي ثم اصبح فيما بعد على عجل تجره الثيران[٣١].

صناعة الأسلحة النارية:

انتشرت هذه الصناعة في عهد المملكة المملوكية وقد كان منها حشوات المدافع والبندق والأسهم النارية، والصواريخ النفطية وقوارير النفط، وأنواع المقذوفات المحتوية على النفط والبارود وفيها مزيج نفطي ومواد مشتعلة كالبارود، والمكاحل التي كانت تقذف ما فيها بقوة البارود، والدبابيس المملوءة بالمواد الحارقة وغيرها[٣٢].

لقد سبق المماليك غيرهم في هذه الصناعة، وقد كانت مزدهرة قبل حدوث معركة عين جالوت بدليل استخدام هذا السلاح في هذه المعركة[٣٣].

صناعة الأسلحة البحرية:

تعتبر السفن البحرية من أهم أنواع الأسلحة التي استخدمها الجيش المملوكي. فهي تصنع من أخشاب مختلفة تتصف بالقساوة والليونة والصلابة والمقاومة للجفاف والحرارة والمياه. وكانت

---

(٢٨): ابن تغري بردي: حوادث الدهور في وقائع الايام والشهور ٤٧٤، ابن القاسم: غاية الاماني ٢ / ٦٤٣.

(٢٩): ابن عبد الطاهر: تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور ١٤٩.

(٣٠): ابن أياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٤ / ٢٦١، ٢٦٥.

(٣١): ابن غانم الاندلسي: مخطوطة الغر المنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع ١٧ وما بعدها، ابو الفداء: تاريخه ٢ / ٢ / ٢٥، ٤٧.

(٣٢): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢ / ٢٢٢، ٢٢٧، ابن كثير: البداية والنهاية ١٤ / ١٨٦، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٢ / ٢ / ٤٩٦، ٥١٤، ٣ / ١١٢، النويري: الالمام ٢ / ١٣٨، ١٤٦، الحجاري وزملاؤه: النجوم الزاهرة في حل حضرة القاهرة ٦٦، ١٦٢، ١٦٣، القلقشندي: صبح الاعشى ٢ / ١٣٧، ١٣٨، زكي: الجيش المصري في العصر الإسلامي ٥١، ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ٦٨.

(٣٣): Davidd Ayelon: Gun powder and fire Arms in the Mamluk kingdom: 31, 14.

هذه المواد الأولية كالأخشاب متوفرة في جبال لبنان والسلسلة الممتدة فوق الساحل السوري وبلاد الاناضول، وجبل شغلان القريب من أنطاكية والأراضي المصرية والطلاء الذي يدهن به الخشب كالخل والشب والنطرون، والجلود واللبود وكما كان متوفرا أيضا الحديد في مصر والشام واليمن لصناعة الفؤوس والدسر والكلاليب والمراسي، والقطران من ليبيا، وبعض النباتات لصنع الحبال والأشرعة(٣٤).

عمال الأسلحة:

كان يطلق على العمال صانعي الأسلحة (زردقاش) مهمتهم صنع السلاح واصلاحه وصيانته وحفظه وتوزيعه وعلى صانعي القنابل اليدوية « القرموسي » مهمته صنع القدور المختلفة من الفخار والخزف وقد كان من صناع الأسلحة المشهورين ابراهيم الحلبي الذي برع بصناعة المدافع، ... وقد تطورت هذه الصناعة فيما بعد من حيث المواصفات الفنية والتعبوية يدل على ذلك استخدام المدافع ضد اليمنيين الذين تعرفوا على هذا السلاح لأول مرة وفوجئوا بتأثيره(٣٥)، وقد سرق التتر أغلب الصناعات والصناع، وتركوا البلاد خاوية من علمائها الذين يعتمد عليهم في تطوير الأسلحة، وإدخال التقنية في الأعتدة الحربية(٣٦)، وللأسلحة المنتجة محليا أو المستوردة سوق يدعى « سوق السلاح » تباع وتشرى فيه جميع الأنواع. وكان في كل نيابة سوق يحتوي على الدروع والسيوف والنشاب والقسي وغيرها(٣٧).

---

(٣٥): ابن القاسم: غاية الاماني ٢ / ٦٤٣.

(٣٦): الصيرفي: نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ٢ / ٩٢، زيادة: دمشق في عصر المماليك ٤٤، بارنولد: تاريخ الحضارة الإسلامية ٩٢.

(٣٧): ابن شداد: الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ١٤٤، المقريزي: الخطط ٢ / ٩٧، ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ١ / ١٦٤، الأسدي: أحياء حلب وأسواقها ٢٣٢.

(٣٤): النويري: الالمام: ٥، ٧، ابن عبد الحق البغدادي: مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ١ / ٢٣٥، أبو الفداء: تقويم البلدان ١١١، ١١٥، ماهر: البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ١٦٨، ١٩٩، حوراني: العرب الملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى ٢٤٤ وما بعدها، عدوي: الاساطيل العربية في البحر المتوسط ١٥١، العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ٤، وما بعدها. اشرنا إلى صناعة الأسلحة البحرية عند المماليك استكمالا للحديث عن وسائل القتال.

ثانياً: الصنوف (التشكيلات):

لقد شاع التخصص، وتنوعت صنوف الأسلحة الداخلة في قوام الجيش المملوكي وكان لها دور كبير في القتال الهجومي أو الدفاعي، ففي الهجومي برز سلاح الفرسان، وفي الدفاعي برز سلاح المدفعية وسلاح النفط والنيران. وقد كانت الصنوف الأخرى تؤدي دورا قيما ومكملا كالسلاح الهندسي، والسلاح الكيميائي، والسلاح البحري. وكان الجيش المملوكي يتألف من قوتين كبيرتين هما القوى البرية والبحرية، على أن للقوات البرية الدور الأكبر والمهم في الأعمال القتالية.

١) سلاح الفرسان:

الفرس تشبه الدبابة في الوقت الحاضر، وسلاح الفرسان من قبل هو سلاح الدبابات في الوقت الحاضر، والخيل أساس هذا السلاح ولذا فإنه من الطبيعي أن يكون الأهتمام بهذا المخلوق العجيب الذي اتصف بصفات السرعة والمرونة وقوة التسلق والاحتمال. وقد أعار الجيش المملوكي أهمية كبيرة للخيل وأنشأ لها الاسطبلات، ونظم لها ديوانا يشرف على إحصائها وصفاتها وأسمائها وما إلى ذلك. وعين لها أمير آخور وناظرا وكتابا، واعتنى قادة هذا الجيش بانتاج الخيل وتدريبها وسباقها، وكان يوجد عند القادة مئات من الخيل بل الالاف(٣٨) ولقد أشارت الكتب العديدة والمخطوطات المؤلفة في ذلك العصر إلى أهمية الخيل وأهمها: كتاب الفروسية برسم الجهاد ونهاية السؤال والأمنية في تعلم أعمال الفروسية، والفروسية والحرب والأسلحة للرماح واسبال الذيل في ذكر جياد الخيل للرملي والمخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لناصر الدين وفضل الخيل للدمياطي والتذكرة في معرفة البيطرة لابن الرسول الغساني، وقطر السيل في أمر الخيل للبلقيني، كما توجد عدة مخطوطات أخرى عديدة لمجهولين كتبوا عن الخيل وما تجد كتابا عاديا إلا تضمن أمورا هامة عنها. وقد كان أغلب الفرسان في الجيش المملوكي ولا سيما القادة يركبون الفحل في الحروب والجنائب دون الحِجْر

---

(٣٨): البلقيني: مخطوطة قطر السيل في أمر الخيل ٨٨ وما بعدها، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٩ / ١٦٨، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٢ / ١ / ٢١٠، القرموسي: كلمة يونانية معناها الفخاري الذي يصنع منه الفخار والخزف ويقوم بصناعة الاوعية الفخارية أنظر:
Dozy: suppl. aux dic. Arabes II P. 337

والأكديش(٣٩). وكان كل فارس يهتم بفرسه بنفسه(٤٠).

ولشدة أهتمام المماليك بالخيل فقد كان لها سوق يجتمع إليه الجند فيبتاعون من أصيل الخيل والنجائب(٤١). وكما كان في دمشق وقد وجد أيضا سوق في حلب يقع في قلعتها وهو بين باب القوس البراني وباب القوس الجواني(٤٢). وقد أشتهر رجال اختصاصيون بمعرفة الجواد الأصيل وهؤلاء كان يستعان بهم عند الشراء أو البيع(٤٣)، للخيل لباس وعتاد قتال لابد من توفرهم جميعا للفارس المقاتل وأهمه السرج وله أشكال مختلفة حسب وضع الفارس فإن كان يلبس « الجوئن » فالسرج في هذه الحالة ينبغي أن يكون صغيرا. بحيث يقع « الجوئن » خلف مؤخر السرج الواسع وعند المدرع ينبغي أن يكون وسطا. وفي الأحوال العادية فإن السرج الواسع أفضل من الضيق لتمكن الفارس من حرية الحركة وهو على ظهر جواده(٤٤). . وقد كان السرج في بادىء الأمر طويلا يغطي جسم الحصان ومؤلف من قطعتين أمامية وخلفية(٤٥).

وكلما كان السرج أخف كان أفضل للمرونة والحركة، وللسرج صفات عديدة فصلها الأخصائيون وشرحوا مراميها وفوائدها القتالية(٤٦)، يصنع من الحديد أو الخشب أو الجلد مما يعطيه ثقلا بالإضافة إلى مقعد مرتفع فوقه، أما تحت السرج فيوجد ثلاثة أغطية(٤٧) و(كنبوش ج كنابيش)(٤٨) وهي الفاشية تحت سرج الفرس وكان يكتب عليها بالزركش والحرير أسم ولقب

---

(٣٩): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٠ / ١٤٣، ١٢ / ٦٥.

(٤٠): ابن تغري بردي: المصدر نفسه ١١ / ٣٥٧.

(٤١): زيادة: دمشق في عصر المماليك ١٥٩.

(٤٢): الأسدي: إحساء حلب وأسواقها ٣١٢.

(٤٣): البلقيني: قطر السيل في أمر الخيل ٨٨، ٨٩، المقريزي: الخطط ٢ / ٢ / ٥٢٧ وما بعدها.

(٤٤): الرماح: مخطوطة نهاية السؤال والأمنية في تعلم أعمال الفروسية ٨٢.

(٤٥): Rey - Les Colonis Franques de Syrie aux XII me et XIII me siecles pages 30.

(٤٦): ابن الرسول الغساني: مخطوطة التذكرة في معرفة البيطرة ٧٢، الرماح: مخطوطة في عمل الرمح على الأرض والفرس.

(٤٧) Volney; Voyage en Egypt Eten Syrie 153.

(٤٨): كنبوش: لفظ فارسي مركب من « كن » وهي الدبر ومن « بوش » وهو الغطاء. انظر الكلداني الألفاظ الفارسية المعربة ١٣٨.

السلطان وهي ما يستر به ظهر الفرس وكفله وله قوالب وأشكال وفيه من الذهب والفضة وأحيانا يكون من الصوف[٤٩].

واللجام: وهو الالة التي تكون في فك الفرس: قوالبه وأشكال ونسب وجود الذهب فيه مختلفة[٥٠]، وفي اللجام الشكيمة والعنان والفاس والعصاب[٥١]، اثناء الحرب والمطاعنة والمنازلة فإن اللجام كالمقود ويمكن توجيه الفرس بكل سهولة ولكن أثناء المطاردة أو الركض أو اللعب بالصولجان قد يضايق الفرس لانه يحتاج إلى أخذ كمية كبيرة من الهواء، إذ يستعين بفمه بالإضلافة إلى منخريه، فاللجام يقيد فمه ولا يستطيع التنفس إلا من مجرى واحد، ولذلك عمد الفرسان الاتراك والمغول إلى توسيع مناخر خيولهم لتتسنى لهم أن يستمروا في الحروب، وإذا كان اللجام يمنع التنفس من الفم، فإنه يقيد الفرس عند الشرب إذ أن بعض الخيل لاتشرب واللجام في رأسها[٥٢]. كانت صناعة اللجم متقدمة في الجيش المملوكي وكانت قرية (دلاص) وهي إحدى قرى مصر بمديرية بني يوسف مشهورة بهذه الصناعة المنسوبة إليها، وكان يوجد بها ثلاثمائة حداد يعملون فيها ويتفننون في صناعة اللجم وكل ما يخصنها، ويزينون حلقاتها من الفضة[٥٣].

والمهماز: آلة من حديد تكون في رجل الفارس فوق كعبه، فوق الخف، وله بروز إذا أصاب جانب الفرس تحركت وأسرعت في العدو. وهو يكون من الفضة أو من الذهب أو مطلي[٥٤].

والركاب: وهو من السرج وهو ما تجعل فيه الرجل عند الركوب وهو إما أن يكون من الجلد أو الخشب أو الحديد[٥٥]، والعنان جمع أعنة وعنن وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابة، وقد

---

(٤٩): القلقشندي: صبح الاعشى ٢ / ١٢٩، ابن السباعي: الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير ٢٨٧.

(٥٠): القلقشندي: صبح الاعشى ٢ / ١٢٩.

(٥١): ابن الرسول الغساني: مخطوطة التذكرة في معرفة البيطرة ٧١.

(٥٢): الرماح: مخطوطة في عمل الرمح على الأرض والفرس ٥٣، ابن الرسول الغساني: مخطوطة التذكرة في معرفة البيطرة ٢٠٦ وما بعدها.

(٥٣): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٩ / ٢٥١، ١٠ / ١٩٤.

(٥٤): القلقشندي: صبح الاعشى ٢ / ١٢٩.

(٥٥): القلقشندي: صبح الاعشى ٢ / ١٣٠، الزبيدي: تاج العروس ١ / ١٨٠.

سمي به لاعتراض مسيرته على صفحتي عنق الدابة من يمينه وشماله[٥٦]، ومهمته منع الفرس من التلفت يمينا وشمالا وإذا بقي العنان لمدة طويلة أثر ذلك على قوة الفرس ونشاطه[٥٧].

والسرفسار: وهو السير الذي يجعل في طرف العنان ويقبض عليه الفارس ببنصر يده اليمنى عند الرمي ويستخدم للخيول التي لها أعناق لينه، وبدونه يمكن لرأس الفرس أن يصطدم بصدر الفارس[٥٨].

والسوط: ويعرف بالعصر المملوكي « المقرعة » ويضرب به المركوب من الخيل والإبل[٥٩] وهو بدل القضيب الذي كان مستخدما من قبل. وللملك قضيب خاص يحمله أثناء الاستعراضات والمواكب وطوله شبر ونصف وموشى بالذهب، ومرصع بالدرر والجواهر[٦٠]، **وهناك الحافر**: وهي قطعة ياقوت أحمر في شكل هلال توضع في جبهة الفرس.

والرقبة: وهو لباس لرقبة فرس القائد الاعلى للجيش يكون من حرير أصفر مطرز بالذهب ويشد على رقبة الفرس[٦١].

والتجفاف جمع تجافيف وهو الدرع الذي يصنع للدابة من اللباس أو القماش المبطن **والبركستوانات** وهي الدرع التي توضع على الخيل. وهي مصنوعة من الفولاذ وهناك الابازيم والبود والمرشحة والقماش المبطن ووجوه الفولاذ لوقاية رأس الجواد. كل هذه الألبسة قتالية يلبسونها للفرس عند القتال[٦٢]، تصور الفارس في لباسه القتالي، والفرس تحته في لباسها الذي ينم عن مظهر جليل، ومنظر مخيف ظهر في معركة عين جالوت مع تشكيلات قتالية منظمة أرهبت المغول ودبت الذعر والهلع في نفوسهم. إن اللباس الذي اتقن صنعه وحسن منظره ولمع برقه وبريقه بما حلي به من ذهب وأحجار كريمة، هذا المنظر كان مع إشراق شمس المعركة وفي

---

(٥٦): الزبيدي: تاج العروس ٩ / ٢٨١.

(٥٧): ابن الرسول الغساني: مخطوطة التذكرة في معرفة البيطرة.

(٥٨): الاشرفي: مخطوطة رمي النشاب ٣٧.

(٥٩): القلقشندي: صبح الاعشى ٢ / ١٣٠.

(٦٠): القلقشندي: صبح الاعشى ٤٧٢.

(٦١): القلقشندي: صبح الاعشى ٢ / ١٢٧، ٣ / ٤٧٣.

(٦٢): ابن عبد ربه: العقد الفريد ١ / ١٨٠، الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف ١ / ٣٠١، زكي: السلاح في الإسلام ١٧ / ٢٤، ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ٦٧.

اليوم الأول وفي بطاح سهل مرج ابن عامر(٦٣).

إذا كان للخيل لباس، فإن للفارس لباس حرب يلبسه عندما يكلف بمهمة قتالية يتألف من عدة أسلحة منها ما يقي الجسم من ضربات الخصم كالدرع والترس والخوذة والزردية والجوشن والقرقل والتي يمكن أن نطلق عليها الأسلحة الدفاعية، أما الهجومية فأهمها السيف والرمح والقوس والنشاب والخنجر والمقلاع، وقد تصنف أسلحة الفارس حسب مدياتها مثل الأسلحة القريبة وهي الخنجر والسيف والعامود والدبوس، ومنها البعيدة كالرمح ومنها ذات المرمى البّعيد كالسهم والنبل والمقلاع والحجارة والمزراق والمقذوفات ذات الحشوة البارودية (للبس هذه الأسحلة نظام خاص عندما يرتديها الفارس فالرمح يحمله بيمينه، والخنجر في خفه والسيف من جهة اليسار، والطبر بوضع في خلفه في سرج الفرس(٦٤). وهكذا فإن الفارس يبدو كتلة من حديد، لاتظهر فيه إلا المفاصل، وهو فوق كل هذا يكون قادرا على إستخدام الأسلحة الهجومية والدفاعية، وهو على ظهر جواده، وعليه أن يعرف طرق القتال المختلفة، وأن يتصف بالمناورة والدهاء والحركة في الميدان في كل الاتجاهات(٦٥)، فالفارس المملوكي لايقل عن الفارس المغولي في فن القتال في استخدام أسلحته المختلفة وفي صبره واحتماله على ضراوة الحروب وشدتها(٦٦). وإن القتال كان في معركة عين جالوت لسلاح الفرسان وهو الذي أظهر براعة ودقة في ساحة القتال. وقد تميز هذا السلاح في هذه المعركة بالسرعة والالتفاف. وهو الذي حسم المعركة بعد أن اصطدم المغول مع المماليك وأظهر الجيش المملوكي بسلاحه هذا أنه قادر على تخطي الجيش المغولي وسبق بالسرعة والمناورة والالتفاف(٦٧).

---

(٦٣): العبادي: قيام دولة المماليك في مصر والشام ٢٦٧. Magizine ortentalia volum. 1366.

(٦٤): النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب ٦ / ٢٤١، القلقشندي: صبح الاعشى ٢ / ١٣٥، ٤ / ٦ / ٤٠، ابن يحيى: تاريخ بيروت ٦٥، زكي: السلاح في الإسلام ١٦ / ٢٧، ٣٩، ٤٥.

(٦٥): البلقيني: مخطوطة قطر السيل في أمر الخيل ١٤٤ وما بعدها، الرماح: مخطوطة نهاية السؤال والامنية في تعلم أعمال الفروسية ٨٣.

(٦٦): ابن صاعد: طبقات الامم ٨، القلقشندي: صبح الاعشى ٤ / ٤٥٨، البغدادي: الافادة ١٢٦، أسعد: بولو ١١، ٢٨، العبادي: قيام دولة المماليك في مصر والشام ٢٥٧ - ٢٦١.

(٦٧): الهمذاني: جامع التواريخ ٢ / ١ / ٣١٤، اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١ / ٣٦١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧ / ٧٩، ١٠١.

٢) سلاح المدفعية:

هو سلاح دفاعي جماعي اعتمد الجيش المغولي على هذا السلاح وطوره وأستخدمه في حروبه السابقة قبل معركة عين جالوت[٦٨].

أما الجيش المملوكي فقد كان الاهتمام بهذا السلاح دون خصمه. إلا أنه كان متوفرا يحمله المقاتلون إلى مسافات قريبة وتحمله الجمال والبغال إلى مسافات بعيدة[٦٩]. أما في الجيش المغولي فكان على عجل تجره الثيران أو الخيل إلى أمكنة القتال وساحات الميدان. في كلا الجيشين كانت الذخائر لهذا السلاح عبارة عن أحجار وكرات حديدية، وقذائف نفطية ثم تطور فيها بعد المعركة في الجيش المملوكي من حيث الصنع والقذائف التي تعتمد على البارود الذي زاد من مسافة رميه وقوة تأثيره[٧٠].

يستخدم هذا السلاح لدك القلاع والحصون وتدمير المواقع المحصنة لاحداث الثقوب والثغرات، ولحمل المقذوفات النارية لاحداث الحرائق في المدن والبيوت، ويرمى ضد التجمعات الكبيرة من الجنود[٧١]. حاصر المغول قلعة دمشق قبل توجههم إلى معركة عين جالوت ورموها بهذا السلاح بشكل متتابع حتى خربوا القسم الغربي منها والجزء الكبير من حارة القنوات في دمشق.

ثم وجهوا عليها النفط فأحرقوا منها ما كان قابلا للاحتراق، حتى أسرع من كان فيها من الجنود إلى الاستسلام[٧٢]. وتحرك هذا السلاح بمجموعاته القتالية بعد ذلك نحو بعلبك فأتم فتح تلك القلاع منها الصلت وعجلون وبصرى فهدموا وخربوا كل ما أتوا عليه (وهذه هي سياسة هذا الجيش بأن لايدع شيئا يمر عليه إلا دمره، ولا يذر عمرانا ولا حياة إلا وجعلها كالرميم)

---

(٦٨): ابن كثير: البداية والنهاية ١٣ / ٢١٩.

(٦٩): ابن تغرب بردي: النجوم الزاهرة ١٢ / ٣١٢، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١ / ٢ / ٦١٧.

(٧٠): الزردكاش: الانيق في المناجيق ١٥٦ وما بعدها، ابن غانم الاندلسي: مخطوطة العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع ١٥، ٢٦.

(٧١): الزردكاش: الانيق في المناجيق ٤٤، ٤٥، الألوسي: بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ٢ / ٦٧، زيدان: التمدن الإسلامي ١ / ١٥٨، ١٩٣.

(٧٢): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١ / ٣٥٦، ٣٥٧، ابن كثير: البداية والنهاية ١٣ / ٢١٩.

وكـان لهذا السـلاح دور كبـير فيـها فعله الجيش المغـولي في حروبـه مع أعـدائـه واستيلائه على الحصون والقلاع(٧٣). ثم تحرك السلاح المدفعي المغولي من بعلبك في طريقه إلى عين جالوت لم يكن له تأثير كبير في تلك المعركة ذلك لانها كانت معركة سلاح الفرسان. يحتوي هذا السلاح على مصـادر مختلفـة فمنـه المحلي الـذي صنـع في المملكـة المملوكية وبخاصة في دمشق، ومنه المغـربي ومنـه الفـرنجي، وكـان منه الكبير الذي يقذف أحجارا ذات زنة كبيرة، ومنها الصغير الـذي يرمي أحجـارا ذات زنـة صغـيرة(٧٤) ويتعـاون هذا السلاح مع سلاح النفط والنيران في معركة عين جالوت استطاعا أن يحدثا حرائق كبيرة في المواقع المغولية وبخاصة على التجمعات الكبيرة التي كانت تختبىء في أماكن خلفية من مؤخرة الجيش والتي كانت مهمتها القيام بالهجوم المعـاكس على الجيش المملوكي، لكن مبـادرة هذا السـلاح وسبق خصمه في استخدام المدافع المحـرقـة فوتت على الجيش المغـولي القيـام بهذا الهجـوم، وكـانت هذه المبـادرة سببا في انهزامه ودحره، وبخاصة عندما رأى النار تلتهم عتاده وسلاحه ورجاله. ففر مذعورا لا يلوي على شيء(٧٥).

يرمي هذا السـلاح بصـورة فرديـة أي كل مدفـع مع طاقمـه، أوأن يرمي بصورة زوجية، أو جماعيـة وحينئـذ تشـترك المدفعية بكاملها وأنواعها وأحجامها المختلفة، وهذا عادة ما يحدث عند تدمـير قلعـة أوحصن(٧٦). وبـما أن مسـرح العمليـات وساحة المعركة مكشوفة وخالية من هذه التحصينـات، فإن هذا السـلاح كان محضـرا لتـدمـير التجمعـات من كلا الطـرفـين، وإبطال المـدفعيـة المعـاديـة. وفعلا فقد تهيأت الظروف المواتية للجيش المملوكي من استخدامه والتأثير على خصمه، وإبطال هجوم خصمه الذي كان ينوي القيام به(٧٧).

ينتقي جنود هذا السلاح من الرجال الأقوياء الذين يتصفون بالتحمل والشدة والقدرة على

---

(٧٣): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١ / ٣٥٨ وما بعدها.

(٧٤): ابن عبد الظاهر: تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور ٧٦، ١٤٩، ذيل مرآة الزمان ٢ / ١٣٨.

(٧٥): الهمـذاني: جامـع التواريخ ٢ / ١ / ٣١٤، الإسحاقي: أخبار الاول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول ١٣٢.

(٧٦): ابن عبد الظاهر: تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور ٨٥ وما بعدها.

(٧٧): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧ / ٧٩.

حمل الاثقال الكبيرة إلى مسافات بعيدة ذلك لأن هؤلاء الجنود سيضطرون أثناء القتال في الميدان أو من مكان إلى آخر إلى حمل هذا السلاح الثقيل على أكتافهم وأعناقهم وسيهاجمون به عدوهم فور وصولهم أو بعد استراحة قليلة وذلك حسب ظروف المعركة وتطوراتها(٧٨).

تطور هذا السلاح بعد معركة عين جالوت من حيث صنعه ومده وقذائفه وحشوته فأصبح يصنع من الحديد والنحاس، ومداه زاد عن ٣ كم، وقذائفه زاد وزنها وتأثيرها، وحشوته صارت من البارود الذي صنع فيما بعد في المصانع المملوكية في البلاد(٧٩)، وكذلك فإن المدافع صارت على عجل وأطلق عليها أسم (المكحلة) جمع مكاحل يجر كل مكحلة زوج من البقر(٨٠). إنه السلاح الذي اعتمد على البارود فيما بعد وعلى المواد النفطية وعلى الكبريت، وعلى المواد الحارقة، حتى أزدادت قوة تدميره وتأثيره على الاهداف المحصنة(٨١).

٣ ـ سلاح النفط والنيران:

ظهر هذا السلاح مرافقا لظهور سلاح المدفعية، وأزدادت فعاليته عند إختراع البارود واستخدامه في الحروب، وسلاح النفط والنيران هو الجهاز الذي يتألف من المكلفين بمهام قتالية أي (الزراقين) كما كانوا يدعونهم، وهم الذين يطلقون النفط من (زراقة)(٨٢).

هذا السلاح بهذا المستوى تحرك مع الأسلحة الاخرى إلى معركة عين جالوت وكان له تأثير كبير على العدو بل ويعود له الفضل في الحسمية وفي تحقيق النصر على الجيش المغولي الذي فوجىء باستخدام هذا السلاح بشكل كثيف، وقد ألقيت المدافع النفطية واستخدمت الأسلحة المختلفة النارية حتى لاترى في سماء المعركة إلا النار والدخان تلتهم الاخضر واليابس، وتقضي

---

(٧٨): ابن عبد الظاهر: تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور ٧٨ وما بعدها.

(٧٩): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢ / ١٩ / ٢٢٢، ٢٤٢، ٣٠٥، ٣١١.

(٨٠): القلقشندي: صبح الاعشى ٢ / ١٣٧، الزردكاش: الانيق في المناجيق ١٩٦، ابن أياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣ / ٣٨٢، ٥ / ١٣٤، ماهر: البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ٢٠٣ وما بعدها.

(٨١): ابن غانم الاندلسي: مخطوطة العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع ١٥، ٢٦، الرماح: مخطوطة الفروسية والحرب والاسلحة ٨٨٠.

(٨٢): أبوشامة: الذيل على الروضتين ١٨٥، الحجاري وزملاؤه: النجوم الزاهرة في حلى مصر والقاهرة ٦٦، ١٦٢، ١٦٣.

على تجمعـات الجنـود المغـوليـين الـذين حاولـوا الاختبـاء في أمـاكن بعيدة عن مرمى الأسحلة العـاديـة ، لكن الأسلحـة النفطيـة والنـاريـة أدركتهم والتهمت عتادهم ووسائطهم وأسلحتهم فمزارع القصب التي التجأ إليها الجنود المغوليون احترقت بهم فطلبوا النجاة والهرب ، وكان من لا تدركه النار يقتل بالأسلحة الاخرى(٨٣) .

٤ ـ سلاح الهندسة العسكرية :

هو الجهاز الذي يتألف من المهندسين والنجارين والحجارين والعمال الاخصائيين . من مهامه شق الطـرقـات الجـديـدة أمـام تقـدم الجيش وصيانتها ، وبناء القناطر وحفر الممرات الإجبارية وتـوسيعهـا ، وفتـح التحـويـلات ومـد الجسـور فوق الأنهـار والوديان ، وإصلاح القلاع المخربة والمتصـدعـة من جراء الحروب وصيانتها ، وإنشاء الترع والخلجان والسدود وبناء البحيرات(٨٤) وإقـامـة الأسوار ، وإنشاء مستودعات الشؤون الإدارية المختلفة ، ولاسيما مستودعات الأسلحة والذخيرة وتعمير الصهاريج(٨٥) وإشادة الابراج المخصصة للمراقبة البحرية(٨٦) ، وحفر الابار ، وجـر الميـاه عبر السواقي والمجاري إلى مسافات(٨٧) كل ذلك من أجل تسهيل تحرك الجيش من مكان إلى آخر ، ونقل الرجال والعتاد والأسلحة من ضفة إلى آخرى وتموين الجيش بما يلزمه من المـواد الضـروريـة ، ولصـد المياه عن القاهرة وتثبيت الدفاع عن المدن والقلاع . يسخر من أجل هذا العمـل العـمال العـاديـون من المـواطنـين ، أمـا الجنـدي فلم يكن موجها إلا للقتال وأعمال التدريب ، ويلزم المواطنون في أغلب الاحيان على العمل ويضربون ويعاقبون أشد العقاب إن أعـرضـوا أو تهاونوا ، وتفرض الضرائب عليهم وتنفق الاموال الطائلة على الاشغال العسكرية ،

---

(٨٣) : الهمذاني : جامع التواريخ ٢ / ١ / ٣١٤ .

David Ayalon: Gun powder and Fire Arms in the Mamluk Kingdom: 14.

(٨٤) : ابن تغـري بردي : النجـوم الـزاهـرة ١١ / ٢٩١ ، ١٢ / ١١٣ ، المقـريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ١ / ٢ / ٤٤٦ ، ٥٤٤ ، ٥٦١ ، الداوداري : الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ٩ / ٣٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ١٢٤ ، ١٤٥ / ١٩١ ، ٣٢١ .

(٨٥) : ابن مماتي : قوانين الدواوين ٣١ / ٣٢ ، مبارك : الخطط التوفيقية ١ / ٩٦ ، ابن عماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٣ / ٦ / ٢٧٣ ، المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ٣ / ١ / ٤٠٥ .

(٨٦) : ابن يحيى : تأريخ بيروت ٦٤٢ .

(٨٧) : ابن مماتي : قوانين الدواوين ٣١ ، المؤسسة العامة للتأليف والنشر القاهرة في آلف عام ٢٢ .

وعلى متطلبات هذا السلاح(٨٨).

وتستخدم الالات والجرافات والقطاعات للعمل السالف الذكر، وكذلك فإن صنع عدة آلات هندسية بأشكال مختلفة لاستخراج المياه، أو لحفر أو تعميق الخلجان وما إلى ذلك(٨٩).

يتفقد القائد الاعلى أو القائد العام أعمال هذا السلاح، فيجري التفتيشات المفاجئة أو المخططة على الجسور والمصانع والأبراج وعلى العمال الذين يقومون بتنفيذ هذه الاعمال، وعلى الاجهزة المختلفة، فيعطي التوجيهات ويأمر بالاصلاحات ويحضر تدشين المشاريع الحيوية في الجيش(٩٠)، لقد كان هذا السلاح متطورا عند المغول إذ باستطاعتهم نصب الجسور الكبيرة على الأنهار العريضة بواسطة المهندسين والعمال الاختصاصيين وكانت الجيوش تمر عليه مع العربات والمجانيق والخيول والعدد الثقيلة. ولقد رأينا عندما اتجه هولاكو نحو حلب - بعد أن دمر بغداد واحتلها فنصب ثلاثة جسور على نهر الفرات، جسر بالقرب من ملطية، والثاني عند قلعة الروم والثالث عند قرقيسيا(٩١)، وهذا السلاح عند المغول لايختلف في مهامه عن مهام الجيش المملوكي. وفي معركة عين جالوت هل فكر الجيش المغولي بنصب الجسور فوق نهر الأردن لاجتياز هذا النهر أم فكر في استخدام الطوافات والسفن ؟ نقول بكل تأكيد أنه تم استخدام بعض الجسور وأجتازوا هذا النهر إلى ضفته الغربية كما فعلوا من قبل عندما اجتازوا نهر دجلة عندما اقتحموا بغداد(٩٢)، ذلك أنهم قد اعتادوا على نصب الجسور، ومعهم الجهاز الكامل للسلاح الهندسي القادر على مثل هذه الأعمال وغيرها. أما الجيش المملوكي فقد تجنب أجتياز هذا النهر وذلك باتباعه الطريق الساحلي. والحق يقال إن السلاخ الهندسي كان متطورا في الجيش المغولي أكثر من الجيش المملوكي، وكان يتمتع بصفات فنية وعملية كبيرة، وله خبرة واسعة في هذا المجال، كما كان لجهازه القيادي ميزة في التنظيم والتخطيط والمعرفة الدقيقة

---

(٨٨): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٢ / ٥٨٦ وما بعدها.

(٨٩): الناصري: مخطوطة الحيل والحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ١٦٤ - ١٧٦، ابن الغوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ٣٦٥.

(٩٠): ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣ / ١٤٣، ١٥٥، ٢٢٤، ٤ / ١٩٧، ٢٤٦.

(٩١): ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ٢٧٩، ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ٣٤، ٣٤٢، ابن كثير: البداية والنهاية ٣ / ٢١٩.

(٩٢): الهمذاني: جامع التواريخ ٢ / ١ / ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٨٨.

بالاعمال الهندسية.

٥ ـ السلاح البحري:

إن المراكب والسفن كانت تقسم إلى نهرية (نيلية) وإلى بحرية، أو إلى حربية وإدارية، فالبحرية مجهزة للقتال، والإدارية للنقل(٩٣)، لعل ضعف هذا السلاح وعدم قدرته على خوض معارك بحرية أو حتى على الأقل العمل في الأنهار كنهر الأردن هو الذي ألزم الجيش المملوكي أن يتجنب هذا النهر بسلوكه محورا ساحليا. ولعل هذا الضعف أيضا قد أدخل في نفس قائد الطليعة الذي لمس آنئذ ضرورة تقوية هذا السلاح بعد معركة عين جالوت عندما آلت تقاليد الأمور بيده بعد ذلك.

وفي حال وجود معارك بحرية كما حدث فيما بعد عندما أقدم بيبرس على مهاجمة انطاكية بثلاث فرق قتالية بحرية، وكالملك الاشرف عندما هاجم عكا بقوى بحرية وبرية لاهداف

---

(٩٣): إن الذي يهمنا في هذا المكان هو جواب السؤال يأتي في التحضير لمعركة عين جالوت والسؤال هو: هل حمل الجيش المملوكي المراكب التي سيجتاز بها نهر الأردن؟ وهل كان بتصوره إجتياز هذا النهر، أم أنه خطط فقط للتحرك الساحلي؟ في إعتقادي من الوجهة الحربية، ومن الإحتمالات التي ترد على فكر القائد الإستراتيجي. أن قادة الجيش المملوكي كانوا مخططين لأحتمالين أولهما وهو الأهم التحرك على الشريط الساحلي، وثانيهما التحرك ساحليا وداخليا إلى أن الجأتها الظروف ومتغيرات الحرب السريعة. ولعل المملوكيين كانوا يخافون ركوب البحر، كما هي عادة العرب القدامى من قبل، ففي هذا الاحتمال الثاني يمكن أن يحملوا معهم على ظهر الجمال بعض المراكب للتعدية كما فعل من بعد الظاهر بيبرس حين التقى مع المغول على نهر الفرات وملأ المراكب بالرجال والسلاح والمؤن وفي الاحوال العادية فإنه يجري نقل المراكب من مكان إلى آخر على ظهور الجمال عندما يعترض مسير أو هجوم جيش نهر كنهر النيل أو دجلة أو الأردن.

لاشك أن المراكب النهرية في النيل كانت متوفرة قبل بدء المعركة الفاصلة كالحراريق والدرامن والمراكب والشخاتير فالثلاثة من المراكب التي لايحتمل نقلها، أما الشخاتير فمن المحتمل أن تنقل مع الجيش المملوكي لانها خفيفة الوزن. مهمتها تعدية الجند من شاطىء إلى شاطىء، والتجول بحرية على الشريط النهري، وكذلك يمكن أن توجد بعض المعديات والمعبرات الاخرى التي هي عبارة عن مراكب صغيرة. من هذا نستدل على أن هذا السلاح لم يشترك كله في هذه المعركة، وإنما اشترك منه بعض المراكب النهرية التي لم تستخدم، إنما كانت كاحتياط لدى القيادة، أما القادة والأمراء والمماليك السلطانية الذين يعملون في البحر، فقد أشترك أغلبهم في هذه المعركة، سيما وأن الأسلحة الاخرى كانت تتعاون مع بعضها في حال وجود معارك بحرية.

بحرية[٩٤].

٦ ـ السلاح الكيميائي * :

هذا السلاح قريب من سلاح النفط والنيران، ويتشابك هذان السلاحان، حتى لايستطيع المرء أن يفصل بينهما. فالسلاح الكيميائي والعلماء القادرون على تركيب مواد لها تأثير على الجنود والعتاد والاماكن. وتتألف المواد الحارقة من الشحوم والقطران والزيت والنفط والجير والبول والمركبات العديدة[٩٥]. يوضع هذا المركب في أوعية مختلفة الاحجام والانواع، وتقذف على تجمعات العدو، وعلى الأماكن المحصنة، وعلى السفن أو البيوت بحيث تشكل دخانا خانقا، أو غازا أو نارا تؤثر في القوى الحية والعتاد[٩٦]، فهناك القدور التي يسبب انكسارها على العسكريين الدخان الخانق الذي يسد مجاري التنفس، ويدخل في الاعين أو تسبب ببعض المواد الانزلاق في أرض السفينة، وذلك كله من أجل أرباك الخصم، أو إخراجه من المعركة بموت أو هرب. وهذه القدور متعددة بعضها من مواد نفطية والاخر من مواد كيميائية أو من مواد نفطية وكيميائية معاً حارقة وخانقة في آن واحد، منها ما يفجر ذاتيا، ومنها بواسطة، ومنها ذات الثقوب، ومنها غير ذلك وهي ذات أشكال وأحجام مختلفة. وأهم هذه القدور العراقي والمنتن والمخرم والصنوبر والمختفي والسقعط والمراكب[٩٧]، وهي ترمى بوسائط مختلفة، أما التي ترمى بواسطة المنجنيق فهي القدور الحديدية والمحرمه والعجمية والمغربية[٩٨].

لقد كان لهذا السلاح بالاشتراك مع سلاح النفط والنيران تأثير كبير في معركة عين جالوت،

---

* هذا استكمال للبحوث العسكرية.

(٩٤): ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ٤٧ / ١، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١ / ٢١ / ٥٦٧، الشيال: تاريخ مصر الإسلامية ٢ / ٢١٦.

(٩٥): الناصري: مخطوطة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ١١٥ وما بعدها، الزردكاش: الانيق في المناجيق ١٧٦.

(٩٦): النويري الاسكندراني: الالمام ١١٤، ماهر: البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ٢٠٣ وما بعدها، العدوي: الاساطيل العربية في البحر الابيض المتوسط ١٦٣.

(٩٧): الزردكاش: الانيق في المناجيق ١٦٩، ١٨٣، ١٩٣.

(٩٨): الرماح: مخطوطة الفروسية والحرب والأسلحة ٨٨ وما بعدها، الذهبي: مخطوطة المقصود في العلم والعمل بالبنود ٣٩، ٤٠

فقد أستطاع هذا السلاح بمجموعاته أن يخرج الجيش المغولي من المعركة، وأن يؤثر على مسير القتال. ولم تكن بعض البيوت التي يختبىء فيها بعض الجنود المغول منقذا لهم، وبخاصة بعد أن ألقيت عليهم القنابل الكيميائية وهم في داخل البيوت والمزارع[٩٩]. تطور هذا السلاح فيما بعد وصنعت كمامات كالتي تستعملها الجيوش الحديثة في هذا العصر ضد تسرب الدخان إلى المجاري التنفسية وسموها (أزقاق) يدخلون رؤوسهم فيها لتصفية الهواء الملوث، وكان الجيش المملوكي يستخدم أيضا الضروف من الخزف والنحاس والحديد بعد تفريغها وخلوها من الدخان وإذا كان الجنود في غرفة فتحوا منافذها ليتخللها الهواء النقي ويطرد الهواء الملوث[١٠٠].

ثالثا: الأسلحة «الوسائط القتالية»

لقد استخدمت في معركة عين جالوت الكثير من الأسلحة والوسائط القتالية. ولكل سلاح أنواع مختلفة من وسائط القتال التي اختص بها، إلا أنه من الملاحظ أن أغلب وسائط القتال تتشابه مع بعضها البعض في أغلب الأسلحة: الفرسان والبحرية والمدفعية وإذا أريد تصنيف وسائط القتال لصنفت إلى هجومية ودفاعية، أو حسب نوع السلاح إن كان بحرياً أو كيميائياً أو هندسيا. وقد تصنف إلى أسلحة وعتاد وذخيرة فالأسلحة كالسيف والرمح والنشاب، والعتاد كالخوذة والدرع والسفينة والقطاعة والذخيرة كالقنابل والحشوات الدخانية والنبال وطلقات المدافع وحشوات نافثات اللهب. ومن المفيد هنا أن نأتي على ذكر الوسائط القتالية في كل سلاح من الأسلحة التي مر ذكرها.

١) الوسائط القتالية في سلاح الفرسان:

توجد وسائط قتالية في هذا السلاح أكثر من غيره، وهي الوسائط الرئيسية التي يمكن أن تتعدد أو تتكرر في كل سلاح، ولا غنى للمقاتل عنها أين كان موقعه وفي أي معركة هجومية كانت أو دفاعية، برية كانت أم بحرية وأهم هذه الوسائط:

- السيف:

لقد أهتم الاقدمون بالسيف، وأهتم به الجيش العربي في فتوحاته[١٠١] وكان أشهر السيوف

---

(٩٩): الهمذاني: جامع التواريخ ٢ / ١ / ٣١٤.

(١٠٠): الناصري: مخطوطة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ٢٠٥.

(١٠١): ابن عبد ربه: العقد الفريد ١ / ١٢٨ وما بعدها.

السليمانية والهندية واليمانية والدمشقية والسريجية، على أن السيوف الرومية كانت أقطع وأقوى[١٠٢]. وقد أطلق عليها العديد من الاسماء والاوصاف كالاصليت أي الصقيل، والباتر أي القاطع والخشيف أي الحاد، والصمصام الذي لاينثني وقد أشتهر صمصامة عمرو بن معدي كرب وكان من أمضى السيوف وأحسنها[١٠٣]، والقرضاب الذي يقطع العظام، ومرهف والمدجل ومغول أي السيف الرقيق وهندواني وهو المصنوع في الهند واليماني في اليمن(١٠٤). وللسيف أجزاء لها تسميات منها الحد والشفرة والقبيعة[١٠٥] ولقرابه أسماء منها الغمد والجفن والجلبان كالحلية أسماء منها الرصائع وهي الحلق المستديرات وتحلى به السيوف، والنعل وهو في أسفل القراب من فضة[١٠٦].

السيف كان امتدادا وصل إلى الجيش المملوكي في كثير من الصفات التي وصل بها في فتوحات العرب وفي غزوات صلاح الدين الأيوبي. وقد كان السيف في الجيش المملوكي سلاحا رئيسيا حتى أنه ليعتبر من أكبر الهدايا وأفخرها بين السلاطين أو الملوك. يصنع من الحديد أو الفولاذ ويوشى النصل بالذهب والفضة. ويوجد منه المستقيم والمقوس. وأشتهرت مصر والشام واليمن والهند وبلاد فارس بصناعة السيوف[١٠٧]. فالسيف الدمشقي كان له ميزة عن غيره في كثير من الصفات الفنية[١٠٨]. فالشركسي كان يستخدم السيوف ذات النصول المنحنية أو المستقيمة والتي ليس لها واقية لليد والمصنوعة في فارس[١٠٩]، وهناك السيوف التي

---

(١٠٢): الرماح: مخطوطة في علم الفروسية برسم العمل به ١ / ١٥٦، الألوسي: بلوغ الارب في معرفة أصول العرب ٢ / ٦٢ وما بعدها، زيدان: التمدن الإسلامي ١ / ١٥٦.

(١٠٣): الثعالبي: ثمار القلوب ٦٢١، ابن عبد ربه: العقد الفريد ١ / ١٨٠، الإيشبهي: المستطرف في كل مستظرف ١ / ٣٠١.

(١٠٤): النويري: نهاية الارب في فنون الأدب ٦ / ٢٠٢ - ٢٠٦.

(١٠٥): النويري: المصدر نفسه ٦ / ٢٠٧.

(١٠٦): النويري: المصدر نفسه ٦ / ٢٠٩، القلقشندي: صبح الاعشى ٢ / ١٣٢.

(١٠٧): زكي: السلاح في الإسلام ٣٥.

(١٠٨): زيادة: دمشق في عصر المماليك ١١٠، الاسكندري: تاريخ مصر ٢٢١، وسلر: الحضارة العربية، ١١٧، ١١٨، ١١٩.

(١٠٩): زكي: المرجع نفسه ٣٦.

يحملها الامراء في المواكب والاستعراض المحلاة بالذهب والمرصعة بالجواهر وهي في خريطة من ذهب لا تظهر إلا رؤ وسها[١١٠].

يلبس الجندي المملوكي السيف من جهة اليسار[١١١] ويأخذه الفارس بيده اليمنى، ويغمده أثناء الجري، ويمكن أن يدار السيف خلف الظهر ويغمد تحت الفخذ، أو يؤخذ بالفم ويغمد على الرأس[١١٢]. .

---

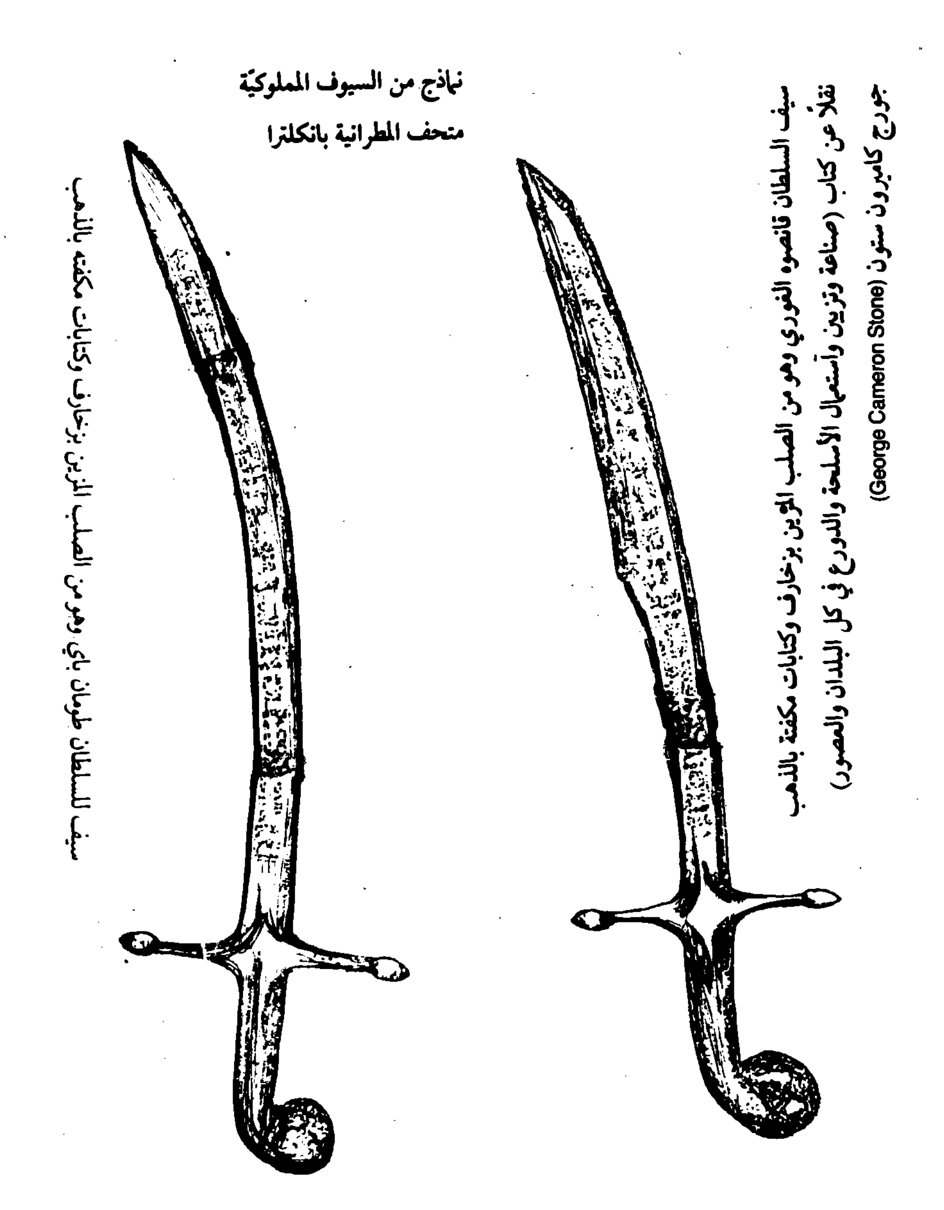
(١١٠): القلقشندي: صبح الاعشى ٢ / ٤٧٢.

(١١١): القلقشندي: صبح الاعشى ٣ / ٤٧٢.

(١١٢): الرماح: مخطوطة في علم الفروسية برسم العمل به ١٣ وما بعدها.

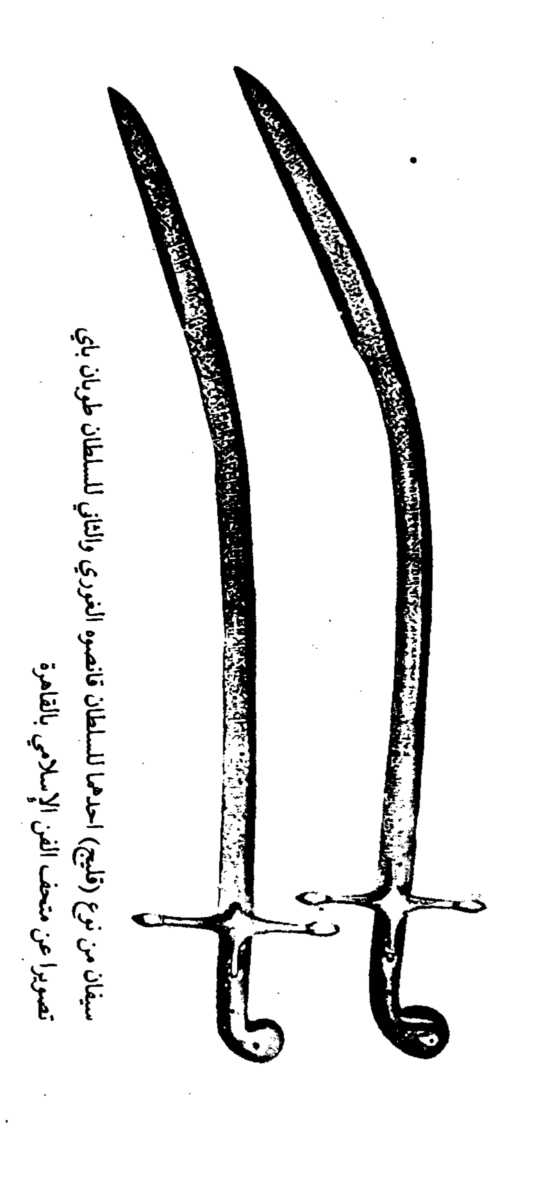
نماذج من السيوف المملوكيّة

متحف المطرانية بانكلترا



سيف السلطان قانصوه الغوري وهو من الصلب المتين بزخارف وكتابات مكفتة بالذهب
نقلاً عن كتاب (صناعة وتزيين واستعمال الأسلحة والدروع في كل البلدان والعصور)
جورج كاميرون ستون (George Cameron Stone)

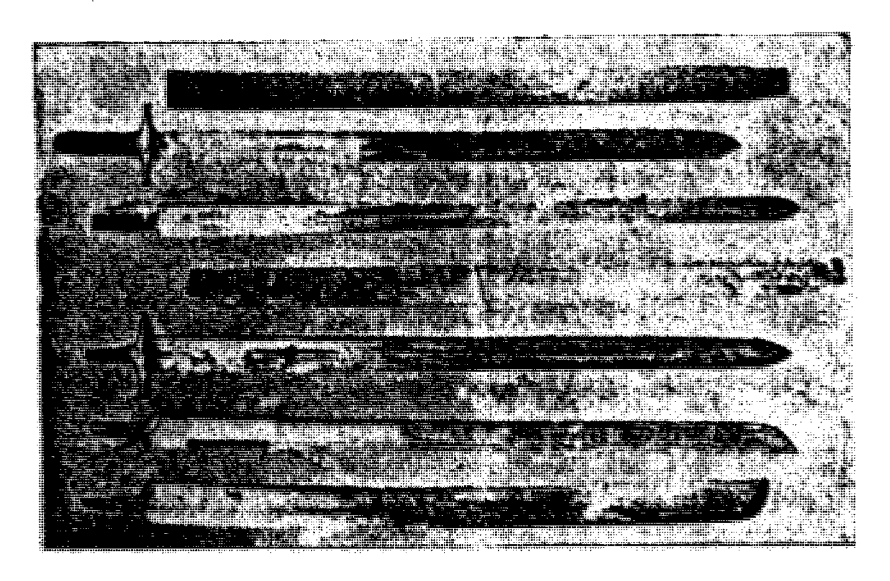
سيف السلطان طومان باي وهو من الصلب المتين بزخارف وكتابات مكفتة بالذهب



سيفان من نوع (قليج) احدهما للسلطان قانصوه الغوري والثاني للسلطان طومان باي
تصويرا عن متحف الفن الإسلامي بالقاهرة

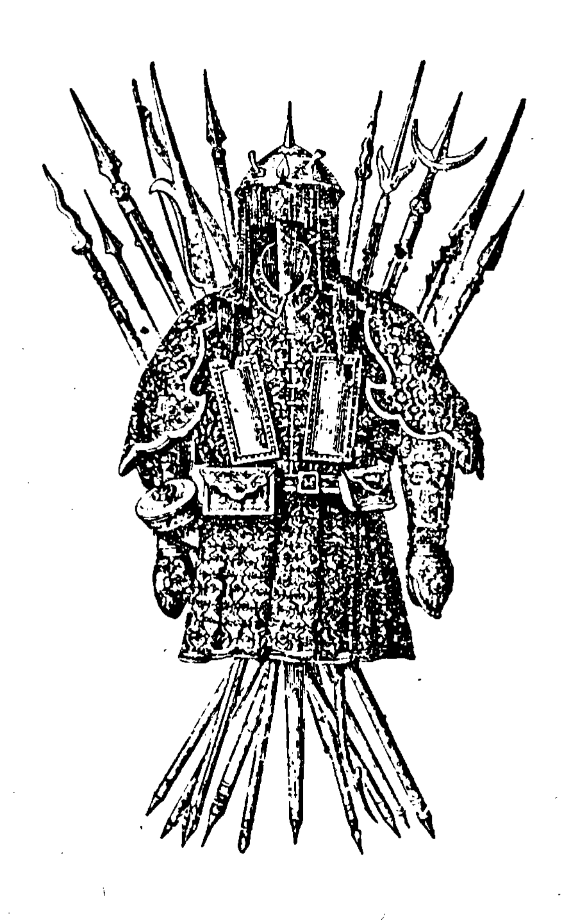
سيف مملوكي مستقيم ذو حدين للسلطان طومان باي
تصويراً عن طوب قابو سراي باستنبول

سيوف مملوكية مختلفة نقش علي كل واحد اسم صاحبه



تصويرا عن متحف الفن الاسلامي بالقاهرة

سيوف مملوكية مختلفة نقش على كل واحد أسم صاحبه
تصويراً عن متحف الفن الإسلامي بالقاهرة



« بعض أسلحة المغول الخفيفة »
عن تاريخ العراق بين احتلالين لعباس العزاوي

إن السيـوف المفضلة في القتـال هي السيـوف الدمشقية التي كانت لها شهرة كبيرة، حتى أن الجيش المغـولي والجيـوش الآخـرى كانت تسعى للحصـول عليهـا والسيـوف الفـارسيـة، « شاشمير » التي تتميز بحدتها وانحنائها وقبضتها البسيطة، والسيوف التركية التي كانت أعرض وأقصر وأقل أنحناء من الفارسية، ويستخدم في الطعن في حين أن الفارسي يستخدم في القطع، وكـانت القبضـة من القـرون أو العـاج. وقد كان قادة التشكيلات والقائد الاعلى والقائد العام للجيش المملوكي يحبـون أن يقتنـوا مثـل هذه السيوف وفي معركة عين جالوت بدا هؤلاء جيمعا وكأنهم إلى معركة يدعون، أو إلى عرض يستقبلون(١١٣).

ـ الرمح:

سلاح من أسلحة الفرسان الرئيسية، وله دور كبير في القتال(١١٤)، وهو آلة للطعن تصنع من القنـا وعـود القصب المسـدود من الـداخـل أو من خشب الزان. وله أسماء وصفات كثيرة منها: الأسمر وهو الدقيق، والخطي وهو ما نسب إلى مكان باليمامة(١١٥)، والرديني المنسوب إلى مرآة، والسمهـريـة المنسـوب إلى سمهـر، والشـراعي وهـو الطـويـل، ويضـرب المثل في طول الرمح فيقـولـون: ((طـول الـرمـح)) (١١٦) والصّـدق وهو الصلب، وعتل وهو الغليظ(١١٧). وهناك الرماح الخاصة التي يحملها المرافقون للسلطان وهي موشاة بالذهب ومن الأنواع الخفيفة والجميلة(١١٨). وللرمـح أصـول وشروط تتبع أثناء استخدامه ستتعرض لها في فصل « التدريب والعمليات » وأكثر ما تكون على الخيل(١١٩)، ومن الرماح ما تحمل النفط والنار، وتستخدم في المعـارك وفي حرق المـزارع كما حدث في معـركـة عين جالـوت ويطلق عليهـا « الـرمـاح

---

(١١٣): Magizine Ortentalia vol. IV / 367.

(١١٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢ / ١٢ / ١٢٢، ابن أياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٤ / ٤١٣.

(١١٥): القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ١ / ٦٠، ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ٦٥.

(١١٦): الثعالبي: ثمار القلوب ٦٢٦. (١١٧): النويري: نهاية الارب في فنون الأدب ٦ / ٢١٤.

(١١٨): القلقشندي: صبح الاعشى ٢ / ١٣٣.

(١١٩): الـرمـاح: مخطـوطة في عمل الرمح على الأرض والفرس ٥٩، ناصر الدين: مخطوطة المخزون لارباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح: ٣٠، زيدان: التمدن الإسلامي: ١ / ١٥٦، الابشيهي: المستطرف في كل مستظرف ١ / ٢٩٧.

النارية »[١٢٠]. ويحمله الفارس بيمينه.

- القوس:

أهتم المماليك بالقوس كما أهتم بها العرب من قبل. وقد أطلق عليها أسماء عديدة منها: جشو وهي الغليظة. وجلهق وهي قسي البندق، وحنانه وهي التي لها مرونة عند الانباض، وحاشكه وهي البعيدة المرمى، كما لوترها أسماء وكذلك لاصواتها، وكذلك في تركيبها ومبدأ العمل بها[١٢١]، ولها أجزاء هي الكبد، الكلية، الطائف، السية، اليد، الرجل، المقبض، الفرضة، والظفر[١٢٢]، واشتهر من القسي العصفورية والماسخية وتغنى بها الشعراء وكذلك الدمشقية التي امتازت بدقتها[١٢٣].

- النشاب:

هكـذا كان الجيش المملوكي يسميـه، ويـدعى أيضـا السهم أو النبـل. له عدة أنـواع منهـا المـريـخ، النبع، الشوحط والخطوة، وله عدة أقسام: النصل، العود، العقب والعوف[١٢٤] وقد أشتهر نشاب هذا الجيش بجودته وشدته ومده البعيد وصلابته[١٢٥].

---

(١٢٠): Rey - les Colonie Franques De Syrie Aux XII meet XIII me: Siecies pages: 32

(١٢١): النويري: المصدر نفسه ٦ / ٢٢٢ وما بعدها، القلقشندي: صبح الاعشى ٢ / ١٣٤.

(١٢٢): الرماح: مخطوطة في علم الفروسية برسم العمل به ٢٠، النويري: المصدر نفسه ٦ / ٢٢٢.

(١٢٣): الألوسي: بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ٢ / ٦٥، الحجازي وزملاؤه: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ٦٠.

(١٢٤): القلقشندي: المصدر نفسه ٢ / ١٣٥، زكي: السلاح في الإسلام ٣٣.

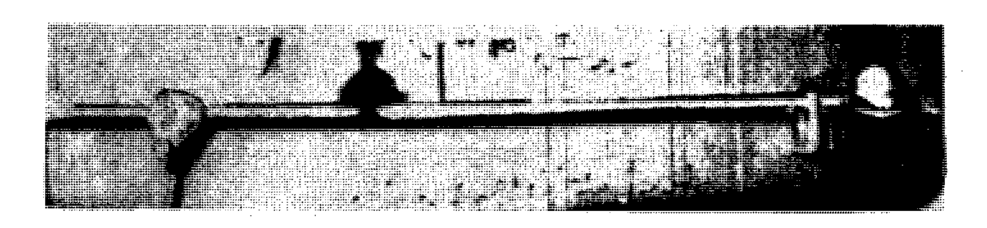
(١٢٥): الثعالبي: ثمار القلوب ٦٢٧.

ـ الدبوس :

هو العامود الذي له رأس مدور، ويضرب به على الرأس ليتحطم غطاء الرأس « الخوذة » أو القناع[١٢٦] والدبوس كلمة فارسية تعني المقمعة وهي تعطي نفس المعنى في التعريف السابق[١٢٧] وله أنواع مختلفة وصفات مختلفة ويوضع تحت فخذ الفارس[١٢٨].

دبوس

دبـــــوس



تصويرا عن المتحف الحربي بدمشـــق

تصويرا عن المتحف الحربي بدمشق

---

(١٢٦): الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ٢ / ١٦٤، ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ٢ / ١٦٤.

(١٢٧): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢، ٧٦، ٢٧٢، الكلداني: الالفاظ الفارسية المعربة ٦٠.

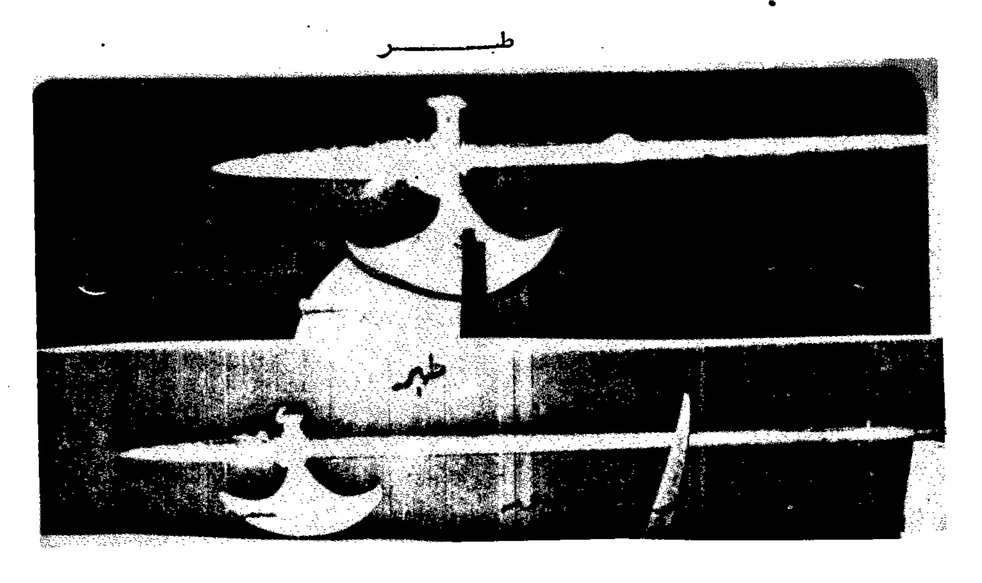
(١٢٨): الرماح: مخطوطة الفروسية والحرب والأسلحة ٧٨ وما بعدها، الأشرفي: مخطوطة رمي النشاب ٣٧.

ـ **الطبر :**

الفأس وهي معربة وأصلها آرامي(١٢٩). وهي آلة حديدية قاطعة. ولهذا السلاح أمير ((أمير طبر)) و(طبردارية) من الجنود يحملون هذا الفأس(١٣٠)، ويصنع من الحديد على شكل هلال نصف دائرة، وله مقبض من خشب أو حديد. ويضعها الفارس في حلقة في سرج فرسه(١٣١). وهناك **اللتوت**: الذي يشبه الطبر وهو من الاعمدة التي لها رؤوس مستطيلة ومضربة وكذلك **المستوفيات**: التي لها مقابض مدورة(١٣٢) **والعامود**: ويستخدم لضرب الرأس والانف أو العضد أو الركبة أو الدابة.

ويعلق العامود في كلاب من سرج الفرس عند ركبة الفارس اليسرى.

طبـــــــــر



طبر تصويرا عن المتحف الحربي بدمشق

(١٢٩): الكلداني: الألفاظ الفارسية المعربة ١١٠، القلقشندي: صبح الاعشى ٢ / ١٣٤.

(١٣٠): القلقشندي: المصدر نفسه ٥ / ٤٦٢، ستينجاس: المعجم الفارسي الانكليزي ٨٠٨.

(١٣١): زكي: السلاح في الإسلام ٣٩.

(١٣٢): القلقشندي: المصدر نفسه ٣ / ٤٧٤، المقريزي: الخطط ظ ٢ / ٢١٥، ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ٦٥، ٦٦.

- **الطارق: جمع طوارق:**

هو نوع من الرماح عرفت به حارة كاملة في القاهرة « حارة الطوارق »(١٣٣). ويظهر أن هذا السلاح كان منتشرا في الجيش المملوكي، وكانت تحمله الجمال لامداد المقاتلين « مائتا جمل محملة طوارق نحو ألف وخمسمائة وكان الفارس يأخذه بشماله.

- **النمجاه:**

وهي كلمة فارسية معناها الخنجر أو السيف الصغير أو السكين المنحنية، وهي آلة حربية وقد يطلق عليها الجنيه(١٣٤)، ويضعها الفارس في حزامه على جنبه أو في خفه، ويصطحبها في جميع حروبه، ويستخدمها في القتال، وهي تتلائم مع سرعة الضرب، وخفة الحركة(١٣٥). وأشهرها ما يصنع في فارس والهند(١٣٦).

- **القطاعة:**

وتسمى إيضا المطرقة وهي مصنوعة من الحديد تستخدم لهدم الاسوار والقلاع والأبنية. وقد استخدمها الظاهر بيبرس عندما فتح القلاع والحصون، واشترك مع الجنود في هدم سور قيسارية(١٣٧).

- **الدرع:**

هو قميص منسوج من الزرد على شكل حلقات متصلة فيما بينها للوقاية من السيوف وأدوات الحرب. وقد يلبس المقاتل درعين. للدرع أسماء عديدة منها دلاجي، السلوقيه، سابريه وهي

---

(١٣٣): المقريزي: الخطط ٣ / ٢٤، ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ٦٥.

(١٣٤): ابن أياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٥ / ١٣٤، النويري الاسكندراني: الألمام ١٠٥، أبو شامة: كتاب الروضتين ١ / ٢٧٠.

(١٣٥): الدواداري: الدر المطلوب في أخبار بني أيوب ٧ / ٥٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٠ / ٢٣، ١٢ / ١٤٥.

(١٣٦): زكي: السلاح في الإسلام ١٩.

(١٣٧): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١ / ٢ / ٥٢٥، ٥٢٦، زكي: السلاح في الإسلام ٤٥.

(١٣٨): النويري: نهاية الارب في فنون الأدب ٦ / ٢٤١، القلقشندي: صبح الاعشى ٢ / ١٣٥، الألوسي: بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ٢ / ٦٦.

الرقيقة النسج، سابغة وهي الواسعة، ويلبس وهي يمانية تصنع من الجلود(١٣٨).

- الجوشن:

هودرع إنما بين الحلقات صفائح حديدية. وقد يكون من الجلد، وهو أهم الأسلحة الدفاعية المضادة للسهام والسيوف والأسلحة النافذة(١٣٩).

- القرقل:

هي نوع من الدروع، أو هي زردية بغير أكمام، تصنع من صفائح الحديد، وتبطن بالديباج الاصفر والاحمر(١٤٠).

- الزردية:

منها زردية تغطي الصدر، ومنها مسبلة تغطي الجسم كله حتى القدمين وحتى قوائم الفرس(١٤١).

- الترس:

يصنع من الخشب أو الجلد أو الحديد(١٤٢) منه المسطح والمستدير والمستطيل، على أنه الغالب هوالمستدير وينسب الترس إلى مكان صنعه كالعراقي والدمشقي. ومن اسمائه بصيرة، جوب، جحفة، وهو الترس الصغير، فرض وهو الخفيف، قفع(١٤٣)، ويطلقون عليه في الجيش المملوكي الحنويات(١٤٤).

---

(١٣٩): النويري: نهاية الارب في فنون الأدب ٦ / ٢٤١، مجهول: مخطوطة الحيل والحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ٤٩، زكي: السلاح في الإسلام ٢٧.

(١٤٠): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢ / ٢٠٧، القلقشندي: صبح الاعشى ٢ / ١٣٦، ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ٦٧.

(١٤١): زكي: السلاح في الإسلام ٢٧.

(١٤٢): الالوسي: بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ٢ / ٦٧.

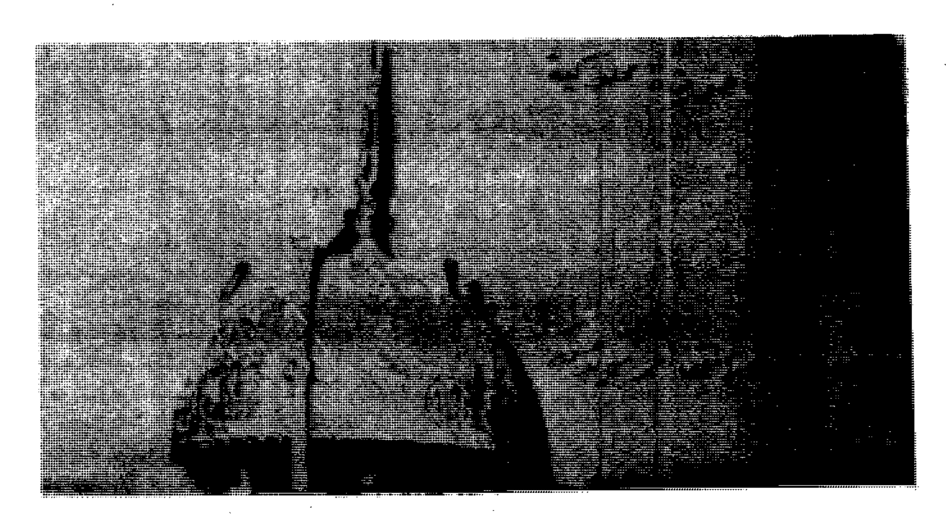
(١٤٣): زيدان: التمدن الإسلامي ١ / ١٥٧، زكي: السلاح في الإسلام ١٦.

(١٤٤): النويري: نهاية الارب في فنون الأدب ٦ / ٢٣٩.

- **الخوذة (البيضة):**

هي الشكل المصنوع من الحديد أو الجلد أو الزرد، والتي تقي الرأس من الضربات(١٤٥).

خوذة مملوكية   تصويراً عن المتحف الحربي بدمشق



تصويراً عن المتحف الحربي بدمشـــــق

(١٤٥): النويري: نهاية الارب في فنون الأدب ٦ / ٢٣٩.

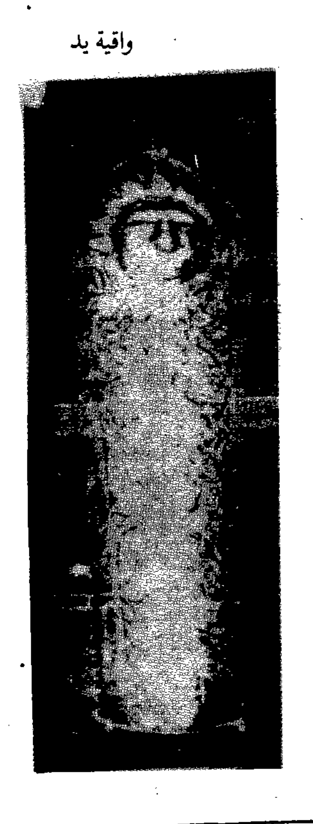
ـ المغفر :

هو كالبيضة، إنما هناك صفيحة تتصل بالبيضة من قفا المقاتل لوقاية اذنه ورقبته وأحيانا أنفه وقد تكون من زرد(١٤٦).

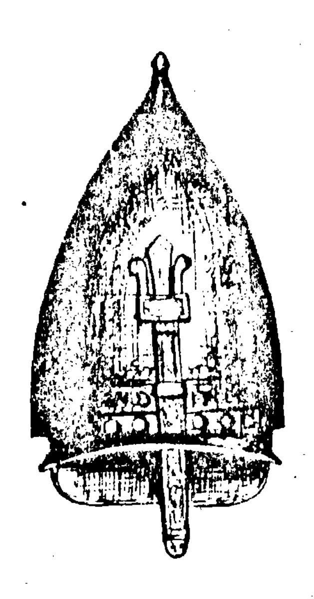
ـ الواقية :

مصنوعة من الحديد أو الجلد أو الخشب أو الشعر أو الوبر أو الصوف(١٤٧) ويلبسها الفارس أثناء المعارك.

واقية يد

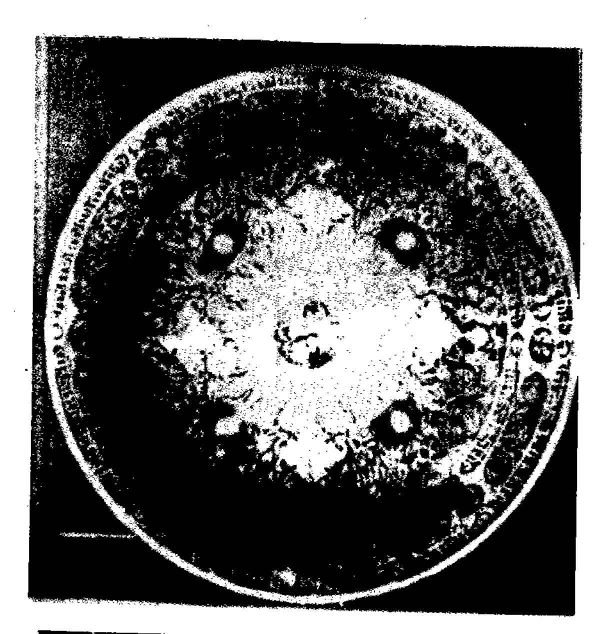


خوذة معدنية للسلطان برسباي المملوكي بمتحف اللوفر



(١٤٦): الناصري: مخطوطة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ٢٠١، ابن الساعي: الجامع المختصر ٢٩٥، القلقشندي: صبح الاعشى ٢ / ١٣٥.

(١٤٧): الناصري: مخطوطة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ٢٠١.



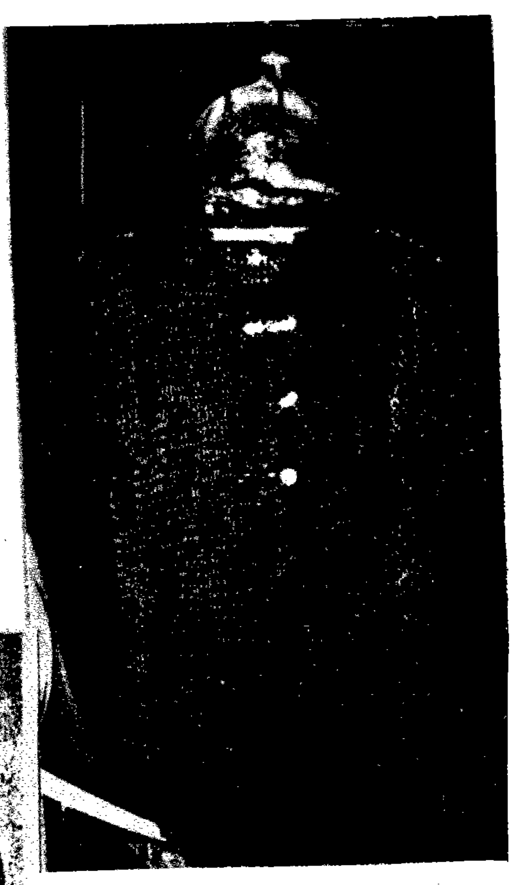
ترس مستدير من حديد   تصويراً عن المتحف الحربي بدمشق



خوذة وصفيحة وقاية للمقاتل المملوكي
تصويراً عن المتحف الحربي بدمشق

زردية صدر

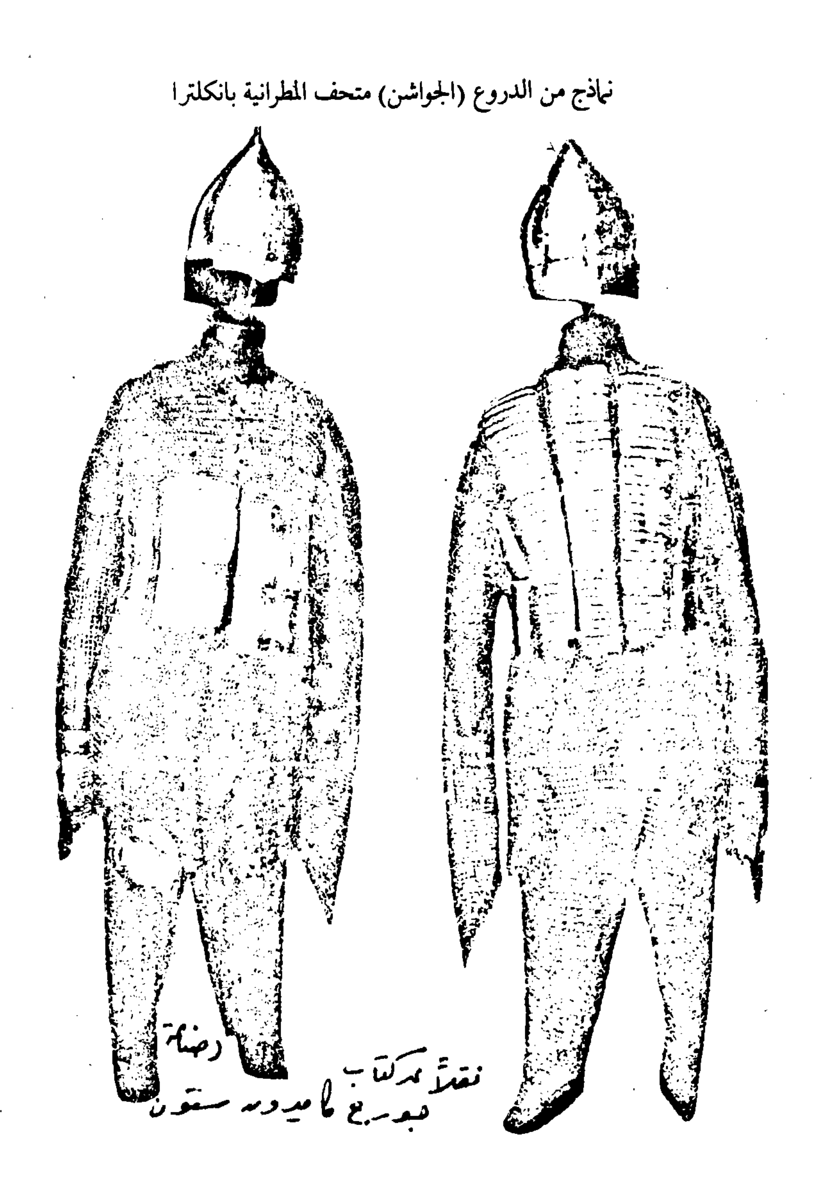
تصويراً عن المتحف الحربي بدمشق



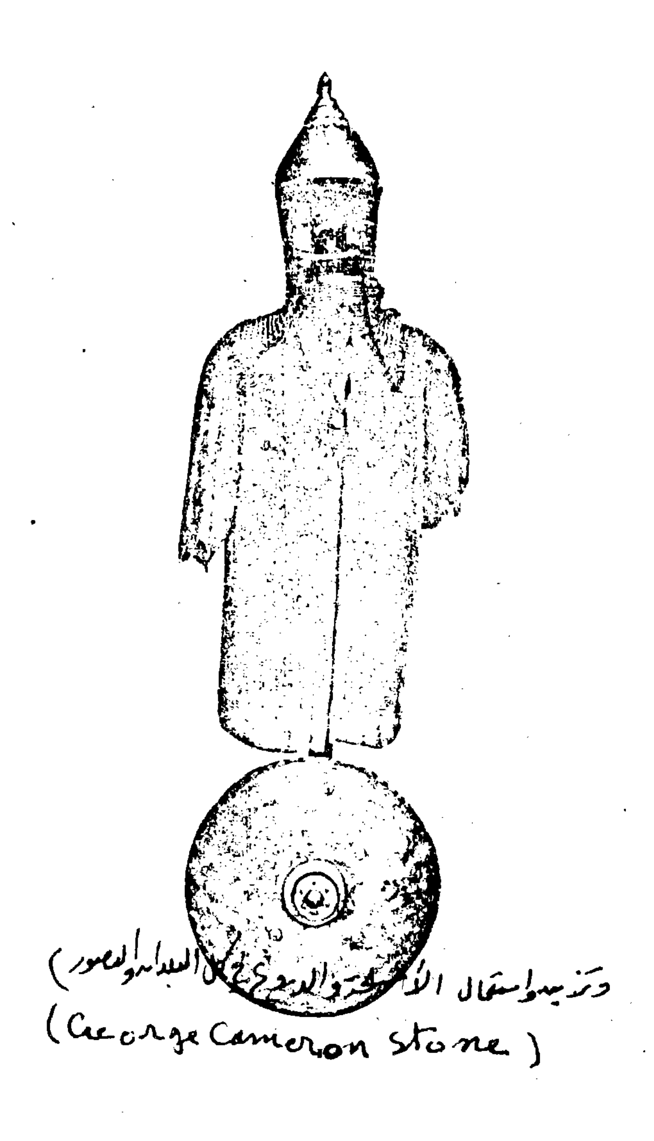
زردية مسبلة

تصويراً عن المتحف العسكري باستانبول

نماذج من الدروع (الجواشن) متحف المطرانية بانكلترا



نقلاً عن كتاب (صناعة وتزيين واستعمال الأسلحة والدروع في كل البلدان والعصور)



لجورج كامير ون ستون (George Cameron Stone)

٢) الوسائط القتالية في سلاح المدفعية:

إن من أهم الوسائط المنجنيق (ج) مجانيق ومناجيق ويقال عنه أيضا منجنوق والكلمة فارسية (من جه نيك) من جه معناها ايش ونيك جيد ويكون المعنى الكامل الطريقة الجيدة في الحرب(١٤٨). المنجنيق آلة من خشب لها دفتان قائمتان، بينهما سهم طويل، رأسه ثقيل، وذنبه خفيف، وفيها تكون كفة المنجنيق التي تحمل الحجر ثم تقذف. طور المماليك هذه الواسطة من حيث المدى ووزن القـذيفـة(١٤٩) والعرادات وهي آلة لرمي الحجارة والمواد الاخرى التي يرميها المنجنيق وهي تشبهه إلا أنها أصغر منه(١٥٠).

- **ومدافع النفط**: يدعى مكاحل النفط أو المكاحل أيضا، وهي التي يرمي عليها النفط والمواد المشتعلة التي تسبب في اتحادها مع النفط نارا قادرة على حرق الابنية والمزارع(١٥١) كما حدث في معركة عين جالوت. إذ أن في هذه المعركة استخدم النفط بصورة واسعة، وكان له دور كبير في إشعال الحرائق وأمكنة إلتجاء الجيش المغولي. ولم يكن الجيش المملوكي قد تعرف بعد على البارود. فإذن في هذه المعركة استخدم المناجيق والمدافع النفطية التي ترمي السهام والحجارة والكرات الحديدية والمواد الجرثومية والحيات والعقارب والمواد النفطية الحارقة(١٥٢).

- **مدافع البارود**:

أكتشف المماليك البارود، وطوروا سلاح المدفعية فأصبح المدفع يرمي مقذوفه بقوة مع

---

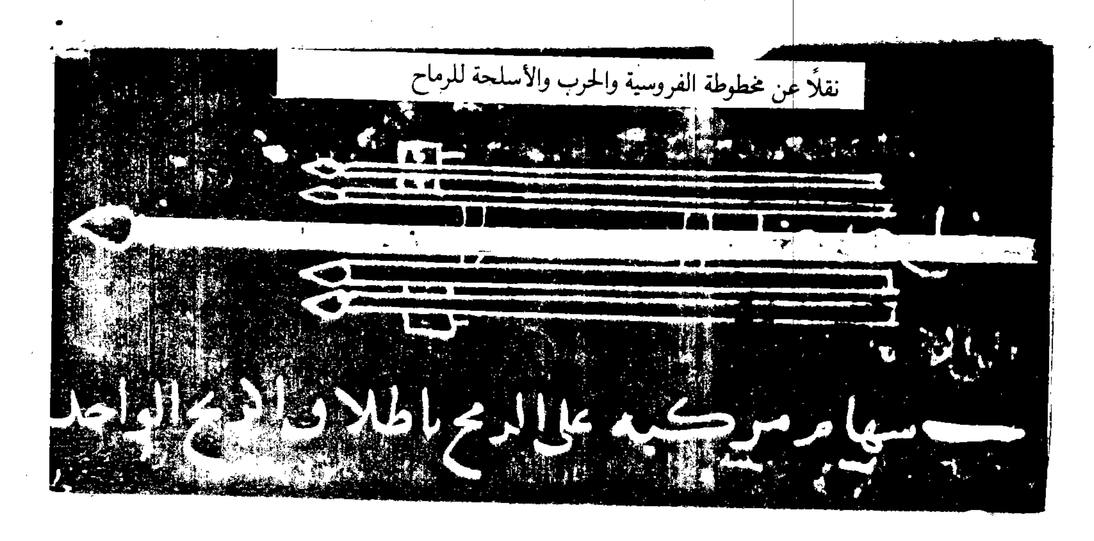
(١٤٨): الكلداني: الألفاظ الفارسية المعربة ١٤٦.

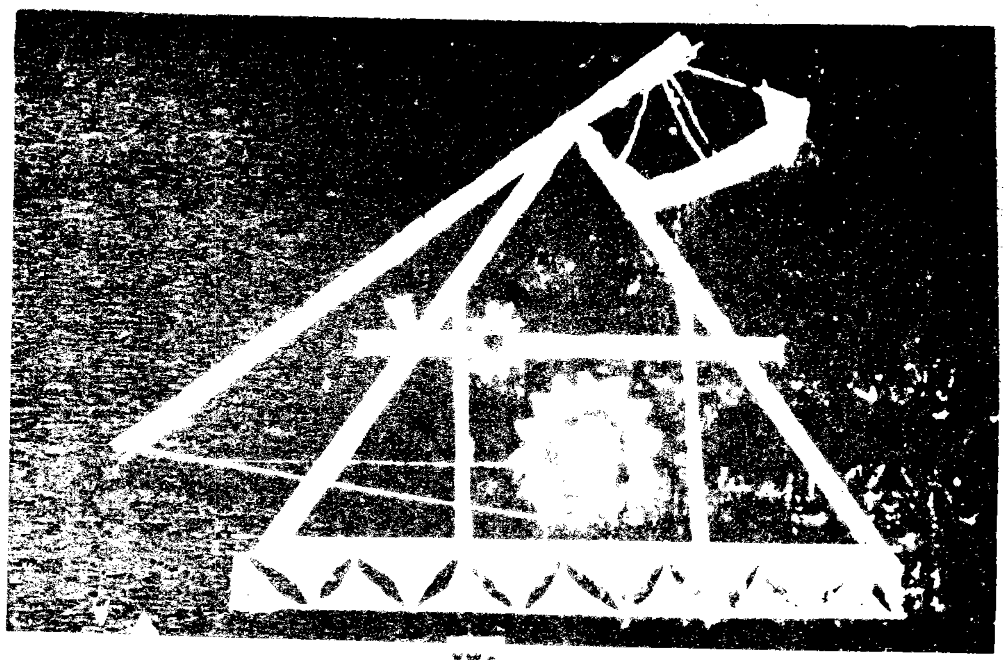
(١٤٩): ابن عبد الظاهر: تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور ٧٦، ١٤٩، اليونيني: ذيل مرآة الزمان ٢ / ١٣٨.

(١٥٠): الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي ٣٤٥، الألوسي: بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ٢ / ٦٧.

(١٥١): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢ / ١٩، ٢٢٢، ٢٤٢، ٣٠٥، ٣١١، ٣١٢.

(١٥٢): الزردكاش: الانيق في المناجيق ٤٤، ٤٥، الألوسي: بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ٢ / ٦٧، زيدان: التمدن الإسلامي ١ / ١٥٨، ١٩٣.

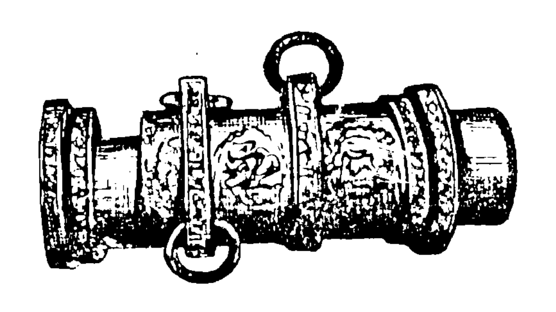

نقلاً عن مخطوطة الفروسية والحرب والأسلحة للرماح
سهام مركبه على الرمح باطلاق الرمح الواحد



البارود، والسبطانة من حديد أو نحاس لتتحمل الضغط، ويستخدم ضد القلاع والحصون[١٥٣]، وبهذا فقد كان الجيش المملوكي أول من أستخدم مدفعية البارود أومكاحل البارود، ولهذا فإن مدى القذائف قد ازداد، وكذلك قوة التدمير والإنفجار[١٥٤]. وهناك السبقيات وهي نوع من أنواع مكاحل البارود[١٥٥].

٣) الوسائط القتالية في سلاح النفط والنيران:

إن من أهم الوسائط: الجرخ (ج) جروخ وهي آلة ترمي النفط المشتعل كما ترمي البندق والسهام، وهي من الأسلحة الفردية التي يعمل عليها مقاتل واحد يطلق عليه جرخي. وهذه



مكحلة (مدفع) تصويرا عن المتحف العسكري باستنابول

---

(١٥٣): القلقشندي: صبح الاعشى ٢ / ١٣٧، ١٣٨، ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ٦٦.

(١٥٤): الزردكاش: الانيق في المناجيق ١٩٦ وما بعدها، ابن غانم الأندلسي: مخطوطة الغر والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع ١٥، ٢٦، الرماح: مخطوطة الفروسية والحرب والأسلحة ٨٨.

(١٥٥): ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ١ / ٢٠١، ابن أياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور.

الـواسطـة كانت معـروفـة من قبـل . وهـذا اللفظ بالذات استخدمه الايوبيون(١٥٦)، والسهام الحـارقـة التي منهـا المخفي والنجمي والـرقيق واللزاق(١٥٧)، والقـدور الحـارقة التي منها المحرمة والعجميـة والغـربيـة(١٥٨)، والقنابل الفخارية التي كان يطلق عليها الجرار أو الاباريق، وكانت ذات قيـاسـات مختلفـة(١٥٩)، والرماح النارية التي تحمل النفط والنار(١٦٠) وصواريخ النفط التي كانت توجه ضد الاهداف وبخاصة المراكب فتشعلها ناراً(١٦١)، وكعكات النفط والقنابل الموقوتة

سبطانة مدفع تصويرا عن المتحف العسكري باستانبول



(١٥٦): الدوادري: الدر المطلوب في أخبار بني أيوب ٧ / ١٠٦، النويري الأسكندراني: الالمام ٢ / ١٣٨.

(١٥٧): الزردكاش: الانيق في المناجيق ١٨٥، ١٨٧، الرماح: مخطوطة الفروسية والحرب والأسلحة ٧٠.

(١٥٨): الرماح: مخطوطة الفروسية والحرب والأسلحة ٨٨ وما بعدها، الذهبي: مخطوطة غاية المقصود في العلم والعمل بالبنود ٣٩، ٤٠.

(١٥٩): Rey - Les Colonie Franques De Syrie Aux XIIme et XIIIme: Siecles pages 32.

(١٦٠): Rey - Les Colonie Franques De Syrie Aux XII me et XII me Siecles pages 40.

(١٦١): ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣ / ١١٢.

(Time - bomb) التي تنفجر لتوقيت زمني فتنشر النار إلى مساحات كبيرة[١٦٢]، والزراقة وهي عبارة عن اسطوانة خاصة من حديد يوضع فيها المزيج النفطي والمواد المشتعلة، وهي تقذف هذه المواد إلى مسافات كبيرة[١٦٣] والدبابيس الحارقة والشعلات والخلائط النارية المختلفة[١٦٤] والمرآة الحارقة التي توجه ضد الاهداف المراد حرقها[١٦٥].

٤) الوسائط القتالية في سلاح الهندسة العسكرية:

إن من أهم الوسائط هي: الجرافات والعلوفات والقطاعات والمنشار والصفائح والقضبان الحديدية والأخشاب وشبك الرصاص وحبال القنب المشدودة وذلك لشق الطرقات وهدم الاسوار ونصب الجسور[١٦٦] وكذلك الدواليب والحفارات لحفر الابار واستخراج المياه[١٦٧].

٥) الوسائط القتالية في سلاح البحرية:

إن الوسائط في هذا السلاح كالقوى البرية مع بعض الاختلافات التي يتطلبها اختصاص البحرية ففيه الستائر وهي آلات لوقاية الاسوار والسفن من الأسلحة الهجومية[١٦٨] والمدفع ومكاحل البارود والمجانيق وقدور الحيات والعقارب والأسحلة النفطية والمركبات الكيميائية فإنها وسائط لاتختلف عن وسائط القتال البرية[١٦٩]، أما الوسائط الخاصة بسلاح البحرية فأهمها

---

(١٦٢): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٢ / ٢ / ٤٩٦، ابن كثير: البداية والنهاية ١٤ / ١٨٦.

(١٦٣): أبو شامة: الذيل على الروضتين ١٨٥، الجهاري وزملاؤه: النجوم الزاهرة في حل حضرة القاهرة ١٦٣.

(١٦٤): الزردكاش: الانيق في المجانيق ١٩٨ وما بعدها، ٢١٠ - ٢٢١، الرماح: مخطوطة الفروسية والحرب والأسلحة ٣٦.

(١٦٥): الناصري: مخطوطة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ١٦٣.

(١٦٦): ابن مماتي: قوانين الدواوين ١٦، الدواداري: الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ٩ / ٢٨٤، ٤٠٠، ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ٨٨، المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك ٢ / ٢ / ٥١٤.

(١٦٧): ابن الغوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ٣٦٥.

(١٦٨): القلقشندي: صبح الاعشى ٢ / ١٣٨.

(١٦٩): الزردكاش: الانيق في المجانيق ٢، ٣، ٥، ٦، ابن يحيى: تاريخ بيروت ٣٨، ماهر: البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ٢٠٣.

اللجام وهو كالرمح المضلع يكون في مقدمة السفينة وهو حاد بارز إلى الامام يستخدم في خرق السفن المعـاديـة، فإذا تم ذلـك دخل الماء إلى السفينة المخروقة فغرقت(١٧٠)، والكلاليب وهي من حديـد مثبتـة في حبـال من قنب تلقى على سفن العـدو فتـوقفها ثم تجر، وتلقى الالواح من الخشب بين السفينتـين وينشب القتـال داخـل السفينـة(١٧١)، والفؤوس وهي آلات قاطعـة للكلاليب، فيما إذا تعرضت السفينة لمثل هذه الكلاليب سلطت عليها الفؤوس فتقطعها فتفلت من الاسر أو المصيدة(١٧٢) والسفن والمراكب المختلفة الحربية والإدارية التي تدخل في الاسطول كالحراقة والجلبة والطريدة والغراب(١٧٣).

٦) الوسائط القتالية في السلاح الكيميائي:

هنـاك الكفيـات وهي عبـارة عن قدور من الفخـار صغـيرة الحجم ملء الكف محشـوة بجير وبول، ومدورة كالقنابل اليدوية التي نراها اليوم هجومية ودفاعية وهي تلقى على الأماكن المراد الاستيـلاء عليهـا كالسفن والحصـون وأمكنـة تجمع العسكريين، إذ باصطدامها بجسم صلب تتكسـر فيخـرج منها الجير الذي يدخل في أجهزة التنفس(١٧٤)، والكمامات (أزقاق) وهي فردية يستخـدمهـا المقـاتل أثناء انتشار الغاز والدخان(١٧٥) والمركبات الكيميائية التي يدخل في تركيبها كثير من النفط والزيت والشحم والقطران وغيرها(١٧٦).

---

(١٧٠): ماهر: البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ٢٠٣، العدوي: الاساطيل العربية في البحر الابيض المتوسط ١٦٣.

(١٧١): ماهر: البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ٢٠٣، العدوي: الاساطيل العربية في البحر الابيض المتوسط ١٦٣.

(١٧٢): ماهر: البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ٢٠٣.

(١٧٣): ابن مماتي: قوانين الدواوين ١٦، ابن يحيى: تاريخ بيروت ٢٢٠ وما بعدها، النويري الاسكندراني: الالمام ٢ / ٢٣٤، العـدوي: الأسـاطيـل العربية في البحر الابيض المتوسط ١٥٣، زكي: السلاح في الإسلام ٤٢، متز: الحضارة الإسلامية ٢ / ٣٨٩.

(١٧٤): ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ١ / ٢٠١، ابن أياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٤ / ٢٠١، النويري الاسكندراني: الالمام ١٤٤، الزردكاش: الانيق في المناجيق ١٧٦.

(١٧٥): الناصري: مخطوطة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ٢٠٥.

(١٧٦): الناصري: مخطوطة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ١١٥.

ـ سلاح الدبابات:

أهم الوسائط في هذا السلاح هي:

الدبابة: تصنع من الخشب القاسي، وتغلف بالجلد، أو اللبود، وتدهن بمادة ضد النيران. وقد يصنع لها برج يعلوه المقاتلون لتسلق القلاع والحصون إذا لزم الأمر ولها عجلات دائرية يدفعها الرجال وهم في بطنها، وهي قديمة قدم المصريين والأشوريين، ولها رأس مدبب من حديد، تستخدم الدبابة لهدم الاسوار والقلاع والحصون(177)، وهناك أنواع من الدبابات التي كان يستخدمها الصليبيون في حروبهم ضد المملوكيين والاقوام التي سبقتهم مؤلفة من أربع طبقات: الاولى من الخشب والثانية من الرصاص والثالثة من الحديد والرابعة من النحاس. وكانت تحدث نوعا من الرعب لفخامتها وتسليحها(178).

والكبش وهو نوع من الدبابات المتوسطة الحجم، ولها رأس في مقدمتها قوي وثقيل(179)، ومن الدبابات ماتكون فيه مغطاة بصفائح من حديد لزيادة تدريعها(180)، والسلاح المضاد للدبابات هو سلاح النفط والنيران بجميع أنواعه ومختلف وسائطه إذ يؤثر على الدبابة فيحرقها، غير أن بعضا منها، وفي الفترة الاخيرة لتطويرها ليست بصفائح من حديد وجلود ولبد وقطن بحيث لم تعهد النيران تؤثر فيها، ولهذا فقد صنع سلاح جديد مضاد للدبابات هو عبارة عن أحجار صوانية بها عارضات من الحديد ومعلقة بحبال فإذا مرت الدبابة من المكان الإجباري وصارت تحت هذه الالة أرخيت عليها فتكسرها وتحطمها، وترفع من كان في داخلها(181).

---

(177): ابن غانم الاندلسي: العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع 114، أبو شامة: كتاب الروضتين 2 / 599.

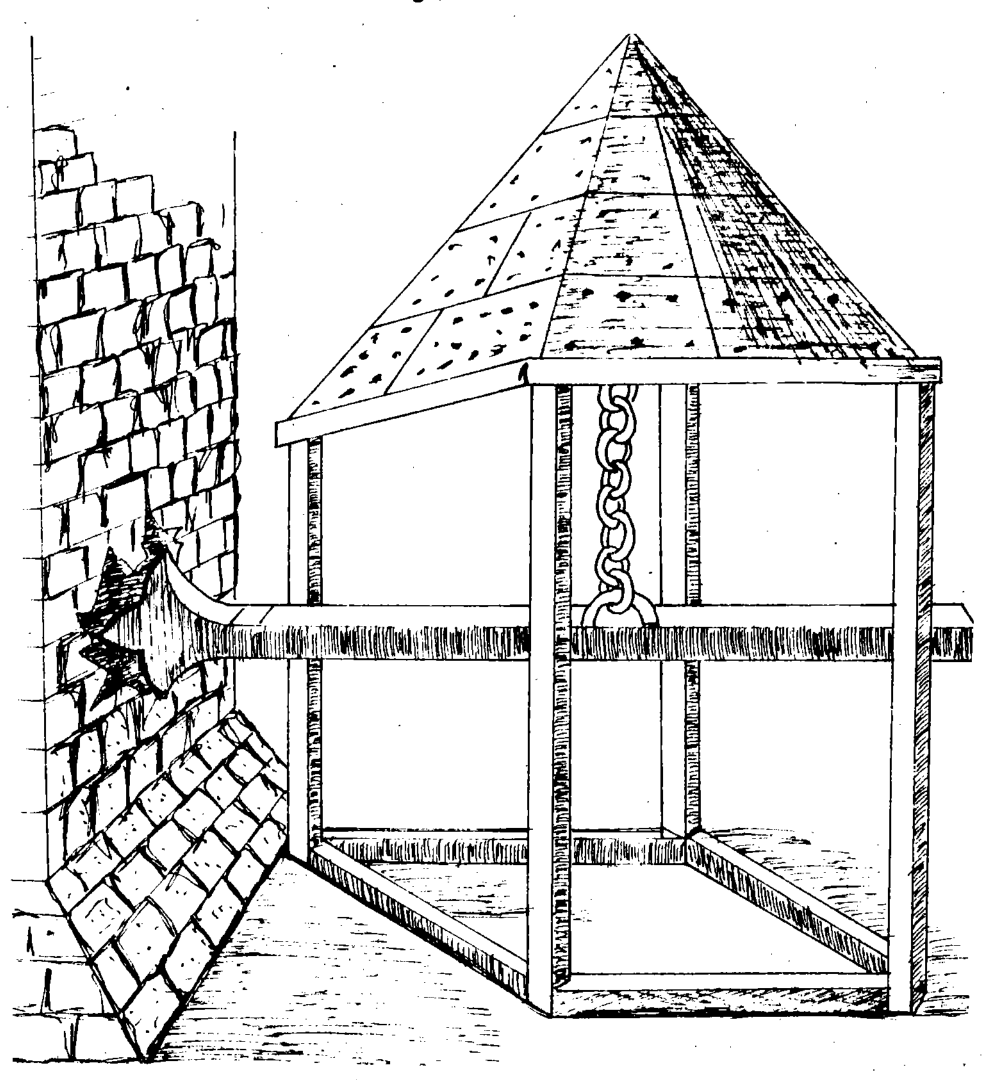
(178): الحجازي وزملاؤه: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة 168، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك 1 / 2 / 526.

(179): زيدان: التمدن الإسلامي 1 / 160.

(180): ابن الفرات: تاريخه 4 / 1 / 230.

(181): النويري الاسكندراني: الالمام 205.

« الكبش »



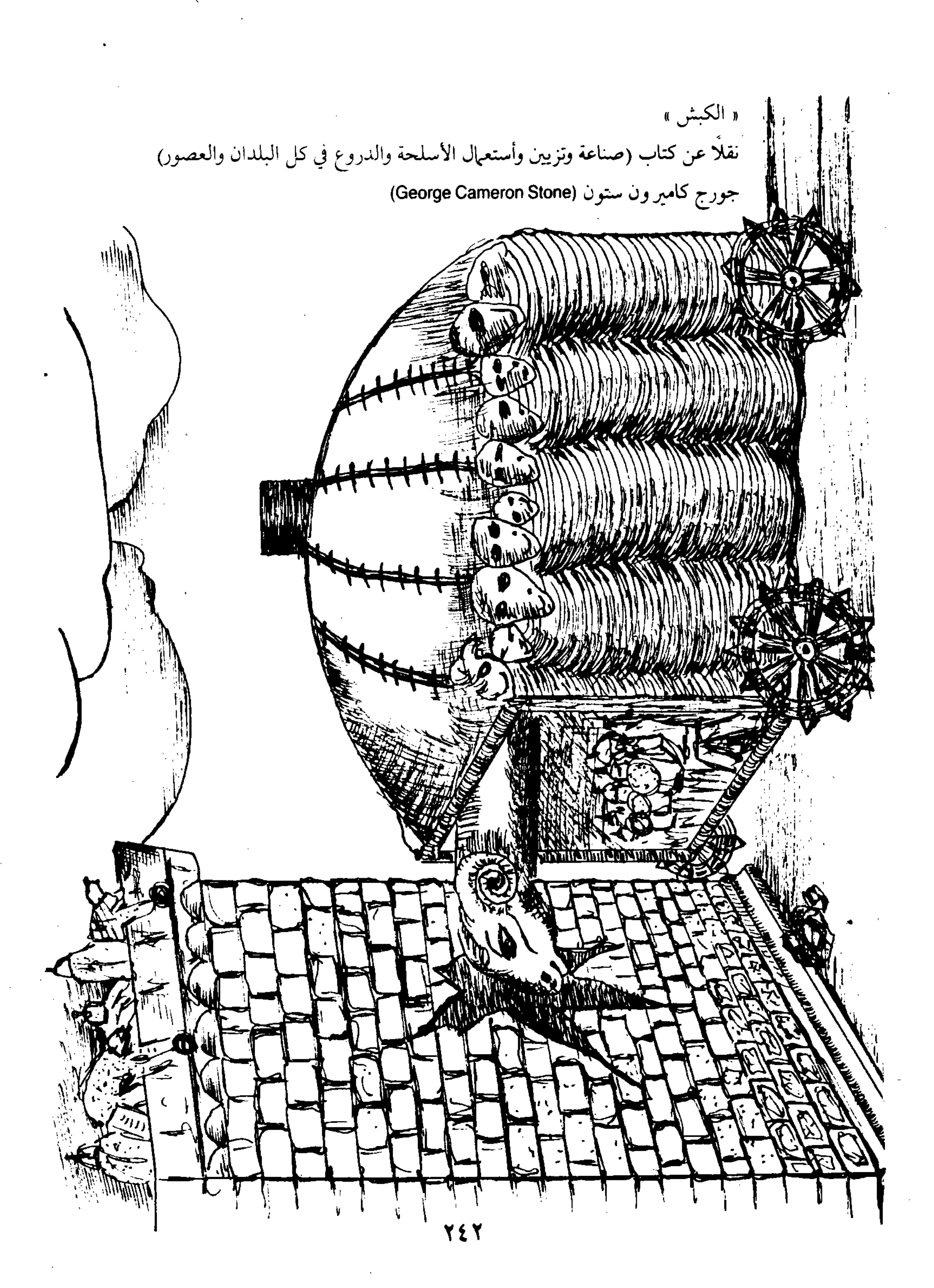
نقلاً عن كتاب (صناعة وتزيين وأستعمال الأسحلة والدروع في كل البلدان والعصور)

جورج كامير ون ستون (George Cameron Stone)

« الكبش »

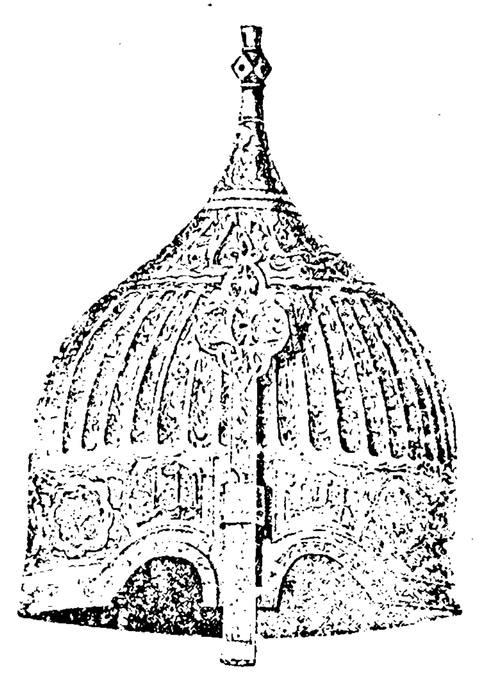
نقلاً عن كتاب (صناعة وتزيين وأستعمال الأسلحة والدروع في كل البلدان والعصور)

جورج كاميرون ستون (George Cameron Stone)





« جندي مغولي بسلاحه الحربي الكامل »
عن تاريخ العراق بين احتلالين لعباس العزاوي



« خوذة مغولية »
عن تاريخ العراق بين احتلالين لعباس العزاوي



هولاكو بخوذته الحديدية ودرعه الزردي والمغفر
عن تاريخ العراق بين احتلالين لعباس العزاوي

محارب مملوكي (سلاحدار)



كما صوره الرحالة الألماني أرنولد فون هارف Arnold Von Harv

نقلاً عن كتاب القاهرة (تاريخها - فنونها - آثارها).

للدكتور حسن الباشا وزملائه



الفصل السابع
التدريب والعمليات



التدريب مقدمة للعمليات. لايمكن لاي جيش أن يخوض معركة ما دون أن يكون مدربا على المناورة والحركة والالتفاف، وعلى استخدام الأسلحة بشروطها الفنية والتعبوية. وأن يكون القادة قادرين على القيادة ومدربين عليها في جميع الشروط والظروف القتالية المعقدة. وإذا أريد تعميق التدريب فإنه لابد من إجراء تمارين وبيانات ومشاريع مشابهة لنوع المعركة، هجومية كانت أم دفاعية، ولطبيعة وتضاريس الأرض التي ستكون مسرحا للعمليات، وللوقت في الليل أو في النهار.

لقد تدرب الجيش المملوكي على جميع صنوف الأسلحة، وعلى الرمي وعلى البيانات والمشاريع، قبل أن يدخل معركة عين جالوت، وكذلك فإن الجيش المغولي كان مدربا على القتال وله خبرة كبيرة خاض من خلالها معارك قتالية وخرج في جميعها منتصرا، وهو بهذا جيش تمرس على القتال وتدرب من العمليات إلى العمليات، أي بالحرب من الحرب.

ـ التدريب:

التدريب في الجيش المملوكي هو التركيز على تأهيل الفارس لكي يدخل الحرب وهو على اتم استعداد له. وقد عنيت الامم السابقة بهذا التدريب أمثال اليونانيين والرومانيين والفرس وخرجت أبطالا قادوا امتهم إلى طريق النصر.

مما يلفت النظر أن العصر المملوكي كان مليئا بالمصادر والكتب التي تبحث في أنواع التدريب على السيف والرمح والنشاب والصولجان وغيرها. وكان القادة المسؤولين يقضون أغلب وقتهم في التدريب وفي الميادين العامة، وفي المناورات والبيانات العملية، حتى يمكن القول بأن هذا العصر كان عصر التدريب الحربي. ومن أشهر الكتب والمخطوطات التي تبحث في هذا الاتجاه: «الفروسية» «لابن القيم» كتاب في علم الفروسية ولعب الرمح والبرجاس وعلاج الخيل ولعب الدبوس للدمياطي «كامل الصناعة في علم الفروسية والشجاعة» للرماح لطف الله «كتاب الفروسية والمناصب الحربية» لنجم الدين حسن الرماح «أسبال الذيل في ذكر جياد الخيل» لنجم الدين الحنفي الرملي، «رمي النشاب» لطبيق الاشرفي، «أحكام الرمي والسبق» لتاج الدين ابن التركماني، «علم الالات الحربية» لابي موسى بن شاكر، «الامنية في علم الفروسية» لابن جماعة، «أولى اسباب في الرمي والنشاب» «سبل الرشاد في فضل

الجهاد » لأبي العوالي ابن جزيل، « السداد في فضل الجهاد » لمحمد بن عمر الواعظ الشهير بمنلا عرب، « سلم الحداسة في علم الفراسة » لتاج الدين علي بن أحمد المعروف بأبن الدريهم الموصلي، « السؤال والأمنية في الفروسية » لمحمد بن عيسى إسماعيل الحنفي، « عرس الانشاب في الرمي والنشاب » لجلال الدين السيوطي، « نهاية السؤال والامنية في تعلم أعمال الفروسية » لابن خسروشاه الاقسر ابي الحنفي الرومي[1] ومن أشهر الفرسان الملك قطز والامير بيبرس واينال العلاء الظاهري وبرقوق الناصري ويشبك الفقيه، وأزبك اليوسفي، وجانم الاشرفي والسلطان الاشرف قايتباي ومقدم الجيوش وأمير سلاح بدر الدين بكباش وعلاء الدين الالدكزي وغيرهم[2]. وكان أغلب الملوك والسلاطين والامراء من الفرسان المعدودين، ومن الابطال الشجعان الذين على علم بالرماية ولعب الرمح وضرب السيف وخفة الحركة في ساحة الميدان وبفنون القتال وباستخدام الاسلحة المعروفة في ذلك العصر[3]، ولم تقتصر الفروسية على الوجهاء بل كان أغلب الجنود أو قل جميعهم من الفوراس ومن المدربين على تلك الاعمال التي في نظرهم في مقدمة كل أمر[4].

أولاً: صفات التدريب:

إن من أبرز الصفات عند الجيش المملوكي:

١ - **العمومية والشمولية**: إن التدريب كان يشمل المؤخرة، كما يشمل المقدمة، والتشكيلات كما في القطعات والوحدات، والفرد كما في المجموعات، والجندي كالقائد، والبحرية كالقوات البرية، لايستثنى أحد ولا يختلف أحد[5]. وكانت هذه التدريبات تتناول جميع أنواع التدريب

---

(١): حاجي خليفة: كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ١/ ١٠، ١٦٩، ٢٥٢، ٢/ ٩٧٨، ٩٩٧، ١٠٠٨، ١٢٠٢.

(٢): السخاوي: الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ٢/ ٢٧٢، ٣٢٨، ٣/ ٦٤، ابن أياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣/ ٨٣، ٩١، ٣٢٥، الذهبي: دول الإسلام ٢/ ١٦١، الصفدي: الوافي بالوفيات ٩/ ٤٨٦.

(٣): ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣/ ١٠٥.

(٤): ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣/ ١٢٢، القرماني: أخبار الدول وآثار الاول ٢١٦، ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١/ ٣٤٩، ٣٩٦، ٤١٧.

(٥): ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٤ / ١٢٤، ١٤٥، الرماح: مخطوطة في علم الفروسية برسم العمل به ٧١ وما بعدها، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/ ٢/ ٥١٨.

وأشكاله وطرائقه، كما تتناول جميع أنواع الأسلحة المستخدمة في القتال، والتدريبات التي تحافظ على اللياقة البدنية، وترفع من قدرة الجندي القتالية كألعاب اللنجة والسباق والمصارعة(٦).

وبهذه العمومية والشمولية توصل الجيش المملوكي إلى توازن قتالي بين صفوف قواته، واختصاصاتها المختلفة، وإلى وحدة الجيش الحربية، وإلى ثقل الضغط والخرق، فإن ركز جهوده الرئيسية إلى قطاع من دفاعات العدو تراه يجمع كل الجهود لهذا القطاع كما حدث تماما في معركة عين جالوت عندما خرق الدفاع واستطاع أن ينفذ من اليمين والشمال، وأن يصل خلف القوات المغولية بالرغم من صمود وثبات الدفاع(٧).

٢ ـ ملازمة التدريب العقائدي مع التدريب القتالي: يشرى المملوك صغيرا ثم يدرب على أصول العقيدة وأحكامها ونظرتها إلى الجهاد تحت إشراف مدربين اشتهروا بتدريب العقيدة منهم ابن الشحنة وابن حجر العسقلاني، سعد الدين وتقي الدين القلقشندي وبيبرس المنصور. وكانوا يعلمون القرآن حفظا حتى أن بعض المتدربين كانوا يحفظون القرآن عن ظهر قلب مثل الامير إذدمر الابراهيمي الظاهري جقمق، ومحمد بن جقمق وغيرهما من الذين كانوا يتلون ويجودون ويفسرون. كما كان هؤلاء المدربون يقومون بتعليم الاحاديث النبوية في الصحيحين مسلم والبخاري، والفقه حتى أن الامير تنكز بذ أقرانه في هذه العلوم، والتدريب على الخط وقواعده وأصوله وأحسنه إذ نبغ في هذا الفن الامير قجماس الاسحاقي الظاهري، وتعليم التاريخ والادب والشعر إذ ظهر منهم الامير تغري برمش، واللغات وبخاصة اللغتين التركية والعربية مثل يعقوب شاه الارزبخاني(٨). بعد تدريبه على أمور العقيدة وبعد اتمامه هذه المرحلة، وبعد أن يكبر، يسلم إلى مدربين في أمور الحرب والقتال فيتدرب على ركوب الخيل ويتدرج من السهولة إلى الصعوبة، فيقاتل على ظهرها بسلاح واحد ثم يصل إلى جميع الأسلحة، ويتدرب في حالة الركض والوثوب عنها، ثم ينتقل إلى الرمي والدقة في الإصابة على

---

(٦): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٠/١٢٨، ١٢/٦٩، ٨٠، متز: الحضارة الإسلامية ٢/٢٥٧، زكي: الجيش المصري في العصر الإسلامي ١٥ وما بعدها.

(٧): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣١٤، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٣/٥/٢١٩.

(٨): ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٣/١٩، ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ١٤١، ١٨٦، ٣٨٢، ٤٠٢، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٤١٩.

القبق، والضرب بالسيف والطعن بالرمح واستخدام الدبوس ولعب الصولجان، ثم يتدرب على طرق القتال في الميدان وهذه هي أصعب مرحلة في التدريب يخرج من بعدها مقاتلا قويا في عقيدته قويا في قتاله وهو بهذا لا ينقطع عن التدريب العقائدي أو القتالي بل يظل ينمي تدريباته، حتى يصل إلى أعلى مستوى من التدريب المتلازم[٩].

٣ ـ التدريب بشكل متواصل:

إن المقاتل المملوكي بعد أن ينهي هذه المراحل جميعها لايتوقف عن التدريب ابدا، وإنما هناك الميادين المتعددة التي يلتقي فيها المقاتلون ليقوموا بتدريباتهم المعتادة، كالسياق والاخضر والاسود والعيد، والناصري الذي كان مختصا بالسباق[١٠]، والصالحي الظاهري وبركة الفيل، وسرياقوس[١١]، إذ يواصل العسكري المملوكي تدريبه على جميع أنواع القتال وعلى اختلاف الاسلحة في جميع الظروف والاحوال الصعبة، ويبقى من الصباح حتى المساء حتى ولو كان الجو ماطراً أو بادراً أو حاراً[١٢]، فالمهم عنده تنفيذ البرنامج التدريبي المقرر. وكذلك كان التدريب العقائدي فقد كان الموجهون المشايخ كثيرين، وكذلك فإن دور العلم والتدريب كانت كثيرة، وهي لاتخلو من المقاتلين الذين يلازمون هذه الأماكن التي كانت منتشرة بشكل واسع، منها دور القرآن وأشهرها الخيفرية والجزالية والدلامية والبهائية والحرمية والسكرية والغورية وغيرها[١٣]. ومنها دور الحديث وأشهرها التنكزية، ومنها المدارس المتخصصة كالأتابكية والأسدية والأمجدية والحلبية وغيرها[١٤] ومنها دور الصوفية (الخوانق) التي تدرس فيها الطرق الصوفية الروحية

---

(٩): ابن خلدون: تاريخه ٥/٣٧١، المقريزي: السولك لمعرفة دول الملوك ٢/٢/٥٢٤، المقريزي: الخطط ٢/٤٨٩، ٣/٧٦.

(١٠): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/١٦٥، ٨/٨٨، ٩/٩٧.

(١١): المقريزي: الخطط ٣/١٩ وما بعدها.

(١٢): المقريزي: الخطط ٢/٤٨٩، ٣/٧٦.

(١٣): ابن قاضي شهبه: تاريخه ٣/١٨٨، النعيمي: الدراس في تاريخ المدارس ١/٧ ـ ٩٩.

(١٤): ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار ١/٩٢ وما بعدها، السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/٢٦٢ وما بعدها، الحنبلي: الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ٢/٣٥ وما بعدها، حمزة: الحركة الفكرية في مصر ١٦٢ وما بعدها.

واشهرها الأندلسية والباسطية والخاتونية والشهابية والمجاهدية والشيخونية وغيرها[١٥] ومنها الرباطات وهي كدور الصوفية وهو المكان الاكثر تخصصا للعلم وأشهرها التكريتي وزهرة والبخاري وغيرها[١٦]، وفيها المساجد التي كانت تقام فيها حلقات العلوم الدينية المختلفة وهي كثيرة تراها مبسوطة في الكتب العديدة مثل النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري، وبدائع الزهور في وقائع الدهور لابن اياس الحنفي وخطط المقريزي وتاريخ أبي الفداء وأخبار الدول وأثار الاول للقرماني والدارس في تاريخ المدارس للتميمي وتاريخ ابن قاضي شهبه والانتصار لواسطة عقد الامصار لابن دقماق وغيرهم. وبهذا التدريب المتواصل اكتسب المقاتل المملوكي استعدادا كاملاً في كل الاوقات وتلبية فورية لمطالب الجاهزية القتالية، ومعنويات عالية، وقدرة كبيرة على بذل إرادة القتال وعلى إعطاء كل ما يملك في سبيل انتزاع النصر والتغلب على الاعداء.

٤ ـ **التخصص في التدريب**: لقد شاع التخصص في الوظائف العسكرية في الجيش المملوكي. فكل مادة لها مدربون خاصون بها. فالنشاب اختص به قادة عسكريون عرفوا به، فهم يقومون بتدريبه وتعليمه للفوارس المبتدئين، كما كانوا يؤلفون الكتب العديدة التي تبحث في هذا السلاح وقواعد رميه وأصوله وأجزائه التي يتألف منها وعمل كل جزء واستخدامه في الميادين وفي ساحات القتال، التي تفرض عليه أن يتخذ أوضاعا مناسبة لكل سلاح، بل لكل حالة من حالات العمل بالاسلحة الاخرى[١٧]. وكذلك المنجنيق والرمح والسيف الذين كان لهم رجال كتبوا عن هذه الاسلحة وبكل ما يتعلق بتفاصيلها واستعمالاتها المختلفة[١٨] على أن هذا التخصص زاد من المعارف، وأكسب المدربين والمتدربين الدقة والسرعة وأداء الحركات بكل اتقان وفنية عالية. وكان أهم العلماء الذين تخصصوا بالأسلحة والقتال هو الرماح الاحدب للرمح، **وطيبغا** الاشرفي للنشاب والزردكاش للمنجنيق وغيرهم. ومما يلفت النظر أن هؤلاء العسكريين كانوا على جانب كبير من العلم والمعرفة بأسلحتهم وطرق قتالها مما يتيح للجيش

---

(١٥): النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٢/١٤١، ١٥١، ١٦١، ١٦٩، ١٧٤، ابن قاضي شهبه ٣/١٤٢، ٤٨٣، ٤٩٩، ٦٤٧.

(١٦): النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٢/١٩٢ وما بعدها، المقريزي: الخطط ٢/٤٧٢ وما بعدها.

(١٧): الاشرفي: مخطوطة رمي النشاب ٧، ١٣، ١٥.

(١٨): الزردكاش: الانيق في المناجيق ٨، ١٦، ٢٤، ١٠٣.

المملوكي أن يكـون من أوائـل الجيـوش في عصره تدريبا وقتالا . وإن المرء ليعجب بعد أن وصل هذا الجيش إلى هذه الـدرجـة من التخصص - أن يكبـوا في أيـامـه الاخـيرة وأن يخسـر الحـرب . - وإنـك لتعجب إذا علمت أن المـدرب يتـدرج حسب خبرته وتحصيله للعلوم إلى ثلاث درجـات الاولى يكـون فيهـا معلما والثـانيـة استاذا والثالثة رئيسا ، ولا يرقى من درجة إلى أعلى إلا إذا حصل على نجاح في الفحص وقدم شيئا من مؤلفاته وخبرته في العلوم العسكرية ، فكـان الطنبغـا معلم الـرمح في عهد برسباي ، وتمراز بن عبد الله السودون[١٩] ، أما الامير أفنجا فهـو أستـاذ في ركـوب الخيل وطرق القتال نال هذه الدرجة بعد أن اجتاز الاولى بنجاح[٢٠] . أما الامير جمال الدين مكي بن حسون فقد كان رئيسا عالما بركوب البحر وقائد أسطول تعلم الملاحة وعلوم البحر[٢١] . وكان يوجد عدد كبير على مستوى القوات المسحلة من هؤلاء المدربين جميعا على مختلف مستوياتهم واختصاصاتهم[٢٢] .

ثانيا : المنشأت التدريبية :

هي الامكنة المخصصة لتعليم المقاتل ، ولكي يعد فيها اعدادا عقائديا ، وقتاليا ، يتخرج في نهايتها ويلتحق بالقطعات والتشكيلات لكي يصقل معلوماته ويزيد من خبرته وممارسته للاعمال الحربية .

لقـد سجـل لنـا الـرحـالـة الالمـاني (أونـولـد فون هارف) اثنـاء زيـارتـه للقـاهـرة سنـة ٩٠١ / ١٤٩٦ - ٩٠٤ / ١٤٩٨ في زمن السلطان قايتباي ، أن مدرسة المماليك كانت ماتزال منشأة عسكرية ، فيها كل ما يحتاجه الطالب من أمور التدريب الإداري والقتالي ، كما توجد فيها المستودعات والمكتبات والاصطبلات والخيول للتدريب ومصانع الأسلحة وكل ما يتعلق بصنعها وحفظهـا وصيـانتهـا وتـوزيعها ، وكما توجد أيضا المساجد لاقامة الشعائر الدينية وللتدريب على

---

(١٩) : ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ١ /٢٦٣ ، ٤٣١ .

(٢٠) : ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ١ /٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٢١) : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٧ /٥٤ ، المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ١ /٢ /٥٩٣ ، النويري الاسكندراني : الالمام ٢ /٩٦ ، ٢٣٩ .

(٢٢) : ابن تغـري بردي : المنهـل الصـافي والمستـوفي بعـد الـوافي ١ /٢٩٦ ، ٢ /١١١ ، ٧ /٣١١ ، ٦ /٤١٧ ، السخاوي : الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ٢ /٣١٩ .

العقيدة. وكانت هذه المدرسة شأنها شأن المدارس المماثلة فإنها تجمع جانبي التدريب الديني والعسكري. وكان التعليم بشؤون الحرب والفروسية، وبلغ مجموع الطلاب آنذاك / ٥٠٠ / خمسمائة طالب وعدد الاساتذة اثنين وثلاثين[٢٣]، كما ضمت القاهرة والاسكندرية كثيرا من الطلاب والمدارس الحربية المختلفة تجمع أغلبها في الفسطاط بجانب مسجد عمرو بن العاص[٢٤].

لقد اهتم العرب المسلمون من قبل في التدريب. فكان الغلام يربى على الدين وحفظ القرآن والشعر والثقافة القومية، حتى إذا استوى وصلب سوقه وكملت رجولته درب على الخيل وتمرس على السلاح حتى يكون من الرجال الشجعان وأبطال الحرب[٢٥].

تبدأ مراحل التعليم للمقاتل المملوكي من حين دخوله في الطباق وحتى تخرجه منها. فالمرحلة الاولى هي المرحلة العقائدية، والمرحلة الثانية هي المرحلة الحربية، ولا يعتبر المملوكي مؤهلا إلا إذا قضى سنتين دراسيتين. ففي العصر المملوكي الاول كانت تطبق هذه المدة، أما في العصر الثاني فقد خفضت هذه المدة إلى سنة أو أقل واختلفت مدة وزمن (شهر) التخرج باختلاف الامور السياسية وتبديل السلاطين والتهاون في التدريب، إذ كان التخرج في المحرم ثم في رمضان وأخيرا صار في شوال - وبهذا التخفيض وعدم الاهتمام بالتدريب انعكس على الجندي المملوكي وعلى القوة العقائدية والزخم الثوري وبخاصة عندما أتي بالجلبان وهم كبار، فلا يمرون على التدريب، أو يدخلون في مدارس[٢٦].

كان التدريب يجري في الطباق، وفي أمكنة التجمع التي ينام فيها الطالب يأكل ويشرب. وكانت جميع حاجياته متوفرة كي يتفرغ إلى التدريب فإذا حضر المدرب الشيخ إنتظموا في حلقات على الأرض، ويجلس المدرب على سدة أو على منبر بحيث يرى جميع الطلاب. وكانت الدروس تجري بشكل منتظم وهناك استراحات بين الدروس وبعد الطعام. وتجري

(٢٣): الباشا: القاهرة تاريخها، فنونها، آثارها ٨٢.

(٢٤): Lane - Poole: A History of Egypt in the Middle Ages p. 2/204.

(٢٥): الابشهي: المستطرف في كل فن مستظرف ١/٣٠٣.

(٢٦): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/١٦، ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك ١١٦ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٦/٥٠٩، ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٢/١١، ٤/٧، ٩٥، ١٧٣، ٢٥٤، ٣٢٢، العريني: المماليك ١٢٤.

مراجعة الدروس ومناقشتها كل أسبوع أو شهر. ويعطى الطالب يوم عطلة أسبوعية في كل جمعة. وكان يطلق على هذه الفئة (المماليك الكتابية) ومن الطبيعي أن تكون هذه الفئة التي أتي بها من الاولاد الصغار الذين لديهم قابلية التعليم ومرونة التربية، والتقويم التربوي بعكس الفئة الكبيرة (الجلبان) التي كانت بعيدة عن كل هذا(٢٧).

يجري تعليم أبناء السلاطين وأبناء الأمراء في المنازل وفي أمكنة خاصة من حيث يتدرب الولد طبقا للمنهاج العام المقرر للمماليك الكتابية، ويلقى عناية خاصة من قبل المعلمين الاخصائيين، وقد أشتهر محمد بن السلطان جقمق بمعارفه الواسعة في العلوم وكذلك بيبرس الركن العلائي. هذا التدريب الخاص أكسب الطلاب معرفة وتوسعاً في العلوم، وكان بعضهم متفوقا على الاخرين من أمثاله الذين يدربوا في الطباق أو في المدارس(٢٨).

تعد الميادين المتعددة المنتشرة في المملكة المملوكية أمكنة هامة بالإضافة إلى المدارس والطباق والمنازل التي ذكرناها لتدريب المقاتلين وكان الميدان واسعا يحتوي على جميع أنواع الصنوف والأسلحة، وله قاعدة تدريبية عريضة، إذ يوجد فيه مساعدات التدريب والامكنة الخاصة بكل سلاح، وقد اشتهر ميدان (القبق)(٢٩). كما كان هناك ميادين كثيرة اختصت جميعها بسباق الخيل والرمي والسيف والرمح والنفط النيران(٣٠). . كما كانت تجري بيانات ومشاريع قريبة من جو المعركة الحقيقية.

من أمكنة التدريب إيضا البحار والأنهار إذا كانت تجري تدريبات بحرية مختلفة وخاصة أثر صنع سلاح جديد، أومركبة بحرية لاختبار قوتها ومدى فاعليتها في القتال. وكان الظاهر بيبرس

---

(٢٧): المقريزي: الخطط ١/٩٥، زكي: الجيش المصري في العصر الإسلامي ١١، العريني: المماليك ٩٣ وما بعدها.

(٢٨): السخاوي: الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ٢/١٩، ٩٩، ٢٨١، ٣/٢١، العريني: المماليك ٩٥ وما بعدها.

(٢٩): القبق كلمة تركية هو عبارة عن خشبة في أعلاها دائرة من خشب، يسدد الرامي إلى هذه الدائرة السهام لكي تمر في وسطها، فإن خرجت السهام خارج الدائرة عدا الرامي من الذين ينقصهم التمرين وأحكام الرمي وقد أنشأ ميدان القبق الملك الظاهر بيبرس لشدة اهتمامه بالتدريب، انظر، المقريزي: الخطط ٢/٤٨٩، ٣/٧٦. وقد استخدم لفظ (القبق) الايوبيين من قبل. انظر أبو شامه كتاب الروضتين ٢/٥٧٩.

(٣٠): المقريزي: الخطط ٣/١٩، الاشرفي: مخطوطة رمي النشاب ٣٦.

يشهد هذه التدريبات ويشرف عليها وكانت الشواني السلاح الرئيسي في البحرية تقوم بالتدريب المتواصل(٣١).

يشرف على التدريب الديني والحربي جهاز يطلق عليه « الطواشي » مهمته ملاحظة سلوك المملوك وتعويده على المطالعة والدرس وتنظيم المجموعات التدريبية وتقسيمها إلى زمر تتناسب مع موضوع الدرس ومع السن والفئة إن كانت تركية أو شركسية أو غير ذلك، والفصل في المنازعات ورفض الخلافات التي قد تنشأ بينهم، وفرض الانضباط الشديد في كل أعمالهم، وتوزيع الطعام والكساء في الاوقات المحددة، وايقاظهم لاستقبال العبادة والعمل في اليوم المقبل واركابهم في أيام المباراة وتعيين الطريق ونوع اللعبة التي يودون التمرن عليها كالركوب على الخيل، أو اللعب بالرمح أو الصولجان، وتنسيق العمل مع المدربين الدينيين والحربيين، واقتراح الجديرين منهم والذين تنطبق عليهم الفراسة والنباهة والرغبة في التدريب والقيافة الجسدية وحب الالفة والانسجام والحزم في الامر والثبات في القرار ووفرة المعلومات، والاناة والحكمة والشجاعة والقوة والتمكن من المادة التي يدربها، والسماح عن الأخطاء والهفوات التي تصدر عن التلاميذ عن غير قصد. فإذا حاز المدرب على هذه الصفات عد من الاساتذة وأطلق عليه لقب « الاستاذية »(٣٢). ثم إن جهاز « الطواشي » يقوم بكل الاعمال داخل المدرسة، ويقسم العمل على جميع مكاتب العمل المختلفة التي تشرف على هؤلاء التلاميذ(٣٣).

يتألف جهاز « الطواشي » من عدد من الطواشية الذين يشهد لهم بالاخلاق والاستقامة والانضباط وحسن التعرف والحزم والتقوى كالطواشي شبل الدولة كافور الصفوي (٣٤)، ويتدرجون في المراتب والوظائف من مقدم المماليك حتى الجندي، ويوزعون على أقسام ومكاتب العمل في هذا الجهاز من اطعام، مهمات، مهمات انضباط، حرس أبواب، مكاتب القيادة.

---

(٣١): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٦٠٥.

(٣٢): الاشرفي: مخطوطة رمي النشاب ٥٧، ٥٨.

(٣٣): القلقشندي: صبح الاعشى ١١/١٧٣، ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك ١٢٢.

(٣٤): ابن الصقاعي: تالي وفيات الاعيان ١٣١ ـ ١٣٧.

يشرف على جهاز الطواشية سلطة عليا هو السلطان أو من ينوب عنه تقوم بتقويم اعوجاج هذا الجهاز أو تبديل قسم منه أومعاقبة الذين خرجوا عن النظام أو أساؤ وا إلى التلاميذ، أو ارتكبوا مخالفات كشرب الخمر أو التأخير في دفع الرواتب. وكانت العقوبات قاسية في بعض الاحيان إذ قطع السلطان بيبرس أيدي جماعة وشنق بعضهم. وطرد السلطان الناصر محمد بن قلاوون بعض الطواشية وقطع رواتبهم وذلك كله ليسود الانضباط والتدريب وليحافظ على تنشئة وتربية هؤلاء المماليك[٣٥].

ولشدة اهتمام القيادة بالتدريب كان يقوم السلطان في بعض الاحيان بنفسه بمهمة المراقبة والتفتيش على هؤلاء الطلاب، فيحضر طعام التلاميذ، ويشاهد توزيعه وكميته ونظافته ورأي المطعمين فيه. كما يتفقد النظافة العامة والترتيب وحسن القيافة والمنامة فإذا وجد شيئا مخلا عاقب المسؤول ونبه على تلافي الملاحظات والسلبيات وأمر بالاهتمام الزائد بالطعام والتربية[٣٦].

يرعى السلطان أو الامير تخرج التلاميذ من المدارس في نهاية المرحلة، ويشهد المناورات العسكرية، ويتفقد الميادين المختلفة (الظاهري، الصالحي، بركة الفيل، المهادي، سرياقوس، الناصري) التي كان أغلبها في مصر وأقلها في الشام[٣٧] خصصت جميعها للتدريبات المختلفة، كما خصص منها - بالإضافة إلى التدريب - لاستكثار الخيل وتربيتها مثل (ميدان المهاري) الذي كان بالقرب من قناطر السباع[٣٨].

تمنح المكافآت المالية، وتعطى الاوسمة والرتب، ويثنى على المتفوقين في نهاية البيانات أو المشاريع، أو الرمي أو الإجادة في استعمال الأسلحة[٣٩].

وبالمقابل كل من أخطأ في الإصابة، أو قصر في استخدام سلاحه، أو تهاون في المناورات فإنه

---

(٣٥): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٨/٢٢، ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ٢/٥٠٣، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٥٤٠، ٦٢٣، ٢/٢٢٩.

(٣٦): مبارك: الخطط التوفيقية ١/٨٧.

(٣٧): المقريزي: الخطط ٢/١٩٧ وما بعدها، ابن جبير: رحلته ٢٧٧.

(٣٨): المقريزي: الخطط ٢/١٩٧، مبارك: الخطط التوفيقية ١/٨٢.

(٣٩): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٥١٨، ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٤/١٨٢.

كان يتعـرض لعقـوبة جسدية ومادية أقلها قطع راتبه[40]، وفي نهاية التدريب كان يقام الطعام، ويشترك القائد والجنود بعد إجراء التحليل القتالي والتدريبي والإداري[41].

ثالثا: تدريب الصنوف والأسلحة:

يجري هذا التـدريب لجميـع الصنـوف الـبري والبحـري، الهندسي والكيميائي، المدفعي والنفطي، الفـردي والجماعي، الفارس والراجل، الأمير والجندي. لايستثنى أحد ولا يتخلف أحـد. يتـدرج هذا التدريب من الفرد إلى الزمرة إلى السرية فالكتيبة فاللواء فالجيش الكامل، ويشمل التدريب على جيمع الأسلحة من الخنجر حتى السيف فالرمح والدبوس والنشاب على أن أهم التـدريبـات في هذا النـوع هو التـدريب القتالي الذي يتميز بالتنسيق والتعاون مع جميع الصنـوف، إذ على كل صنف أن يؤدي دوره في التـدريب، كما لو كان في معـركة حقيقية. وهنا تبرز الفـرسـان المـدربـة على الخيـول الاصيلة. وقـد سبق أن يتخلل التدريب الحقيقي ألعاب تعطي للجسم لياقتـه ولـلإرادة قوتهـا كالمصـارعـة، وقتـال العصي، ورقصـة « الششن » عند الشـراكسـة والتي تدل على القـوة والنشـاط والإلمـام باستخـدام الخنجـر وسنتعـرض لذكر أهم التدريبات التي كانت متبعة في الجيش المملوكي.

١) التدريب على الخيل:

لجياد الخيل صفات معينة، فالأصيل في لونه الاشقر، والأدهم والكميت والأرثم والمحجل[42]. وفي شكله الزافر والنافر والمبتلىء والمرتفع والعظيم الصدر وصغير الرأس وشديد سواد العينين ومحدد الأذنين. وكثيف العرف وطويل الذنب ومستدير الحافر وطويل القوائم... وفي حركاته الذي إذا جلس وضع يديه على الأرض ينظر إلى صاحبه، وإذا غاب عنه أو جاءه مستدبرا وضع وجهه على الأرض، وإذا استعرض استوى، وإذا سار فهو يسير بخطوة سريعة، وإذا عدا فإنـه لايـرفـع سنبكـه. وفي شربـه فإنـه لايثني سنبكـه. وفي أخـلاقه ألا يكون نافرا، ولصاحبه مسايرا ومنقادا، وأن يكون نشيطا مستجيبا... وعلى الفارس ألا يطيل المكوث على

---

(٤٠): ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣/٢٠، ٢٢.

(٤١): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٥١٨.

(٤٢): الرملي: مخطوطة اسبال الذيل في ذكر صياد الخيل ٥ وما بعدها، ابن الرسول الغساني: مخطوطة التذكرة في معرفة البيطرة ٢٣ وما بعدها.

ظهر فرسه فيتخذ مجلسا أو منامة[٤٣]، وأن يركبه للقتال لا للمسير والاعمال، وأن يروضه على الحركات القتالية التي قد تصادفه عند الالتحام، وأن يقتحم به المياه فلا يتردد، وأن يبصره ظله في الشمس فلا ينفر ولا يحرن[٤٤] وأن يعتني به أعتناءه بنفسه فيقدم له العلف والشراب.

إن أول ما يشرع به المدرب هو تأديب الفرس وتعويدها على الخصال الحميدة، وتخليصها من العادات السيئة التي تؤثر على قتال الفارس. فالمدرب يبدأ بالمهر إذ يعلمه المشي، ويعوده على رؤية الأسلحة، وعلى المشي في الازقة الضيقة، وعلى وضع اللجام، وعلى توقيفه على رجليه، وعلى منع الصهيل، وعلى تغطية عينيه[٤٥]، وعلى الفارس أن يدرب على معرفة أحوال الفرس من كل شيء، ومعرفة الجيد من الخيل[٤٦].

هناك أصول للاعتناء تتعلق بأحوال الفرس والمعلف ونوع العلف الذي يقدم والمخلاة والمكان الذي يبيت فيه إذ يجب ألا يكون فيه روث ولا بول وأن يكون مفروشا بالرمل الذي كلما ابتل تبدل برمل جديد جاف، وفي العلف ألا يكون فيه شوائب أو بعض الاحجار. وفي الترويض أن يصحبه في السحر، وأن يسير به مرتين على الأقل في اليوم، ويرفعه إلى جنبه مرة في الاسبوع. وفي تنظيفه أن يغسل قوائمه ومنخره وجسمه، وأن يعوده على اللجام وحمل الفارس. وكان من جملة التدريبات أنهم كانوا يعرقون الخيل ثلاث مرات في الاسبوع حتى إذا كان الاسبوع الثاني دربوا على الجري، حتى إذا مر أربعون يوما أخرجت الخيل. وبالرياضة والاعتناء والتدريب المتواصل يمكن أن يصل الفرس إلى درجة كبيرة من الاستعداد الميداني[٤٧].

إن من أهم التدريبات التي كان يقوم بها الجيش المملوكي هو تدريب الخيل على عبور الأنهار، والمشي بين الأشجار، والخوض في الوحول، والصعود إلى الجبال والروابي، والتسلق على الصخور، وتعويدها على قعقعة السلاح ومقابلة النشاب، وذلك لان الخيل على عادتها

---

(٤٣): ابن القيم: الفروسية ١٢.

(٤٤): ابن قتيبة: الحرب والفروسية ١٣٦ وما بعدها.

(٤٥): الرماح: مخطوطة عمل الرمح على الأرض والفرس ٣ وما بعدها.

(٤٦): الرماح: مخطوطة عمل الرمح على الأرض والفرس ٢٠ وما بعدها.

(٤٧): الرملي: مخطوطة اسبال الذيل في ذكر جياد الخيل ٣٠ وما بعدها، مجهول: مخطوطة الخيل ١٢ - ٢٠.

تنفر من كل هذه الاشياء وتبتعد عنها[٤٨]، وكذلك كان السباق من التدريب، ومنذ القديم كانت تقام مثل هذه المسابقات، وقد نشبت حروب عديدة نتيجة هذه المباريات[٤٩] وهناك الوثب وهو ركوب الفرس قفزا. وهذا يحتاج إلى تدريب متواصل، وقدرة على الامتطاء وشجاعة وقوة، وهناك الوثب بالرمح[٥٠] والركوب وهو إدخال رجل الفارس اليسرى في الركاب وبيده اليمنى العنان، ويده اليسرى على قائم السيف وهناك طرق عديدة للركوب تجاوزت السبع منها ركوب الردف والتحول من دابة إلى دابة[٥١]، ومنها الركوب والدابة تركض، والركوب والفرس عريان[٥٢].

إذا وصل المدرب إلى طرق القتال على ظهور الخيل، وقد اجتاز مرحلة كبيرة من مراحل التدريب، ودخل في التدريب العملياتي والقتالي، فهناك أبواب وأبواب لامجال لذكرها في هذا المجال، وإنما من القول أن هذه الطرق التي أطلقوا عليها «المناصب الحربية» إنما تضع الفارس بحالة جاهزية وتدريب لكل الاحتمالات المتوقعة في الحروب منها الدوران فإذا دار الفارس فما على خصمه إلا أن يقابله بالطعن الخادع ثم يتبعه من خلف ويصوب رأس رمحه إلى فخذ فرسه أو يقابله بطعنتين متباينتين[٥٣]، وفي باب المطاردة تظهر براعة الفارس وخفته ورشاقته ومقدار ما يتقن من تطبيق الفن الحربي. فهو عندما يندفع خلف خصمه لا يأتيه مباشرة من الخلف بل من الجانب، ثم يسدد إليه طعنة ثم يكرر ويقصر رمحه ويدخل فيه.

وهناك طرق فرعية عديدة في المطاردة يستخدمها الفارس عند ملاقاة خصمه لكي يتمكن منه ويسدد إليه الطعنات المميته[٥٤]. إن الهدف من كل هذه الاعمال هو القضاء على الخصم. ينحصر تسديد الضربات إلى الفارس أو إلى الفرس، فإن أصيبت الفرس في أضعف نقاط

---

(٤٨): الناصري: مخطوطة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ٢٥٣.

(٤٩): ابن هذيل: مخطوطة في الخيل والسلاح وما يتعلق بهما ١٠١.

(٥٠): الرماح: مخطوطة في علم الفروسية برسم العمل به ٧١ وما بعدها ٧٤.

(٥١): الرماح: مخطوطة في علم الفروسية برسم العمل به ٧٥ وما بعدها.

(٥٢): الرماح: مخطوطة في علم الفروسية برسم العمل به ٨٧ وما بعدها ٩١ وما بعدها.

(٥٣): الاحدب: مخطوطة الفروسية برسم الجهاد ١٧، ابراهيم: مخطوطة علم الفروسية برسم الجهاد في سبيل الله ٨.

(٥٤): الرماح: مخطوطة نهاية السؤال والامنية في تعلم أعمال الفروسية ٦٣، ابراهيم: مخطوطة علم الفروسية برسم الجهاد في سبيل الله ٧.

جسمها كالمناخر أو الرجلين فإن ذلك يؤدي للوصول إلى الفارس الذي اضطرب نتيجة وقوع فرسه(٥٥).

لعل التطويق يكون قريبا من المعنى الحديث، إلا أن هناك بعض الاختلافات في الوسائط ونوع السلاح فإذا طوق الفارس وأحاط به العدو من كل جانب فما عليه إلا أن يأتي بأعمال تنفر منها الخيل وتضطرب، الأمر الذي يصعب قيادتها وتوجيهها، ويجعل الصفوف المحيطة مختلة وضعيفة. فبهذه الحالة يمكن للفارس أن ينفذ ويكسر الطوق من تلك النواحي ومن الاماكن الضعيفة، أو من جهة الفارس الجبان مندفعا بكل قوته طاعنا وجه الفرس الذي يصادفه في مناخره(٥٦).

من الطرق المطاعنة، وهي أن يقف الفارس على بعد خمسين ذراعا من خصمه، فإذا دار فعليه أن يدور أيضا ويترقب، وإن وسع الدوران فعليه أن يضيق، فإن اتبعه فضيق أيضا، فعلى الفارس أن يقف مكانه حتى يدور خصمه أو يقترب منه، فإن فعل ذلك فعليه أن يأتيه من خلفه ورأس رمحه عند عرقوب الفرس لا يرفعه أبدا ولا يسبقه ثم يضرب رمحه ضربة شديدة ثم يطعنه(٥٧).

من الطرق الابطال، أيضا وهي إبطال طعنات أو ضربات سلاحه. فإذا كان الفرس الخصم أقوى ورمحه أثبت، فما على الفارس إلا أن يجري أمامه، فإذا سدد إليه طعنة من الكتف فما عليه إلا أن يمسك طرف رمحه (الخصم) وينحرف نحو الشمال فإنه يبطل وينكسر، وحينئذ يمكن إستخدام السيف أو الدبوس من قبل الفارس(٥٨)، وهناك طرق المجادلة والمفارقة والملازمة والمخارجة والمضايقة والكر والفر والهزل والجد والاخذ والرد والطلوع والنزول والمقابلة والاحتراس وغيرها(٥٩)، كلها تدخل في الفن الحربي عند المقاتل المملوكي الذي تدرب عليها

---

(٥٥): الرماح: مخطوطة في علم الفروسية برسم العمل به ٢٢ وما بعدها.

(٥٦): الرماح: مخطوطة في علم الفروسية برسم العمل به ٢٣٢٢، الرماح: مخطوطة الفروسية والحرب والأسلحة ٨.

(٥٧): الرماح: مخطوطة في علم الفروسية برسم العمل به ٣١، ٣٢، الرماح: مخطوطة الفروسية والحرب والأسلحة ١٣.

(٥٨): الرماح: مخطوطة في علم الفروسية برسم العمل به ٨، ٩، ابراهيم: مخطوطة الفروسية برسم الجهاد في سبيل الله ٦، مجهول: مخطوطة علم الفروسية برسم المجاهدين ٨.

(٥٩): الرماح: مخطوطة في علم الرمح على الأرض وعلى الفرس ٣٠ وما بعدها، البلقيني: مخطوطة قطر السيل

وأتقنها منذ صغره، ودخل المعركة وهو واثق من نفسه، متمكن من سلاحه.

٢) السيف:

للسيف فضائل ذكرها الاقدمون، وله دور كبير في القتال، وهو سلاح الفرسان والمشاة على سواء، وهو مقدم على جميع الاسلحة(٦٠).

هناك أبواب كثيرة للتدريب عمليا على السيف ومؤداها جميعا أن تضرب الخصم في المواقع الحساسة من جسمه أوجسم فرسه، وأن تنقل السيف من يمين إلى شمال إلى يمين حسبما تقتضيه ظروف الاشتباك والقتال، وأن يقبض المقاتل على السيف في أماكن محددة وأن تكون راحة يده وأصابعه فوق اذن الفرس والجفن بيده(٦١) وأن يكون العنان بيساره أو يمينه حسب الحالة يلوح السيف أربع تلويحات ثم يضرب به فرس الخصم من أذنه كفله الأيسر وكذلك في الناحية الثانية منه. وكذلك قبض الذبابة باليد اليمنى والقائم باليد اليسرى وهناك العمل بالمنصف وهي طريقة للتدريب على القتال يتبعها الفارس حسب قواعد وشروط وحركات تدل على المهارة. وبالمخفف وبالفراش وكلها تدل على دقة تأدية التمرينات المرتبطة بالفارس والفرس والسيف لقاء العدو الذي تقدم للنيل من خصمه(٦٢).

وفي الحقيقة فإن هذه الطرق أشبه ما تكون في الوقت الحاضر بأساليب وطرق التدريب على الأسلحة المختلفة الحديثة وبل اني رأيت فيها تناسق الحركات وأداؤ ها ومواضع الجسم وأعضاءه ما يدل على أن الفارس يبذل من الجهد الفكري والجسدي أكثر مما يبذله المقاتل في الوقت الحاضر، كما أن الطريقة الواحدة تحتاج منه إلى تدريب متواصل، وتركيز على تأدية الحركات السريعة التي إن أخطأ بها، سوف ينال خصمه منه.ويُقتل قبل أن يقتُل(٦٣).

في أمر الخيل ١٤٤ وما بعدها، ابراهيم: مخطوطة علم الفروسية في سبيل الله ١٠ وما بعدها، مجهول: مخطوطة علم الفروسية برسم المجاهدين ٨ وما بعدها.

(٦٠): الرماح: مخطوطة نهاية السؤال والامنية في تعلم أعمال الفروسية ٧٠، ٧١.

(٦١): الناصري: مخطوطة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ١٧، ١٨، الرماح: مخطوطة الفروسية والحرب والأسلحة ٢٩، الرماح: مخطوطة في علم الفروسية برسم العمل به ١٤ وما بعدها.

(٦٢): الرماح: مخطوطة نهاية السؤال والامنية في تعلم أعمال الفروسية ٧/٧٣، ناصر الدين: مخطوطة المخزون لارباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح ٤١.

(٦٣): الرماح: مخطوطة نهاية السؤال والامنية في تعلم أعمال الفروسية ٧، ٧٣ الرماح: مخطوطة الفروسية والحرب والأسلحة ١١٢ وما بعدها.

كما أن هناك تدريبات مختلفة على غمد السيف، وكيفية إدخال السيف فيه أثناء ركض الفرس أو أثناء النزول أو الصعود وتبرز حالة مهمة في هذه التدريبات، وهي نزع السيف والضرب به أثناء لقاء الخصم، وتسديد الضربات على الوجه أو على حبل العاتق مباشرة دون انتظار أو تأخر[٦٤]، إن علق سيف الخصم بالترس، فعلى الفارس أن يترك الترس ثم يلحق بالخصم ضربا متتاليا حتى يقضي عليه. وتقام على هذه الطريقة تدريبات مختلفة في ميادين التدريب حتى إذا تمكن منها الفارس وتعلمها كلها، آن له حينئذ أن ينازلَ الفرسان وأن يقارع الابطال[٦٥]. وأخيرا فإن ضربة السيف قاطعة فمن نجا منها فقد فاز ومن أجاد الضرب فقد أسرع إلى المجد، واقترب من النصر والفارس هو الذي يضرب فلا يخطىء، وبأول ضربة يقطع عدوه بضربة قاتلة[٦٦].

٣ ـ الرمح :

إن السلطان والامراء والمماليك كانوا يتدربون بصورة متواصلة على الفنون المختلفة لهذا السلاح[٦٧]، وقد اعتنى الفوارس المملوكيون بأبواب وبنود الرمح المختلفة والكثيرة في القتال. وهذه الابواب تحكي أنواع التدريب آنذاك، وطرق القتال وأسلوبه، وكيفية الطعن، والدخول إلى الميدان أو الخروج منه. وعلى الفارس أن يكون ملما بكل هذا، ولاسيما ببنود الركاب والدولاب والتكوير والظهر والمشطور والحل والعقد واللبب وغيرها[٦٨].

فاللبب مثلا هو استقبال الخصم بالشمال ومن وراء الظهر، ثم القبض عليه مستدبرا من مؤخر السرج، ثم الطعن باليمين إلى كتف الشمال. ثم يؤدي الفارس حركات الطعن والدخول والخروج[٦٩]. وقد بلغ عدد الطرق والبنود أكثر من سبعين، على أن بعضها يتفرع إلى عدة فقرات أيضا، تتناول المسائل التدريبية شرحا وتفصيلا لم أره في عصر من العصور كباب

---

(٦٤): الرماح: مخطوطة نهاية السؤال والامنية في تعلم أعمال الفروسية ٧٧، ٧٨، ناصر الدين: مخطوطة المخزون لارباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح ٤٢.

(٦٥): الرماح: مخطوطة نهاية السؤال والامنية فيتعلم أعمال الفروسية ٧٩.

(٦٦): ابن قتيبة: الحرب والفروسية ٨٣ وما بعدها.

(٦٧): الصيرفي: نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ١٥٢/١.

(٦٨): الذهبي: مخطوطة غاية المقصود في العلم والعمل بالبنود ٢ ـ ٤.

(٦٩): الذهبي: مخطوطة غاية المقصود في العلم والعمل بالبنود ٥.

التساريح الذي يبلغ ثلاثا وعشرين فقرة دخل بها وخرج فارسا ومعلما[٧٠]. ثم لايكتفي بكل هذا بل يشرح كل باب أوبند معتمدا بذلك على خبرته واحاطته وتمكنه من العلم الذي يحمله. فإذا دققنا في بند الدواليب، رأينا فيه كل ما يحتاجه الفارس المتدرب، وما عليه إلا أن يطبق تلك المعلومات حتى يخرج منها عالما بالرمح مصيبا به مستعملا الطرق المتنوعة[٧١]، هذا وقد أشتهر مدربون كثيرون على الرمح. وقد كان جهاز التدريب على الرمح من بين الاجهزة العديدة التي اختصت بالتدريب فكان له رئيس ولديه مدربون اختصوا بالابواب والبنود[٧٢].

٤ ـ الرمي :

يعتبر الرمي في الجيش المملوكي من أهم المواضيع التدريبية، وقد خصص لهذا النوع من التدريب ميادين خاصة، كما خصصت أعتدة كثيرة وإمكانيات ووسائط تدريب متنوعة. وذلك كله بغية الوصول إلى دقة الإصابة وإصابة الأهداف من مسافات معينة حسب المواصفات الفنية والتعبوية للسلاح.

وهناك رمي النشاب ورمي المنجنيق (المدفعية) ورمي النفط[٧٣]. ولشدة اهتمام المماليك بالرمي كان البعض منهم ينظمونه بقصيدة مثل طبيق الاشرفي الذي نظم قصيدة طويلة في رمي النشاب من مئة وسبعين بيتا في زمن الملك الاشرف شعبان وقد ضمنها أصول الرمي وقواعده وأوضاع الرامي وكل ما يتعلق بالنشاب والرامي[٧٤]، ومثل الزردكاش في مخطوطة الانيق في المناجيق الذي أسهب في رمي المنجنيق والمدفعية وبين المسافات وأحكام الرمي والاعتدة والالات التي تستخدم في الزيادة أو النقصان، وبين أنواع الرمايات والمقذوف[٧٥].

إذا ركز الجيش المملوكي على الرمي فلأن له دورا كبيرا في القتال. ولا يعتبر الرامي راميا إلا إذا تعلم على هذا الفن من التدريب على جميع الآلات المستخدمة كالنشاب والقسي والأوتار

(٧٠): الذهبي: مخطوطة غاية المقصود في العلم والعمل بالبنود ١٣.

(٧١): الذهبي: مخطوطة غاية المقصود في العلم والعمل بالبنود ١٦.

(٧٢): الحلبي: تحفة الظرف في مناقب الملوك والخلف ٧٨٩.

(٧٣): ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٤/١٢٣، ١٢٤، ١٤٥.

(٧٤): الأشرفي: مخطوطة رمي النشاب ٥ وما بعدها.

(٧٥): الزردكاش: الانيق في المناجيق ٤١ ـ ٤٦، ٤٨ ـ ١٦٣، ابن غانم الاندلسي: مخطوطة العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع ٣٨.

ومـا إلى ذلـك. ولقـد اعتمـد تدريب الرمي على الناحية الجسدية للمتدرب في الطول والقصر والشدة والذكاء وغيرها. فلكل جسم ما يناسبه(٧٦).

للقـوس قواعـد في استخدامها منها العقد والإيتار. ومن هذه القواعد تتفرع مسائل عديدة، فالايتار مثلا له ستون حالة وكل حالة تشترط على الرامي أن يتخذ أوضاعا مناسبة كتقدم الرجل اليمنى والـدفـع بالـزند والاستتار عند الايتار ووضع عند عنق الفرس وجذب القوس، ووضعية الـرامي عنـد الـرمي من الارض أو من ظهـر الفـرس، ومـد السهم حتى يصل إلى حد معين، والنظـر إلى طول القسي. فمنهـا الضيقـة ومنهـا الكثـيرة الخشب ومنهـا التي تصلح للرمي والتي لاتصلح ووضع النشاب في الوتر وتعليق الكلاب وتدقيق الأوزان وحساب الريش، وشد الزردة على الوتر وغير ذلك من الاعمال التي تهيء الرامي وتجعل عتاده في حالة جاهزية كاملة(٧٧)...

وبـالإضـافـة إلى العقـد والايتـار هنـاك أربـع قواعـد أخـرى وهي القبض والتفـويق والمـد والاطــلاق. فأمـا القبض فهـو وضـع قبضـة الفـارس على مقبض القـوس مع مراعـاة وضـع الاصابع، والتفويق مسك السهم بالكف اليمنى وبنان اليسرى بأصول ثابتة بحيث تتمكن كل أصبـع من مكـانهـا، والعقـد هو عقـد الاصـابع على الوتر وفوق السهم، والمد وهو شد الخنصر والبنصر والوسطى وشد المرفق، والاطلاق.

قد يتعرض الفلرس إلى القتل إذا لم يتقيد بأصول الرمي وقواعده وشروطه كما حدث للامير شكار عندما ساق فرسه فاقترب أكثر من المسافة المسموح بها فاصطدم بخشبة القبق فقتل على الفـور هو وفـرسـه(٧٩). وعلى الرامي أن يتفقد سلاحه ويصونه في كل الأوقات. وعليه أن يحافظ على لياقته الجسمية والا يتعرض للبرد، وأن يعتني بيديه ليكون عند الرمي قادرا على التسديد دون أية معوقات(٨٠).

---

(٧٦): الـرمـاح: مخطـوطـة نهايـة السؤال والامنيـة في تعلم أعـمال الفـروسية ١٧، ١٨، ١٩، مجهول: الحيل والحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ١٥.

(٧٧): الرماح: مخطوطة نهاية السؤال والامنية في تعلم أعمال الفروسية ١٨ ـ ٢٧.

(٧٨): الأشـرفي: مخطـوطـة رمي النشـاب ٢٣ ـ ٣٥، مجهـول: مخطوطة في علم الفروسية ورماية النشاب على ظهور الخيل ١٢ وما بعدها.

(٧٩): الأشرفي: مخطوطة رمي النشاب ٤٣.

(٨٠): الأشـرفي: مخطـوطـة رمي النشـاب ٤٩، مجهـول: مخطوطة في علم الفروسية ورماية النشاب على ظهور

يعتبر الرمي على النشاب في مقدمة التدريب على الرمي. أما الرمي على المنجنيق الذي يعتبر من الأسلحة الثقيلة آنذاك، فإن الرامي يتعلم ويتدرب على فك وتركيب هذا السلاح ومقذوفه، وعلى القواعد والاصول، ثم على حمله والمسير به إلى مسافات بعيدة[٨١]. وأما التدريب على أسلحة النفط فإنها عديدة وأهمها «الزرافة» التي كان الرامي يتدرب فيها على التسديد، وهي لاتحتاج إلى عناء لأن مسافة الرامي فيها كانت قليلة إذا ما قيست برمي النشاب ورمي المنجنيق. وفي كل الأحوال فإن هذه القاذفات كان يرمي عليها أي جندي، بعد أن يكون قد تدرب عليها فترة بسيطة وكان « الصناع » هم في الاغلب الذين يقومون بالتدريب[٨٢]، وما من سلاح من الأسلحة التي مر ذكرها إلا لها مدربون اختصاصيون ويجري التدريب عليها بصورة دقيقة ومستمرة.

٥ ـ تدريب اللياقة والقوة:

من أهم هذه التدريبات الصيد ولعب الصولجان والصراع واللبخة. فأما الصيد فهو في نظر الجيش المملوكي رياضة تعلم الرمي ضد أهداف تتحرك بسرعة، وعلى الرامي أن يصيب الهدف من الحركة فلا ينتظر الطريدة حتى تقف أو يقف الصياد حتى يرمي بل يسدد من على ظهر الفرس العادية على الغزال الذي يركض بسرعة تفوق سرعة الفرس. وفي هذا تدريب كبير ومشقة في الاقتناص. وكان الأمراء يكثرون من الصيد ويعتنون بتربية الطيور الجارحة التي كانوا يطلقون عليها « الكواهي » وهي الصقور المعدة والمدربة للصيد. وكان للطير مطعم خاص به، يهيأ فيه الطعام، ويدرب في هذا المكان، وله أناس يقومون على خدمته وتدريبه[٨٣]. ومما يشبه تدريب الصيد السباق الذي يجري في ميادين عديدة بين الفرسان، الذي يعتمد على تدريب الفارس والفرس بآن واحد. وهو من التمارين التي كانت شائعة في أيام المماليك ومنتشرة إنتشارا واسعا[٨٤]. أما لعب الصولجان هو نوع من التدريب للفارس وهو على فرسه، بيده عصا يضرب

---

(٨١): الزردكاش: الانيق في المناجيق ٤١ ـ ٤٦.

(٨٢): أبو شامة: الذيل على الروضتين ١٨٥، الحجازي وزملاؤه: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ٦٦ وما بعدها.

(٨٣): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢/٦٤، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٥٢٣.

(٨٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢/٦٩، زكي: الجيش المصري في العصر الإسلامي ١٥ وما بعدها.

بها الكرة ويسوقها. ويجري هذا في ميادين خاصة أعدت خصيصا لهذه الرياضة. وللعبة قواعد منها ضرب الكرة خلسة وبرفق ومن تحت مخرم الفرس، ووسط صدرها ونحرها، والحذر من الجري السريع غير المتزن ومن الصدمات وأذى المشاهدين والإبتعاد عن السب والشتم(٨٥).

وهذه التدريبات تمهد للفارس أن يصل إلى الفروسية وأن يحصل على لياقة جسمية تؤهله للدخول في القتال. وهي من أفضل أنواع الرياضة لكثرة حركاتها وسرعة الانعطاف للفرس في كل الإتجاهات، ورفع الكرة من الأرض وبعقب الصولجان وغير ذلك(٨٦). ويلحق بهذه الرياضة (الطبقاب) وهي الكرة التي يلعب بها الاولاد فيجرون خلفها، ويحاولون ولوجها في مكان حفرة في الأرض لهذه الغاية(٨٧)، أما المصارعة فهي تمارين القوة واللياقة والتحمل، يشهدها جمهور كبير من الجنود والناس ويحضرها الامير، وتدق الطبول والزمور، ولها مراسيم خاصة كما نشاهدها اليوم في ميادين المصارعة المختلفة المنتشرة بصورة خاصة في الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا والعالم. للمنفذ مكافأة يقدرها السلطان أو الأمير وفي كثير من الاحيان تؤدي هذه المصارعة إلى أذى يلحق بالمتصارعين(٨٨).

أما « الليخة » فهي تدريب جماعي وهو عبارة عن عدة شجعان يتقابلون بالعصي، ويقوم أحدهم فيمسك عصاه من وسطها ويفرق عشرة من زملائه الذين يلعبون معه وتؤدي هذه اللعبة في بعض الاحيان إلى أن يقتل اللاعب زميله. إنها لعبة تدل على القوة والرشاقة واستخدام العصي بكل خفة ومهارة(٨٩).

٦ـ التدريب البحري:

في الحقيقة فإن هذا النوع من التدريب لم يهتم به قادة الجيش المملوكي إلا بعد معركة عين

---

(٨٥): ابن قتيبة: الحرب والفروسية ٩٤ وما بعدها، متز: الحضارة الإسلامية ٢/٢٥٦.

(٨٦): الرماح: مخطوطة نهاية السؤال والامنية في تعلم أعمال الفروسية ٨٣، ٨٤، الرماح: مخطوطة في علم الفروسية برسم العمل به ٩٣ وما بعدها.

(٨٧): الرماح: مخطوطة نهاية السؤال والامنية في تعلم أعمال الفروسية: ٨٤، الرماح: مخطوطة في علم الفروسية برسم العمل به ١٠٠ وما بعدها، ابن حرز الله الحاسم: مخطوطة هداية الرامي إلى طريق المرامي وعلم الرمي بالبندق ٢٩. Rey - Les Colonies Franques De Syrie Aux XIIme Et XIIIme Siecles Rages 54.

(٨٨): ابن القيم: الفروسية ٨، متز: الحضارة الإسلامية ٢/٢٥٧.

(٨٩): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٠/١٢٨.

جالـوت، إذ كانت البحـريـة المملوكيـة قبـل المعركة ضعيفة التدريب. وفي زمن الظاهر بيبرس وبعد أن استلم القيادة بعد مقتل قطز اهتم اهتماما زائدا بتدريب هذا السلاح وأولاه أهمية كبرى(٩٠) ولعـل هذا الاهتـمام من قبـل هذا القـائـد آت من دافعـين الاول شعـوره بتقوية هذا السلاح وتطويره بعد المعركة الفاصلة والثاني هو طموحه لان يسيطر على البحار وبخاصة البحر الأبيض المتـوسـط، وليكـون هنـاك توازنـا مع القوة البرية. إن التدريب كان يجري على شكل بيـانـات عمليـة في النيـل يشهـده المقـاتلون والنـاس ويحضـره السلطان، ويجري عرض للقطع البحـريـة في النيـل، وبخـاصـة القطـع التي صنعت حديثا، وللتأكد من كفاءتها، كانت تجري تدريبـات مختلفـة عليهـا(٩١) وفي بعـض التمارين كانـت تغـرق بعـض المراكـب، فإن هنـاك سبـاحـين يقـومـون بإنقـاذ الغـرقى أو الذين لم يدربوا على السباحة، ومع ذلك فقد يموت غرقا بعض الجنـود أو القـادة(٩٢)، لايكتفي أثناء التمارين البحرية بالعرض والاستعراض، وإنما هناك مشـروع تدريبب بالـرمي الحقيقي وبـالمناورة كما لو كان ذلك في قتال حقيقي، إذ تستخدم جميع الأسلحة البحرية التي تحتويها السفن القتالية(٩٣). وكانت الشواني والغربان من أهم المراكب التي يجري عليها التدريب وتختبر قدرتها ومناورتها وقوة رميها المدفعي والنفطي(٩٤).

ومما يشار إليه أن الجيش المملوكي كان يجري تدريبا مشتركا قبل العمليات الحربية التي ينوي القيام بها. وهذه التمرينات كانت تجري في جو يشبه جو المعركة المتوقعة حيث يشترك السلطان وأتابك العساكر وجميع قادة التشكيلات والقطعات والوحدات العسكرية بلباس الميدان الكامل.

يبتـدىء هذا النـوع من التدريب بعرض الجيش أمام القائد الأعلى بعدها تتفرق الوحدات من جميـع المستـويات وينصب « القبق » ويتنافس الجنود وقادتهم بالرمي وجيمع أنواع التمارين،

---

(٩٠): مبارك: الخطط التوفيقية ١/٨١، ٨٢، العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام ٢٩٦.

(٩١): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٤٥١.

(٩٢): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٨/١٥٦.

(٩٣): ابن يحيى: تاريخ بيروت ٣٨، ماهـر: البحـريـة في مصـر الإسلامية وكنوزها الباقية ٢٠٣، العدوي: الاساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط ١٦٣.

(٩٤): ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٤/١٤٢، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٨/١٥٦.

حتى إذا كان اليوم الثالث من المشروع انقسم الجيش بالكامل إلى كتلتين كتلة تمثل العدو وكتلة تمثل الصديق ويباشر الطعان وتصطدم الكتلتين ببعضهما ويتناوش الفرسان والرماة كما لو كانوا في أرض المعركة الحقيقية والقائد الأعلى يشاركهم ويعطيهم التوجيهات حتى إذا أنهى التدريب بعد ثلاثة أيام أنعم القائد الأعلى على الفائزين وعلى المبرزين في المشروع بإنعامات مختلفة وبمكافآت مادية ومعنوية(٩٥). ثم أمر فجهز الطعام والحلوى، فأكل القادة والجنود بعد هذا التدريب الصعب والقاسي وبعدها يتحرك الجيش مباشرة إلى ساحات القتال، وهذا ما كان يفعله الظاهر بيبرس عندما تولى الحكم حيث أمر بتحريك الجيش بعد التمرين نحو بلاد الروم.

وكذلك فإن هناك تدريبات كانت تجري أثناء العمليات الحربية بقصد شد الجندي إلى الانضباط، إلى تذكيره بأنواع الرماية وأصول الفن الحربي ولعب الرمح، كما كانت تقام بيانات وعروض مختلفة. أمام الوفود الاجنبية التي تحضر البلاد أو أمام الرسل والسفراء بقصد إدخال الرعب في قلوب الاعداء، والهيبة أمام المجتمع الدولي(٩٧).

---

(٩٥): ابن الفرات: تاريخه ٦/٧ وما بعدها.

(٩٦): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٦٢٦ وما بعدها، مبارك: الخطط التوفيقية ١/٨٢.

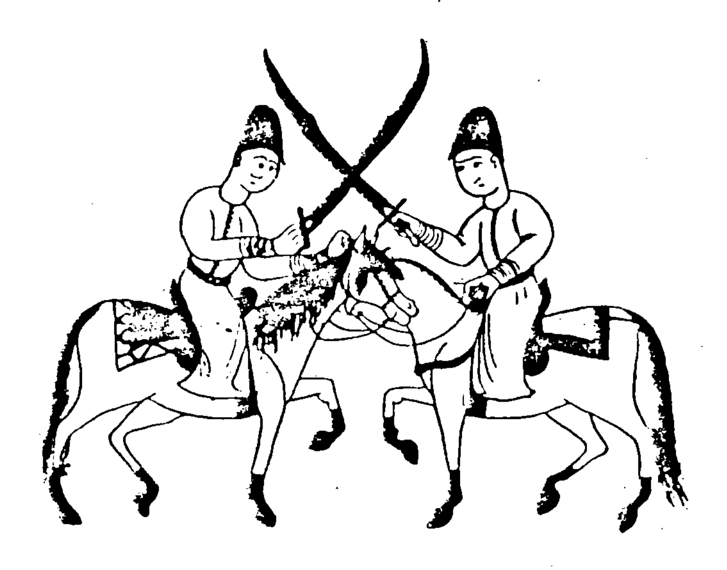
(٩٧): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٦٠٥.

التدريب على الضرب بالسيف على الصومعة

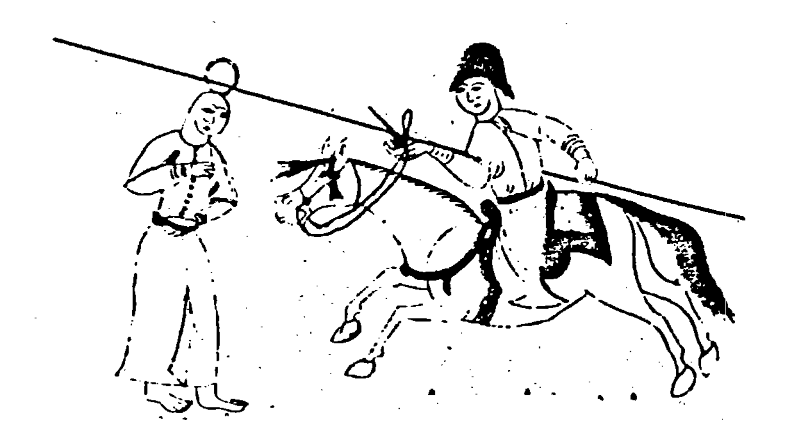


عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لـ ناصر الدين الرماح.

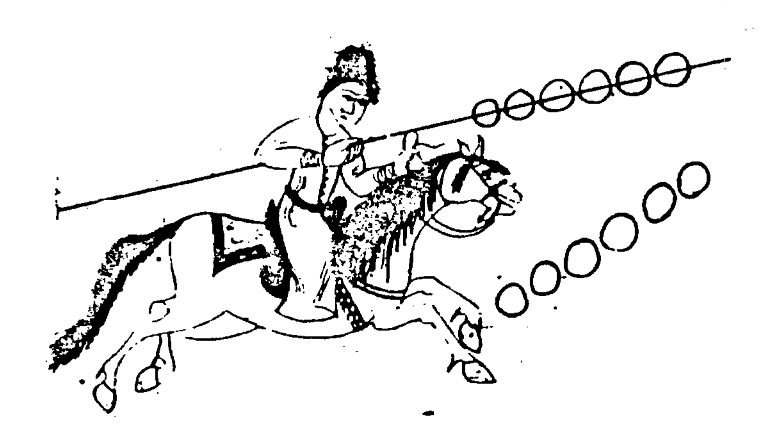
فارسان مملوكيان المنازلة بالسيف.



عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لـ ناصر الدين الرماح.



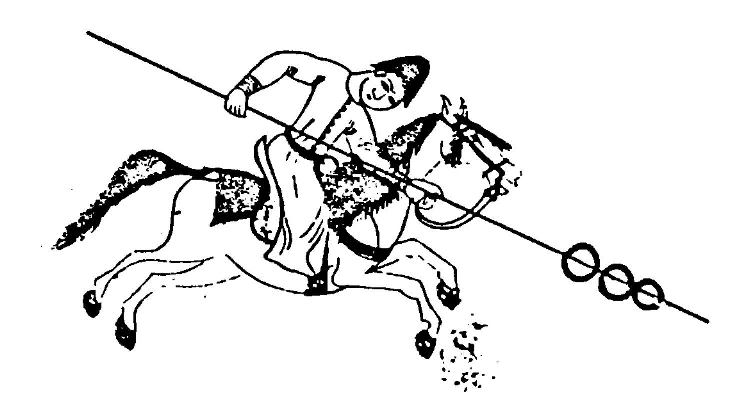
فارس مملوكي يتدرب على أخذ الكرة من على رأس رجل.

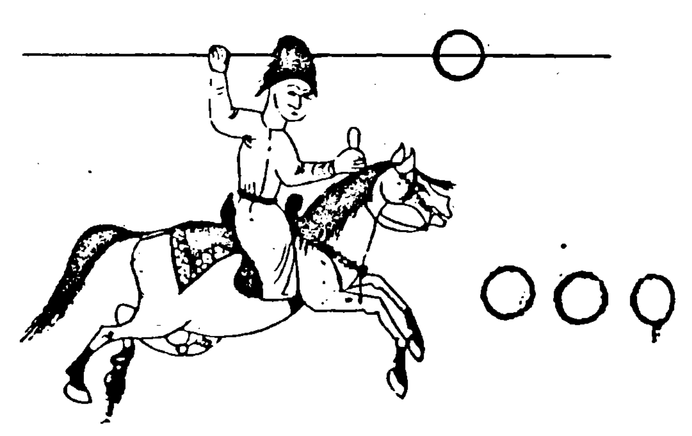


فارس مملوكي يتدرب على أخذ الحلقات الست في طلق واحد ويجمعها في يده اليمنى.

عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لـ ناصر الدين الرماح.

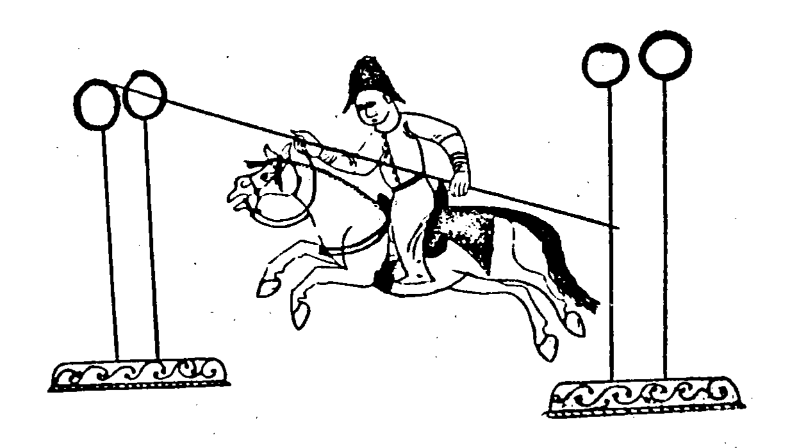
فارس مملوكي يتدرب على أخذ الحلقات واحدة بعد واحدة من أرض الميدان بسنان الرمح.
عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لـ ناصر الدين الرماح.

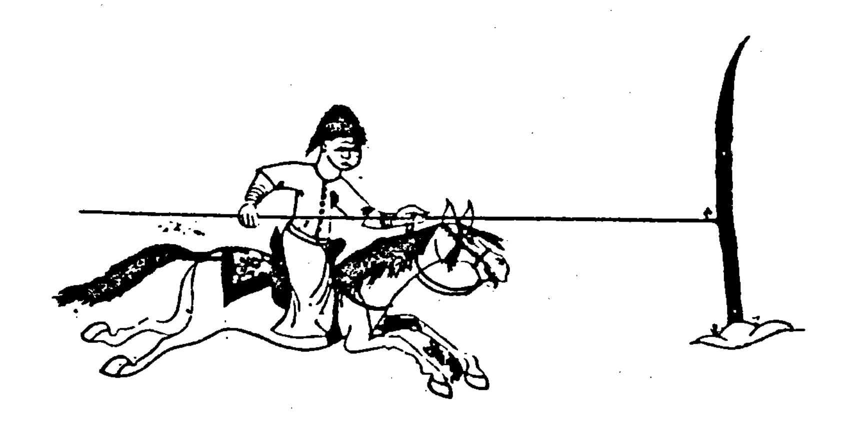




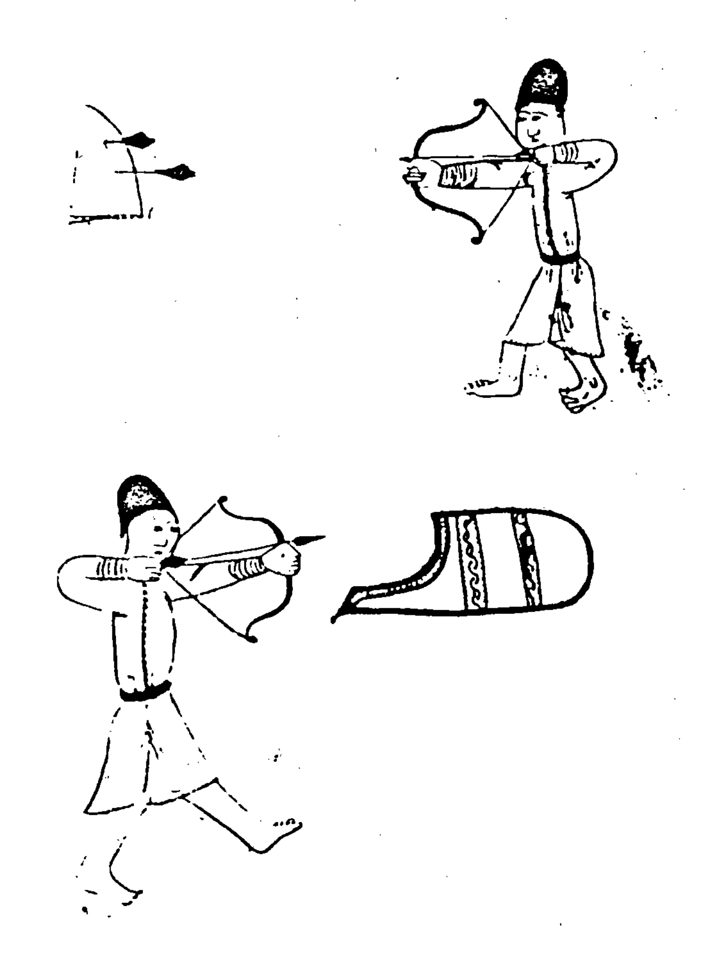
فارس مملوكي يتدرب على أخذ الحلقات من وسط الميدان والفرس في حالة الجري.
عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لناصر الدين الرماح.

فارس مملوكي يتدرب على أخذ الحلقات من على قائمين يميناً ويساراً.
عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لناصر الدين الرماح.



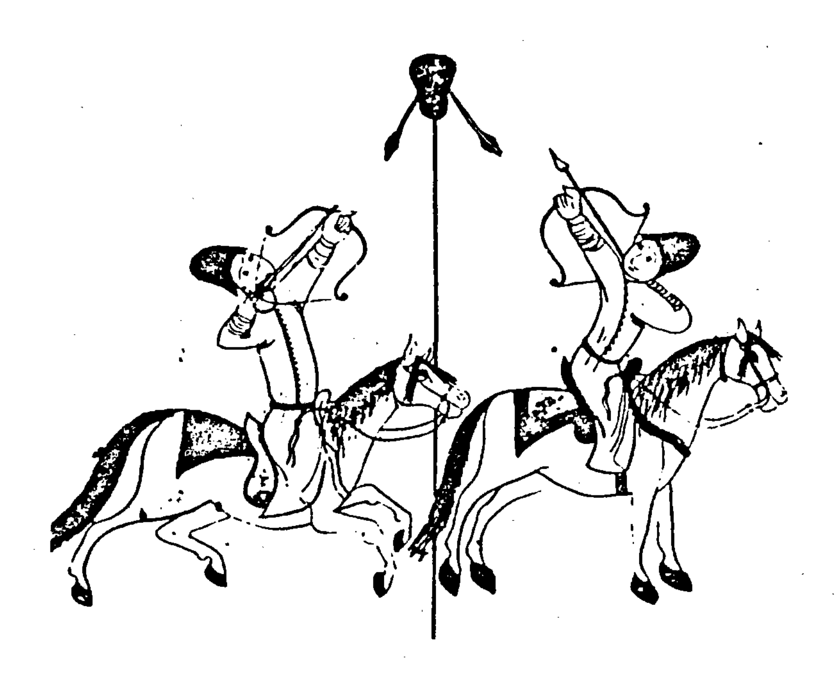


فارس مملوكي يطق سيفاً قائماً على حرفه برمح بلا سنان.
عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لناصر الدين الرماح.



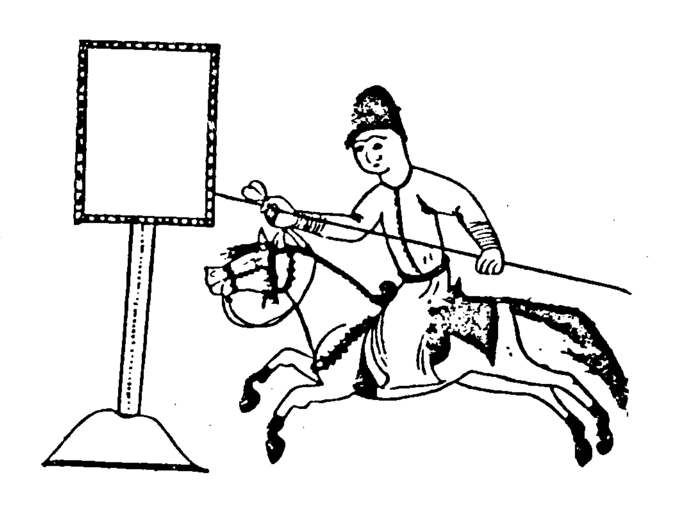
هنا الراجل يرمي ويتدرب على أهداف مختلفة قريبة من الواقع القتالي.
عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لناصر الدين الرماح.

التدريب على النشاب بأوضاع مختلفة وعلى أهداف متنوعة.
هنا على الفرس ورمي القبق.



عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لناصر الدين الرماح.

تدريب على الرمح القصير وكيفية التقرب من الخشبة.



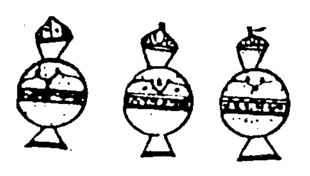
عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لناصر الدين الرماح.

سلاح النفط والنيران

راجل أمام فارس يحمل دبوساً يرش منه النيران، وأما الفارس فلديه قوارير (قنابل محرقة).



قوارير نفط يتسلح بها الراجل أو الفارس ليلقيها على الأمكنة المراد حرقها.



عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لناصر الدين الرماح.

سلاح النفط والنيران

دبوس ملفوف عليه لباد مشبع بالنفط لحرق أبواب القلاع والحصون.



عن مخطوطة المخزون لأرباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح لناصر الدن الرماح.

« العمليات »

(التكتيك العسكري المملوكي)

إن العمليات هي الجانب التنفيذي في الحرب، وهي مجموعة الإجراءات والاعمال والتحركات والفن الحربي والنشاطات القيادية التي طبقت في معركة عين جالوت.

لقد خاض الجيش المملوكي قبل هذه المعركة عدة عمليات حربية إلا أنها كانت صغيرة على مستوى ضيق، ولم يجرب نفسه مع جيش قوي كجيش المغول ولم يقاتل كجيش مملوكي موحد، إنما قاتل بعض أفراده أو بعض قياداته في صفوف الجيش الأيوبي، وأشترك المماليك هؤلاء بصورة خاصة في معركة المنصورة التي جرت بين الصليبيين من جهة بقيادة الملك الفرنسيس وبين الأيوبيين بقيادة الملك توران شاه الايوبي في سنة ٦٤٨ / ١٢٥٠ وكان النصر للجيش الأيوبي بالاشتراك مع المماليك[٩٨]. اشترك في هذه المعركة قادة مماليك قادوا فيها بعد معركة عين جالوت وكان لهم دور كبير في القتال وفي تحقيق النصر أمثال الظاهر بيبرس[٩٩]. ولعل معركة المنصورة غرست في قادة المعركة المماليك ثقة الانتصار في معركة عين جالوت وشجعتهم على الدخول في مواجهة أكبر قوة ضاربة في العالم وبذلك أتيح لهم أن ينتصروا على أكبر دولتين كانتا موجودتين في الأراضي العربية، وتهددان باستمرار بغزو دمشق وبغداد إحداهما في معركة المنصورة والأخرى في المعركة التي نحن بصددها[١٠٠].

---

(٩٨): ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٢٣٨/٥، ٢٣٩.

Rashid AL - Din, The Success ors of Genghis Khan 233.

(٩٩): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣١٩/٦، ٣٢٠، ٣٣٦، ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٦٤، ابن العماد الحنبلي - شذرات الذهب من أخبار من ذهب ٢٣٨/٥/٣، ٢٣٩، ٢٤٠، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٦٣٨/٢/١.

(١٠٠): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٩٧/٧، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب من أخبار من ذهب ٢٣٨/٥/٣، المقريزي: الخطط ٩٣/٣.

أولا : الخصائص القتالية :

هذه الخصائص التي تميز بها الجش المملوكي في حروبه والتي أهلته إلى أن يدخل معركة عين جالوت، ثم يستمر في معاركه الاخرى مطبقا هذه الميزات.

ولعلها كانت سببا في إنتصاره على الجيش المغولي، أوعلى الجيوش الاخرى التي حاربها فيما بعد وأهم هذه الخصائص:

١ ـ تطبيق الخصائص القتالية:

يطلق عليها « مبادىء الحرب » أيضا، وهي تلعب دورا أساسيا في تحقيق النصر. فبقدر ما يكون تخطيطها دقيقا وشاملا بقدر ما يكون الجيش أقرب لبلوغ الهدف. وهذا القول ينطبق أيضا على تطبيق وتنفيذ تلك المبادىء.

إن فعالية التخطيط والتنفيذ تكسب القيادة قدرة على توجيه الضربات الحاسمة إلى الخصم، ولاشك أن الثقافة العامة والعسكرية ومعرفة قوانين الحرب والمبادىء تلعب دورا هاما في بلوغ النصر. فإذا طبقت هذه المبادىء تكون العوامل التي تساعد في إحراز تقدم حاسم، وفي بلوغ الاهداف. لابد من وضعها بعين الإعتبار وهي التسليح والنوعية والمهارة القيادية والكثرة العسكرية والروح المعنوية والإبتكار والتنظيم الدقيق والنشاط العقائدي.

للمبادىء صفة حقوقية إدارية، فهي واجبة التطبيق على كل قائد خاض أوسيخوض غمار الحروب، ويتوجب عليه إتباعها، فإن تنكبها وخسر المعركة فإنه ليسأل عن ذلك وإن طبقها فقد قدم ما عنده وضمن شروطها في هذا تعتبر دليلا ومرشدا. وعلى القائد أن يكون قادرا على الإبتكار وخلق الظروف الملائمة لتحقيق النصر. وإذا أمعنا النظر في معركة عين جالوت بصورة خاصة والمعارك التي تلت بصورة عامة لادركنا تماما أن قادة الجيش المملوكي كانوا يطبقون هذه المبادىء إلى أبعد الحدود ولا سيما الظاهر بيبرس الذي اشترك في هذه المعركة بالذات وفي المعارك التي شهدها بنفسه فيما بعد.

آ ـ الاقتصاد في القوى:

لم يشأ قطز القائد الأعلى للجيش أن يشرك القوى جميعها في معركة عين جالوت، ولكنه كان يقود القوى الرئيسية للجيش وبيبرس كان يقود الطليعة، وقد اشتبكت الطليعة وهي جزء من

الجيش مع حامية غزة[١٠١].

كما اشتبكت القـوة الـرئيسيـة هذه مع الجيش المغـولي، كما اشتبكت الميمنـة مع مايقـابلهـا وكذلك الميسرة بأعداد تناسب القوة التي كانت تجاهها[١٠٢]. وكان قطز حريصا كل الحرص على أن يوزع قواتـه بصـورة تتنـاسب مع القـوات التي تقـاتل ضدها من الجيش المغولي فقد افرز قوة للمجنبات واخرى للالتفاف القريب وثالثة للبعيد ورابعة للكمين وخامسة لاعاقة وجذب قوى العدو[١٠٣]، أما بيبرس فقد أظهر براعة حربية في الاقتصاد في القوى في هذه المعركة عندما قاد الطليعـة وقـاتـل وهـو في طريقه إلى عين جالوت، ثم في الكمين الذي نصبه للعدو[١٠٤]، ثم في المطاردة التي كان فيها هذا المبدأ واضحا كل الوضوح إذ أرسل القوى المناسبة على كل محور من المحـاور وعلى كل إتجـاه سلكتـه القـوات المهـزومـة من الجيش المغـولي[١٠٥]. ثم في القوى التي أرسلها عند إستلامه القيادة العليا إلى العوجا، وسار بنفسه إلى الخليل والقدس، ثم في القوى التي أرسلهـا إلى حصن الاكـراد والقـلاع، وإلى صفـد، وحارب الصليبيين في مواقعهم، ورد التتـار عن توسعهم. وفي كل هذا كان يقتصـد في القـوى ويعـزز هذا المبـدأ باختيـاره القـوى والوسائط والقادة المناسبين[١٠٦].

ب ـ تجميع وحشد الجيوش على الاتجاهات الرئيسية:

من مبـادى القتـال عنـد الجيش المملوكي والمغولي أن يحشدا في الاتجاهات الهامة، وأن يكثفا القـوى والـوسـائـط نحو الجهة الاكثر خطورة[١٠٧]، فلما أراد الجيش المغولي إجتياح بغداد، جمع

---

(١٠١): ابن الصقاعي: تالي وفيات الاعيان ٦٩، دائرة المعارف الإسلامية ٤/٣٦٣.

(١٠٢): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٤٣١ وما بعدها.

(١٠٣): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣١٤، اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٣٦١.

(١٠٤): ابن تغردي بردي: النجوم الزاهرة ٧/٧٩، الشهابي: تاريخ ٤٣٩.

(١٠٥): ابن الوردي: تاريخه ٢/٢٩٧، الإسحاقي: اخبار الاول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول ١٣٢.

(١٠٦): المقـريـزي: السلوك لمعـرفـة دول الملوك ١/٢/٥٤٧ ومـا بعـدهـا، زكي: الجيش المصـري في العصر الإسلامي ٨٢.

(١٠٧): البغدادي: الافادة والاعتبار ١٤٠.

تشكيلاته المقاتلة من جميع البلاد والجهات التي كان يحارب فيها، حيث تحركت تشكيلات بايجونية من بلاد الروم وعبر جسر الموصل، وتحشدت في الجهة الغربية من بغداد، وأخرى بقيادة يلبغا، وتوتار وتولي وغيرهم عن طريق مضيق سونتاي لتصل إلى مركز القيادة العامة للجيوش المغولية (مركز قيادة هولاكو) وثالثة بقيادة كتبغا كانت تتحرك من تكريت وخوزستان لتصل إلى عمان[١٠٨]، وكذلك لما أراد الجيش المملوكي مقابلة الجيش المغولي في معركة عين جالوت جمع قطز الجيش المصري وأرسل إلى الجيش الشامي، وحشد الإمكانات المتاحة، وأرسل في القرى والمدن والبادية يحث المليشيات الشعبية، والتقت هذه التشكيلات جميعا على أمر المعركة، وركزت الجهود الرئيسية نحو تجميع الجيش المملوكي الذي كان يتحرك باتجاه مرج ابن عامر، وسار باتجاه الساحل بكتلة واحدة[١٠٩]، وفي الحقيقة فإن المغول انتصروا عندما طبقوا هذا المبدأ في هجومهم على بغداد، وهُزموا عندما أخَلوا بتطبيقه في معركة عين جالوت، وانتصر المماليك في هذه المعركة لانهم استطاعوا حشد القوى وتجميعها، وقاتلوا كتلة واحدة. إن الجيش المغولي لم يقاتل على هذا المبدأ بعد حرب بغداد أبدا ولم يجتمع ولم تقم لهم قائمة ولم يحارب إلا بجزء أو بعدد قليل، فقد دخل معركة حمص سنة ٦٥٩ / ١٢٦١ بجيش لايزيد عن ستة آلاف فارس بقيادة بيدرا من بقايا الذين فروا من معركة عين جالوت وتجمعوا على تفرقة وقاتلوا عن كره، وعن فوضى في التنظيم وتشوش في المهمات القتالية. ولم يلبث هذا الجيش أن أنهزم أمام الجيش المملوكي ممن هو أقل منه عددا، فكان لايزيد عن آلف وأربعمائة فارس بقيادة صاحب حمص وصاحب حماة[١١٠].

إن وحدة الجيش وقتاله ككتلة واحدة متماسكة يساعده على تحقيق النصر. فقد انتصر الجيش المملوكي على الجيش المغولي لأن الأخير دبت فيه ريح الخلافات الداخلية وانسحب معظم الجيش إلى بلاد فارس، وانشغل بالقتال الداخلي[١١١]. وانتصر الجيش العربي من قبل في

---

(١٠٨): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٢٨١.

(١٠٩): الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين ١٢٥، ابن كثير: البداية والنهاية ١٣/٢٢٠.

(١١٠): الذهبي: دول الإسلام ٢/١٢٥.

(١١١): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣٣٧.

معركة اليرموك على جيش هرقل لأن الاخير قد تفكك واختلف وتخاذل[112].

فالوحدة تجمع وقوة ونصر، والإختلافات شتات وضعف وهزيمة.

جـ ـ الضغط على الاعداء:

لايدع لهم مجالا للتفكير، أولاعادة بناء قوتهم، أوتجميعها، إنما ينتقل من اتجاه إلى اتجاه ومن مكان إلى مكان على تماس مباشر معهم، وبالمقابل فإنه يصمد أمام هؤلاء الأعداء، صمودا يجعلهم في تردد وحيرة وأمل ضائع، حتى إذا زاد زحزحهم من مكانهم تبعهم فسد عليهم كل منافذ النجاة. لقد كان ذلك واضحا في معركة عين جالوت عندما تصدى قادة الجيش لقادة الجيش المغولي وثبتوا ثبوت الرواسي أمامهم، وأمام كل عنجهيتهم وإنذارهم، ولما تقابلا لم يصمد الجيش المغولي وخرقت جبهته، فتعقبه الجيش المملوكي، ولم ينفصل عنه أبدا حتى إذا أدركه وضع فيه السيف ولحقه إلى أطراف الشام والبادية[113]. وبدأ الضغط واضحا في عدة أمور أهمها رفض الإنذار وقتل الرسل[114]. والتفوق العددي الذي أوجس منه خيفة قائد الجيش المغولي وتردد كثيرا في طلب المدد ليكون هناك توازن بين الجيشين[115]. وإجبار الجيش المغولي أن يفتح وأن يقاتل في مكان غير مناسب والسرعة في التحرك وحسم الأعمال القتالية[116] والصمود القوي أثناء القتال، فما كانت تفتح ثغرة حتى يبادر قطز إلى صدها وأهم المواقف الصمودية هو الموقف الذي صمدت فيه الجبهة وبخاصة الجناح اليساري الذي كاد أن يتداعى[117]. والهجوم الصاعق الذي أدى إلى قائد الجيش المغولي وقتله[118]. والمطاردة التي ظل فيها الجيش المملوكي على تماس وضغط على الجيش المغولي الذي هرب وظن بهربه النجاة

---

(١١٢): تبلر: فتح العرب لمصر ١٤٤.

(١١٣): الاسحاقي: أخبار الاول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول ١٣٢، الجبرتي: تاريخ عجائب الاثار في التراجم والاخبار ١/ ٢٩.

(١١٤): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣١٣.

(١١٥): ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ١/ ٣٠٥، اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٦٠.

(١١٦): الشهابي: تاريخه ٤٣٩.

(١١٧): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/ ٤٣٠.

(١١٨): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧٠/ ٧٩.

ولكنه كان ملاحقا كيفما اتجه ومطاردا اينما سار[119].

د ـ تحقيق المفاجأة:

إن المفـاجأة قد تمت في هذه المعـركـة بالاخفـاء والتمويه وبظهور أعداد قليلة من الجيش أمام القوات المغولية في الأراضي السهلية، إنما قوة الجيش الرئيسية فقد بقيت إلى الخلف وراء التلال والمســاتـر في مرج ابن عامـر، وبصمـود الجيش المملوكي وقتـالـه الـذي وضـع كتبغـا في حيرة واضطـراب، وتشكيلة القتـال الجـديدة، وبنصب الكمائن، وبث الدوريات أمام تقدم القوات المغـوليـة، وبـالتطويق الكامل، وبالصمود أمام هجمات المغوليين المتتالية، بقيت المطاردة التي لم تنتـه إلا بقتـل وتشـريـد المنهـزمين وإبادتهم، وبالشدة والتنكيل والقسوة والحزم والبطش الذي لم يكن يتوقعه المغول أبدا. هذه المفاجأة مكنت الجيش المملوكي من تحقيق النصر، وانزال الخوف والرعب في الجيش المغولي الذي لم يعد يفكر في الاعتداء، إن اعتدى فإنه كان على خوف من أن تحل القارعة ثانية، ولهذا فإنه كان يستخدم أسلوب الغارات المتتالية التي لاتحقق كسبا عسكريا، وإنما تحدث بعض الإزعاجات والإضطرابات التي تعبر عن تغطية انهزامهم في معركة عين جالوت.

استخـدم المفاجأة فيـما بعد القـادة الذين تعاقبوا بعد قطز كالظاهر بيبرس الذي كان يبتكر بعض الاسـاليب كحفـر السـراديب بجـانب الخندق لانتقاء الامكنة التي يهاجم فيها العدو إذ لم يشعر مقاتلو أرسوف إلا والجيش المملوكي قد تسلق القلعة وأضرم فيها النار[120]، وبانتقاء الزمن فقد هاجم قيسارية عند الصباح وجيشها غافل لايدري، وأهلها نائمون، وسار في الليل إلى عكا[121]. وكذلك بصنع الأسلحة الجديدة، وبالمسير والتخفي والاغماء والتضليل والحيلة والخدعة[122].

---

(١١٩): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣١٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة والقاهرة ٧/٧٩.

(١٢٠): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٥٢٨، ٥٢٩.

(١٢١): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٥٢٦.

(١٢٢): ابن الوردي: المختصر في أخبار البشر ٢/٣١١، ٣١٤، ابن خلدون: تاريخه ٣٨٦، الدواداري: الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ٩/٢٦٢.

Runciman; A History of the Crusades, Volume III The Kingdom of A cre Book 3/ chapter 4/ 318.

هـ ـ وضوح الهدف:

كان قطز القائد الأعلى للجيش واضح الهدف إذ أعلن القضاء على الجيش المغولي وتدميره والانتصار عليه منذ أن أعلن الحرب وقتل الرسل(١٢٣).

هذا هو الهدف النهائي الذي سبقه أهداف مرحلية كالتخطيط لهذا القتال، واستخدام الرجال والأسلحة التي تستطيع أن تقضي على العدو وجمع الأموال(١٢٤)، والاتفاق مع الصليبيين في عكا على الالتزام جانب الحياد(١٢٥)، لم يكن هدف قائد هذا الجيش أن يستولي على أرض وإنما أن يدفع الجيش المغولي ويرده عن أرض مصر وديار الشام، ولم يكن هدفه الاستيلاء على مدينة استراتيجية أو ميناء بحري هام وانما كان هدفه الوقوف أمام الزحف المغولي وخطره على دولة المماليك، ولم يكن هدفه القتل والتشريد، إنما كان هدفه أن يوقف قتل البشرية التي كان يجريها الجيش المغولي أينما حل وأينما قاتل. وأتى الظاهر بيبرس بعد هذه المعركة فكان واضح الهدف في جميع حروبه عند استيلائه على هدف هام، أو مدينة استراتيجية أو موقع حصين. ولم يوجد في القادة المملوكيين كهذا القائد إذ كانت الصورة أمامه واضحة كشاشة التلفزيون وكجهاز التحكم يستطيع أن يعين النقطة أو المحطة التي يريدها من مكانه(١٢٦).

و ـ المناورة بالقوى والوسائط:

وزع قائد الجيش المملوكي القوى والوسائط قبل بدء القتال، وأثناؤه ظهرت ضعف الميسرة، فنقل القوى والوسائط إليها وقواها، وهنا ظهرت عبقرية هذا القائد عندما نقل بعض المجموعات القتالية وسد الثغرة التي أحدثها الجيش المغولي، كما استطاع أن يقود الإحتياطي الموضوع تحت تصرفه ويناور به ليصل إلى قبالة هذا الخرق فيتصدى للقوات المغولية

---

(١٢٣): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣١٣.

(١٢٤): الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين ١٢٥، الطباخ: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٢/٢٩٠، ٢٩١.

(١٢٥): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٤٣٠، سرور: الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره ٥٠.

(١٢٦): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٥٦٥، ٥٨٧، زكي: الجيش المصري في العصر الإسلامي ٨٣.

ويوقفها[١٢٧]، كما قام بدور مهم عندما نقل بعض القطعات من المجنبات لتقوم مع النسق الثاني بالهجوم المعاكس، وفعلا فقد كانت السرعة مذهلة في المناورة عندما تحرك هؤلاء الجنود وقاموا جميعا بهجوم مضاد وقضى على الوحدات والقطعات المغولية التي تسربت خارقة دفاع الجيش المملوكي. وقد ظهرت هذه البراعة أيضاً عندما تلقى قائد الجيش المملوكي معلومات مؤكدة عن قوة العدو وضعفه وأماكن تمركز قواته، فناور بقواته وأعاد تشكيلها. بما يتلائم مع هذه المعلومات الجديدة[١٢٨].

ز ـ السرعة في الاعمال القتالية:

كل فعل له رد فعل، وكلما كان رد الفعل سريعا في الاعمال القتالية كان ادعى إلى الانتصار، وأقرب للتغلب على الخصم وهذا ما يؤكد لنا أن المناورة والحركة السريعة في أرض الميدان وملاقاة العدو وسبقه إلى الاماكن الحساسة، أو سبقه في الرمي، أو الالتفاف أو التطويق السريع هو عمل ضروري للقوات المهاجمة أو المدافعة.

تجاوب القائد الاعلى للجيش المملوكي بمجرد سماعه التهديد المغولي وأعلن التعبئة، وعقد مجلس الحرب، واتخذ عدة إجراءات تحضيرية سريعة[١٢٩]، فتحركت القوات مستجيبة لهذا النداء الجهادي لملاقاة العدو وسبقه إلى أرض المعركة المناسبة قبل أن يتحول الجيش المغولي فيهاجم الديار المصرية ويغزو المماليك في عقر دارهم[١٣٠]، ومن الاهمية بمكان أن نذكر دور قائد الطليعة وسرعته، والتفويت على قائد الجيش المغولي (بيدرا) كل مبادرة مما أتاح لبيبرس أن يقضي على حامية كبيرة متقدمة قرب غزة وأن يشل تلك الطليعة العدوة التي توقفت حركتها وشل عملها من جراء السرعة التي قام بها رئيس أركان الجيش المملوكي(١٣١)، هذا ولا يخفى أن الجيش المملوكي أثناء القتال كان يستخدم المناورة السريعة والالتفاف القريب والبعيد من

---

(١٢٧): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٧٩.

(١٢٨): Magizine Orientalia Vol. IV/ 366.

العبادي: قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام ١٦٥.

(١٢٩): الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين ١٢٥.

(١٣٠): ابن الوردي: تاريخه ٢/١٩٣.

(١٣١): الاسحاقي: اخبار الاول فيمن تصرف في مصر من ارباب الدول ١٣٢.

المجنبات بمجموعة من الفرسان الذين كانوا يتحركون في ساحة الميدان وكأنهم سهام مارقة أو قذائف موجهة وفي الحقيقة فإن قائد الجيش المملوكي وبخاصة بيبرس، كان يتنقل من مكان إلى آخر، ومن اتجاه إلى اتجاه، ومن القضاء على طليعة العدو إلى نصب الكمين الذي كان سريعا إلى تنظيمه وتنفيذه، ومن الكمين إلى المطاردة(١٣٢).

وظل هذا القائد يتصف بهذه السرعة العجيبة عندما استلم زمام السلطة وأصبح القائد الاعلى للجيش، ففي قتاله في معارك قيسارية وعكا وغزة والشفيفي وحمص وطرابلس وغيرها كان سريعا(١٣٣).

ح ـ الاستطلاع والمخابرات:

اهتم قادة المماليك بهذا الاختصاص كبيبرس الذي كان شديد التأثر، يهمه أن يرى ما يصنع مرؤ وسوه، فبث فيهم من كان قادرا على جلب المعلومات بصدق ووثوق، وممن كانوا يتحلون بحسية مخابراتية، وممن كثر دهاؤ هم وانطلت خدعتهم وخرجوا من الامور الصعبة، بما أوتوا من حيلة وحسن تصرف. وكان هذا القائد يمارس هذا بنفسه فيتخفى وينتقل من مكان لاخر دون أن يشعر به أحد، ويطلع على كل صغيرة وكبيرة لوحده(١٣٤).

قطز قائد هذه المعركة بالاشتراك مع قائد الطليعة رئيس أركان الجيش أرسلا الدوريات وبثا العيون واعتمدا على الاهالي الذين كانوا يتجاوبون مع طلبات الجيش على حقد من المغول وتصرفاتهم، ولهذا فإن المعلومات كانت تصل تباعا إلى هيئة أركان الجيش المملوكي، في حين أن الجيش المغولي لم يعتمد كثيرا على الاستطلاع، بل اعتمد على قوته وشدته في الحروب، ولم يأبه بما يجري حوله، ولم يقم بإجراءات كشف العملاء والجواسيس الذين كانوا يدخلون معسكراته، ويأخذون منها الاخبار، ويوصلونها إلى المماليك(١٣٥)، وبالاضافة إلى ذلك فإن

---

(١٣٢): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/ ٧٩، ٨٢، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/ ٢/ ٤٣١.

(١٣٣): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك: ١/ ٢/ ٥٢٦، ٥٥٨، ٥٧٤، ابن الوردي: المختصر في اخبار البشر ٢/ ٣١٢ وما بعدها.

(١٣٤): القلقشندي: صبح الاعشى ٣/ ١٢٣، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/ ٢/ ٥٤٠، ٥٧٤، ٥٧٦.

(١٣٥): ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في اخبار من ذهب ٥/ ٣٥٠، العريني: المغول ٢٥٩.

بيبرس عندما اصطدم بحامية غزة المغولية استطاع أن يتلقى أخبارا صحيحة عن قوة الجيش المغولي وتحركاته وأسحلته وقادته(١٣٦)، وكذلك فإن قادة الجيش المملوكي أرسلوا حراسات متقدمة عبارة عن مخافر تصنت وإنذار من مهامها نقل المعلومات عن الانساق وعن تحركات الجيش المغولي(١٣٧)، وإن الذي قد نقل معلومات دقيقة وموثوقة، والذي كان له دور كبير في الاستطلاع في هذه المعركة هو صارم الدين أزبك الذي قبض عليه المغول عندما اجتاحوا حلب فسكن بقربهم فوثقوا به وأطمأنوا من جانبه، وأصبح يرتع في جنبات هولاكو، وعد من حاشيته المقربين مملوك الملك الاشرف يطوف بأهل القائد العام للجيش المغولي، ويأكل ويشرب معهم وكأنه منهم، وبهذه العلاقة المتينة استطاع أزبك أن يستوعب ما يقولون، ويدرك خططهم المستقبلية وما يرمون إليه، وما هي أعمالهم وما هو نوع سلاحهم واسماء قادتهم وحتى أمورهم الخاصة قبل المعركة، وقبل أن يتلاقى الجيشان أرسل أزبك الاخبار التي التقطها والمشاهد التي رأها إلى قادة الجيش المملوكي وأوصاهم بتقوية المسيرة وعرض لهم على الجيش المغولي وقلته، وأوصل إليهم كل شيء.

ثم استعد الجيش المملوكي، وأعاد تنظيمه بناء على هذه المعلومات متأكداً أن النصر قد أتى وأقبل الجيش المملوكي يحصد الجنود المغوليين، ويتقدم شاقا صفوفهم ومبعثرا جمعهم(١٣٨). وبالاضافة إلى هذه المصادر من المعلومات فإن هناك مصدر عمال البريد الذين كانوا يكلفون بمهام مخابراتية بالاضافة إلى نقل البريد الحربي. إن هذا الجهاز كان يتحرى أحوال العدو وإمكاناته ومعرفة البؤر والجهات الخطرة من الداخل، والتحري من الاعمال الهدامة، أو الاشخاص الذين يقومون بدور العمالة والتجسس على القوات الصديقة وكان يطلق على رئيس هذا الجهاز « صاحب الخبر والتحري » الذي كان له خبرة واختصاص(١٣٩).

إن للاستخبارات دورا كبيرا في الحروب الماضية والحاضرة في إحراز النصر. ولقد كانت من

---

(١٣٦): ابن الوردي: تاريخه ٢/٢٩٣.

(١٣٧): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٣٦٦.

(١٣٨): Magizine Orientalia Volumen. IV/366.

العبادي: قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام ٢٥٦ وما بعدها.

(١٣٩): المقريزي: الخطط ٤/٨٨، ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ٣٨.

الاسباب الصحيحة التي تلقاها قادة الجيش المملوكي وبنوا قرارهم على هذه الصحة فكان القرار سليما والنصر محققا.

ط ـ التنسيق والتعاون:

ظهر هذا المبدأ جليا واضحا بين التشكيلات المقاتلة في هذه المعركة، ولاسيما بين المجنبتين والقلب والمؤخرة، وبين القوة الرئيسية وقوة الطليعة وبين الكمين وجماعات الانقضاض، وبين قوة المواجهة وقوة المطاردة، وبين الجيش والشعب حيث أبدى االاخير روح التعاون وذلك ببذل المال والانخراط في صفوف الجيش، وبين الفئات التي اشتركت في القتال بعضها مع البعض كالترك والشركس والاكراد والتركمان وغيرهم، وبين المماليك السلطانية والمماليك الاخرى كأجناد الامراء وأولاد الناس وأجناد الحلقة. كما كان التنسيق بين القيادات بين القائد الاعلى ورئيس الاركان، وبين هذه القيادة وقادة التشكيلات (الامراء)، ومن التنسيق أيضا ذلك الاتفاق بين القائد الاعلى والصليبيين الذي مر عليهم في عكا والذين عرضوا عليه المساعدة[١٤٠].

ي ـ التأمينات القتالية:

التأمينات كثيرة أهمها في الجيش المملوكي التأمين الإداري والهندسي، فالتأمين الإداري يهدف في هذه المعركة إلى تحضير الاموال والعتاد والسلاح وتأمين الكساء وإطعام العسكريين المشتركين في القتال[١٤١]، أما التأمين الهندسي فيهدف إلى نصب الجسور وهدم وتدمير المناطق المحصنة، وفتح الطرق والممرات الجبلية، والحفر والتسوية، وإزالة الاحجار[١٤٢]. ولكنه على ما يظهر أن هذه التأمينات كانت متقدمة في الجيش المغولي أكثر من الجيش المملوكي إذ اعتادوا أن ينصبوا الجسور وأن يصلحوا الاسلحة ويقوموا بكل ما تتطلبه المعركة[١٤٣].

---

(١٤٠): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٤٣٠.

(١٤١): الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين ١٢٥، الصير في: نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ٢/٩٢، بارنولد: تاريخ الحضارة الإسلامية ٩٢.

(١٤٢): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٢٣٥، ٢٣٨.

(١٤٣): الشهابي: تاريخه ٤٣٧، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ٢٧٩، ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ٣٤٠، ٣٤٢. Rey - Les Colonies Franques De Syrie Aux XIIme Et XIIIme Siecles pages 118.

٢ ـ القسوة والشدة في القتال:

كان الجيش المملوكي شديد البأس في القتال، ينزع إلى حرق وتدمير كل شيء، إذ يقتل الرجال بدون تساهل، ويقطع الاشجار دون تردد، ويفور الأنهار، ويهدم القلاع، وينهب الاموال فهي حل له من باب الغنائم، ويمنع على العدو أي شيء يستفيد منه، ويأسر المقاتلين(١٤٤). لعل هذه القسوة آتية من الطبيعة المناخية التي كانوا فيها قبل مجيئهم إلى مصر، أو أن العادات والتقاليد التي كانت متأصلة في نفوسهم كركوب الخيل، وإجراء التمارين المجهدة، أو أن التدريب الذي تلقوه في سن مبكرة من عمرهم، أو أنهم حرموا حنان الأب والأم(١٤٥).

من مظاهر القسوة في معركة عين جالوت أن بيبرس عندما التقى بحامية غزة من المغوليين، لم يتيح لهم فرصة الهروب أو الإلتجاء إلى مأمن، بل كان يلاحقهم إينما حلوا، ويقتلهم أينما وجدهم، فتركهم بعد أن غادرهم بين قتيل وجريح، وبين هائم على وجهة وتارك أهله ودياره، وقد استخدم الحصار الذي من عادته أن يقطع المياه والتموين، ويتركهم جياعا، بحيث يعجل من استسلامهم، ويفوت الفرصة عليهم للقيام بأي عمل عسكري مضاد(١٤٦)، وكذلك فإن هذا القائد عندما نصب كمينا للجنود المغوليين إذ أطبق عليهم من كل جانب وطوقهم من كل مكان حتى إذا وقعوا في الكمين وفي الفخ المنصوب لهم قامت هذه المجموعة القتالية بقيادته فوضعت السيف في رقاب المغوليين وشتت شملهم وفرقت جمعهم(١٤٧)، وقد تجلت هذه الشدة أثناء المطاردة، فلم يكن يلحق بمجموعة إلا أبادها، ولم يكن يلحق بفرد إلا قتله، وتبعهم رغم هروبهم، وقتلهم رغم استسلامهم(١٤٨). وإذا عدنا إلى القسوة أثناء القتال فإن القائد الاعلى من قادة التشكيلات مع المقاتلين صمدوا وثبتوا رغم خرق جبهتهم القتالية من الجانب اليساري

---

(١٤٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/ ١٤٠، ١٤٢، ابن الوردي: المختصر في أخبار البشر ٢/ ٣٢٠.

(١٤٥): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/ ٢/ ٣٨٨، سمكوع: مدخل إلى تاريخ الشراكسة ١٢ ـ ١٥.

(١٤٦): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/ ١٧٧، الصفدي: امراء دمشق في الإسلام ١٩. الكتبي: فوات الوفيات ١/ ١٦٢ وما بعدها.

(١٤٧): الشهابي: تاريخه ٤٣٩، الاسكندري: تاريخ مصر إلى الفتح العثماني ٢٣٦.

(١٤٨): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/ ٧٩ وما بعدها.

ابن الوردي: تاريخه ٢/ ٢٩٧.

ورغم الضغط الشديد من جانب الجيش المغولي، وبهذا فقد استطاعوا سد الثغرة والتحمت الصفوف، وقاتلوا قتالا شديدا أخرجوا به المغوليين من أمكنتهم، وأبعدوهم عن الامكنة التي اتخذوها خطا دفاعيا منيعا[١٤٩]، وأثناء القتال فقد القائد الاعلى فرسه، وظل يقاتل بدون فرس إلى أن عرض عليه أحد المقاتلين فرسا يركبه[١٥٠]، وأطلق صرخة مدوية تدل على الشدة والقوة والعزيمة أثناء احتدام المعركة والصدام العنيف[١٥١]، وقد أقدم الجيش المملوكي على حرق المزارع والبيوت بمن فيها من المقاتلين المغوليين المختبئين والفارين من جحيم القتال وشدته، فلم ينج منه أحد إلا ما استطاع أن يتجنب تلك النيران العظيمة والتي انتشرت في كل مكان من تمركز هؤلاء، والذي نجا منهم كان مصيره القتل حتى أبيدوا جميعا[١٥٢]. إنه قتال يدل فعلا على العنف وعلى القسوة المتناهية، بالرغم من أن الجيش المغولي قد اشتهر بهذه الصفات[١٥٣]، إلا أنه لم يصمد أمام الجيش المملوكي الذي صمم على القتال واستخدام كل ما يمكن استخدامه في سبيل الحصول على النصر.

٣ ـ الأخذ بالدفاع المتحرك كنوع رئيسي من أنواع القتال:

يعتمد الجيش المملوكي في قتاله على الدفاع المتحرك، وتعتبر الكمائن من عناصر ترتيب القتال في هذا النوع إذ تستخدم الخدعة وتفاجىء العدو، ثم تخرج من جوانب الميدان فتهاجم العدو من جوانبه المكشوفة، ويكون حجم الكمائن أقل من الكراديس التي تدخل الترتيب ايضا وتصطف مقابل العدو خلف بعضها بعضا[١٥٤].

لقد جرت العادة أن يعبأ الجيش المملوكي على أربع حالات، وأن يقاتل حسب الحالة الملائمة تبعا لطبيعة الأرض وقوة العدو وامكانيات الصديق والأسلحة المستخدمة. ففي معركة

---

(١٤٩): Magizine Oriental vol. IV/ 366.

(١٥٠): ابن كثير: البداية والنهاية ١٣، ٢٢٥ وما بعدها.

(١٥١): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٨١، ٣٨٣، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/ ٢/ ٣١.

(١٥٢): David Ayalon: Gun Powder and Fire Arms in The Mamluk Kingdon: 14.

(١٥٣). **أسعد: بولو ١١ وما بعدها،**

الصيرفي: نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ٢/ ٨٣ وما بعدها.

(١٥٤): الناصري: الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ١٧٧.

عين جالـوت استخـدمت تعبئـة القـائـد الاعلى للجيش أو (الاتـابـك) وتتميز هذه التعبئة عن الحـالات الثـلاث وهي تعبئـة الجنـد والاركـان وتعبئـة القادة. في حين أن القائد الاعلى يملك احتيـاطيـا قويـا، وإن إدارة المعـركـة تكـون مركـزية، حيث يسيطر في هذه الحالة على الكمائن والكراديس والصفوف، ويوجهها حسب الخطر المحدق به، ويعطي التوجيهات المباشرة(١٥٥).

يتقـدم في الـدفـاع المتحـرك الصف الاول من الـرجالة المدرعين المجهزين بكامل أسلحتهم ويصطفـون حسب عددهم إمـا على صفـين أو ثلاثـة صفـوف، ويكون الصف الاول أقوى ما يكـون من الـرجـال جسما وقوة وثباتا وسلاحا وتجربة. وعلى القائد أن يوازن في القوى والوسائط بينـه وبـين عدوه، وأن يستخـدم الاسلوب القتـالي الـذي يتفوق به على خصمه، وأن يضع في اعتبـاره السـلاح والخيـل والاشيـاء الاخـرى، فإن تسـاوى معه السلاح كان عليه أن يتفوق في الخيل، وإذا تساوى معه في السلاح والخيل، فيجب عليه حينئذ أن يستخدم الحيلة والخدعة في الحروب. ومن أعظم الحيل التي كان يستخدمها الجيش المملوكي التظاهر بالضعف أمام العدو والإنسحـاب أمـامـه حتى إذا وصل إلى مكان محدد أطبق عليه من كل جانب كما حدث في هذه المعركة. وكان هذا الاسلوب هو المميز في القتال الدفاعي لدى الجيش المملوكي(١٥٦).

يتقدم الصف الاول فيقاتل، ويتقدم الصف الثاني من خلال الصف الاول ومن بين الفرج بين الجنـود فيقـاتـل، ثم يتقـدم الصف الثـالث وهكـذا. . . . فإذا كان العـدو قويـا صمـدت الصفـوف جميعهـا، وإن كان العـدو ضعيفا تقدمت الصفوف على النحو الذي ذكرنا بالتناوب. وهـذه الطـريقـة تعطي إمكـانيـة قويـة في رفع وتيرة الهجوم ومطاردة العدو والقضاء عليه قبل أن يتمكن من لم شعثه وجمع قواته(١٥٧).

إن الكـردوس كان يقـاتـل في معركة عين جالوت على صفوف وبين كل كردوس وآخر مسافة تمكنه من تبديل الأول الذي يقاتل في الانساق الأولى وبتقدم الكردوس الثاني والثالث من خلال الكردوس المتقدم الأول أو الثاني. وتقدمت الكراديس كلها صفا بعد صف(١٥٨).

---

(١٥٥): الناصري: المصدر نفسه ١٧٨.

(١٥٦): المصدر نفسه ١٧٩ وما بعدها.

(١٥٧): الناصري: المصدر نفسه ١٨١ وما بعدها.

(١٥٨): الناصري: المصدر نفسه ١٨٩ وما بعدها.

أبتدأت معركة الدفاع المتحرك بالسهام وكان المغول متفوقين فيها(١٥٩) إذ رشقوا الجيش المملوكي، فأثر ذلك على تقدمهم، وتراجع أمام ضغط وتأثير هذه السهام، وقتل عدد كبير منه، ثم اعتدل الموقف بعد تلاقي الجيشان(١٦٠). وتلقي السهام بلباس من سرابيل ودروع وبما كان يحمل من تروس، حتى إذا مضت الرشقة الاولى وقبل أن تبدأ الرشقة الثانية حمل الجيش المملوكي على الجيش المغولي بالخيل وذلك في تلك الفترة القصيرة بين الرشقتين وبها أظهره هذا الجيش من الخفة والمرونة والسرعة الذي بهما استطاع أن يوقف عدوه ويقوم بهجوم معاكس(١٦٠).

قيل أن الجيش المملوكي كان يسمي القوات التي تقوم بالالتفاف من المجنبات «تقويس الصفوف» فالقوات في الدفاع المتحرك تقوم بالصدمة والالتفاف القريب والبعيد إذ تتقدم قليلا حتى تتمكن من نفسها وتصبح قادرة على الفتك بالعدو، وإذا لم تهيأ الظروف لتطبيق هذه التشكيلة عمد الجيش المملوكي إلى جعل الصف الأول منتظما على نسق واحد، والصف الثاني على أنفراج وانفتاح نحو الامام. وكلما تقدم أزدادت الفرجة حتى تصل إلى درجة الإحاطة بالعدو، وحينئذ يصعب عليه الإفلات أو التخلص من الكماشة(١٦١).

اعتمد الجيش المملوكي اعتمادا كليا على الدفاع المتحرك في معركة عين جالوت الذي جذب به القوة المهاجمة المغولية وهضمها وذلك عند وصولها إلى منطقة الإبادة، وأجبرها على التحرك عبر هذا المسار وفق خطة وضعت من قبل قيادة وأركان الجيش المملوكي تحقق من خلالها القضاء على العدو المتسرب الذي ما أن وصل جبهة وعمق محددين، حتى أطبقت عليه القوات المملوكية من الاجناب، فأوقف على الخطوط القتالية المناسبة، وقامت هذه القوات بجميع صنوفها وأسلحتها بالقيام بالهجوم المعاكس والكمائن المفاجئة من الاجناب والأمام والخلف(١٦٢)، وكانت المناورة في ميدان القتال واضحة للجيش المملوكي، كذلك فإن الحركة النشيطة التي يتطلبها هذا النوع من القتال، بالاضافة إلى المهارة الميدانية والقيام بالهجمات

---

(١٥٩): البغدادي: الافادة والاعتبار ١٢٦، منادي: مجلة تاريخ العرب والعالم العدد ٢٨/٧٧.

(١٦٠): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣١٣، ٣١٤.

(١٦١): الناصري: الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ١٩٣.

(١٦٢): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣١٤.

المعاكسة أدت جميعها إلى الانتقال من الدفاع المتحرك إلى الهجوم العام(١٦٣).

لقد استدرج الجيش المملوكي الجيش المغولي، وذلك بعض المجموعات القتالية المملوكية في الوسط مهمتها إعاقة وجذب القوات المعادية، والتحرك الإهتزازي التضليلي كما وضعت بعض المجموعات على المجنبات مهمتها القيام بالهجمات المعاكسة والكمائن المفاجئة، كما تمركزت في الأنساق الاخيرة ومن الخلف قوات شكلت مع القوة المنسحبة أمام العدو قوة رئيسية قامت بالالتفافين القريب والبعيد على مجنبات العدو ومؤخرته.

بهذا النوع من القتال وقع قتلى وجرحى كبيرين في صفوف العدو وما نجا منه إلا القليل الذين طوردوا في مجاهل الأرض(١٦٤).

إن هذا النوع من القتال استخدمته الجيوش المغولية في قتالها مع خصومها وأثناء اجتياحها للأراضي المختلفة(١٦٥). وقد حاولت تطبيقه في معركة عين جالوت سيما وأن مسرح العمليات يسمح بذلك ـ لكنها لم تستطع للتضليل الذي قام به الجيش المملوكي، وللسرعة التي استخدمها أثناء مناوراته فلم تشعر القوات المغولية إلا وقد طبق عليها الدفاع المتحرك، فلم تستطع الإفلات من الطوق وتوهمت أن الخصم كان قليل العدد، غير جدير بتطبيق هذا المستوى من الفن الحربي لذلك فإنها أهملت الحذر واستخدام أسس ومبادىء وأنواع القتال التي أعتادت تطبيقها من قبل.

٤ ـ الاحتراف العسكري وانعكاساته النفسية:

دولة المماليك دولة عسكرية أهتمت بالامور العسكرية وكل ما يتعلق بها، فالولد منذ طفولته ينشأ على العسكرية، وفي شبابه وكهولته كذلك. ومن هذا الاهتمام تنامى عندهم شعور

---

(١٦٣): ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٢١٩/٥/٣، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ دراسات في تاريخ وآثار فلسطين ٢٩٦/١، كراسات خاصة بالباحث.

(١٦٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧٩/٧، ١٠١ وما بعدها، اليونيني: ذيل مرآة الزمان ٣٦١/١، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. دراسات في تاريخ وآثار فلسطين ٢٩٦/١، الاكاديمية العسكرية العليا السورية ـ كراسات خاصة بالباحث.

(١٦٥): البغدادي: الإفادة والاعتبار ١٢٧، الصيرفي: نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ٩٢/٢ وما بعدها، العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ١٠٧/١ وما بعدها.

بالتفوق على ما عداهم، وباتوا لا يقيمون وزنا لكل مواطن مهما علت رتبته المدنية، ومهما كان نوع علمه، ولم تكن هذه النظرة مقتصرة على الداخل، بل تعدتها إلى الامم الاخرى، فهم يعتبرون أنفسهم أنهم أولى الناس بهذا الاختصاص، وأنهم أقدر الجيوش على الدخول في المعارك والخروج منها منتصرين[١٦٦]. ولعل هذه النظرة جعلتهم يتصدون للجيوش المغولية التي لم تقهر، ويلبون النداء بمجرد سماعهم وتأكدهم من زحف العدو نحو بلادهم[١٦٧].

من هذه النظرة تولد لدى الجيش المملوكي حب القوة وتمجيدها وعلى انتقاء الافضل في جميع المستويات بدءا من الملك (القائد الاعلى) وانتهاء بامراء الخمسوات والجنود. فكان يحل القاتل محل المقتول في المناصب القيادية كما حل بيبرس محل قطز بعد قتله وهو عائد من معركة عين جالوت[١٦٨]. وقد سبق لقطز أن قتل بعض الامراء وأزاح آخرين قبل المعركة وقبل استلامه قيادة الجيش[١٦٩]، كما كان التدريب الشاق الذي يمر عليه الجندي هو تدريب يحتاج إلى قوة بدنية عالية وإلى تصميم كبير وتمرس لاعمال الفروسية وما يتفرع منها. ولئن دلت معركة عين جالوت على هذه القوة التي تجلت في اقتحام الموت من قبل القائد الاعلى للجيش ومن قبل قادة الاجنحة والجنود، كذلك فإن الاعداء كانوا على جانب كبير من هذه القوة وقد شهدت لهم المعارك السابقة واختراق المخاطر. كما فعل تيمور من قبل فخاض نهر جيحون هو وجنوده في إحدى المعارك ونجوا بأعجوبة نظرا لشدة التيار ولتلاطم الامواج، وكذلك في كثير من المواقع[١٧٠].

إن كانت هذه النظرة أفادت الجيش المملوكي في بدء تأسيسه وفي معركة عين جالوت، فإنها قد أضرته وألحقت به فوضى وعدم تنظيم على الصعيد الداخلي، فقد أخذ يمتهن المواطنين ويسيء إلى كرامتهم، ويعاملهم معاملة فيها قسوة وشدة، وفيها نوع من التحقير والإذلال.

---

(١٦٦): شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي ١٠٩.

(١٦٧): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣١٣، منادي: مجلة تاريخ العرب والعالم العدد ٢٨/٧٦.

(١٦٨): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٨٤، الصفدي: الوافي بالوفيات ٩/٤٨٤، ١٠/٣٣٢.

(١٦٩): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢/١١، ٣٣، ٤١، وما بعدها، سرور: الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره ٥٢.

(١٧٠): ابن عربشاه: عجائب المقدور في اخبار تيمور ٨، ٣٤، ٤٧، ٦٩، ٩٨، ١٢٢، ١٨٤.

وقد عبر المواطنون عن هذا الظلم بالمظاهرات ورجم السلطان وحصاره والإحتجاجات الكتابية والشفهيـة، ولكنهـا كانت تقابـل بضـرب هؤلاء وإيـداعهم في السجن وقتلهم ومـلاحقتهم وتشريدهم عن أوطانهم(١٧١).

لقـد كان الـتركـمان موالين للمماليك وكانوا لهم سندا في حروبهم ضد الروم والصليبيين وكان منهم امراء وجنود في الجيش المملوكي(١٧٢). ثم مالبثوا أن اصطدموا مع المماليك واختلفوا معهم بسبب رفض الـتركـمان لهذه الفـوقيـة. إن العنجهية العسكرية أفقدت سلاطين وأمراء المماليك الـرؤيـة الصحيحـة في الإدارة والسيـاسـة، وفقدوا كثيرا من حلفائهم ومؤيديهم(١٧٣). وكذلك فإنهم مارسـوا هذه الفـوقيـة ضد أهـل البـوادي والعربان الذين كانوا يعبرون بصورة دائمة عن رفض هذه الممارسات الخاطئة(١٧٤).

إن هذه النظـرة الفـوقية، والإعتداد بالقوة العسكرية. والتخصص بالاعمال القتالية جعلتهم يهملون كل ما عداها من الأمور الإدارية وتركوها لغيرهم(١٧٥).

لقـد أمنت لهم هذه الصفـات في باديء الأمـر تفـوقـا على غيرهـم وجعلتهم ينتصرون على المغول في هذه المعركة الفاصلة(١٧٦)، لكنها فيما بعد أدت إلى الاعتداء على غيرهم كالمواطنين والـتركـمان والأعـراب، كما أدت إلى الاقتتـال فيـما بينهم(١٧٧)، الأمـر الـذي أدى إلى ضعفهم وخسارتهم المعارك بل خسارتهم الحرب أمام العثمانيين(١٧٨).

---

(١٧١): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٣/١/١٧٤، ٣١٤، ٣٨٦، ٣/٢/٦٧٦.

(١٧٢): المقريزي: المصدر نفسه ٣/١/٤٠٢.

(١٧٣): المقريزي: المصدر نفسه ٣/١/٣٤٨، ٣/٢/٤٤٣.

(١٧٤): المقريـزي: المصدر نفسه ٢/٣/٩٠٧، ٣/١/١٧٥، ابن خلدون: تاريخه ٥/٤١٥، طرخان: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ٢٦٦، ٢٧٠.

(١٧٥): حتي: تاريخ العرب ٧٦٣، شبولر: العالم الإسلامي في العصر المنغولي ١٠٩.

(١٧٦): أبـو الفـداء: تاريخـه ٢/١/٢١٤، ابن الوردي: المختصر في أخبار البشر ٢/٢٩٧، السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/٣٩. ٢٢٠.

(١٧٧): ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٥/٦٩ وما بعدها، القرماني: أخبار الدول وآثار الاول

(١٧٨): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٣/١/١٣٤/١٤١، ١٥٠، ٣٨٣ ابن خلدون: تاريخه ٥/٤٩٥ وما بعدها. Lane - Poole: A History of Egypt in The Middle Ages 11/322.

٥ ـ التواؤم بين العقيدة القتالية والعقيدة الدينية :

يربى الجندي المملوكي على العقيدة الدينية، ثم على العقيدة القتالية، وتتماشى هاتان العقيدتان جنبا إلى جنب مع بعضهما، فالعسكري يعرف الصلاة كما يعرف نظام الصفوف معرفة دقيقة فيها تقارب وعمق﴿ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾(١٧٩) يقرأ هذه الاية ويستوعبها كما يستوعب نظام الصفوف في الكتب العديدة ﴿انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾(١٨٠). وهذه الآية تتوافق مع التعبئة ونظامها ووجوب تقديم المال والنفس، فهي عنوان إرادة القتال التي تدرس في المدارس والمعاهد والكليات المملوكية، وفي المساجد والزوايا والخوانق، والثبات أمام الأعداء تفرضه العقيدة الدينية وكذلك العقيدة القتالية، ولن يسمح لجندي واحد أن يترك مكانه الذي يحتله إلا إذا كان هذا الترك يشكل انضماما إلى جماعة أخرى، أوخطة قتالية معتمدة من القيادة، أوإجراء تبديل بين الصفوف، أوكل شيء يفيد ويقوي الجيش المملوكي. ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار. ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أومتحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه إلى جهنم وبئس المصير﴾(١٨١)، والتحريض مبدأ معنوي متلازم مع العقيدة يأخذ منه كل القادة الذين سيدخلون المعارك.

﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا..﴾(١٨٢) ولقد أدرك قطز في معركة عين جالوت أهمية التحريض، كما أدرك غيره هذه الاهمية(١٨٣). وإذا قرأت المصادر وبخاصة المخطوطات التي

---

(١٧٩): سورة الصف: الآية ٤.

(١٨٠): سورة التوبة الآية ٤١.

(١٨١): سورة الانفال: الآية ٦٥.

(١٨٢): القلقشندي: صبح الاعشى ٢٤٦/٨ وما بعدها، أبو الفداء: تاريخه ٦٩/٢/٢، ٧١، ٩٠.

(١٨٣): الرماح: مخطوطة الفروسية برسم الجهاد ١ وما بعدها، الأشرفي: مخطوطة رمي النشاب ١ وما بعدها، الناصري: مخطوطة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب وما بعدها، الدمياطي: فضل الخيل ١ وما بعدها، ابن الرسول الغساني: التذكرة في معرفة البيطرة ١ وما بعدها، ابن هذيل: مخطوطة في الخيل والسلاح وما يتعلق بهما ١، ٣، ٧ وما بعدها.

تبحث في أمور القتال وطرقه وشروطه وفنونه، فإنك تقرأ في مقدمتها الاصول والقواعد في العقيدة الدينية ليصل بها الكاتب إلى الاصول والقواعد في العقيدة القتالية[١٨٤]. وهناك الموجهون الذين لهم قيمة إجتماعية، ومكرمة عقائدية تساوي تلك المنزلة للقادة المقاتلين أو ترجح[١٨٥]، وكان الشيخ عز الدين عبد السلام له رأيه القوي وتوجيهه العقائدي مما مكن قطز من إصدار قراره القتالي[١٨٦]، والشيخ خضر بن أبي بكر الكردي الذي كان يؤثر على قرارات الملك الظاهر بيبرس وعلى مسيرته القتالية له رأي في القتال كما له تأثير في المعنويات[١٨٧].

جعل التواؤم بين العقيدتين في الجيش المملوكي من المقاتل بطلا يقارع الاعداء، وشجاعا لايخشى أحد إلا الله، وزاهدا يحب الآخرة ويؤثرها على الحياة الدنيا، ومؤمنا يعتبر الجهاد فوق الاولويات، ومن أفضل الأعمال، وشهيدا أحب الموت في سبيل الله، وعقائديا صرخ في وجوه الاعداء بالكلمة التي يعتقدها بالمبدأ الذي يقرب إليه النصر[١٨٨].

إن العقيدة القتالية المغولية قد تشابهت مع العقيدة القتالية المملوكية في كثير من عناصرها وأساساتها. فالجيش المغولي إعتمد الدفاع المتحرك كما اعتمده الجيش المملوكي، وكذلك الشدة والقسوة في القتال والوتيرة العالية في الهجوم والمناورة والحركة السريعة في الميدان والإنسحاب التضليلي والإستطلاع ونظام الدوريات والكمائن والإلتفاف القريب والبعيد، وتكتيك المؤخرة ونظام الامداد فيها. بيد أن الجيش المملوكي يحمل بالاضافة إلى ذلك العقيدة الدينية التي هي المعين الذي يروي ويشفي صدور المقاتلين المملوكيين. لقد امتزجت وتلاقت الصفات الحربية مع الصفات العقائدية فنتج عن ذلك عقيدة جديدة عجز عن ملاقاتها أقوى الدول في ذلك العصر، وأعنف الجيوش في تلك البقعة من العالم إذ تقهقر الجيش المغولي وساح في الأرض طلبا للنجاة.

---

(١٨٤): السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/٩٥، السبكي: طبقات الشافعية ٨/٢١٥.

(١٨٥): الكتبي: فوات الوفيات ١/٢٩٨، ابن الفرات: تاريخه ٧/١١٩، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في اخبار من ذهب ٥/٣٥١.

(١٨٦): السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/٩٥، السبكي: طبقات الشافعية ٨/٢١٥، الكتبي: فوات الوفيات ١/٢٩٨، ابن الفرات: تاريخه ٧/١١٩، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٥/٣٥١.

(١٨٨): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٣٨١، ٣٨٣، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٥٢٤.

إن الجيشين على ماتقدم هما الجيشان المتساويان في الصفات الحربية وفي الفن الحربي. كلاهما اعتمدا الدفاع المتحرك والأساليب القتالية الملحقة بهذا الدفاع كالانسحاب الخداعي ثم الإلتفاف والتطويق وغيرها من الاعمال التي تخدم تلك العقيدة(١٨٩). كل واحد أخذ عن الآخر، إلا أنهما مختلفان في الصفات العقائدية، أما الجيش المغولي لايملك هذه الصفة في حين أن الجيش المملوكي تربى عليها منذ صغره، ورضع منها منذ أن كان فتى يافعا. وتتلمذ على أيدي المشايخ والفقهاء، وهذا ما جعل كفة الجيش المملوكي تزيد وتثقل. وهذا ما يفسر إنتصار هذا الجيش على خصمه في معركة فاصلة غيرت مجرى التاريخ، واكتسح فيها بعد الأراضي التي كانت تحت حكم الصليبيين، ونمت هذه العقيدة مع الانتصارات وضعفت مع الإنهزامات، وبخاصة في الايام الاخيرة من حكم المماليك، مما مكن غيرهم من الانتصار عليهم بكل سهولة.

ثانيا: الآفاق الحربية:

هي مجموعة الاجراءات والأعمال التي قامت بها قيادات القوات المسلحة المملوكية من أجل التصدي للقوات المغولية في معركة عين جالوت، مستهدفة بذلك التأثير على الخصم والنيل منه والانتصار عليه بكل الوسائل الممكنة. وكان أهم هذه الإجراءات:

١ ـ الرد الفوري على الإنذار:

درج المغول خلال حروبهم السابقة على توجيه انذار قتالي إلى زعيم البلاد أو إلى قادتها، يحمله مراسلون، يتضمن الاعمال المجيدة، التي قام بها الجيش المغولي، والبطش الذي استخدمه، والشدة التي عامل بها تلك الجيوش التي تصدت له، مذكرا ماحل بالمعاندين من دمار وخراب ثم يدعوهم إلى الإستسلام والطاعة، فإن أبى الخصم ذلك ابتدأت المعركة على أشدها لاتبقي ولاتذر(١٩٠)، أما المماليك فقد كانوا يخشون لقاء المغول ويتوجسون شرا من الإقتتال معهم. وفي معركة عين جالوت وصل رسل هولاكو وسلموا الإنذار إلى السلطان قطز زعيم البلاد وفي هذا الإنذار من الوعد والوعيد وأهم ما يتضمنه الإستسلام، أو القتال، أو

---

(١٨٩): Rashid Al - Din: The Successory of Genghis Khan 190.

(١٩٠): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٢٦٧ وما بعدها.

الجلاء عن البلاد[١٩١]، إلا أن القيادة المملوكية ردت على هذا الإنذار بقتل الرسل وإعلان الحرب، والإستعداد للمجابهة المسلحة[١٩٢]، وكان قادة الجيش المغولي لا يتوقعون مثل هذا الرد القاسي والشديد، وبات الطرفان يستعدان للدخول في معركة فاصلة والقلوب تفور غيظا، والإنتقام في نفوس الفئتين يزداد حماسا وشدة.

٢ - مجلس الحرب:

انعقد مجلس الحرب في القوات المسلحة المملوكية مباشرة بعد الإنذار، ويتألف من السلطان القائد الاعلى رئيسا، وعضوية كل من الخليفة الذي لم يكن قد عين بعد، وأتابك العساكر وشيخ الإسلام وقضاة المذاهب الأربعة وأمراء المئين أي قادة التشكيلات المقاتلة وأعيان المشايخ. ومن مهمته النظر في مشروعية الحرب وتعبئة الجنود، وإعلان النفير العام، والتدريب وتأمين الأسلحة والذخائر، وتحضير الأموال اللازمة وتعيين أمير التجريدة العام والأمراء الذين بصحبته والذين يشكلون أركان الجيش وقادة التشكيلات[١٩٣]، دارت المناقشة التي كان يرأسها قطز، وكان كل عضو يعبر عن رأية بكل صراحة ووضوح منهم الأمير ناصر الدين قيمري الذي تكلم أثناء الجلسة وأظهر أن الجيش المملوكي غير قادر على مجابهة الجيش المغولي لما يتمتع به الأخير من قدرة على القتال، ذاكرا أعماله وفتوحاته وشهرته. وكذلك فإن أغلب الامراء (قادة التشكيلات أبدوا تخوفهم من هذا اللقاء، وايدوا وجهة نظر قيمري، ولكن قسما من هذا المجلس رفض هذا القول وطالب باعلان الحرب مهما كلف ذلك من تضحيات وكان على رأس هؤلاء بيبرس البندقداري قائد الطليعة ورئيس أركان الجيش المملوكي وكانت وجهة نظره: فإن انتصرنا أو هزمنا فسوف نكون في الحالتين معذورين[١٩٤] وكذلك فإنه اعترض على أخذ الاموال من الشعب للتأمين المادي لهذه المعركة، أحد أعضاء هذا المجلس البارزين وهو الشيخ عز الدين

---

(١٩١): Lane - Poole: A History of Egypt in the Middle Ages: 9/262.

(١٩٢): أبو الفداء: تاريخه ٢/١/٢١٤، الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣١٠، الرماني: أخبار الدول وآثار الاول ١٩٨، الطباخ: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٢/٢٩١.

(١٩٣): الطباخ: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٢/٤٦٠، زكي: الجيش المصري في العصر الإسلامي ٥٨.

(١٩٤): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣١٣، السبكي: طبقات الشافعية ٨/٢٧٧.

ابن عبد السلام الذي أبدى رأيه الصريح لهذه المعركة وفي المصادر المادية وفي الأولويات، ثم حذر من عواقبها، مصادرة أموال الشعب إلا بحقها وبعد أن تفرغ الخزينة، ويدفع المسؤ ولون في الدولة كل مالديهم من أموال[١٩٥]، كانت المناقشة جادة ومسؤ ولة وعنيفة اتخذت اتجاها من الجدل والتمحيص. كل ذلك والقائد الاعلى يسمع ما يقول الاعضاء الذين انقسموا إلى قسمين قسم ينادي بالاستسلام والانقياد بزعامة الأمير ناصر الدين قيمري، والاخر ينادي بالتصدي والحرب بزعامة الأمير بيبرس البندقداري وكانت الكلمة مدوية قوية حين أعلن قطز أنه مع رأي الذين قالوا بالحرب، وفوض الأمراء جميعا الأمر إلى السلطان باتخاذ الترتيبات اللازمة وإعلان الحرب، وانفض المجلس على قرار تاريخي، وتحضير قتالي، واستعداد يتوافق مع هذا اللقاء الحاسم[١٩٦].

٣ ـ التحضير والإعداد للحرب:

أعلنت التعبئة في البلاد، وتدافع المواطنون من أجل الدفاع عن البلاد، وهبت كل فئة من أجل التحضير، وجمعت الأموال، واشترى السلاح والخيل، ووزعت الرواتب على الجنود، وتفقد القادة العتاد والسلاح[١٩٧] ودقت طبول الحرب في كل مكان، واجتمع الحشد الكبير لتلقي تعليمات القتال. ومن عادة الجيش المملوكي إذا دعي للقتال أن يعلن الحرب والإجتماع له بالطبول[١٩٨]، وهذه العادة متبعة أيضا في الجيش المغولي[١٩٩].

٤ ـ منطقة التحشد:

بعد أن حضّر قطز لمعركة عين جالوت، أمر الجيش بالخروج من ثكناته ومن طباقه ومن أمكنة سكناه، أن يتحرك فيتحشد في منطقة الريدانية التي لاتبعد كثيرا عن القاهرة. وتتابعت أرتال

---

(١٩٥): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٧٢، ٧٣، السبكي: طبقات الشافعية ٨/٢١٥، السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/٩٥، مجلة تاريخ العرب والعالم العدد ٢٨/٧٦.

(١٩٦): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣١٣، مجلة تاريخ العرب والعالم العدد ٢٨/٧٦.

(١٩٧): الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة السلاطين ١٢٥، الطباخ: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٢/٢٩٠، ٢٩١.

(١٩٨): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٨/١٧٠، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٣/١/٢١٢.

(١٩٩): أسعد: بولو ٥٣.

التشكيلات حتى أخذت أمكنتها المحددة. وهنا تجول القائد الاعلى وعرض العسكر. وأعطى التوجيهات، وحرض على القتال، وفتش على الجنود والأسلحة المختلفة. وتفقد كل اللوازم القتالية والإدارية، وحدد أتجاه المسير، وعين الأمراء، وحدد المهام، وأسند لكل قائد مهمته القتالية بعد أن شرح قوة العدو وتماديه وظلمه، وبعد أن بين عواقب التخاذل، وقتل رسل هولاكو(٢٠٠).

٥ ـ التوجيهات العملياتية:

كان القائد الأعلى للجيش المملوكي يصدر توجيهاته قبل القتال، كما كان القائد الاعلى للجيش المغولي يصدر مثل هذه التوجيهات. وأهم ما تتضمنه: الحث على القتال، والثبات، وإظهار القوة والشجاعة والتقيد بمظاهر الإنضباط العامة، وبالقوانين النافذة، والإجراءات التي ستتخذ عند الظفر بالعدو، والمعاملة التي سيلقاها المنهزمون، والتذكير بالعواقب السيئة فيما إذا تراخى الجنود أو أهملوا واجباتهم، والرجوع إلى العقل والحكمة في كل الأمور المعروضة والمسائل القتالية المعقدة، الأستئناس بالرأي الجماعي والمشورة (٢٠١)، وقد اعطى الجيش المغولي هذه التوجيهات على طريقتهم المعهوده التي كانوا يتبعونها في مثل هذه الحالات(٢٠٢). ولعل أمر العمليات (المرسوم) الذي كان يصدره السلطان المملوكي عندما يرسل بتجريده إلى مكان ما أو يأمر الجيوش بأكملها لتسير ولتتحرك إلى منطقة معينة للقتال فيها كان من هذه التوجيهات، إذ يتضمن هذا المرسوم قادة الالوية والتشكيلات المشتركة في القتال، وتعيين نائب السلطان في حال غيبته، والجهة التي ينفذ إليها الجيش، والاهداف التي يجب أن يحققها ومكان التحشد وغير ذلك من الامور العملياتية الهامة (٢٠٣). وكذلك فإن المنشور الجهادي هومن التوجيهات العملياتية والذي يتضمن الحمد لله على ما أنعم، والصلاة والسلام على الرسول محمد ثم يبدأ بالتحدث عن الواقعة، ويشرح مضمونها، ويدعو كل المستمعين إلى النصرة والدين.

ويخاطبهم بما يدخل في نفوسهم، وبما يرفع من معنوياتهم. ثم يعرج على أعمال السيف

---

(٢٠٠): ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ١/٣٠٦، سليم: عصر سلاطين المماليك ٢/٢٥٠.

(٢٠١): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٢٥٣.

(٢٠٢): الهمذاني: جامع التواريخ ١/٢/٢٣٧، عنان: مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ١٣٣.

(٢٠٣): ابو الفداء: تاريخه ٢/٢/٦٩، ٧١، ٩٠.

الـذين لبـوا الـدعوة وكانوا خير الناس في الجهاد ويؤكد على تقديم المال والنفس، ثم يسترسل فيـذكـر المثـوبة والثواب لمن تمسك بهم والتي ما قد افترضـه الله عليه، ويبلغ بهم منتهى العزيمة والصـدق، ويحثهم على اتبـاع أهـل الشجـاعـة والبأس والشـدة ويبعث فيهم حب اتباع الحق والطاعة لله وللرسول ولأولي الامر، ويصبرهـم على اللقاء، ويهون عليهم المصاعب والمتاعب، ويذكرهم بترك الأحقاد والحسد والضغينة.

وقد يتضمن المنشور كيفية اللقاء وتعليمات القتال التي من أهمها سرعة الحركة والقضاء على العدو والحذر والمحافظة على السلاح، والوثوق بالجيش وبالسلاح القوي وبالقوة التي يتمتع بها الـرجـال، والـتركيـز على التـدريب، والإحاطة التامة بالعدو، والاستمرار في المعركة ليل نهار، وتحقيق المفاجأة والتشديد على الخصم الألد[٢٠٤].

٦ ـ المحاور القتالية:

إعتاد الجيش المغولي أثناء تحركه للقتال أن يشق طرقات جديدة وأن يمهد تلك الطرق ويعتني بصيانتها ويقيم الجسور على وديانها وأنهارها، ويشكل الحراسات اللازمة عليها. واصل المغول تحركهم نحو دمشق واتبعوا الجيش المنسحب من دمشق والفلول الهاربة منها حتى وصلوا إلى غزة[٢٠٥]، ولم يلقوا في طريقهم أية مقاومة إلا ما كان من قلعة دمشق حيث نصبوا عليها المجانيق واستولوا عليها وخربوها[٢٠٦] أما الجيش المملوكي فإنه لم يتعود أن ينشيء، ويتعهد تلك المحـاور(٢٠٧). وتحـرك هذا الجيش من قلعـة الجبـل في مصـر، وتحشـد في الريدانية ومنها إلى الصـالحيـة، غزة، عكـا، عين جالـوت[٢٠٨]. وقد شكل الحراسة والجاليش والطليعة ودوريات الاجناب، وأتخذ حيطة المسير.

يتفق الجيشـان المملوكي والمغـولي ويتشابهان في نقاط، إقامة نقاط للاستراحة تتوفر فيها المياه والمـراعي، كما توجـد على المحـاور بعض العـلامـات كالعمـد التي تهدي المسافر وبخاصة أيام

---

(٢٠٤): القلقشندي: صبح الاعشى ٨/٢٤٦ وما بعدها.

(٢٠٥): ابن الوردي: تاريخه ٢/٢٩٣، أبو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع ٢٠٤.

(٢٠٦): ابن الوردي: تاريخه ٢/٢٩٥، ٢٩٦.

(٢٠٧): متز: الحضارة الإسلامية: ٢/٣٩٨، ٣٩٩.

(٢٠٨): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٧٩، الطباخ: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٢/٢٩١.

الضبـــاب والأمطـــار[٢٠٩]. وفي معــركـة عين جالـوت لم يطبق الجيش المغـولي تلك التعليـمات والتجـارب التي كان قد اكتسبهـا في حروبـه المـاضيـة وذلك أثناء تحرك القوة الرئيسية من البقاع وبـلاد الشام إلى أرض المعركة، بل أهمل كل هذه المواضع الحساسة. إن الجيش المملوكي طبق القـواعـد الأسـاسيـة في التحـرك فابتعد عن الطريق غير المسلوكة أوغير الممهدة، وسلك محاور معروفة مسبقا، وعين الحراسات اللازمة، وأرسل الطلائع الضرورية لتأمين التحرك المأمون[٢١٠].

٧ ـ الطليعة:

هي القـوة التي تتقـدمـه على مسافة قريبة أو بعيدة حسب حجمها والمهام المكلفة بها وطبيعة أعـمال العـدو. وقـد يبلغ حجم الطليعة عند كلا الجيشين المملوكي والمغولي من (٥ ـ ٢٥) الف مقاتل وقد بلغ حجم طليعة المغول في حروبهم مع إيران أو مع خراسان حوالي (١٢) الف مقـاتـل[٢١١]، أمـا طليعـة الجيش المملوكي بقيادة بيبرس فقد كان عددها أكثر من ذلك أوحول هذا العدد، في معركة عين جالوت لم يرسل الجيش المغولي تلك الطليعة التي تكون من مهمتها الاستطلاع ومعرفة قوة العدو واتجاهه ونيته وكشف مجاهل الطريق، وتسهيل مرور القوة الرئيسية عليهـا، وتحـاشي الاشتبـاك مع العـدو إلا عنـد الضرورة[٢١٢]. أما الجيش المملوكي فقد كانت طليعته بقيادة رئيس أركان هذا الجيش الذي قادها بكل حزم وخبرة، وقد اصطدمت في طريقها مع بعض القـوى المتقـدمة من الجيش المغولي فقضت عليها وتابعت مسيرها باتجاه أرض القتال ومسرح العمليات أما الجاليش فهي كالطليعة إلا أن عددها أقل، وتشكل في المستويات الادنى من الجيش مثل الفرق والالوية، كانت هذه الكلمة مستخدمة في الجيوش الأيوبية، وظلت على مفهـومهـا ومـدلولها في الجيوش المملوكية[٢١٣]، يصل عددها في بعض الأحيان إلى ستة آلاف أو

---

(٢٠٩): متز: الحضارة الإسلامية: ٢/٤٠٠.

(٢١٠): ابن تغـري بردي: النجـوم الـزاهـرة ٧/٧٨، اليـونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٣٤٩، مرمرجي: بلدانية فلسطين العربية ١١٥.

(٢١١): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٢٣٥.

(٢١٢): الرماح: مخطوطة نهاية السؤال والامنية في تعلم الفروسية ١١٦.

(٢١٣): ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ٤٩، ابن واصل: مفرج المروب في اخبار بني أيوب ٤/٢٦.

أكثر أو أقل، وذلك حسب طبيعة المهمة، ونوع القتال وتوفر الاعتدة والأسلحة ووسائط النقل وقوة العدو. وتقسم هذه المقدمة إلى عدد من التشكيلات يتجاوز عددها في بعض الأحيان خمسة، عدد كل تشكيل آلف من العسكريين. وهناك قطعات أطلاب تدخل ضمن هذه التشكيلات. وهناك أيضا وحدات خاصة يدخل في تنظيمها المماليك السلطانية والاتابكية والموسيقى. والجاليش عادة ما تكون على مسافة بعيدة أمام الجيش تصل حتى ثلاثة أيام، لهذه المقدمة أمير يطلق عليه « مقدم الجاليش » كما يعين لكل تشكيل « مقدم الف ولكل قطعة أمير عشرة »[٢١٤].

٨ ـ **التحييد:**

سيجتاز الجيش المملوكي أثناء تحركه لقتال المغول بلادا عائدة للصليبيين. فالمنطقة الساحلية والغربية من أرض الشام يحكمها الصليبيون ويعتبر هؤلاء في نظر الدولة المملوكية أعداء يحذر من غدرهم ومن تصديهم لهذا الجيش الذي وضع الهدف الأول والرئيسي قتال المغول[٢١٥].

أراد قطز وحتى يتفرغ للاتجاه الرئيسي تحييد الصليبيين، وذلك عندما عرضوا عليه المشاركة في القتال فأبى، وحين أبدو اهتمامهم لقتال التتار وهي في عكا التي هي ملتقى التجار من المسلمين والصليبيين وعاصمة مدن الساحل. وهي ذات نشاط اقتصادي وتجمع سكاني، وهي مرفأ كبير تأوي إليه السفن القادمة من بلاد أوربا والتي تكون محملة بالبضائع والموأن. وفي هذه الحالة تعتبر عكا من الناحية العسكرية قاعدة تموينية للجيوش التي تقاتل على مسرح عمليات فلسطين[٢١٦].

القائد الاعلى للجيش المملوكي أخذ عهدا على الصليبيين أن لا يكونوا معه ولا عليه، وأكد على ذلك العهد بإيمان ومواثيق. سار من أراضيهم وهو عازم على قتال المغول لوحده، وكما كان يضع في حسبانه إن أخلفوا أن يقاتلهم لوحدهم، معتمدا في ذلك على مبدأ التحييد والتفرد بعدد واحد فواحد أو جزء فجزء[٢١٧].

---

(٢١٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١١/١٥٦. Dozy: Suppl. Aux Dic. Arabes. 11. p. 128.

(٢١٥): الدوميلي: العلم عند العرب ٢٩١.

(٢١٦): ابن جبير: رحلته ٢٩٣، ٢٩٦.

(٢١٧): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٤٣٠، سرور: الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره ٥٠

Runciman: A History of the Crusades Volume III The Kingdon of Acre book 3/ chapter 3/311.

٩ ـ التفوق:

لقد أدرك قطز أهمية التفوق النوعي والكمي في هذه المعركة، حيث كان الجيش المملوكي يتفوق كما وعددا[٢١٨]، كما أنه أثناء المعركة عززت ميسرة الجيش المملوكي ليحصل التفوق على الجناح اليميني المقابل في الجيش المغولي. وبهذا التفوق أمكن للقوات المملوكية أن تخترق خطوط ودفاعات القوات المغولية وأن تلتف عليها وتوسع الإحاطة كما حصل التفوق أيضا في القلب عندما زج قطز نفسه قوات النسق الثاني والمؤخرة في الثغرة التي حاول العدو خرقها وبهذا الزج حصل التفوق الجزئي على العدو، فاستطاع الجيش المملوكي أن يسد الثغرة وأن يقوم بهجوم معاكس ناجح. كما ويعتبر التفوق حاصلا على المستوى الاستراتيجي عندما حيدت القيادات العامة المملوكية القوات الصليبية. أما التفوق النوعي فكان في السرعة في القتال، وفي نوع القتال (الدفاع المتحرك)، وفي جميع القوات في الزمان والمكان المناسبين، وبإرسال الطليعة التي كانت تتقدم على غير الإتجاهات التي كان يتوقعها قادة الجيش المغولي، وبتشكيل الأجنحة والاختيار الصحيح لقادتها، وبتضييق حرية العمل والمناورة لدى العدو وإذا لزم أن يكون باتجاه تقل فيه حركته وتصعب فيه مناورته، وبقطع سبيل التخلص والإنسحاب من أرض المعركة وذلك بعمل أطواق متتالية، وبالقضاء على مقدمة ومؤخرة الجيش المغولي. وفي معركة حمص التي أعقبت معركة عين جالوت سنة ٦٥٦ / ١٢٦١ كان التفوق النوعي بارزا إذ كان ترتيب الجيش المغولي على صفين وترتيب قتال الجيش المملوكي على صف واحد مما أعطى جبهة كبيرة. فكان الجيش الحموي في الميمنة والحلبي في الميسرة والحمصي في القلب[٢١٩]. فالجيش المغولي كان أكثر عددا إذ بلغ ستة آلاف فارس، بينما كان الجيش المملوكي آلفا وأربعمائة فارس. فالأول (المغولي) كان منسقا في العمق وهذا مما يعطي قوة واستمرار في القتال، أما الثاني فكان يعتمد على قوة جناحية وعلى الالتفاف والحركة السريعة، وعلى الضباب الذي كان يخيم على حمص مما سمح له بخرق صفوف الجيش المغولي الذي لم يتعرف بعد على أرض المعركة وبهذا فقد انتصر الجيش المملوكي وقتل عددا كبيرا من جيش العدو وحتى كان عدد القتلى يربو على

---

(٢١٨): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣٠٨، ٣٠٩، ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ١/٣٠٥، خصباك: العراق في عهد المغول الايلخانيين ١٨.

(٢١٩): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٤٣٤، ٤٣٥.

عدد القتلى في عين جالوت[220].

١٠ ـ الاخفاء والتموية:

عندما تحركت القوات المسلحة المملوكية باتجاه الساحل كانت تتقرب بخفية عن انظار ورصاد القوات المسلحة المغولية، وبخاصة عندما وصلت إلى عكا وحطت رحالها في تلك الأراضي، إذ توهم العدو أن هذه القوات لن تتقدم بعد ذلك أبدا، سيما وأنها أقامت مدة طويلة في هذه المدينة تبيع وتشتري وتمارس الاعمال التجارية المألوفة، واستغلت القيادة المملوكية هذا التراخي من قبل المغول فتسللت عبر الوديان والممرات من عكا متجهة إلى الجنوب الشرقي (انظر الخريطة) فوصلت سهل مرج ابن عامر دون أن يكون للقوات المغولية علم بهذا التحرك[221]، وبالاضافة إلى ذلك فإن هذه القوات تخلفت عن استخدام الاخفاء الذي اعتادته في حروبها السابقة[222]، إما لاستهتار وإما لأنها كانت مغرورة في قوتها، وفي زيادة ثقتها بنفسها.

١١ ـ المعركة التصادمية وأختيار مكان المعركة:

لماذا لم يحارب قطز على أرض مصر؟ أويكون بحالة دفاع عن بلاده بمجرد وصول التتار إليها؟ إنه فكر كما فكر غيره من القادة، مصر بلدة السهول ومسرح عملياتها وطبيعتها الجغرافية تسهل للقادم إليها أن يتقدم بسرعة والا يكون هناك زمن كاف للوقوف أمام العدو المهاجم إذ الأرض لاتمكن من حرب طويلة أوعلى الأقل معوقة. فالحرب تسير فيها بسرعة والانتقال من معركة إلى معركة يحقق مكسبا حربيا للمغول الذين قرروا الزحف نحو مصر.

أما سورية وفلسطين فهما بلدا الجبال، ولا يمكن احتراز النصر في الجبال، كما أن ربح معركة لا تؤدي بالتالي إلى حسم الحرب[223] لكن هذه الفكرة تبدو صعبة التطبيق إذا لم يسرع الجيش المملوكي لملاقاة الجيش التتاري قبل أن يجتاز تلك الأراضي ويدخل أرض مصر، سارعت القيادة المملوكية لاتخاذ قرار بهذا الشأن، وتحرك الجيش فالتقى بالمغول على أرض عين جالوت وفي المنطقة التي أرادها قادة مصر. وفي هذا الإطار وهذا المفهوم هل نسمي عين جالوت معركة

---

(٢٢٠): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٤٣٥، ابن الوردي: تاريخه ٢/٣٠٣.

(٢٢١): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٤٣٠، العريني: المغول ٢٥٩، ٢٦٠.

(٢٢٢): أسعد: بولو ٥٢.

(٢٢٣): Volney: Voyage en Egypt et en Syrie: 357

تصـادميـة بين الجيشـين المملوكي والمغـولي؟ الأول سار من مصـر، وما اتخذ مواقع دفاعية حول القـاهـرة، بل تجمـع وانطلق لملاقـات خصمـه. وأمـا الثاني فقد تحرك من بغداد إلى حلب إلى دمشق وهو باتجاهه نحو مصر ليدمرها كما دمر بغداد، وليقضي على جيشها كما قضى على جيش الخليفـة. وفي الحقيقـة فإن هذا النـوع من القتال هو قتال تصادمي(٢٢٤) يحتاج إلى مهارة في فتح القوات من التحرك إلى ترتيب القتال، وإلى تدريب شاق للاصطدام مع العدو، وإلى سبقه في الفتح وفي احتلال أراض مناسبة، وتوجيه الضربة القوية دون الانتظار أو التمهل في إعادة تنظيم الجيش المتحـرك، وأخـذ زمـام المبـادرة والشـدة والحسمية في القتال، ونقل الاعمال القتالية إلى الأرض التي تؤمن سرعة القتال، وخرق الصفوف، وشل عمل وتفكير القيادة(٢٢٥) وبالفعل فإن قطـز قائـد الجيش المملوكي خلق كل الشـروط المـلائمة للدخول في هذه المعركة التصادمية، أما كتبغا قائد الجيش المغولي وصحبه، مااستطاع أبدا أن يتلائم مع هذه الشروط. فقد كان الموقف غامضا بالنسبة إليه، والسرعة بطيئة إذا ماقيست بسرعة خصمه الذي تحرك من مصر، بينما تحرك هو من الشـام ومن سهـول البقـاع(٢٢٦)، فلو قدرت السـرعـة للجيش المملوكي لكانت أضعاف سرعة الجيش المغولي. فالتحرك مع السرعة في المعركة التصادمية يظهر تفوق الجانب المتحرك بلا ريب. وهذا ما حققه الجيش المملوكي إذ أستطاع أن ينفذ بسرعة إلى مسرح العمليات القتالية وينشر قواته المستعدة للقتال. فقد تم الاصطدام أولا بالطليعة بقيادة بيبرس ومن ثم بالحراسات المتحـركـة التي كان يرسلهـا قائـد الطليعة بصورة متتالية، ثم بالقوى الرئيسية بقيادة قطز القائد الاعلى للجيش الـذي عمـل على زيـادة وتـيرة الهجـوم، وكشف الجناح الذي كانت له مهمة الخـرق. وكـانت المعـركة عنيفة وشديدة. وكان للفرسان في هذا النوع من المعارك دور كبير. إذ يستطيعون بما يملكون من سرعة وحرية للمناورة أن يحسموا المعركة. ولم يستفد المغول أبدا من ثباتهم، واتخاذ مواقع دفاعية، وإظهار صمود قوي وجدار صلب يقف أمام الصدمة القوية التي استخدمها الجيش المملوكي في الساعات الأولى من بداية القتال.

لو استطاع الجيش المغولي أن ينشر أمام القوات المملوكية بعض عناصر الحراسات، أو يرسل

---

(٢٢٤): مجموعة التأليف في أكاديمية فرونزي العسكرية: التكتيك ٢٨٥ وما بعدها.

(٢٢٥): مجموعة التأليف في أكاديمية فرونزي العسكرية: التكتيك ٢٦٩ وما بعدها.

(٢٢٦): ابن الوردي: تاريخه ٢ /٢٩٣.

بعض الطلائع بمهمة تأخير وإعاقة القوات المهاجمة لما تعرض لهذا التدمير وهذه الخسارة، بخاصة فإن العمق التكتيكي له مكان غير كاف للصمود أو الدفاع أمام الهجمات المملوكية المتتالية مما اضطره إلى الإنسحاب، بل إلى الهرب تاركا وراءه جثث القتلى والاعتدة المحطمة.

١٣ - منطقة التمركز:

هي المنطقة التي التقى فيها الجيشان المملوكي والمغولي. المملوكي كان في الجنوب الغربي والمغولي في الشمال الشرقي من عين جالوت، وفي الجنوب الشرقي من سهل مرج ابن عامر. ومما يؤكد على أن هذه الأرض هي التي وقعت فيها المعركة، هروب التتار إلى جهة الشرق الجهة التي دخلوا منها وهي مفتوحة بطبيعة الحال(٢٢٧)، وكذلك المحاور والدروب التي كانت تحدد اتجاه الفارس تساعده على الهجوم واستخدام سلاحه(٢٢٨).

١٤ - إختيار زمن المعركة:

إن هذا الاختيار يحقق المفاجأة، كما يتيح الاستعداد الكامل، وإنهاء التحضيرات اللازمة للقيام بالهجوم، وتخطيط مراحل القتال المستقبلية، وإجراء التدريبات المتوافقة مع نوع القتال المنتظر، ومسك زمام المبادرة، وتحاشي السلبيات التي قد تقع قبل القتال وأثناءه وصيانة الاعتدة والأجهزة قبل العمليات القتالية.

لقد كانت المعارك الكبرى التي حدثت من قبل في مسرح العمليات، وكنا قد عرجنا عليها. فهي معارك وقعت في أشهر الصيف وفي الصباح من اليوم الذي بدأ فيه القتال. لعل اختيار هذا الفصل والصباح عند طلوع الفجر يأتي من أن الحرارة قد اعتاد عليها سكان الصحراء والعرب خاصة، وألفوا ذلك الجفاف والمناخ الصحراوي، والأرض المكشوفة، كما أن المقاتل من جهته لا يملك ملابس تقيه قر الشتاء، وبالتالي فهو يكره أن تقيده الملابس الثقيلة أثناء القتال لأنها باعتقاده تحد من حركته وتقيد مناورته. معركة أجنادين وقعت في تموز أو آب عام

---

(٢٢٧): الشهابي: تاريخه ٤٣٩.

(٢٢٨): ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١١٩، الادريسي: نزهة المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزر والمدائن والافاق ٢٢٩، مرمرجي: بلدانية فلسطين العربية ٩٢/٩٦.

(٢٢٩): اليعقوبي: تاريخه ٣/١١، بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٩٥.

١٣ / ٦٣٤[٢٢٩]، ومعركة القادسية في صيف عام ١٤ / ٦٣٥[٢٣٠]، ومعركة اليرموك في آب من عام ١٥ / ٦٣٦[٢٣١]، ومعركة حطين في تموز من عام ٥٨٣ / ١١٨٧[٢٣٢].

معركتنا التي نحن بصددها حدثت في صباح يوم الجمعة وعند شروق الشمس في ٢٥ رمضان الموافق ٣ ايلول من عام ٦٥٨ / ١٢٦٠[٢٣٣]. وكان لايزال الجو حارا في هذا الشهر. وقد أشتهرت تلك الأراضي بدفئها في الشتاء وحرارتها في الصيف، فالمغول تؤثر عليهم حرارة الطقس أكثر من تأثر المملوكيين بها ذلك لأنهم تعودوا الطقس البارد القاري في بلادهم[٢٣٤]، لكنهم قوم صابروا وجالدوا هذه الناحية، وكادوا يألفون تلك المناخات الحارة التي اجتازوها، أو مروا بها، أومكثوا فيها أثناء قتالهم مع الامم والشعوب التي حاربوها، أما المملوكيون فإنهم تعودوا هذا الجو، ذلك أن مناخ مصر يشبه في حرارته إلى حد بعيد ذلك المناخ الذي يقاتلون فيه وهو مناخ جزء من أرض فلسطين، وإن كان مناخ الجزء الاخر وهو الطور الاشد حرارة وأكثر رطوبة وهكذا فإن منطقة عين جالوت التي حدثت فيها المعركة كانت من الناحية المناخية ملائمة للجيش المملوكي، وإن حرارة الجو لاتؤثر على القدرة القتالية بقدر تأثيرها على الجيش المغولي الذي كان يشعر بشيء من الضيق والحد من حركته أثناء القتال كما حدث تماما لنابليون وهتلر عندما حاربا بجيوشهما في الأراضي السوفييتية في مناخ بارد حيث تجمد الجنود، ولم يستطيعوا مقاومة الصقيع، مما أتاح للجيوش السوفييتية آنذالك التي تعودت على هذا الطقس أن تقاتل بكفاءة وأن تنتصر في النهاية.

---

(٢٣٠): الطبري: تاريخه ٣/١١. ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٣٨، ابن بطوطة: رحلته ١/١٩٤، بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٩٦.

(٢٣١): ابن عساكر: التاريخ الكبير ١٥٩، بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٩٥.

(٢٣٢): مختار باشا: التوفيقات الالهامية ٢٩٢.

Lane - Poole: A History of Egypt in the Middle Ages 7/210, 211.

(٢٣٣): أبو الفداء: تاريخه ٢/١/٢١٤، القرماني: اخبار الدول وآثار الاول ١٩٨، ابن الوردي: تاريخه ٢/٢٩٧، العبادي: قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام ١٦٣، مختار باشا: التوفيقات الالهامية ١٩١، بول: طبقات سلاطين الإسلام ٨٠. Magizine Orientalia Vol. IV/ 354.

(٢٣٤): العريني: المغول ٦.

١٥ ـ الخدعة :

لقد كان لصارم الدين أزبك بن عبد الله الاشرفي الذي وقع في الاسر لدى المغول دور كبير في إحراز النصر وذلك عندما قام بخداع قيادة الجيش المغولي، إذ نقل المعلومات الصحيحة إلى الجيش المملوكي، والمعلومات الخاطئة للجيش المغولي، ووضع في قلب قادة المغول الخوف والرعب، والتشكيك بقدراتهم القتالية، سيما وأنهم كانوا يأمنون جانبه وهو موضع ثقة عندهم. وبالمقابل فإن أزبك أرسل غلاما من قبله حمله كل مايهم الجيش المملوكي، ذاكرا لهم أسلوب الخدعة والطريقة التي سيسلكها لتنفيذها، فقال لهم: « في الصباح عندما يلتقي الجيشان أظهر في مقدمة الجيش المغولي وعندما يبدأ القتال أترك مكاني وأهرب من الصف فيتبعني بذلك من خارت قواه وضعفت عزيمته وبالتالي فإن بعض الوحدات تلحق بعضها بعضا. وفي هذه الاثناء شدوا على الجيش المغولي واضربوه من كل مكان وبخاصة في المكان وفي الطرف الذي أكون فيه ». وهكذا انطلت الخدعة على الجيش المغولي وقادته، أما فيما يتعلق بالجيش المملوكي فقد اتخذ اجراءات كثيرة استنادا إلى المعلومات الصحيحة التي تلقاها من أزبك، ففرز الجناح المقابل، وأعاد تنظيمه وترتيبه القتالي فيما يتوافق مع هذه الخدعة، وأصلح نقاط الضعف وأزال السلبيات التي كانت يمكن أن تعترض سبيل القتال.

وفي اليوم التالي وقع ما كان ينتظر من هذه الخدعة، إذ تفرقت صفوف الجيش المغولي لما رأوا أزبك يهرب ويشيع في الصفوف الهزيمة، وينشر فيهم ما يضعف معنوياتهم، ويجعلهم خائفين مرعوبين(٢٣٥).

١٦ ـ الكمين :

هو مجموعة من المقاتلين كمنوا في موضع مخفي عن انظار العدو مشرف على ساحة القتال وهم قد اتصفوا بصفات تؤهلهم للقيام بمهمتهم. فلا ضوضاء ولا سعال ولا حركات يمكن ان يشعر بها العدو، فاذا وصل العدو الى المكان المحدد انقضوا عليه بقوة وشجاعة(٢٣٦).

---

(٢٣٥): Magizine Orientalia Vol. IV/ 366.

العبادي: قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام ١٦٥.

(٢٣٦): الرماح: مخطوطة نهاية السؤال والامنية في تعلم أعمال الفروسية ١١٩.

تمركزت بعض الوحدات من الجيش المملوكي بقيادة الظاهر بيبرس في شرقي بيسان في هذا الوادي وعلى طرق انسحاب الجيش المغولي بشكل مخفي عن أنظار العدو. وكان هدف هذه الكمائن القضاء على وحدات الجيش المغولي الهاربة، وإيقاع أكبر الخسائر فيها، وفعلا فقد هبت هذه الكمائن في الوقت المناسب وحين مرور القوات المغولية الهاربة. فكانت موقعة. يمكن أن نسميها موقعة الكمائن. أكبر من الموقعة التي حدثت في عين جالوت. وقد قتل فيها خلق زاد عن القتلى الذين قتلوا في ساحة المعركة(٢٣٧).

قبل القتال وأثناءه تمكنت القيادة المملوكية أن تمركز وحدات كمائن على مجنبات الجيش، وثبتت هذه الوحدات في مكانها مع ما أصاب ميسرة الجيش المملوكي من تصدع، وظلت ترقب أرض المعركة، وتقدم القوات المغولية حتى إذا اقتربت هذه القوات من المكان الملائم للانقضاض هاجمتها وحدات الكمائن وبخاصة في الجانب اليساري من الجيش المملوكي والذي حدث به خرق، وظن الجيش المغولي أنه سيتابع ذلك الخرق ويوسعه دون أن يصطدم بأية عقبة أو صعوبة، لكنه فوجىء بتلك الكمائن التي تقدمت من كل جانب وبخاصة من المؤخرة وقطعت الطريق أمام انسحاب الجيش المغولي وشنت هجمات متتالية بحيث لم تسمح للجناح اليميني من الجيش المغولي أن يتقدم بانتظام أو يتأخر بانتظام ووقعت الواقعة وتفرق المقاتلون وأصابهم نوع من الفوضى والذعر(٢٣٨).

وبهذا فإن الكمائن في هذه المعركة فعلت فعلتها وأدت مهمتها أثناء القتال أي أثناء الاشتباك الاول، وكذلك بعد انتهاء وجلاء المعركة لصالح الجيش المملوكي.

١٧ ـ التضليل الإستراتيجي:

نجح قادة الجيش المملوكي بتضليل قادة الجيش المغولي، وإبعادهم عن كل تقدير صحيح، رغم محاولاتهم العديدة في معرفة واستطلاع قوة الجيش المملوكي وعدده وأسحلته وعتاده الحربي ونيته واتجاه تحركه ومراكز قوته ودراسة قادته.

فلقد أوقف قطز القائد الاعلى للجيش المملوكي وأبطل استطلاع قائد طليعة الجيش المغولي

---

(٢٣٧): الشهابي: تاريخه ٤٣٩، الاسكندي: تاريخ مصر إلى الفتح العثماني ٢٣٦.

(٢٣٨): ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة ٧/ ٧٩.

ورده إلى سهـول البقـاع[239] دون أن يتمكن من معـرفـة أية معلومات عن الجيش المتحرك من مصر، كما استطاع بيبرس رئيس أركان الجيش المملوكي وقائد الطليعة أن يجذب القوة الرئيسية للجيش المغولي نحو غزة ويشتبك معها، ويجرها إلى الغور وإلى الاتجاه الداخلي قاصدا من ذلك تضليـل القيـادة المغـوليـة عن القوة الرئيسية التي كانت تتحرك بقيادة قطز باتجاه الساحل. وعند محاولة كتبغا قائد الجيش المغولي التملص من هذه الطليعة فإن بيبرس كان يقترب منه ويهاجمه، الامـر الـذي جعله متصـلا به بصورة دائمة، وبهذا تمكن من أن يتحرك إلى الجهة التي يريدها، والطـريق التي يسلكهـا، والأرض التي رآهـا منـاسبة للاشتباك مع المغول، فظل يحاوره ويضلله حتى وصـل به إلى عين جالـوت. ومما زاد في هذا التضليـل أن قطـز تحرك بكـل حذر وتمـويـه مستخدما طيات الأرض التي تسهل له التحرك المستور، ودوريات الاستطلاع التي كانت ترصد حركات المغول وأمكنتهم[240].

لقـد اعتقـد المغـول أن الجيش المملوكي هو أقـل من جيشهم عددا، وإنـه بالامكان ابتلاعه والقضاء عليه، حيث لم يجدوا أمامهم سوى طليعة كان يقودها بيبرس، كما أنهم كانوا على يقين من انتصـارهم طالمـا كانوا يظنون أن التفوق بالقوى والوسائط محقق، وذلك ظنهم أرداهم فتبين لهم فيـما بعـد الجيش المملوكي الجـرار وقد ظهر من جهة الغرب لا الشرق كما كانوا يتوهمون، كما انقضت الكـمائن من أمكنـة كانـوا يجهلونهـا كما تبين لهم أيضا التصميم والثبات والقتال الشديد الـذي لم يألفـوه من قبـل من أي جيش تلاقـوا معـه في حروبهم السابقة. وبهذا تبين أن التضليل التكتيكي كان امتـدادا للتضليـل الإستراتيجي. وكلاهما نجح في أعلى مستوياته، وفي منتهى الدقة والتنفيذ.

١٨ ـ المطاردة:

لقـد اتبـع الجيش المملوكي قتـال المطـاردة الـذي كان بعـد الهجـوم الناجح، أو بعد المعركة التصـادميـة الناجحة وفرار العدو. فإنه بعد أن انتصرت القوات الشامية والمصرية على المغول، لاذ هؤلاء بالفـرار فتعقبتهم الجيـوش المملوكية، ولم يشفع لهم اعتصامهم بالتل الذي كان قريبا من أرض المعـركـة، ولم يغن عنهم أن توجهـوا نحـو حلب. فإن قسـما من الجيش بقيـادة بيبرس

---

(٢٣٩): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣١٣.

(٢٤٠): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٣٦٦.

البنـدقـداري لحقهم وأعمـل فيهم السيف وقتـل منهم الكثـير[٢٤١]. وكـان الاسلوب المتبع في المطـاردة هو الاسلوب المتـوازي والمحـاور المتـلاقية وحصر العدوحتى لايفلت منه أحد وفي هذا تكثر القتلى وتسبى الذراري والنساء، وتجمع الاموال والغنائم الطائلة[٢٤٢].

اتجـه المغـول في فرارهم نحـو الشـرق عبر المنـافـذ الخارجة من أرض فلسطين جنوب بحيرة طبرية، إذ تركوا أمكنتهم التي كانت فيها ظهورهم إلى البادية إلى نهر الأردن ووجوههم باتجاه الغـرب أو الجنـوب الغـربي. ومن عادة المقـاتـل أن يفـر من الجهـة التي جاء منها والتي سار فيها وسلك سبلهـا[٢٤٣]، إن الجنـود المغـوليـين فروا من المعـركـة بدون نظـام، وتبع بعضهم بعضا كقطعان الماشية، خائفين من عدوهم الذي يكاد يلحقهم ليقضي على أكثرهم. ما أن تكشفت المعـركـة، ويـدأ الجيش المغـولي بالتفكك، حتى أمر قطز بتشكيل مفارز مطاردة بقيادة بيبرس، فأرسل وراءهم قوة تطاردهم كما أرسل مجموعات سبقتهم وكمنت في بعض المنعطفات والثنيات من الارض وفـوجئـوا بالخطـر الـذي يلاحقهم والموت الذي يحيط بهم. وقد اتبع بيبرس في تلك المطـاردة السـرعـة لكي يدركهم ويتجاوزهم ويوقع بهم الخسائر. وأرسل مجموعات على الطرق الموازية، وظل على تماس مباشر معهم، حتى أوصلهم في المرحلة الأولى إلى دمشق[٢٤٤]. ففر قسم منهم باتجاه طريق دمشق، القطيفة، القريتين، فتركهم، واتبع القوة الرئيسية التي اتجهت باتجـاه حلب مغـادرة الطـريق إلى القطيفة، النبك، حمص، حماة، حلب، واستغرقت المطاردة عدة أيام ذاق المغول خلالها القتل والعذاب والتنكيل والأسر[٢٤٥].

لقد كانت هذه المطاردة أوسع وأعنف مطاردة اتبعها الجيش المملوكي في حروبه، وإن كانت المعارك اللاحقة أخف وطأة وأقل اتساعا. ذلك أنها كانت معركة فاصلة ومصيرية إما الحياة أو الموت[٢٤٦].

---

(٢٤١): الجبرتي: عجائب الاثار في التراجم والاخبار ١/ ٢٩.

(٢٤٢): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/ ٧٩، ٨٢.

(٢٤٣): ابن الوردي: تاريخه ٢/ ٢٩٧.

(٢٤٤): بيشوف: حلب الشهباء ٢٨١.

(٢٤٥): الاسحاقي: اخبار الاول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول ١٢٣، بيشوف: حلب الشهباء ٢٨١.

(٢٤٦): الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين ١٢٦.

ترى هل كان يخشى بيبرس عند مطاردته لفلول الجيش المغولي اصطدامه بالقوى الإحتياطية لهذا الجيش المنسحب؟ أو إعادة تجميع هذه القوى المبعثرة والوقوف أمام القوة المندفعة ومجابهة قائد المطاردة؟ من الحق أن نقول: أنه كان لايخشى ذلك لشجاعته النادرة ولعلمه أن الجيش المغولي لم يكن له احتياطات قوية في الشام أوغيرها، بل التحق معظم جنوده مع هولاكو، ولم يخشى بنفس الوقت المدد الذي يمكن أن يتلقاه الجيش المغولي لاسيما أن المسافة كانت بعيدة بين قاعدة الامداد فارس وبين بلاد الشام، كما كان هولاكو مشغولا بالحروب الداخلية هناك. ولذلك فإن بيبرس كان يطارد بقايا الجيش المغولي عن معرفة وعلم بأسرار تلك المطاردة وشروطها.

١٩ ـ المحافظة على المقاتل والتقليل من الخسائر:

قد ينتصر جيش ما على آخر، لكنه يخسر الكثير من جنوده، وقد يتراجع جيش ما أمام آخر وينسحب محافظا على جنوده من القتل والتدمير المحقق يبدو لأول وهلة أن الأول قد انتصر، ولكنه انتصار مؤقت لايلبث أن يتراجع وتضعف قوته بفقد العدد الكبير من رجاله، أما الثاني فإنه تزداد قوته بعد تحسين مواقعه وظروفه القتالية. ويعتبر في هذه الحالة هو المنتصر لانه حافظ على رجاله، وأستطاع أن يجمعهم من ضربة نازلة بهم، ويعتبر الأول هو المنهزم لأنه قدم خساره من جنوده دون مبرر لاتعوض بسهولة، وهذا بالطبع يعود كله إلى حسن القيادة والتصرف، وإلى الخبرة في القتال، وإلى الكفاءة القتالية لقائد الجيش. لقد اهتم قطز قائد الجيش المملوكي بترتيب جيشه في معركة عين جالوت، وتقدم أمام الشجعان، وقسم جيشه إلى كتل ومجموعات قتالية بحيث تستطيع هذه المجموعات أن تبدد هجمات الجيش المغولي المتتالية، وأن توصله إلى الشعور بالتعب والإعياء، وهي بهذه المناوشة تستطيع أن تستهلك كل قواه وبنفس الوقت تكون مستعدة للوثوب عليه عند وصوله إلى هذا الحد من الإعياء وإلى هذا الحد من الأرض التي وصل إليها ولا يستطيع الخروج منها. في هذه الشروط قامت القوات المملوكية بهجوم مضاد صاعق كبدت فيه الجيش المغولي الكثير من القتلى، وحافظت على جنودها، بحيث لم يصب منهم إلا القليل وطارد بيبرس البقية الباقية وقضى عليها(٢٤٧). كذلك في السنة التالية من

---

(٢٤٧): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٦٠، ٣٦١، ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ١/ ٣٠٦.

المعركة هاجم المغول منطقة حمص وحماة بجنود يربو عددهم على جنود المملوكيين والتقى الجيشان بالقرب من المدينة. نظم صاحب حمص جنوده ورتب صفوفهم بحيث يتحاشى ما أمكن ضربات عدوه، وبنفس الوقت يتمكن منه، واحتدمت المعركة وأسفرت على قتل عدد كبير من الجيش المغولي، أما الجيش المملوكي فلم يقتل منه سوى جندي واحد(٢٤٨)، لقد دلت حروب المملوكيين على أنهم كانوا يحافظون على النصر بالمحافظة على رجالهم وقتل الكثير من أعدائهم ولم يتورطوا إلا في نهاية حكمهم واختلافهم، وانتشار الفتنة بينهم وتابعوا بعد معركة عين جالوت انتصاراتهم ولا سيما في زمن الملك الظاهر بيبرس إذ أستطاع أن ينتصر على أعدائه، مطبقا هذه المقولة القتالية في هجومه ودفاعه(٢٤٩).

٢٠ ـ القتال الاستراتيجي بالجيوش المتلاقية:

كانت خطة القيادة المملوكية عند تحركها لقتال المغول في هذه المعركة أن تقسم جيشها إلى كتلتين أو مجموعتين قتاليتين كبيرتين: إحداهما تتجه باتجاه الساحل وأخرى تتجه باتجاه مواز تلتقيان فيها بعد في أرض فلسطين وفي سهل مرج ابن عامر. وفائدة الجيوش المتلاحقة أنها تجذب قوة العدو وتضللها وتحقق المفاجأة. وهكذا فقد انطلق قطز قائد المجموعة الاولى مستخدما الإخفاء والتمويه والتضليل، وانطلق بيبرس قائد المجموعة الثانية بغية جذب الجيش المغولي إليه وصرف انتباهه عن خطر المجموعة الاولى وبهذا العمل تهيأت الظروف المواتية لقطز أن يتقدم بالمكان، وإن يمركز جيشه في الاماكن المناسبة، وأن يزوده بالتموينات اللازمة.

والتقت المجموعتان في الزمان والمكان المخططين منذ وضع الخطة القتالية، وركز الجيش المملوكي في بادىء الأمر على المجموعة الثانية بينما كانت المجموعة الاولى تتقدم حتى التقتا أمام وخلف الجيش المغولي وبهذا كان التطويق محققا والتقت القوتان باحاطة قريبة والتفاف بعيد تساعد إحداهما الاخرى حتى أطبقتا على الجيش المغولي وقضت عليه. وقد اتبع بيبرس فيما بعد في حروبه التي تلت نفس هذا القتال الإستراتيجي ونجح فيها بمهاجمة انطاكية(٢٥٠).

---

(٢٤٨): الذهبي: دول الإسلام ١٢٥.

(٢٤٩): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٣٨/٧ وما بعدها، ابن الفرات: تاريخه ٤٦/٧.

(٢٥٠): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٥٦٧/٢/١، الشيال: تاريخ مصر الإسلامية ٢١٦/٢.

٢١ ـ الترتيب القتالي والتشكيلات القتالية:

التشكيل القتالي كان يقصد به في القرون الوسطى الصفوف والحلقات والتراتيب التي تكون ضمن الجيش، وفي الوقت الحاضر فإن الترتيب والتشكيل القتالي يطلق عليه «الترتيب القتالي».

إن النظام المتبع في الجيشين المملوكي والمغولي هو ترتيب القتال ونظام الصفوف المنسقة في العمق، ونظام الميمنة والميسرة والقلب فكان قطز قائد الجيش في القلب وركناه في الميمنة والميسرة وهما وظيفتان يتولاهما الأمراء ويسمون بها «أمير الميمنة» و«أمير الميسرة» و«رأس الميمنة» و«رأس الميسرة»[٢٥١].

وكان المغول يطلقون على قائد القلب (قول)[٢٥٢].

إن التشكيلات القتالية هي أقرب ما تكون إلى طرق القتال أو نظام القتال وهي الاشكال والصفوف التي يتبعها قادة التشكيلات التي هي أصغر من الجيش والتي تبدأ من لواء فما فوق أو مقدم مئة وأهمها:

آ ـ الصف الواحد والمقدمان في الوسط: .

(١)

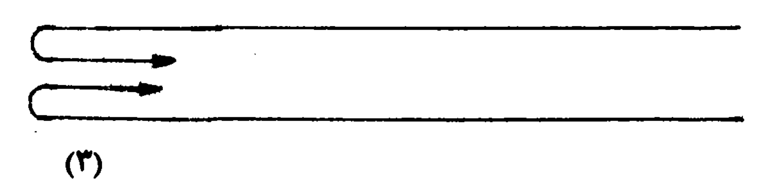
ب ـ الصف المتتابع والمقدمان في الخارج:

(٢)

(٢٥١): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٠/١٢٦، ١٤٤.

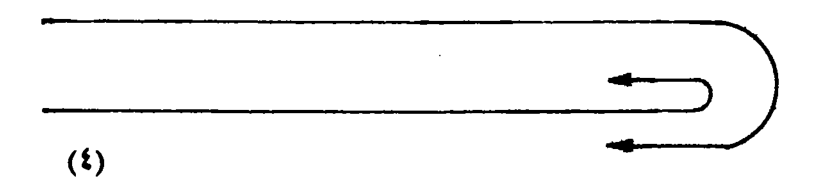
(٢٥٢): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٢٥١.

جـ ـ الصف القطاري والمقدمان في الداخل: .



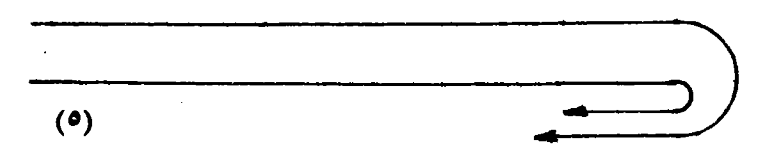
(٣)

د ـ الصف القطاري والمقدمان أحدهما في الداخل والأخر في الخارج. ثم يتغير فيصبح الداخل خارجاً والخارج داخلاً: .



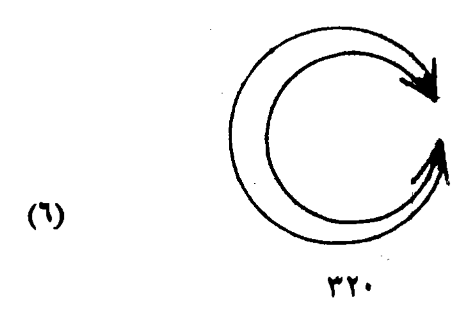
(٤)

هـ ـ الصف القطاري إلى رأس الميدان: .



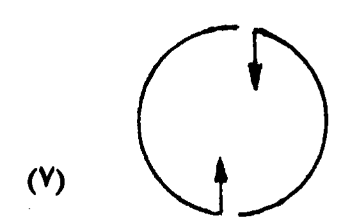
(٥)

و ـ حلقة حفظ الفارس والمقابلة بالقتال: .



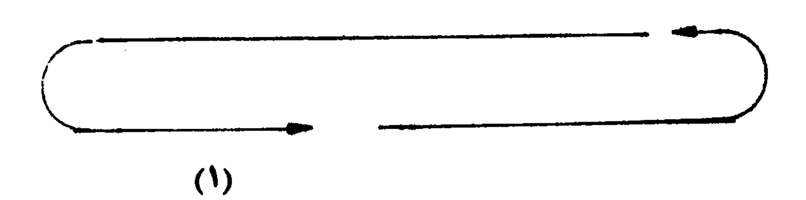
(٦)

ز ـ الحلقة والمقدمان في الوسط يطلب أحدهما الأخر:



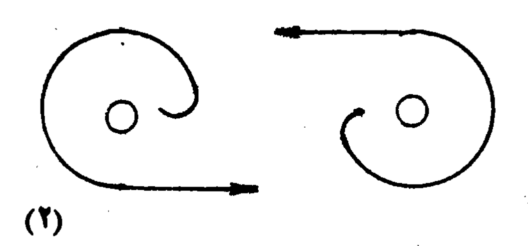
(٧)

ح ـ ترتيب الكلاب يتبع احدهما الاخر: .



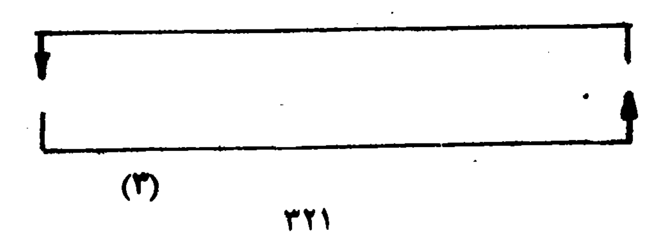
(١)

ط ـ الحلقتان المتقابلتان: .



(٢)

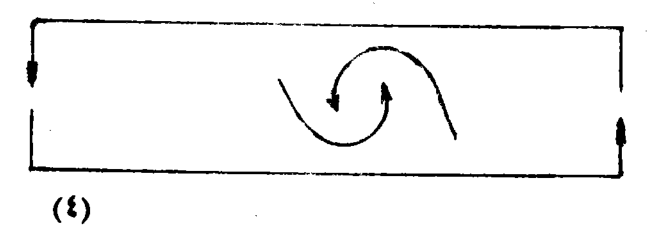
ي ـ الصفوف المتداخلة: .



(٣)

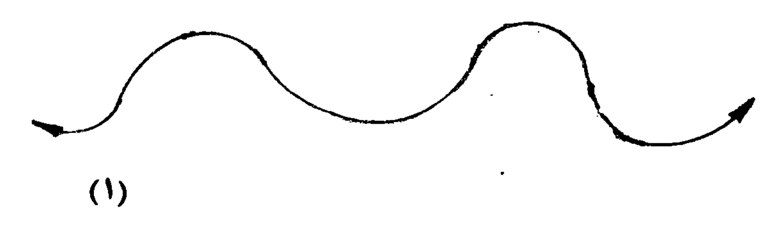
ك ـ صفوف المطاردة كالصفوف المتداخلة، إلا أنه في هذه الصفوف يتفرق كل صف وينسحب إلى الميدان: .

ل ـ صفوف المبارزة: .

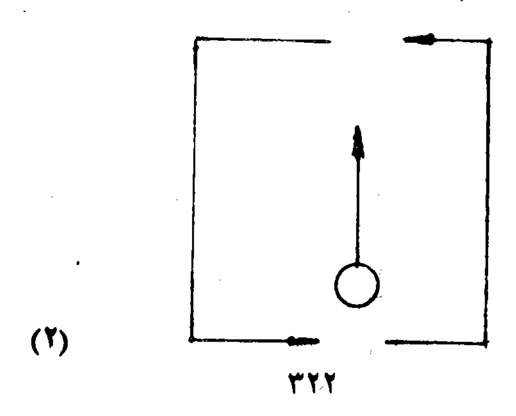

(٤)

م ـ صفوف الدخول كالصفوف المتداخلة، إلا أن صفوف الدخول في هذه الحالة تبرز إلى وسط الميدان وتخرج بأسلحتها وتتهيأ للقتال.

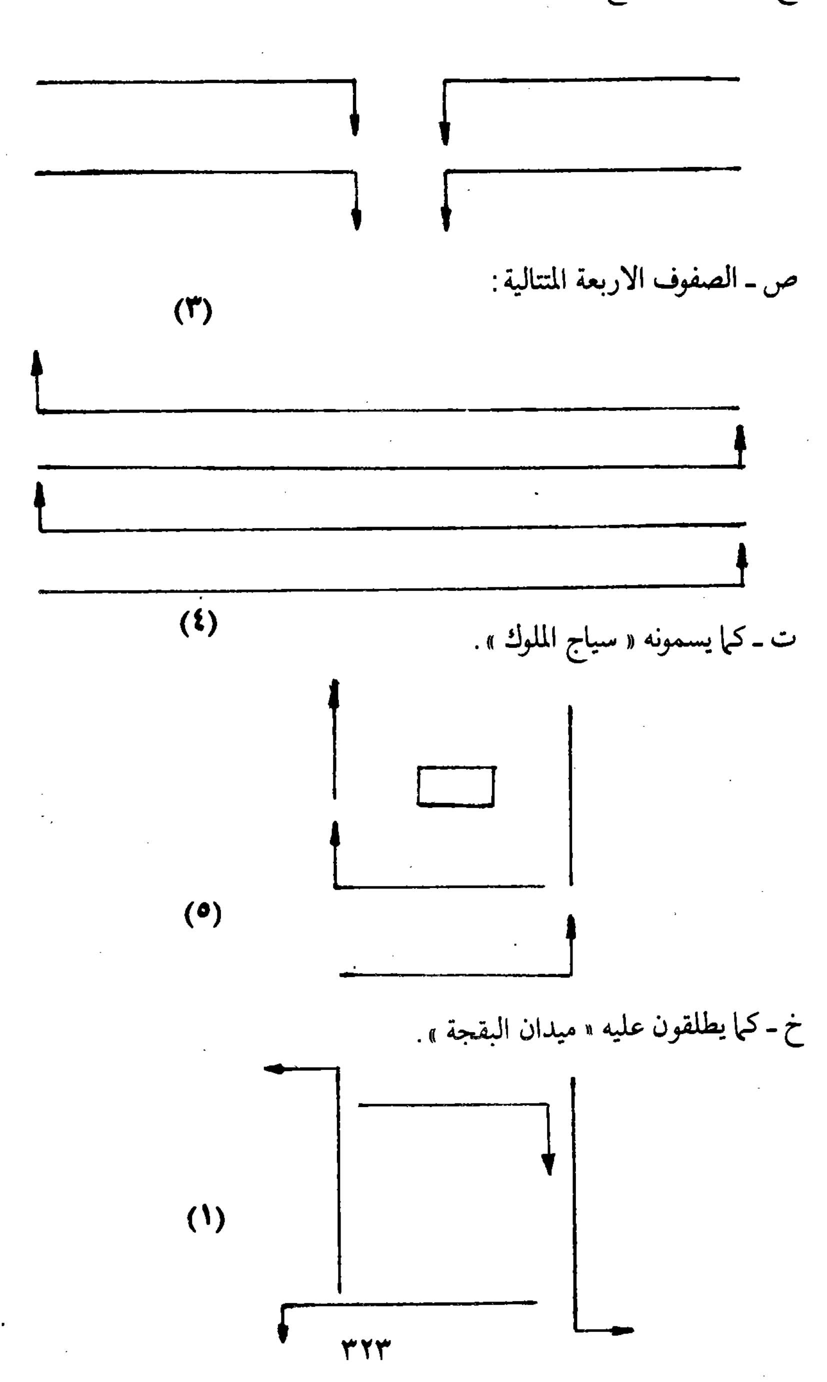
ن ـ ميدان الاصل أو « الكورد ».


(١)

س ـ البرجاس والدخول فيه: الفرسان صفان يمينا وشمالا، والبرجاس في وسط الميدان.


(٢)

ع ـ الصفوف بأربع مقدمين: .

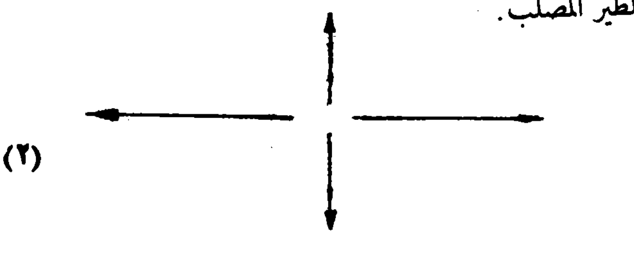


ص ـ الصفوف الاربعة المتتالية:

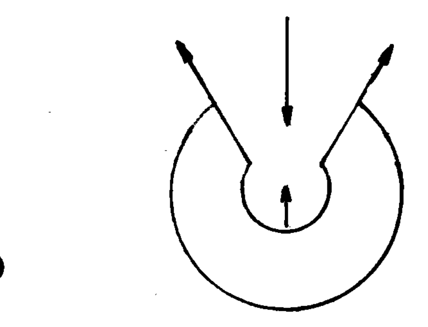
ت ـ كما يسمونه « سياج الملوك » .

خ ـ كما يطلقون عليه « ميدان البقجة » .

ذ ـ ميدان الطير المصلب.



ض ـ ميدان الأهلة.



إن تغيير صف من هذه الصفوف يتم بالتتابع. ومن الملاحظ أن هذه التشكيلات ينبغي أن تكون على جانب كبير من التدريب.

وإن أي خطأ يظهر في الانتقال من صف إلى صف يؤدي بصاحبه إلى الهلاك أو إلى الهزيمة. وبالمقابل فإن إبطال صف ما قد يربك القيادة ويؤخر تقدم المقاتلين لاخذ مكانهم في التشكيلة الواحدة.

لقد اتبع الجيش المملوكي عدة طرق في القتال. وكان ينتقي الطريقة والتشكيلة التي تتناسب مع العدو والأرض والامكانيات المتاحة فإن قدم العدو النشابة، كمن واستتر وعاجله بالخيل بعد الرشقة الأولى وإن قدم رماحة الخيل سبقه الجيش المملوكي في ذلك، وإن قدم رماحة الرجال قدم أيضا هذه الفئة متبوعة بالخيل، وإن قدم النشابة والرماحة في صف واحد، زحف إليه بخيله ورجاله.

وفي بعض الأحيان الرماحة والنشابة من الرجال ويتبعها بالخيل[٢٥٣].

(٢٥٣): الناصري: المصدر نفسه ١٩٤.

٢٢ ـ البريد الحربي:

إن المكلف بنقل البريد على الخيل يطلق عليه « البريدي » ويطلق على الذي ينقل البريد على الجمال (النجاب) والذي يشرف على بريد الحمام (البراج) إن موظفي البريد هم الذين يحملون الطرود والرسائل في حقيبة ويلبسون لباسا يعرفون به(٢٥٤).

لقد اعتنت الدولة المملوكية بالبريد، وأنشأت له ديوانا خاصا، وعينت العناصر للمحطات، وفتحت السجلات الخاصة في كل الفئات البريدية (الخيل، الجمال، الحمام) وكثرت أبراج الحمام والبراجون، وكانت لهذه الفئة دور كبير في المراسلات الحربية(٢٥٥).

البريد الحربي هو مجموعة الوثائق والصور والأخبار والاوامر والتعليمات القتالية التي ترسل بين مقرات القيادة المختلفة بوسائط الاتصال المختلفة كالسعاة والخيل والحجارات(٢٥٦).

أستخدم السعاة والحجازات في القرن الرابع الهجري، واستخدمت وسائط أخرى في الفترة التي سبقت قيام الدولة المملوكية(٢٥٧)، أما في العصر المملوكي فقد اتخذت الخيل التي تتصف بصفات خاصة لتدل على أنها واسطة نقل البريد، وكذلك الحمام على نطاق واسع(٢٥٨)، وقد نظم هذا الجهاز أحسن تنظيم إذ كان في ملاكه المقدمون والافراد والذين يعملون في نقل الرسائل الحربية، كما أنشئت محطات بين كل الاماكن التي يمكن أن يتمركز فيها الجيش المملوكي، وأوجدت فيها الاطعمة والاعلاف والراحة للمسافرين(٢٥٩).

---

(٢٥٤): ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ٣٧.

(٢٥٥): الاصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي ٣٦، ٣٦١، ويسلر: الحضارة العربية ١٣٤، ١٣٥، ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ٣٧.

Demombynes La Syrie a lepoque des Mamelouks 250.

(٢٥٦): متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أوعصر النهضة في الإسلام ٢/٤١٤، ٤١٥.

(٢٥٧): متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أوعصر النهضة في الإسلام ٢/٤١٦، هل: الحضارة العربية ٨٨.

(٢٥٨): المقريزي: الخطط ٣/٤٤، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٣/١/٢٣٧.

(٢٥٩): ابو شامة: كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ٢/٥٢٠، الدواداري: الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ١٩.

في معركة عين جالوت لم يستخدم البريد الحربي على نطاق واسع، إنما استخدم قبل المعركة حين أرسل الملك قطز برسل إلى الملك الناصر صاحب دمشق وإلى القادة الأمراء الذين فروا من مصر والتجأوا إلى الملك المغيث في الكرك حين دعاهم إلى البلاد والإشتراك في المعركة الفاصلة مع المغول، وبعد الانتصار حين أرسل القائد الاعلى للجيش ببريد إلى بلاد الشام وآخر إلى مصر، ثم إلى الاقطار الأخرى يعلمهم فيها عن انتصاراته وقضائه على الجيش المغولي(٢٦٠).

ومن الطبيعي ألا يكون البريد منظما أثناءها بصورته الصحيحة إلا فيما بعد وفي زمن الظاهر بيبرس، وهكذا فإن البريد كان يسلم إلى رجل موثوق، سريع، أمين، يوصله إلى المكان المرسل إليه، وذلك لأن الجيش المملوكي كان لايزال فتيا، ولم يخض معركة قتالية مستقلة لوحده، إلا في هذه المعركة التي خرج منها القادة بأفكار تنظيمية وخبرة قتالية، مكنتهم فيما بعد من تنظيم هذا الجيش وإنشاء مؤسساته المختلفة التي منها مؤسسة البريد الحربي(٢٦١). والتي كان أهم واسطة فيها لنقل البريد هو الحمام الذي درب تدريبا دقيقا ومتواصلا حتى غدا الحمام يصل إلى أبعد المراكز، إذ توضع البطاقة في جناح الطائر لحفظها من المطر، أو في الذنب وينقلها إلى أنحاء متفرقة من البلاد(٢٦٢).

٢٣ ـ وسائط الاتصال:

كان المماليك يستخدمون النار في اتصالاتهم، وفي نقل الأخبار عن العدو، واتجاهه وقوته وسرعة مسيره، للنار محطات مرتفعة على رؤوس الجبال، وعلى قمم التلال، وعلى مرتفعات القلاع والبنيان، إذ كانت الاخبار تنقل عن الجيش المغولي من الفرات إلى النيل في أقل من نصف يوم عبر المحطات المتتابعة التي كلف بها رجال اختصوا برموز النار في الليل، وشارات الدخان في النهار، وهناك محطة على الجبل المطل على بيسان(٢٦٣) ولا يستبعد أن تكون هذه

---

(٢٦٠): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٣٦٧، ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ١/٣٠٧.

(٢٦١): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/١٨٦، حتى تاريخ العرب ٧٦٧.

(٢٦٢): السيوطي: حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ٢/٣١٣، ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١١٧، القلقشندي: صبح الاعشى ١٤/٢٨١، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٣/١/٢٣٧، الدواداري: الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ٩/٢٥٥ وما بعدها.

(٢٦٣): Demombynes La Syrie a le poque Des Mamelouks 260

المحطة قد كشفت تحرك الجيش المغولي عندما أقترب من بيسان، وعندما توجه إلى الغرب إلى عين جالوت، ذلك أن جبل قفره يشرف على وادي بيسان وعلى أرض المعركة وعلى كل الاتجاهات. وكانت الظروف مهيأة للمراقبين والرصاد لكشف تقدم العدو، ولإعطاء أخبار مفصلة عن قوته وعتاده وأسلحته مما ساعد بلا شك الجيش المملوكي من اتخاذ الإجراءات الدفاعية المناسبة.

٢٤ ـ ميزان القوى:

إن عدد الجيش المملوكي كان يساوي ثلاثة أضعاف الجيش المغولي في هذه المعركة(٢٦٤). كما أن عدد الخيل كان أكثر بقليل ذلك أن نسبة كبيرة من العربان والمواطنين الذين اشتركوا في القتال كانوا مشاة(٢٦٥)، وإن الفرسان الاساسيين كانوا من الجيش المصري عندما تحرك من تلك البلاد. أما الأسلحة كالسيف والرمح والترس والخوذة والدرع فكانت متشابهة في كلا الجيشين، غير أن النشاب كان متقدما من الناحيتين الفنية والقتالية عند الجيش المغولي(٢٦٦)، هذا على مستوى الأسلحة الفردية الهجومية والدفاعية، أما الأسلحة الجماعية كالمنجنيق فإنه كان متفوقا في الجيش المغولي ومتقدما من الناحية التقنية(٢٦٧) الذي كان يستخدم لدك القلاع والحصون، والذي لم يستخدم في هذه المعركة إلا على مستوى ضيق. كما أن السلاح الهندسي كان متطورا عندهم. وهو من الأسلحة التي لها خبرة ميدانية في ساحات القتال المختلفة التي خاض المغول فيها معارك كثيرة، فنصبوا الجسور على الوديان والأنهار(٢٦٨). ومما يلفت النظر أن سلاح النفط

---

(٢٦٤): الهمذاني: جامع التواريخ: ٢/١/٣٠٨، ٣٠٩، القلقشندي: صبح الاعشى ٤/٤٢٣، ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/٢٢٦، الشهابي: تاريخه ٤٣٨/٤٣٩، اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٣٦٠، ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ١/٣٠٥.

(٢٦٥): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/٢٠٣، ٢٠٩، ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١٠٥، الكتبي: فوات الوفيات ١/١٦٩.

(٢٦٦): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣١٣، ٣١٤، البغدادي: الافادة والاعتبار ١٢٦، مجلة تاريخ العرب والعالم العدد ٢٨/٧٧.

(٢٦٧): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ٣٥٦ ـ ٣٥٨، ابن كثير: البداية والنهاية ١٣/٢١٩.

(٢٦٨): الشهابي: تاريخه ٤٣٧، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ٢٧٩.

والنيران عند الجيش المملوكي كان أخف حركة، وأقدر على توجيه النيران باتجاه المكان المراد حرقه(٢٦٩)، إذ استطاع هذا الجيش أن يسدد ضربة حاسمة بهذا السلاح ضد الجيش المغولي في هذه المعركة.

إن التدريب الفردي لدى الجيش المملوكي كان تدريبا قاسيا يخضع لاختبارات متعددة، كما أن التدريب الجماعي الذي تشترك فيه جميع القوى، وجميع أفراد القوات المسلحة كان تدريبا فيه مشقة وعنف واستمرارية، إذ يقضي الجنود والأمراء أغلب أوقاتهم في التدريب، كما كانت القيادة المملوكية حريصة كل الحرص لان توفر المدارس والكليات والمدربين الاخصائيين(٢٧٠)، أما التدريب في الجيش المغولي فهو تدريب خبرة وحرب لا مشاريع وبيانات كما كانت عند الجيش المملوكي وبهذا فإن خبرة الحروب الطويلة، وتجارب الجيش المغولي كانت أقوى وأفضل من تدريب خصمه، والمقاتل كان أكثر ممارسة ومعاناة.

لايخفى أن للعقيدة دورا كبيرا في القتال، ولها ثقل كبير في ميزان القوى بين القوتين المتقابلتين، فلقد كان الجيش المملوكي يحمل عقيدة يقاتل من أجلها، ويقدم إرادة القتال(٢٧١)، أما الجيش المغولي فهو لايقاتل إلا لبسط السيطرة والنفوذ(٢٧٢). وبهذا فإن الجيش المملوكي كان أقوى على مجابهة القتال، وعلى تحمل المتاعب والمصاعب، وعلى انتزاع النصر مهما كلفه ذلك من تضحيات.

تعد الحرب النفسية من الحروب التي لها تأثير كبير على مجرى القتال، فلقد كانت للجيش المغولي سمعة قتالية أرهبت العالم وجعلته يستسلم قبل أن تصل إليه القوات المغولية(٢٧٣)، بل

---

(٢٦٩): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣١٤.

David Ayalon: Gun Powder and Fire Arms in the Mamluk Kingdom: 14.

(٢٧٠): القلقشندي: صبح الاعشى: ١١/١٧٣، ابن تغري: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ١/٢٦٣، الباشا: القاهرة ٨٢.

(٢٧١): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٣٨١، ٣٨٣، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٤٣١، ٥٢٤.

(٢٧٢): البغدادي: الافادة والاعتبار ١٢٧، كرد علي: خطط الشام ١٦٧.

(٢٧٣): اسعد: بولو ١١.

إن كثيرا من الدول كانت ترتعد خوفا ورعبا. وتفر من المعركة كما تفر الحمر من القسورة(٢٧٤)، إلا أن الجيش المملوكي قابل هذه الحروب النفسية بابطالها، وتصدى لها بكل شجاعة وقوة إذ رفض الإنذار وقتل الرسل وأعلن الحرب(٢٧٥).

فالحرب النفسية قابلتها حرب نفسية، وأصاب قيادة الجيش المغولي من جراء ذلك حمى هستيرية وفقدوا توازنهم، وتصرفوا بشيء من الطيش والحمق ورأوا أنفسهم أمام جيش قد تحداهم وخرق سمعتهم التي كانوا يفاخرون بها، ويردعون الجيوش بها.

لقد كان الانضباط في الجيش المغولي قويا شديدا، لايستطيع أحد أن يخالف أوامر قادته، أو ينحرف عنها، إلا أن هذا الانضباط كان قسريا خلفه قوة كبيرة تطبقه وتفرضه على المستويات الدنيا فرضا، فمن لم يلتزم بهذا، فإن مصيره إلى العقوبات الشديدة التي كانت كثيرا ما تؤدي إلى الموت(٢٧٦).

أما الجيش المملوكي فقد كان في انضباطه بعض الخلل، إذ كانت لاتزال بعض الشحناء بين القادة وبخاصة بين قطز القائد الأعلى وبين بيبرس رئيس الاركان وقائد الطليعة، ومع هذا الخلاف فانه كان في هذا الجيش الانضباط الطوعي الذي يتجلى بالتطبيق المستند على الرضا والقبول والقناعة(٢٧٧).

إن الشؤون الإدارية في الجيش المغولي كانت تتميز بقوة القاعدة المادية، وبتوفر الاموال والعتاد ومواد التعيينات ووسائط النقل، فلقد غنم هذا الجيش الشيء الكثير في حروبه واستولى على الأموال والاعتدة الكثيرة(٢٧٨). وهو بالاضافة إلى ذلك فقد تعود على صعوبة الحياة(٢٧٩) واستفاد من الوسائط المحلية لجنوده لوسائط نقله(٢٨٠) وهو لم يحمل خلفه تموينات،

---

(٢٧٤): الصيرفي: نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ٢/٨٤، ٨٨ وما بعدها.

(٢٧٥): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣١٣، مجلة تاريخ العرب والعالم العدد ٢٨/٧٦.

(٢٧٦): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/٣١٣، ٤٥٠، القرماني: اخبار الدول وآثار الاول ٢٨٤، اسعد بولو ١١

(٢٧٧): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٥٤، ٥٥، بيشوف: حلب الشهباء ٨٠.

(٢٧٨): الصيرفي: نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ٢/٩١، كرد علي: خطط الشام ١٦٧.

(٢٧٩): اسعد: بولو ١١ وما بعدها ٧٣.

(٢٨٠): القرماني: اخبار الدول وآثار الاول ٢٨٤، اسعد: بولو ١٢.

ومـا كان يثقـل نفسـه بتلك المـواد التي تحتاج إلى كادر كبير وإلى وسائط نقل كثيرة، أما الجيش المملوكي فقـد كان يفتقـر إلى المـال وإلى القـاعـدة المـاديـة الكبـيرة التي يحتاج إليها الجيش في الحـروب، كما لم تكن لديـه الغنـائم، كما كانت فائـدتـه قليلة بالنسبـة للوسـائـط المحليـة، أما مؤخرة جيشه فقد كانت خفيفة كالجيش المغولي. وبهذا فإن الشؤون الإدارية في الجيش المغولي أقـوى وأمتن من الجيش المملوكي الـذي لجأ إلى تموين نفسـه من عكا حين مر بها وهو في طريقه إلى المعركة(٢٨١). فمن يملك قاعدة مادية متينة أقدر بطبيعة الحال على مواصلة القتال وإطالة أمده، لكن الحقيقة أن الجيش المغولي لم يكن منظما هذه القاعدة بصورتها الصحيحة، ولم يستفد منها في هذه المعركة إلا ما حضر من عتاد وأسلحة قبل دخوله القتال، أما الجيش المملوكي - مع قلة الموارد - فقد إستطاع أن يجمع من الاهالي ومن الخزينة ما مكنه من توفير الخيل و شراء السلاح(٢٨٢). كما أنه عار أهمية كبيرة إلى الامداد والتزود بما يلزم قبل دخوله المعركة.

يبدو من ميزان القوى أن الجيش المملوكي كان متفوقا بالعدد وبالخيل وبالعقيدة، وأن الجيش المغـولي كان متفـوقـا بتقنيـة بعض الأسلحـة الهجـومية، يقابله سلاح النفط والنيران في الجيش المملوكي، وكـذلـك كانت القـوات المغولية متفوقة بالعتاد الحربي، ومتانة القاعدة المادية. وفيما عدا ذلك فإن الجيشـين تسـاويا، وكانت أوضاعهما متشابهة، وسلاحهما قريبان من بعضهما فنيا وتعبويا. وتدريبهما واحدا، وإن كان هناك بعض الميزات التدريبية للجيش المغولي بما كان يحمل من تجارب حربيـة وخـبرات قتـاليـة، وإذا نسيت فلا أنسى الحـرب النفسيـة لهذا الجيش وقوة تأثيرها على خصمه، إلا أن تأثيرها كان قليلا على الجيش المملوكي الذي قابلها بحرب نفسية أبطلت قوة الخصم فيها، وأضعفت أندفاعها وانتشارها.

٢٥ - التصميم:

إن من أبرز سمات هذه المعركة أنها اتسمت بالتصميم على القتال، وأن لا رجعة إلا بالشهادة أو النصر. هذا وكانت جموع المشتركين في القتال. بعضهم قاتل حاسرا، وبعضهم إندفع كمن يطلب المـوت فهـو المحبب له ولعـل هذا التصميم آت من العقيـدة، ومن الحـذر الكبير من قوة

---

(٢٨١): ابن جبير: رحلته ٢٩٣/٢٩٦، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٤٣٠.

(٢٨٢): الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين ١٢٥، الطباخ: اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٢/٢٩٠، ٢٩١.

العـدو التي إن قدر لها أن تنتصـر، فيكون الجيش المملوكي والدولة المملوكية اثراً بعد عين ولم تقم لها قائمة أبداً، ومن الحقد الكبير نحو المغول الذين كانوا ألد أعداء البشرية، وبخاصة نحو تلك الـدولـة الفتيـة، ومن اجمـاع القـادة العسكـريين على القتال، عهدا على الثبات، فلا مفر من الزحف بهذه الاحوال وبهذه الدوافع يزداد المقاتل ضراوة وثباتا وعنادا(٢٨٣).

٢٦ ـ النصر السياسي قاد إلى نصر عسكري:

شعـر قطـز قبـل أن يستلم السلطنة بالخطر على دولة المماليك وبخاصة من قبل المغول الذين دخلوا البـلاد وأكثـروا فيهـا القتـل والعـذاب، ولابـد له ازاء هذا الخطر أن يتخذ عدة اجراءات سيـاسيـة تضمن له النصـر على اعـدائـه الذين لم يلبثوا إلا أياما معدودات أو شهور حتى يتوجه الجيش المغولي إلى أراضي الشام ومصر.

بدأ التفكـك الـداخـلي واضحـا عنـد استـلام المماليك الاتراك، إذ حكمت امرأة، ولم يوافق الخليفة في بغداد على سلطنتها، وتزوجت فيما بعد من عز الدين أيبك لتحصل على الاعتراف الخليفتي، واحتدم الصراع بينها وبين زوجها أدى إلى قتلها، واستلم الحكم علي بن أيبك وهو غير قادر على إدارة الحكم لصغر سنه. ولما كان قطز هو نائب السلطان والوصي على الصبي، وهـو يعلم أنـه قادم على معـركـة فاصلة، أراد لكي تتـاح الحـريـة السيـاسية والتصرف بالامور العسكرية والإدارية ـ أن يتخلص من السلطان الصغير ـ، فاستلم الحكم واعتقل الصبي(٢٨٤).

هذا إجراء سياسي داخلي، وهناك إجراء سياسي داخلي اتخذه هذا السلطان بعد أن استلم البلاد وهو مهم بالنسبة للمعركة القادمة. هرب بعض امراء المماليك البحرية إلى الملك المغيث صاحب الكـرك لما رأوا أنهم لايستطيعـون أن يؤثـروا على المسـيرة التي انتهجهـا قطز لاصلاح البلاد وتحضيرها، هربوا لكي يجدوا الحليف ضد هذا القائد، وحاولوا القتال وزحفوا نحو مصر في سنة ٦٥٥ / ١٢٥٧، لكن قطز تصدى لهذه المؤامرة وتغلب على الأمراء، وأوقع فيهم القتل

---

(٢٨٣): الهمـذاني: جامع التـواريـخ ٢/١/٣١٣، ابن تغـري بردي: النجـوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/٧٩، ٨٥، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: دراسات في تاريخ وآثار فلسطين ١/٢٩٧.

(٢٨٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٤/٣٧٤ وما بعدها ٧٠، ١٤، ١٩، ٢٠، ٥٥ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٣٦٨، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في اخبار من ذهب ٣/٥/٢٦٨.

وردهم على أعقـابهم(٢٨٥)، ولم يمكنهم أبـدا من العبث بأمن الـدولـة وقـدرتها وتصديها للعدو المـرتقب المغـوليـين. وظـل صامـدا يتـابع توجيه السياسة وإصلاح البلاد، وتخليصها من الفتن والاضطـرابـات وتـوحيد جبهتها الداخلية، حتى إذا اقتربت معركة عين جالوت وأزداد الخطر، رأى أنـه من المنـاسب إعادة الصفاء بينه وبين الامراء الهاربين الذين حاربوه، لتجتمع الكلمة، وليستفيـد من خبراتهم في الحـروب وفي قيـادة الجيوش(٢٨٦)، وهكذا كان الإجماع الداخلي على التصـدي للعـدو المغـولي، وتـوج هذا الإجمـاع بقـرار مجلس الحـرب وبحضور جميع الساسة في البلاد، وتحققت الوحدة الداخلية والتماس الشعبي أمام الخطر المحدق(٢٨٧).

بعـد أن استتب الـوضـع الـداخـلي، واستقـرت الامور، عكف قائد هذه البلاد على تأمين الـوضـع السيـاسي من الـوجهة الخارجية. فالمغول عدو وهو يتربص الدوائر ويتحرك نحو البلاد ليقضي على دولـة المـماليـك وعلى جيشهـا وعلى شعبها، وهو مقبل لا ينتظر ولا يمكن إعاقته أو تأخـيره، وهـو العـدو المبـاشـر الـذي سيسـارع إلى الحـرب ويبـاشرها قبل غيره من الاعداء. والصليبيـون وهم أعـداء أيضـا، لا يتـورعـون إذا سنحت لهم الفـرصـة أن يبطشـوا بالمـماليـك ويقذفوهم من وراء الحدود والأراضي، لكن هذا العدو في الوقت الحاضر لا يمكن أن يبدأ القتال وأن يبـاشـره نظـرا لعـدم استعـداده ويكره أن يقاتل إلا في الأراضي الفلسطينية وفي الشواطىء الساحلية، وهو من جهة ثانية يكره المغول، ويحب أن يراهم مهزومين.

وهناك اعداء ثانويون في الوقت الحاضر لا يشكلون خطرا كبيرا كالأرمن والاسماعيليين والروم الذين حاربهم الظاهر بيبرس بعد معركة عين جالوت واستولى على بلادهم وقلاعهم وقتل وأسر الكثير منهم(٢٨٨).

---

(٢٨٥): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/٤٥، ٤٦، ابن الوردي: تاريخه ٢/٢٨٠، عاشور: مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ١٦٦.

(٢٨٦): ابن تغـري بردي: النجـوم الـزاهـرة ٧/٥٤، ٥٥، ابن واصـل: مفـرج الكـروب في اخبار بني ايوب ٢/٣٦٤. ابن عبـد الظـاهـر: تشـريف الايـام والعصور في سيرة الملك المنصور ٢٦٤، عاشور: مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ١٦٨.

(٢٨٧): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/٢/٣١١ وما بعدها، السبكي: طبقات الشافعية ٨/٢٧٧.

(٢٨٨): ابـو الفـداء: تاريخـه ٢/٢/٣، ١٠، ١٢، ابن العـماد الحنبـلي: شذرات الـذهب في اخبـار من ذهب ٣/٥/٣٤٠، الدواداري: الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ٩/٣٩٧، ابن الوردي: تاريخه ٢/٣٨٥.

إزاء هذا الوضع الدولي، رأى قطز أن يعقد معاهدة صلح مع الصليبيين(289) الذين سيدخل الجيش المملوكي في بعض أراضيهم، وبهذا الصلح يكون قد ضمن هذا الجانب، ليتفرغ إلى الجانب المغولي وحده. فهو لا يستطيع أن يقاتل على جبهتين، وإذا قاتل فإن هذا القتال لن يكون مضمون النتائج. خرج هذا القائد بجيشه بعد أن اتخذ عدة إجراءات سياسية متتالية على الصعيدين الداخلي والخارجي، وقابل المغول في عين جالوت وانتصر عليهم(290).

استمرت الاعمال السياسية والإدارية بعد المعركة، فقد أرسل قطز رسلا إلى بعض الدول يخبرهم فيها عن انتصاره، كما أعلن ذلك على الشعب في مصر والشام(291)، وبذلك ثبت دعائم الامن والاستقرار السياسي، كما نظم البلاد من الناحية الإدارية، وعين النواب، وبسط نفوذه على كل البلاد التي كان يحتلها المغول في الشام(292).

---

(289): Runcinan: A History of The crusades Vol. III The Kingdom of Acre Book 3/ chapter 3/311.

المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٤٣٠.

(290): ابو الفداء: تاريخه ٢/١/٢١٤، المقريزي: الخطط ٣/٩٣، الاسحاقي: اخبار الاول فيمن تصرف في مصر من ارباب الدول ١٣٢.

(291): ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ١/٣٠٧، الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ١/٦٩، الجبري: عجائب الاثار في التراجم والاخبار ١/٢٩.

(292): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٨٣ وما بعدها، الكتبي: فوات الوفيات ٢/٢٦٨، عمون: تاريخ مصر ١٩٦.



معركة عين جالوت

الجيشان المملوكي والمغولي قبيل المعركة « الحالة الأولى » نظام الصفوف والدفاع المتحرك

الجيش المملوكي

حالة الهدوء والمبارزة

معركة عين جالوت

« الحالة الثانية » قوات الهجوم المغولية تضغط على قوات الإعاقة والجذب المملوكية وتحاول تدميرها.

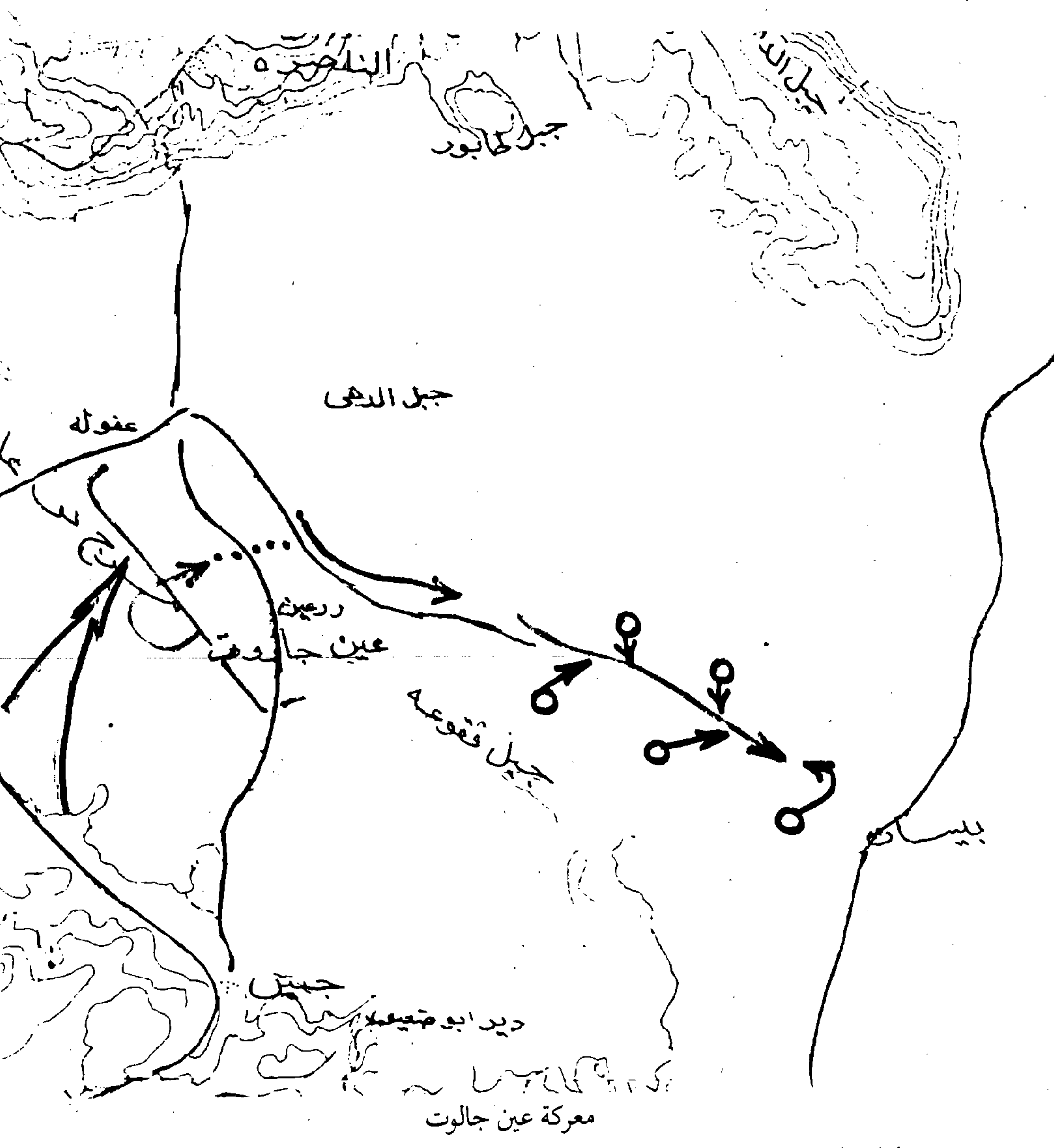


معركة عين جالوت

« الحالة الثالثة » قوات الهجوم المغولية تتقدم والقوات المملوكية تنسحب أمامها خدعة.

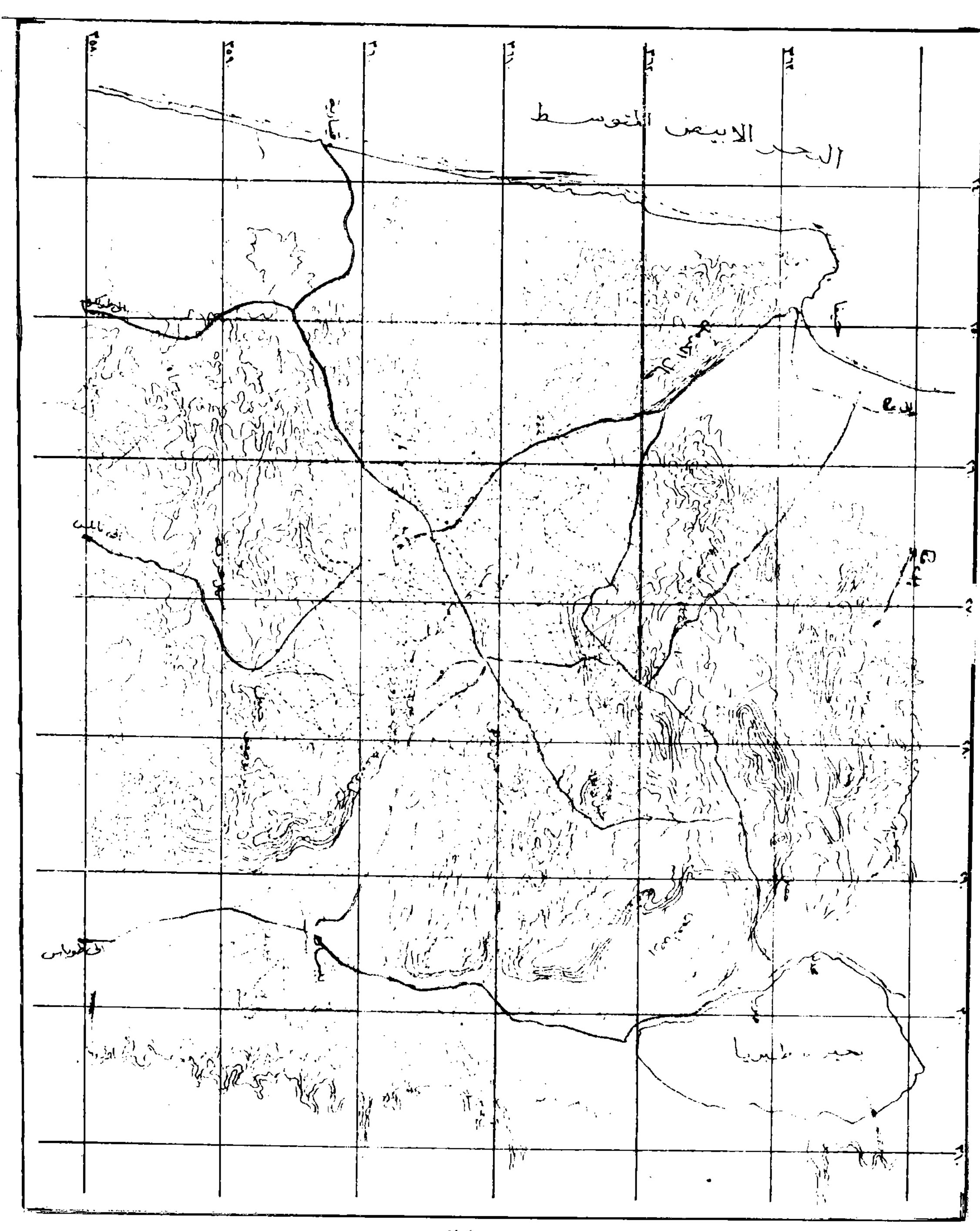
معركة عين جالوت

« الحالة الرابعة » توقف القوات المغولية المتقدمة أمام ثبات وعناد القوات المملوكية وقيام الأخير بالهجوم المعاكس والالتفاف القريب والبعيد.



معركة عين جالوت

« الحالة الخامسة » القوات المغولية تنسحب من أرض المعركة دون نظام مذعورة تلاحقها القوات المملوكية من الخلف وتكمن لها أمام طريق انسحابها بقيادة رئيس أركان الجيش بيبرس.



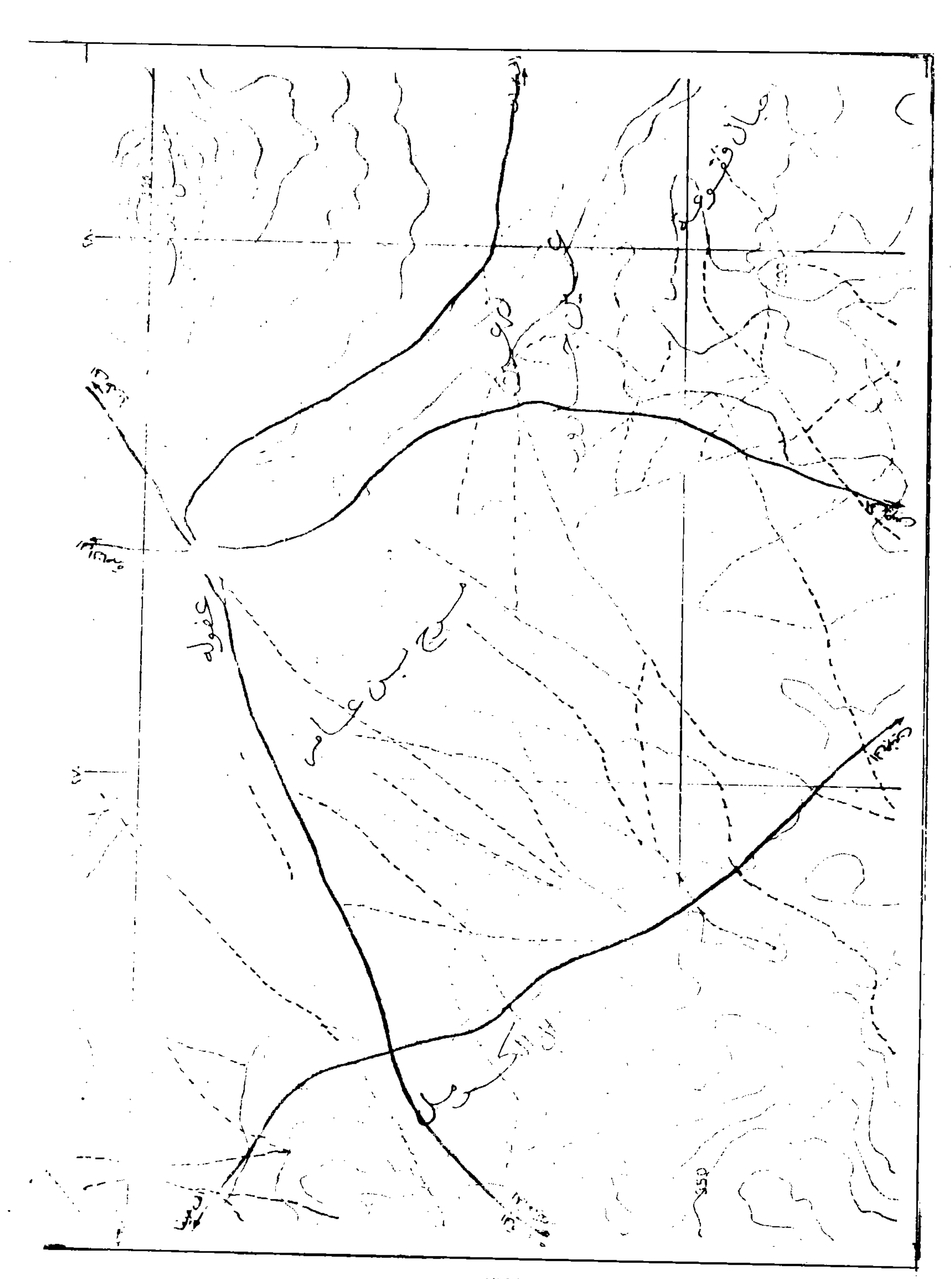
البحر الابيض المتوسط

مسرح عمليات معركة عين جالوت.

ـــــ	طريق
- - - -	مسلك مشاة
	مستنقع
٥	نبع - بئر

مقياس

1 / 500 000



أرض المعركة جغرافيا.

طريق

مسلك مشاة

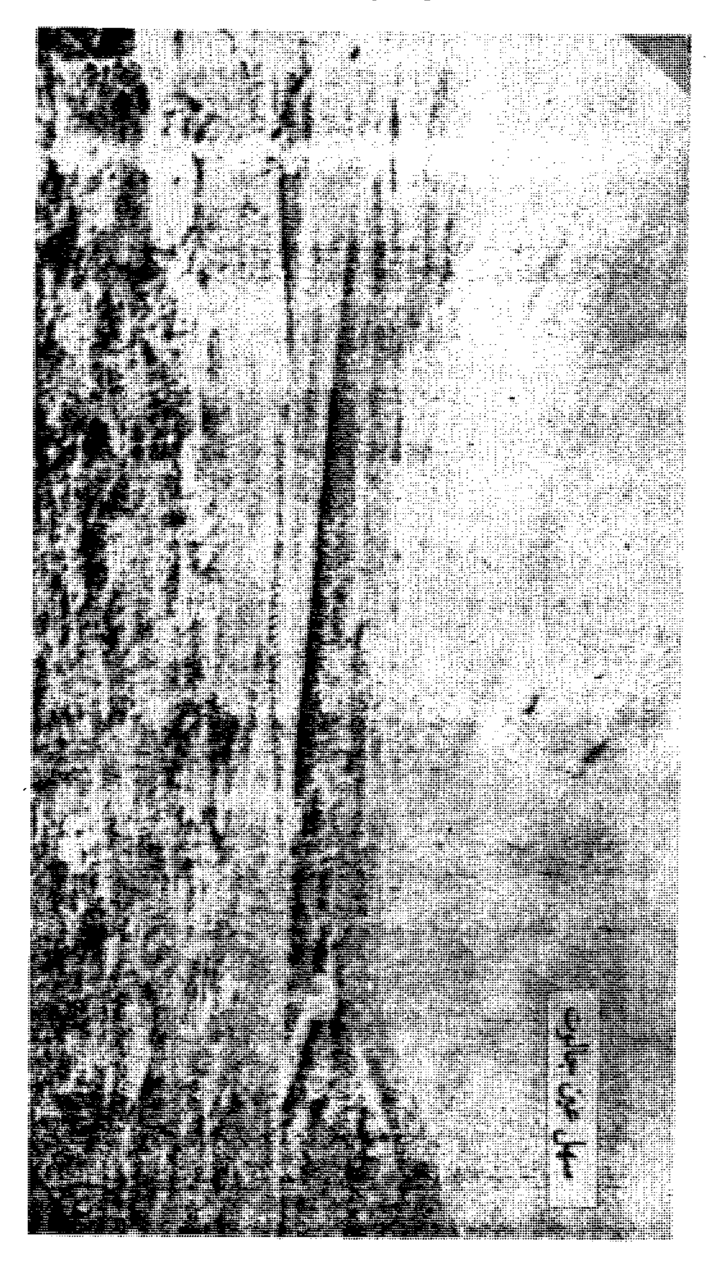
مستنقع

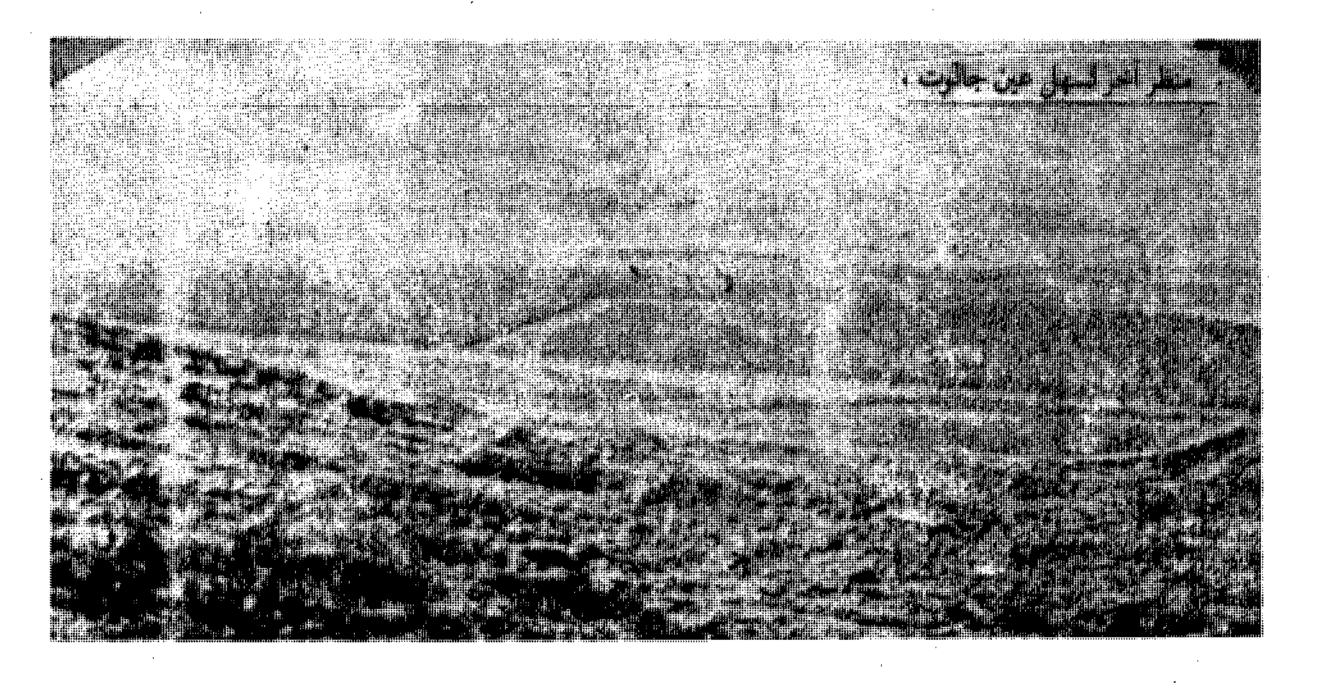
نبع - بئر

مقياس

1/75000

« أرض المعركة » طبيعياً

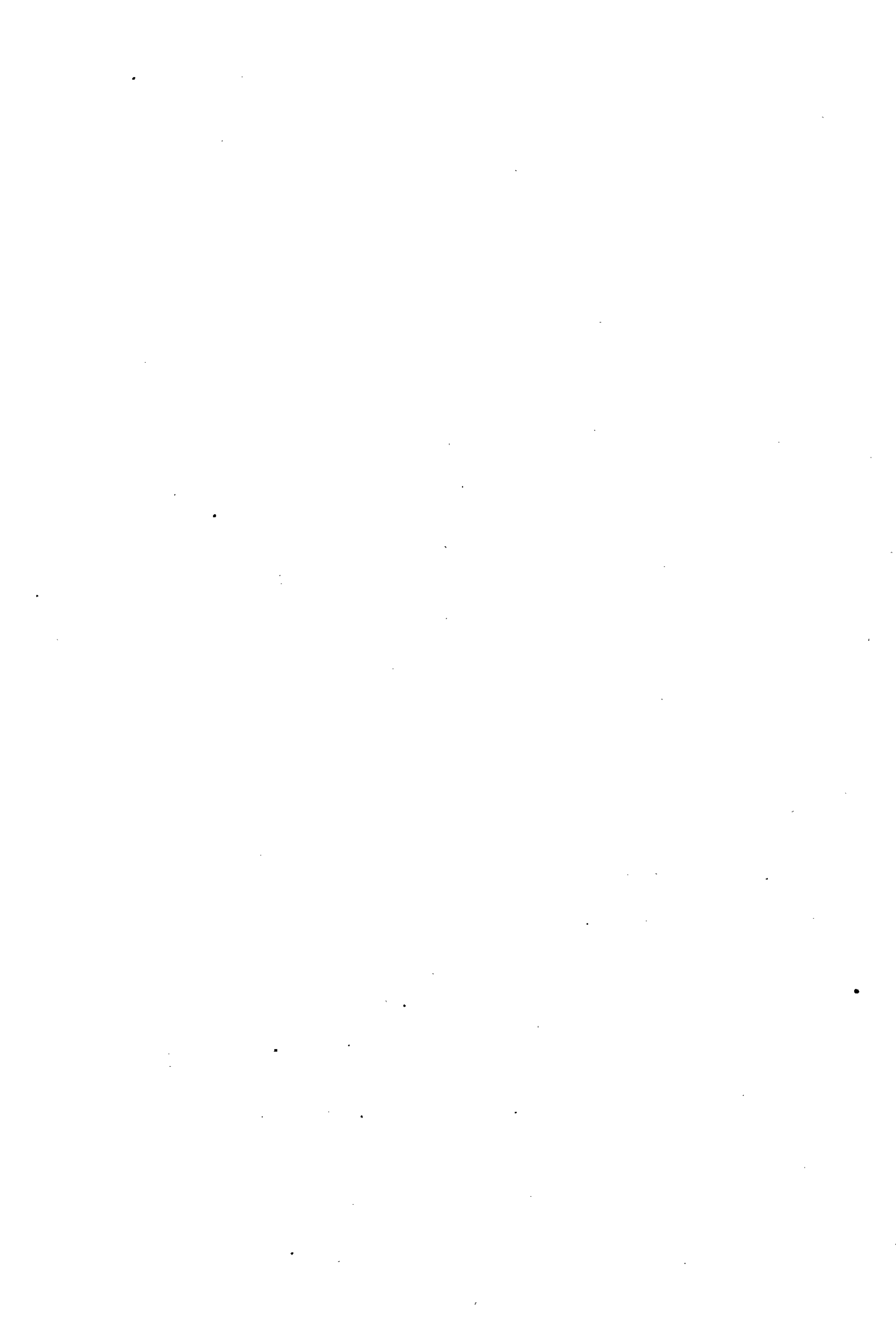




نقلاً عن أطلس التاريخ العربي لشوقي أبو خليل.



الفصل الثامن
الشؤون الاداريـــة



هي مجموع الاجهزة التي تتولى أمور التنظيم والاعداد والتأمين المادي والمالي والطبي والنقل والطعام والملابس والايواء والسكن، والشؤون الادارية لهذه الاجهزة قادرة على الامداد بجميع الوسائط المادية التي يحتاجها العسكري من أجل نجاح المعركة، ويتوقف تقدم القوات أو تأخيرها، نجاحها أو فشلها على قوة المؤخرة في كل بلد، فالاقتصاد القوي يخلق مؤخرة قوية، وبالتالي يخلق جيشا قوياً بأعتدته وسلاحه.

ولاشك أن القاعدة المادية لها دور كبير قديما وحديثا في الحروب وفي استقرار القيادة وقوة الدولة واستمرارها، وإذا ماتناست دولة ماهذه القاعدة، وأهملت العمل بها والتخطيط لنموها ووفرت الوسائط المادية لها، فإن الدولة ستموت عاجلا أو آجلا، وسيتلاشى جيشها ويصبح من أضعف الجيوش وأقلها صموداً أمام تربص الاعداء وكيد الطامعين، ولقد قامت حروب عديدة بين المماليك وأعدائهم بسبب تقوية القاعدة المادية، وتسهيل سبل التجارة ودخول الوسائط المادية المختلفة كتلك التي كانت في زمن برقوق[١]

لقد كانت القاعدة المادية عند الدولة المملوكية بين مد وجزر وكانت تتألف من الزكاة والخراج والعشور وأجور أملاك الدولة والضرائب[٢] تارة ترتفع وتتوفر الوسائط المادية، وتارة تضمحل ويسود الجوع والفقر، ويأكل الناس بعضهم بعضاً، وفي نهاية الحكم أصاب المواد الأولية نقص كبير وبخاصة الاخشاب والحديد والمواد التي تصنع منها الأسلحة، وضرب حصار اقتصادي من قبل البابا، واضطرت القيادة العامة للجيش المملوكي أن تلتمس تلك المواد الناقصة من الدولة العثمانية في أيام السلطان الغوري ووصلت بعض الامدادات إلى ميناء بولاق[٣] ولكنها كانت غير كافية، وغير مضمون استمرارها، كما أنه لم يكن لدى هذه الدولة المستودعات الكافية للتخزين، ولم يكن لديها نظام دقيق لتأمين هذه القاعدة بكل ماتحتاجه[٤] وهذا ماينعكس على

---

(١): زكي: الجيش المصري في العصر الاسلامي ١٥٠

(٢): زيادة: دمشق في عصر المماليك ٦٥

(٣): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١٥١١/٩/٧، ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ١٩٦/٤ ومابعدها، اليوزبكي: تاريخ تجارة مصر البحرية ١٢٣ ومابعدها

(٤): المقريزي: إغاثة الامة بكشف الغمة

سياسة الدولة، فقد كانت في زمن قايتباي دفاعية وبخاصة مع العثمانيين[٥].

انعدام التوازن في الجيش المملوكي فكنت ترى تركيز القاعدة المادية والهدر بين السلطان والامراء دون أن يكون للشعب منها نصيب إلا القليل وإذا كان الجيش يحتاج إلى عتاد وأسلحة عمد السلطان والامراء فاشتروا مايخصهم وقووا أنفسهم دون أن يكون هناك توازن بين القوات المسلحة بصفوفها المختلفة، وإن عدم التوازن هذا خلق تناقضات كثيرة بين الشعب والجيش، ضمن فئاته وجنسياته المختلفة، وبين الامراء أنفسهم[٦].

حقا إن الفساد كالرشوة والبراطيل خلقت شرخا كبيرا في القاعدة المادية، مما عكس ذلك على الجيش، الذي كان يتولى قيادته الامراء الذين وصلوا إلى مناصبهم عن طريق دفع المال، فوصل الضابط غير المناسب في المكان غير المناسب، وليس لهم من هم إلا جمع المال بأية طريقة كانت، فكان الظلم، وكانت الضرائب الكثيرة التي كانت تؤخذ من كل فئات الشعب على اختلاف وظائفهم وأعمالهم[٧].

١) ـ التحضير المادي:

ترى هل هيأت القيادة المملوكية قبل معركة عين جالوت سبل التأمين المادي، وهل فكر قطز بجمع المال وتحضير العتاد والأسلحة؟ هذا أمر طبيعي أن يفكر القادة قبل قدومهم على معركة ما أوحرب ما بالتأمين الاداري، إن سبب قلة الوسائط المادية والمجاعات التي يتعرض لها الجنود والشعب على السواء هي تلك القيادة التي نسيت أن هذا التأمين هوكل شيء في المعارك الحربية، فإذا أهملت تلك الناحية فإنها تعود بالخسران والضياع، وتؤدي حتما إلى الجرائم والانكسارات فلقد نسي القادة المماليك دورهم ولم يستوعبوا المسائل القيادية في التأمين الاداري، في حين أن مصر وحدها تعتبر من القواعد المادية الغنية في العالم وبخاصة في الزراعة والمواد الغذائية[٨] لقد حضر قطز لهذه المعركة، فجمع الأموال، واشترى السلاح والخيل وأعد

---

(٥): عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ٢٥٣، زكي: الجيش المصري في العصر الاسلامي ١٩٣ ومابعدها

(٦): المقريزي: إغاثة الامة بكشف الغمة ٣٦ ومابعدها. مبارك: الخطط التوفيقية ١/١٤٠

(٧): المقريزي: إغاثة الامة بكشف الغمة ٣٧، ٤٣ ومابعدها ٧٠

(٨): ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ٥٤، ٦٧، ١٢١، ١٨٥، السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ٢/٤٠١ ومابعدها، النويري الاسكندراني: الالمام بالاعلام فيما جرت به

الأعتـدة الـلازمـة[٩] غير أنـه لم تكن هنـاك احتيـاطـات مادية كافية مخزنة في مستودعات القيادة العـامـة، وإن مثـل هذا التحضير يحتاج إلى مدة طويلة كأن تكون الزراعة مزدهرة وذلك بزيادة مسـاحـة الاراضي وإنشـاء السـدود والأقنيـة، وأن تتخذ الاحتياطات ضد الكوارث والحوادث الطبيعية، وأن تكون الصناعة كذلك، وإذا فرض قطز أن يكون مستعداً فما عليه إلا أن يستفيد من الموارد المتاحة في مصر فينظمها ويقننها، ويفرض الضرائب اللازمة إذا لزم الأمر[١٠].

٢) ـ مؤخرة القوات المسلحة:

لايـوجـد مؤخـرة بالمعنى الصحيح لمفهوم اليوم، وإنما كانت بعض المصالح التي تتولى تأمين الطعام والملابس والذخيرة والاسلحة والخدمة الطبية والنقل، وكان المفهوم السائد لدى القيادة العامة أن المؤخرة يجب أن تكون خفيفة لايعيقها عن الحركة والمناورة الذيل الاداري الكبير وأن تكـون من المـواد الضـرورية والمفيدة للجندي أثناء القتال، وأن تعتمد على الذات يقوم بأغلب الأعـمال المقـاتـل فلا يحتاج غيره إلا عند الضرورة، وأن تركز على الوسائط المادية المحلية، وأن تقيم محطـات إداريـة على طول الطـريق تتـوفـر في هذه المحطـات جميـع مايحتـاجـه العسكري وبخـاصـة من مواد الطعـام والشراب، وأن يخصص للمقاتل راتبا يؤمن به مايحتاجه، من جميع الوسائط المادية وأن تخزن المواد الضرورية لدى الامراء وفي أمكنة التمركز، وفي القلاع والحصون وهـذه المخـزونـات عادة ماتكـون من المواد المجففة والتي تتحمل فترة طويلة كل ذلك من أجل التخفيف عن كاهل الجيش والمقاتل على السواء[١١]

٣) ـ محاور الامداد والاخلاء:

هي تلك المحـاور التي كان يتحـرك عليهـا الجيش المملوكي إلى كل الاتجاهات، وقد فصلنا هذه المحاور عندما قمنا بدراسة لمسرح العمليات في الفصل الثاني، وإنه من المناسب أن أعرج على بعض المحـاور الـداخلية في مصر، والدولية التي تمتد عبر الاراضي السورية أو الفلسطينية لتصـل إلى معـركـة عين جالوت وإذا كانت المؤخرة تشكل الرتل الأخير عند تحرك الجيش فإنها

الاحام والامور المقضية في وقعة الاسكندرية ٥، ٦، ٨، البغداي: الافادة والاعتبار ١٩ ومابعدها

(٩): الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولادة والسلاطين ١٢٥

(١٠): ابن مماتي: قوانين الدواوين ٢٨، ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ١٥٩، ١٧٨، ابن تغري: النجوم الزاهرة ١٧، ٧٢ ومابعدها.

(١١): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٦٢٨/٢/١

كانت تحمل بعض المؤن والعلف، ولاتعود هذه المؤخرة إلى القاعدة الامدادية في مصر لتتزود ثانية وتنقل الامدادات منها وإنما كانت تتمون لأول مرة ثم تتمون في طريقها من المحطات المتوفرة على الطرق، وكما تمونت هذه المؤخرة بشكل كامل من عكا[١٢] قبل بدء المعركة وأهم هذه المحاور هو المحور الساحلي حتى يصل إلى غزة الذي سلكه الجيش المملوكي في طريقه إلى عين جالوت والمحور البري الذي يصل مصر بدمشق والذي يمر بالعريش وغزة والمحور البحري الذي لم يستخدم في هذه المعركة وهو ثغر دمياط صيدا ـ بيروت، وهناك المحور البحري البري الذي كان ينقل عليه الامداد وبخاصة الثلج من سوريا إلى مصر حيث يصل المحور الساحلي إلى ثغر دمياط ثم إلى النيل (حيث تنقل البضائع من مراكب البحر إلى مراكب النهر) ويصل بولاق حيث ينقل الامداد على ظهور البغال إلى مستودعات التخزين) من عين جالوت تتفرع عدة محاور داخلية عرضانية وطولانية أشهرها ذلك المحور الذي يتجه إلى حطين وإلى بيسان، ومن مصر القاعدة الامدادية يتفرع أيضا عدة محاور أشهرها تلك التي تنطلق من القلعة في مصر إلى الريدانية وإلى غيرها من الجهات إلى ثغر الاسكندرية ودمياط ومنها إلى الفرات[١٣].

٤) ـ الطعام والمياه:

كان يطلق على مصلحة الاطعام في عصر المماليك «الاقامات» وهي كل المواد والعتاد الذي يخص المقاتل وكل المواد التي تلزم الوسائط في النقل من العلف[١٤]. (ويطلق عليها في الوقت الحاضر التعيينات).

يتولى أمور الطعام من تأمين ونقل وحفظ وتخزين واستلام وتسليم جهاز مؤلف من عدد من العناصر ومن الوظائف التي كانت في هذا الجهاز «الخوان سلار»[١٥] و«المرقدار»[١٦] و«المهتار»[١٧]

---

(١٢): المقريزي: المصدر نفسه ١/٢/٦٣٠ ومابعدها.

(١٣): ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك: ١١٨

(١٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ١٢/٢١٠، ٣١٨

(١٥): الخوان سلار: لفظ معرب فارسي مركب من الخوان وهو الذي يوضع الطعام عليه من مشمع أوطاولة أو نحوهما، وسلار فارسي ومعناه المقدم، فيكون المعنى مقدم الخوان، وهو لقب رئيس الطباخين في المطبخ السلطاني انظر: القلقشندي: صبح الاعشى ٥/٤٧١، ستيجانس: المعجم الفارسي الانكليزي ٤٨٠، ٦٩٢

(١٦): المرقدار: وظيفة الخدمة في المطبخ وتأمين الطعام وحفظه وتقديمه، انظر القلقشندي: صبح الاعشى ٥/٤٧٠

و «الساقي»[18] وغيرها.

كثرت المطابخ في العصر المملوكي، فقد كانت للسلطان عدة مطابخ كما أن للامراء كذلك لكي يطعموا المماليك الذين تحت امرتهم فالجندي في الجيش المملوكي كان مطعما طالما هو في القلعة وأثناء السلم، ويتناول طعامه في تلك المطابخ التي خصصت لهذه الغاية. وحين تدق طبول الحرب (الكوسات) كان السلطان يمنح المقاتلين المبالغ اللازمة، النقود ويصرف لهم الطعام الناشف والعليق لخيولهم ودوابهم، وكان عدد المطابخ يزيد عن ستين في جيش مصر وحدها وأشهرها اليسيري، والأمير سيف الدين اكديمي، والامير فارس الدين اقطاي، والذخيرة، ومطبخ سيف الدين زيني[19] أما أنواع الاطعمة التي كانت تحضر في هذه المطابخ فهي متنوعة وكثيرة إذ زاد الترف من التفنن بها زاد البطر من زيادة النفقة عليها والاسراف في تحملها الشيء الكثير . . . فقد كانت المطابخ لاتنطفىء أبدا وكان القائمون عليها يواصلون الليل بالنهار بنوبات كما زادت أنواع الاطعمة عن ستين وكان أهمها: السفرجلية والرمانية والمسكية والرومية والمكمور والحصرمية والسماقية والملوخية والبصما والقرنفلية والمطوقة وغيرها[20]، وكان لهذه المطابخ أطقم كاملة من الاختصاصيين والمواد والعتاد[21]، كما كان يصرف فيها المال الكثير، فلقد بلغت نفقة أحد المطابخ فوق العشرين ألف درهم[22]، وكذلك فإن الاشربة كانت كثيرة أهمها أشربة الفواكه والسكر وشراب الزبيب الذي كان يدعى «التمر بغاوي»[23] وشراب «المزر الابيض»[24] المصنوع من القمح وهو كالبيرة في الوقت الحاضر وهو

---

(١٧): المهتار: لفظ فارسي مركب من مه وهو الكبير وتار بمعنى أفعل التفضيل فيكون المعنى المهتار الاكبر وهو لقب كل من يعمل في البيوت كمهتار الشراب خاناه. ومهتار الطرق خاناه. انظر القلقشندي: صبح الاعشى ٥/٤٧٠، ستيجاس: المعجم الفارسي الانكليزي ٢٧٤، ١٨٥٠

(١٨): الساقي (السقاة) الذي يتولى سقي الماء وشراب التمر، ورئيسهم يدعى (شاد الشراب) انظر ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١١/٥٨

(١٩): ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١١٥، ابن دقماه: الانتصار لواسطة عقد الامصار ١/٤١ ومابعدها

(٢٠): ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١٠٢٥

(٢١): ابن مماتي: قوانين الدواوين ١٩

(٢٢): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٤٦٣

(٢٣): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢/٦٢

شراب العامة والجند وشراب «القمز»[٢٥] نبيذ يصنع من لبن الخيل وكان بيبرس قائد طليعة الجيش إلى معركة عين جالوت يحب هذا النوع من الشراب.

التعيين العملياتي «وهو التعيين الذي يرافق الجندي أثناء القتال وفي التحرك» يتألف من «البقسماط»[٢٦] وهو عبارة عن خبز مجفف مثل التوست في الوقت الحاضر. وهذا النوع من الخبز استخدمه الجيش الايوبي قبل الجيش المملوكي في حروبه مع أعدائه[٢٧] واللحم المقدد[٢٨] الذي يوضع في مخلاة من جلد يضعها المقاتل في حزامه على جانبه الايمن. يعوض التعيين العملياتي أو يجدد بعد استهلاكه من المحطات الادارية أو من الوسائط المحلية المتوفرة، وإن المقاتل المملوكي كان يملك مثل هذاالتعيين في أثناء تحركه إلى القتال في معركة عين جالوت[٢٩] ولايتقيد الجندي في عدد التعينات كما تفعل الجيوش الحديثة اليوم وإنما كانت تحسب هاتين المادتين بكميات وبأعداد وبأوزان تختلف بها الواحدة عن الآخرى ويتناولها كوجبة (وجبات عند الحاجة والضرورة: أما في الجيش المغولي فإنه يركز على اللحوم بأنواعها، وكذلك على الحليب من الفرس، وكذلك الارز الذي يكثر في بلادهم فهم يتزودون به اثناء القتال ويأكلونه منقوعا أو مسلوقا. ويأكلون أيضا لحوم الصيد على اختلافه ولحوم الكلاب والفئران والسباع[٣٠] كذلك كانوا يأكلون لحوم الخيل، وإذا احتاج المقاتل لقطعة من اللحم استخرجها من تحت السرج وأكلها، وإذا لم يتوفر معه من اللحم والارز عمد إلى ضرع الخيل فرضع منه، وعادة مايخمرون لبن الخيل ويصطحبونه معهم كشراب ويطلقون علهي «القمز»[٣١] وهو نفس الشراب المستخدم

---

(٢٤): الحجازي وزملاؤه: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ٣١

(٢٥): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/١٧٥، ١٧٧، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٧٠٧، ٦٣٥، ابن بطوطة: رحلته: ١/٣٦٥، الصقاعي: وفيات الاعيان ٥١ Lone - Poole: A History of Egypt. P . 273

(٢٦): البقسماط خبز يابس معروف، انظر ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٩/٦٣، الكلداني: الالفاظ الفارسية المعربة ٢٥

(٢٧): ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ١٦٨

(٢٨): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٦٨

(٢٩): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٦٨

(٣٠): القرماني: اخبار الدول وآثار الأول ٢٨٤، أسعد: بولو ١٢

(٣١): القرماني: أخبار الدول وآثار الأول ٢٨٣

في الجيش المملوكي كما كان المقاتل المغولي يتزود بالدقيق ويقربة النبيذ[٣٢].

يتناول المقاتل المملوكي طعامه مجانا على حساب الدولة مهما كانت رتبته من الجندي وحتى الامير إذ يخصص لكل واحد منهم وحسب رتبته يوميا المواد الناشفة والغضة من اللحم والزيت والخبز وغير ذلك من المأكولات كما يجدد لخيلهم الشعير والعليق وماشابه ذلك[٣٣]، كما أن هناك منحاً طعامية مشابهة في المناسبات والاعياد وشهر رمضان وفي نهاية التدريب الناجح. وفي بدء العمليات الحربية، والنجاح في المعارك وغير ذلك[٣٤].

يجري تفقد الطعام من قبل القادة والمسؤولين، ويحظر على كل مقاتل أن يخرج للقتال بدون طعام، يتأكد القائد أثناء التفتيشات على الطعام من الكمية والنوعية ويأخذ بمقترحات العسكريين في تحسين وتطوير الكمية والنوعية معا، حتى إن القائد الاعلى كان يقوم بنفسه بهذه التفتيشات المفاجئة[٣٥].

إن الطعام وأنواع المواد كانت متوفرة في أسواق ومدن مصر وفي الشام وكذلك في النيابات الاخرى، وبخاصة لحوم الدجاج ومن الاطعمة ماتكون جاهزة لاتحتاج إلى تحضير، وبالطبع فإنها تسهل على المسؤولين، إدارة الطعام وتحصيل هذه المواد بكل يسر، وعلى الطعام الجاهز بكل أنواعه وأصنافه[٣٦].

تحرك الجيش المملوكي من مصر، وكان تتوفر في طريق مسيره المؤن والوسائط المحلية والمياه إذ كانت فلسطين معروفة بكثرة خيراتها ومزروعاتها وفواكهها وكثرة سكانها، وكان قادة هذا الجيش يؤكدون المسير على هذا الطريق نظر لتوفر الاحتياجات المادية، كان الجيش ينزل في كل محطة فيستريح بها ويعيد ملء أوعيته، ويتزود بالمؤن والعلف ويترك لخيله ووسائط نقله الفرصة للرعي وللشرب من تلك المناطق الخصبة[٣٧] فإذا دققنا النظر في المدن الساحلية التي كانت تشكل محطات إدارية على طول تحرك الجيش المملوكي مثل عكا، صور، عسقلان، قيسارية

---

(٣٢): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٢٣٥

(٣٣): المقريزي: الخطط ٣/٥٣

(٣٤): المقريزي: الخطط ٣/٥٤، مبارك: الخطط التوفيقية ١/١٣٤

(٣٥): المقريزي: الخطط ٣/٤٨ ومابعدها.

(٣٦): أبو البقاء: نزهة الانام في محاسن الشام ١٠٤ ومابعدها.

(٣٧): ابن بطوطة: رحلته ٢٩٧، العبري: تاريخ مختصر الدول ٢٧٩، العريني: المغول ٢٥٩

لوجدنا في سهولها وأراضيها الشيء الكثير من مصادر الامداد التي تحتاجها الجيوش[٣٨]، كما أن الايوبيين والمماليك أكثروا من بناء الخانات التي كانت عبارة عن محطات يستريح فيها المقاتل ويأكل ويشرب ويتزود ثم ينتقل إلى الخان الذي بعده[٣٩].

أدوات الطعام كانت كثيرة أهمها «القدر»[٤٠] وعادة ماتكون مصنوعة من النحاس ويدل كبرها على كرم وعظم مستخدمها، كما تطعم الرجال المقاتلين في الفصائل والسرايا، و «الاثافي»[٤١] وهي الالة المثلثة التي تعلق عليها القدر عند الطبخ وتكون من حديد، و «حياض الماء»[٤٢] وهي من جلد تستخدم لسقي الدواب ووسائط النقل أثناء التحرك.

كلما: اضطربت البلاد داخليا: أو حدث شيء يستدعي وجود مواد تموينية كان السلطان أو الامراء يخزنون بعض الاطعمة في قلاعهم أو في أمكنتهم التي يدافعون عنها، وأكثر مايكون التخزين من الخبز المجفف والقمح والشعير والدقيق[٤٣].

إن عليق الجمال وعلف الدواب كان مستأثراًاهتمام قادة الجيش المملوكي ولذا فإن هذه الكميات الكبيرة المخصصة لعليق الجمال والدواب كانت تحتاج إلى وسائط نقل كبيرة وأغلب العليق يكون من الفول والشعير[٤٤]، وفي الاحوال العادية وأثناء السلم وفترات الهدوء، وعند الاستراحات في المسير والتحرك كان الجيشان المملوكي والمغولي يرعون إبلهم وخيلهم في المروج الكبيرة كمرج ابن عامر الذي حطت فيها رحال الجيشين قبل اللقاء الاخير كما كان الجيشان ينقلان العلف من أماكن بعيدة[٤٥].

---

(٣٨): المقدسي: صور التقاسيم في معرفة الاقاليم ١٦٣، خسرو: سفرنامة ١٥، ١٨، البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع ١/٣٦٨، ابن بطوطة: رحلته ١/٨١، القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد ١/١٤٧

(٣٩): ابن تغري: النجوم الزاهرة ١٠/١١٠

(٤٠): القلقشندي: صبح الاعشى ٢/١٣١

(٤١): القلقشندي: صبح الاعشى ٢/١٣١

(٤٢): القلقشندي: صبح الاعشى ٢/١٣٢

(٤٣): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٢/٢/٥٢٢

(٤٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٨/١٢٢، ١١/٢٨٧، ٢٨٨، ١٢/١٠٧

(٤٥): ابن الفرات: تاريخه ٧/٨٠، الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٢٥٣

إن التـزود بالميـاه شيء ضروري في الجيش المملوكي عنـد تحركـه فهـو يملأ القـرب الكبيرة والأوعية الأخرى كما كانت تحفر الابار مقدما على طول طريق التحرك(٤٦) والمياه مادة استراتيجية يلجأ القادة إلى قطعها عن الجيش الخصم، أويدس السم فيها، أويستولي عليها ويمنع أحدهما الآخر عن الاقتراب من الماء وهذا مافعلاه قطز وبيبرس في معركة عين جالوت وكذلك في المعارك الاخرى السابقة واللاحقة(٤٧).

٥) ـ الوسائط المحلية:

هي كل المـواد والاعتـدة المحليـة المتوفرة في تلك المنطقة التي تمركز فيها الجيش وتشتمل على جميع الانواع والاصناف القتالية والادارية من أسلحة وذخائر ومن طعام وملابس وغيرها،

عنـدمـا وصـل الجيش المملوكمي إلى عكـا في طريقـه إلى عين جالـوت استفـاد من العتـاد والطعام والمياه والحاجيات الاخرى التي كانت متوفرة والتي كان يقدمها الفرنج ويسهلون وصولها الى هذا الجيش ولما كانت عكا قاعدة امدادية(٤٨) فقد هيأت للجيش المملوكي استعواض جميع المـواد التي استهلكهـا أثنـاء تحركـه من مصر وحتى وصوله إلى هذه المنطقة وأن يسعف مرضاه. يضـاف إلى ذلـك أن السكـان المحليـين قدمـوا الاحتيـاجات والوسائط المادية بسخاء(٤٩) وهذه الوسائط ساعدت هذا الجيش ـ على الأقل ـ في التفكير بأمد المعركة وابتعاد عن شح النقص في هذه الوسائط أو نفاذها أما الجيش المغولي فكان يعتمد اعتمادا كبيرا على المواد المتوفرة التي كانت معه كالغنم والبقر والخيل والمال. إذا جاعوا أكلوا من لحوم هذه الحيوانات وإذا عطشوا شربوا من اليـنـابيـع والانهـار الموجودة في تلك الاراضي، وكذلك فإن وسائط نقلهم والخيل فإنها ترعى من الحشـائش والاعشـاب المحليـة التي تنبت في الاراضي التي وصلوا إليهـا أوتمركزوا فيها(٥٠) ومن

---

(٤٦): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٥٩٠

(٤٧): اليـونيني: ذيـل مرآة الـزمـان ٢/٣٣، ٣٤، كرد علي: خطـوط الشـام ٢/١١٣، تسيـترشتـين: تاريخ السلاطين المماليك ٣٠

(٤٨) Rey - Ley Colonies Franques De Syrie Aux XII(me) Et XIII(me) Siecles Phges 196.279

(٤٩): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٤٣٠

ابن جبير: رحلته ٢٩٣، العريني: المغول: ٢٥٩،

(٥٠): البغدادي: الافادة والاعتبار ١٢٦

Demombynes La Syrie De L'e poque Des Momelouks 263

الغـريب أن دوابهم اعتـادت على حفـر الاراضي بحوافرها لتأكل من جذور النباتات وهم بهذه الحـالـة لايحتـاجـون إلى امـدادات أو قواعـد ماديـة تنقـل مايحتـاجـون إليه أو إلى مستودعات يخزنـون بها تلك المـواد أو خطـوط تتـوفر فيها شروط النقل والصلاحية الفنية للمسير عليها، كما لايتعرضون إلى تأخير الامدادات أو انقطاعها أثناء العمليات الحربية(٥١)

٦) ـ اللباس:

لقـد اعتنى الجيش المملوكي باللبـاس أيما اعتناء، والتفنن في الوشي والتطريز عليها وأضاف إليهـا الاشـارات والعـلامـات التي كانت تميـز الجنـدي عن الضابط الامير، ولونها بألوان زاهية يغلب عليهـا اللون الاصفـر، وطعمهـا بالـذهب المكفت وفي الحـرب يضيف إليهـا الـدورع والاسلحة الاخرى(٥٢) وأهم هذه الالبسة:

١) ـ لباس الرأس:

يلبس الجنـدي على رأسـه طاقيـة صغـيرة من الصـوف الملون بأصفـر مضربة بالقطن بخط عريض وفوقها عمامة دكناء وكانت تدعى «الناصرية» في أيام الناصر، ثم تغير لونها إلى الصوف ذي اللون الاحمر في عهد السلطان قلاوون، ثم لما ازدادا حجمها في زمن الملك الاشرف دعيت «الطرخانية»(٥٣)، للطاقية كلاليب تعقد تحت الذقن لتثبيت لباس الرأس كانت الطاقية عند المملوكي «كلوته»(٥٤) وقد تسمى «كلفته»(٥٥) والكلاليب «كلبندة» جمع كلاليب(٥٦).

أمـا العـمامـة فهي عبـارة عن شاش من النـوع الجيـد يصنـع في الاسكنـدريـة يقـال له

---

(٥١): أسعد: ماركو بولو ١٢، الشيال: تاريخ مصر الاسلامية ٢/١٦٧

(٥٢): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/٤٩، المقريزي الخطط ٣/٥٤، ٧٥، هندي: الجيش العربي في مصر عصر الفتوحات ٤١

(٥٣): المقريزي: الخطط ٣/٥٥، الكلداني: الالفاظ الفارسية المعربة ١١١

(٥٤): ابن تغـري بردي: النجـوم الـزاهـرة ٧/٣٣٠، ابن شاهين الظاهري: زبد كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ٨١، دوزي الملابس عند العرب ٣٧٨

(٥٥): ابن تغـري: المصـدر نفسـه ١٢/٥٣، تونجي: المعجم الـدهبي ٤٧٤، السيـوطي: حق المحـاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/١١

(٥٦): المقـريـزي: الخطــط ٣/٧٥. ستينجـاس: المعجم الفـارسي الانكليـزي ١٠٩٦، تونجي: المعجم الذهبي: ٥٠٩، مبارك: الخطط التوفيقية ١/١٣٧، السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/١١١

«الاسكنداري» وهو من الحرير المنسوج بالذهب[٥٧]، لونه دخاني يلف حول «الكلوتة» كانت العمامة صغيرة في بدء تكوين الجيش ثم زيد في طولها وبولغ في تطريزها وزخرفتها ونسيجها منذ أيام دولة الاشرف شعبان بن حسين. وكان يطلق عليها تسميات كثيرة ومختلفة في كل حقبة أو في عهد كل ملك، ولقد بلغت قيمتها خمسمائة دينار عدا الحرير والغزل وطولها مائة ذارع وفيها رقعات منسوجة بالذهب[٥٨]، أما شعر الرأس فكان مضفوراً ومدلى خلف الجسم بأكياس حريرية ملونة[٥٩]، وينسب هذا الحرير إلى ديبق وهي بلد صغير في مصر وشاع استعمال الدبابيق[٦٠] والثياب «الدبيقية» وفي أيام الناصر محمد بن قلاوون حلق الجند شعورهم تأسيا بالقائد العام الذي حلق عندما حج في أواخر أيامه، وبقوا على هذه الحالة حتى زوال المماليك، وكذلك كان المماليك يلبسون «الشربوش» وهي قبة يلبسها الامراء بدلا من العمامة وقد بطل استعمالها فيما بعد[٦١].

ب ـ لباس الجسم:

يلبس المملوكي على جسمه قباء جمعها أقبية وقد اختلف في أصل هذه الكلمة فقيل أنها فارسية وقيل أنها عربية و(أنشد أبو علي القالي لأبي النجم: تمشّ الرامح في قبائه،) وقيل: أن أول من لبسه النبي سليمان بن داود[٦٢] وهو ثوب يلبس فوق الثياب وللقباء عندهم تسميات عديدة تطورت وتغيرت مع تبدل الملوك فكان يعرف ب «السلاري» أيام الملك الناصر ومحمد وب «البنلطاق» قبل ذلك وكان لونه أبيض أو مخططا بأحمر وأزرق ومرصعا بالجواهر، للقباء أكمام ضيقة مثل زي الجندي الصليبي، ثم كان القباء الاطلسي المعدني في زمن الاشرف خليل[٦٣]،

---

(٥٧): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٣٣٠، المقريزي: الخطط ٣/٧٤، الزبيدي: تاج العروس ٦/٣٤١

(٥٨): المقريزي: الخطط ٣/٥٤، ٥٥، دوزي: الملابس عند العرب ٢٣٦ ـ ٢٤٠

(٥٩): مبارك: الخطط التوفيقية ١/١٣٧، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٢/١/١٤٨

(٦٠): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٣٣١، السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/١١١

(٦١): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٣/٢٠١

(٦٢): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٣٣١، الزبيدي: تاج العروس ١٠/٢٨٦

(٦٣)المقريزي: الخطط ٣/٥٤، ٧٤، مبارك الخطط التوفيقية: ١/١٣٨، دوزي: الملابس عند العرب ٣٥٢ـ ٣٦٢

يشـد القبـاء الـذي هو على شكل معطف ويضمه على الجسم «كمر»[٦٤] وهو الحزام المفرغ من وسطه لوضع الاموال في داخله وللكمر حلق و «ابزيم»[٦٥] كما توضع الحوائص[٦٦] على خواصر الجنـدي ، وكـان لها سوق يدعى سوق «الحـوائصيـين»[٦٧] تباع فيه ، ولهم قيم متفاوتة فحوائص الاجنـاد مثـلا بأربعمائة درهم فضة ، ثم طورها الملك قلاوون فازداد سعرها ووصل إلى ثلاثمائة دينـار للامـراء والامراء الطبلخانات بمائتي دينار ولمقدمي الحلقة بمائة وخمسين دينار[٦٨] ثم صارت الحوائص فيما بعد من ذهب إذ أنعم الملك الناصر بحياصة من ذهب مرصعة بالجواهر للامير سلار[٦٩] ، ثم أضيف إليهـا حلقـات من ذهب أو معـدن مصفـح بالـذهب وهنـاك أنـواع من الحيـاصـات مصنـوعـة من الفـولاذ[٧٠] ، أمـا البند فيربط من الجهة اليمنى وهو ذو ألوان مختلفة حسب رتبة الضابط وكان السلطان (القائد الأعلى) يلبس البند الاطلسيّ الأحمر[٧١] وهناك بنود بعلبكية ملونة جميلة يربط المنديل بها[٧٢] .

أما المزودة وكان يطلق عليها «الصولق» جمع «صوالق» وهي من جلد يضعها المقاتل ويعلقها في حزامه من الجهة اليمنى[٧٣] ، كما كانوا يطلقون عليها أيضا «الجلواز»[٧٤] وكان الجنود يضعون

---

(٦٤) : المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ٣٤٢/١/٣ ، تونجي : المعجم الذهبي ٤٧٦ ، الحجاري : النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ٢٩

(٦٥) : المقـريـزي : الخطـط ٩٨/٢ ، مبـارك : الخطـوط التوفيقة ١٣٨/١ ، الحجاري : النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ٢٩

(٦٦) : السيوطي:حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ١١١/٢ ، المقريزي : الخطط ٧٦/٣ ، القلقشندي : صبح الاعشى ١٢٧/٢

(٦٧) : مبارك : الخطط التوفيقية ١٣٨/١

(٦٨) : المقريزي : الخطط ٧٤/٣

(٦٩) : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ١١/٩ ، ١٨

(٧٠) : ابن تغري بردي : المصدر نفسه ١٠١/٩ ، ٧٤/١٠

(٧١) : المقريزي : الخطط ٥٥/٣

(٧٢) : المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ٣٧٩/٢/١ ، مبارك : الخطط التوفيقية ١٣٨/١

(٧٣) : القلقشندي : صبح الاعشى ٤٠/٤ ، ١٣٣

(٧٤) : السيوطي : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ١١١/٢ ، مبارك : الخطط التوفيقية ١٣٨/١

الارغفة والفراغ وأنواع الاطعمة[٧٥] وهي تتسع لنصف «ويبة»[٧٦] أما الجعبة وهي الكنانة التي يوضع فيها النشاب والقسي وفي بعض الاحيان السيف الثاني الاحتياطي إن كان مع الفارس سيفان[٧٧] وكانوا يطلقون عليها اسم «تركاش»[٧٨]

جـ ـ لباس الرجلين:

هو الخف ويكون من جلد الفرس مبطناً بجلد ذئب، وقد اشتهر عند المقاتلين المماليك «الخف البلغاري»[٧٩] وهو من الصوف يلبس فوقه خف مبطن من الكتان ويخفف في الصيف فلا يلبس الصوف من الداخل، وقد يطلقون على الخف **«سقمان»**[٨٠] جمع «سقامين» وهو خف فوق خف، كما ويلبسون المهماز على الاخفاف وهو من حديد، ثم صار من فضة، ثم من الذهب الخالص وقد يكون بكوابح من ذهب[٨١].

وهكذا فإن لباس الجندي بالكامل قباء تتري، وفوق هذا القباء تحشد الاسلحة، وعلى الرأس الكلوتة وفي الرجلين الخف[٨٢]، ويتميز الامراء بالحياصة التي يلبسونها إذ تكون مطرزة بالذهب أو بغيره حسب رتبة الامراء[٨٣] وقد أشار إلى هذا اللباس الرحالة (هارف) عندما شاهد بعينه السلطان والمماليك من حوله بقوله: «على الرأس عمامة لفت حوله طاقية، وعلى الجسم لباس فضفاض ذو أكمام واسعة وعلى خصره كمرات بحلق وابزيم، وفي رجليه خف يقال له

---

(٧٥): تسيتر شتين: تاريخ السلاطين المماليك ٢٧

(٧٦): الويبة اثنان أو أربعة وعشرون مدا، وهذه اللفظة مولده استعملها أهل الشام ومصر وأفريقية. والمدج أمداد وهي ملء كف الانسان المعتدل إذ املاها انظر الزبيدي: تاج العروس ١/٥٠٩، ٢/٤٩٨، ٧/١٨٠، **السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/١١١.**

(٧٧): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٣٧١، ابن بطوطة رحلته: ٢/٦١٢

(٧٨): تركاش كلمة فارسية بمعنى الكنانة أو الجعبة. انظر ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٩/١٤١، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٣/٢/٨١١ ابن يحيى: تاريخ بيروت ٦٥

(٧٩): ابن بطوطة: رحلته ١/٣٩٣، **السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/١١١.**

(٨٠): مبارك: الخطط التوفيقية ١/١٣٨

(٨١): المقريزي: الخطط ٣/٥٥، Magizine Orientalia Vol. IV/363

(٨٢): المقريزي: الخطط ٣/٥٤، زكي: الجيش المصري في العصر الاسلامي ٢٠

(٨٣): القلقشندي: صبح الاعشى ٢/١٢٧

السقـمان» وهـو من الجلد البلغـاري الاسـود وفي وسطـه من الامـام سيف معلق إلى اليمين[٨٤]

د ـ لباس المراسم :

وهو «الطرز وحش» وهي كلمة مركبة وتعني الثياب التي يلبسها الامراء الخاصون وقادة الجند المقـربـون وهي على شكـل جلد الوحش، مطرزة بألوان مذهبة وهي من جوخ سندس وأطلس ذات ألـوان وأنـواع مختلفـة تتناسب مع رتب الامراء، فالاطلس الاول مثلا كان للامراء من رتبة كبـيرة والاطلس الثـاني لمن دونهم وهكـذا للرتب الاخرى[٨٥] لقد غير السلطان المنصور قلاوون تلك الالبسـة إلى ألبسـة جديـدة وعـدل كثـيراً من المهـمات التي كانت في دولة الايوبيين[٨٦] كما أضـاف الملك أشـرف على العـمامـة علامـة خضـراء لكل الاشراف منّ عائلته في جميع اراضي المملكة، وصار يعرف الشريف من هذه العلامة، وقد امتدح الشعراء تلك العلامة واثنوا على الملك الاشـرف واعتـبروا ذلك شيئا عظيما[٨٧] وأضاف أيضا إلى مقدمي المماليك السلطانية قباء أزرق مطـرزا، وإلى مقـدمي الالـوف الخـاصكيـة أقبيـة حرير فروسمور باطواق من هذا الفرو ومـزركشـة ومطـرزة، وإلى أمراء (الطلبخانات) والعشرات أقبية حرير مطرزة بفراء مختلف[٨٨]، وكـان للسلطـان تاج يلبسـه في المـواكب والمراسم والتشريفات مكان العمامة التي تلبس في الايام العادية، وللتاج جوهرة نفيسة تدعى اليتيمة زنتها سبعة دراهم وحولها جواهر أخرى دونها[٨٩].

لقد كان اللباس متقاربا ومتشابها فيما بين الملوك وبين من سبقهم من الايوبيين إلا في بعض التغييرات التي لاتبدل شيئا من شكل اللباس.

هـ ـ مهمات العسكري الفردية والجماعية :

تلك ملابسه التي تكلمنا عنها، والتي تتعلق بلباس الرأس والجسم والرجلين. وهناك مهمات

---

(٨٤): الباشا: القاهرة تاريخها فنونها، آثارها ٨٢

(٨٥): المقريزي: الخطط ٣/٧٤

(٨٦): السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/١٠٠، مبارك: الخطط التوفيقية ١/١٣٥

(٨٧): المقـريـزي: السلوك لمعـرفـة دول الملوك ٣/١/١٩٩. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٣/٦/٢٢٦، الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين ١٣٨، الجبرتي: عجائب الاثار في التراجم والاخبار ١/٣٤، ٣٥

(٨٨): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١١/٥٨

(٨٩): القلقشندي: صبح الاعشى ٣/٤٧٢

أخرى[٩٠] كما يطلقون عليها اليوم وأهمها: الخيم وهي ماكانت تصطحب في القتال وفي الانتشار وفي المعسكرات وفي السفر[٩١] وهناك خيمة تسمى «القانول» خاصة بالسلطان طول عمودها سبعون ذراعاً بأعلاه سفرة فضة تسع راوية ماء وسعتها كبيرة[٩٢] أما المغول فكانت خيمتهم من الصوف وهي تتألف من عدة عصي مربوط بعضها ببعض يغطيها القماش السميك، وهي قابلة للنشر والطي في مدة زمنية قليلة يقوم بصنعها النساء[٩٣]، أما خيمة الامبراطور وخاصة القائد الاعلى للجيش المغولي فإنها واسعة، وبابها الى الجنوب، إلى جانب هذه الخيمة الكبيرة خيمة يستقبل فيها القائد المغولي كل من أراد أن يبث إليه حديثا خاصا، أما بقية الخيم فهي موزعة ومنصوبة بصورة منظمة[٩٤].

والفوانيس: وهي تشبه فوانيس اليوم القديمة تضيء الدرب أمام الجيش المتحرك ليلا أو أمام القائد العام[٩٥]، والمشاعل: وهي آلة من حديد توقد بالحطب كالشعلات التي نشاهدها في المهرجانات توقد بالمازوت، ومهمتها كمهمة الفوانيس[٩٦].

والحزكاه: وهو بيت مصنوع من خشب كما تصنع الان البيوت المسبقة الصنع التي هي من صنع الاشغال العسكرية في الوقت الحاضر وكانت تستخدم لايواء العسكريين، وتبطن بالجوخ ونحوه، وتستخدم هذه البيوت في السفر والعمليات الحربية[٩٧].

ظهر الجيش المملوكي بكامل ألبسته الآنفة الذكر في معركة عين جالوت عند شروق الشمس ولمع السلاح الحربي واللباس القتالي وبرزت الفرسان والتقى الجيشان[٩٨].

---

(٩٠): القلشندي: صبح الاعشى ٤/٣٩، ومابعدها، ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ٤/١٧٢

(٩١): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٢٩٧، ٢٩٩، القلقشندي: صبح الاعشى ٢/١٣١

(٩٢): سميت الخيمة بهذا الاسم لان فراشا سقط منها فمات انظر القلشندي: صبح الاعشى ٣/٤٧٥

(٩٣): القلقشندي: صبح الاعشى ٣/٤٧٥

(٩٤): أسعد: بولو ١٢

(٩٥): أسعد: بولو ٥٠

(٩٦): القلشندي: صبح الاعشى ٢/١٣٠

(٩٧): القلشندي: المصدر نفسه ٢/١٣١

(٩٧): القلشندي: المصدر نفسه ٢/١٣١

(٩٨): القلقشندي: المصدر نفسه ٢/١٣١، ستينجاس: المعجم الفارسي الانكليزي ٤٥٦

٧ ـ الخدمة الطبية .

نقسم الخدمة الطبية أيام المماليك إلى طب ميداني وأهلي وطب خاص . فأما الطب الخاص فكان مقتصراً على الملوك والامراء وقادة الجند حيث كان لكل واحد منهم عدد من الاطباء الذين يشرفون على مرض الملك وحاشيته وأولاده ، ومثل هذا النوع فإن أطباءه من الاطباء الذين لهم شهرة واسعة وخبرة كبيرة ، كذلك كان العتاد والمشافي ، وإذا خرج القائد إلى القتال كان يصطحبه الطبيب الخاص به[٩٩] ، وأما الطب الأهلي فكان متطورا فيه المشافي الكثيرة ذات الاختصصات المتعددة كالجراحية والداخلية والعينية والبولية والجلدية ، ومنها الاطباء الاخصائيون[١٠٠] منهم طبيب العيون ابن حمدان الحنبلي[١٠١] وابن أبي أصيبعة الذي كان علامة في الطب وله مؤلفات كثيرة في هذا المجال أشهرها «طبقات الأطباء»[١٠٢] والشيخ أمين الدولة يعقوب بن القف وعز الدين طرخان والحكيم شمس الدين الكلي[١٠٣] ، وأما الطب الميداني فهو الذي كان يرافق الجيوش والحملات إلى مختلف الجهات لمعالجة الجنود وتضميد جراحهم والاشراف على صحة قائد الجيش أو الحملة ويكون الطبيب أثناء تمركز القوات بجانب القائد ، وعند الاشتباك تراه يحضر نفسه لاستقبال الجرحى .

وقد كان الطبيب ابن المطران مرافقا للسلطان صلاح الدين في غزواته ومسؤ ولا عن الخدمة الطبية الميدانية ، وتحت تصرفه مجموعة من الممرضين والاخصائيين يساعدونه ويعملون حسب توجيهاته وكذلك الطبيب الحافظي الذي لازم الملك المظفر قطز عند الاستيلاء على دمشق وطرد التتر منها[١٠٤] والطبيب رشيد الدين ابن أبي حليقة الذي كان طبيب الملك الظاهر بيبرس ومن قبله الملك العادل الايوبي[١٠٥] .

---

(٩٩) : Magizine Orientalia Vol. IV/ 363

العبادي : قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ٥٦ ومابعدها .

(١٠٠) : عيسى : تاريخ البيمارستانات في الاسلام ١١ ومابعدها .

(١٠١) : عيسى : تاريخ البيمارستانات في الاسلام ١٠ ، ١١ ، المؤسسة المصرية العامة ـ القاهرة في ألف عام ٢٣

(١٠٢) : الكتبي : فوات الوفيات ١/٣٧٨ ، ٢/٤٣ ، البستاني : دائرة المعارف ١/٥١١

(١٠٣) : ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٧/٢٢٩

(١٠٤) : الكتبي : فوات الوفيات ١/٣٧٨ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ٢/٣

(١٠٥) : ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ٦٥٢ ، ٦٦٩

لقد حل بالبلاد الشامية أوبئة راح ضحيتها أكثر السكان بما فيهم المقاتلون وذلك في سنة ١٢٥٨/٦٥٦ قبل معركة عين جالوت، ومع ذلك كان الجيش المصري قادرا على حسم المعركة، ولم يعتمد قطز إلا على الأقوياء والأصحاء من بلاد الشام الذين ساهموا مساهمة فعالة في القتال، وقد مات إثر هذا الوباء أناس كثيرون وشخصيات كبيرة كالصاحب بهاء بن يحيى المهلبي كاتب إنشاء الملك الصالح(١٠٦)، كانت تحدث مثل هذه الأوبئة في أوقات مختلفة يموت من جرائها آلاف الناس من البلدان التي تقع تحت الحكم المملوكي مثل دمشق، حمص، عجلون، بيت المقدس، غزة، المحلة الكبرى، الاسكندرية القاهرة(١٠٧)، قد تنتشر الامراض والاوبئة بعد المعارك الكبيرة مباشرة، والتي يحدث فيه الكثير من القتلى الذين تتفسخ أجسادهم وتنتشر روائحها(١٠٨).

أما في معركة عين جالوت فقد قتل من الطرفين أعداد كبيرة إلا أن الجيش المملوكي سارع إلى دفن الجثث بعد انتهاء القتال ولم يتركها كما تركها المغول في بغداد وغيرها من المدن التي فتحوها(١٠٩).

بلغت الخسائر الطبية وعدد القتلى في الجيش المغولي حوالي نصف الجيش، وبلغت الخسائر في الجيش المملوكي نسبة أقل لاتتجاوز ٧٪ وقد بلغت النسبة الكبيرة في الجيش المغولي عندما انهزم وانسحب من المعركة وخرجت عليه الكمائن على طريق انسحابه وأثناء المطاردة وفي كل الأحوال فإن الخسائر في اليوم الأول من المعركة كانت أقل من الأيام التي تلت(١١٠).

وسائط إخلاء المرضى والجرحى إلى المشافي الاختصاصية كانت الجمال التي تحمل «المحفة»(١١١) التي هي عبارة عن محمل أعلاه قبة وله أربعة سواعد، ساعدان من الامام وآخران من الخلف وتكون المحفة مريحة للجريح عند إخلائه لمسافات طويلة.

---

(١٠٦): ابن أبي أصيبعة: عيون الانباء من طبقات الاطباء ٥٩٠ ومابعدها، الصقاعي: وفيات الاعيان ٤٣، ٤٤، ابن الفرات: تاريخه ١١٢/٧

(١٠٧): ابن الوردي: تاريخه ٢٨٧/٢، اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١٧٤/١

(١٠٨): ابن بطوطة: رحلته ٧٤٩/٢ ومابعدها، الشهابي: تاريخه ٤٣٨

(١٠٩): ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ٣٣١، العزاوي: تاريخ العراق ٤٠/١

(١١٠): البغدادي: الافادة والاعتبار ١٣٩

٨ ـ المستودعات:

هي الأمكنة المعدة لتخزين المواد والعتاد وحفظها واستلامها وتوزيعها وتوجد هذه المستودعات فقط على مستوى القاعدة وهي مركزية، ولاتوجد مستودعات على مستوى الجيش أو مستوى التشكيلات المقاتلة، وأهمها:

آ ـ مستودعات الاسلحة: وهو مايعبر عنه «خزانة السلاح» أو «السلاح خاناه» أو «الزردخاناه»[١١٢] وفي هذا المستودع تخزن الاسلحة المختلفة من الدروع ذات الزرد والرماح والسيوف والقسي والنشاب والخوذ وجميع الأنواع الأخرى التي كانت مستخدمة آنذاك وهي على درجات من الجودة والزخرفة ونسب الذهب الداخل فيها[١١٣] وللمستودع خازن وصانع وعدد من الجنود يشرفون على صيانته وإصلاح الاسلحة وتجديدها إذا دعت الضرورة[١١٤]، وكان يطلق على أمين المستودع أو الخازن «خاناه» وعلى صانع هذه الاسلحة «الزردكاش»[١١٥] هذه المستودعات كانت موزعة في مصر لدى السلطان والامراء وقادة الجند[١١٦]، وكذلك كانت القلاع مستودعات للاسلحة والذخائر وغيرها من الوسائط المادية[١١٧].

ب ـ مستودعات الاطعام: يطلق على هذا المستودع «خزانة الطعم» أو «الحوائج خاناه» يحتوي على الارزاق الناشفة وكل مايحتاجه العسكري من سكر وحبوب وزيت وغيرها أما الارزاق الغضة فإنها تأتي وتشترى بحسب الحاجة اليومية[١١٨] وكانت مخازن الحبوب منتشرة في مصر

---

(١١١): الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين ١٢٦

(١١٢): القلقشندي: صبح الاعشى ٢/١٣٠

(١١٣): الزرد والزردية ثوب ينسج من الحديد ويلبس في الحرب وقاية من سلاح العدو وخاناه بيت السلاح انظر القلقشندي: صبح الاعشى ٤/٧٨، ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ٤/٣٢، ٨٠، التونجي: المعجم الذهبي ٢٣٣، الكلداني: الالفاظ الفارسية المعربة ٧٧

(١١٤): القلقشندي: صبح الاعشى ٣/٤٧٧، المقريزي: الخطط ١/٤٠٧، ٤١٧، ماجد: تاريخ الحضارة الاسلامية ٦٤

(١١٥): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/١١

(١١٦): انظر كتاب الانيق في المناجنيق للزردكاش، زكي: السلاح في الاسلام ٣٠

(١١٧): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٠/٦٩

(١١٨): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٠/٢٧

والولايات الأخرى التابعة ويطلق عليها «الاهراء»(١١٩).

جـ ـ مستودعات المهمات: يطلق عليها «الطشت خاناه»(١٢٠) فيها من جميع أنواع المهمات المختلفة والالبسة العسكرية والخلع والاقمشة الفاخرة(١٢١).

د ـ مستودعات المفروشات: أما أن تلحق هذه المستودعات بمستودعات المهمات كما نراها اليوم في بعض الجيوش العالمية، وأما وأن تكون مستقلة ـ عندما تحتوي على مواد كثيرة ومتعددة كما كانت في الجيش المملوكي وكان يطلق عليها «الفراش خاناه»(١٢٢) وفيها الخيم والبسط والسجاد والمفروشات الاخرى أو كانوا يسمونها «خزانة الفرش» لهذه المخازن كما لغيرها رئيس وعدة فراشين يقومون أيضا بما يترتب عليهم من أعمال الحفظ والصيانة والتسليم والاستلام(١٢٣).

هـ ـ مستودعات الرواحل: وهوماكان يعبر عنها «خزانة السروج» أو «الركاب خاناه» وتحتوي على عدة الخيل من سروج ولجم وكنابيش ومهاميز وركاب ومقارع وغيرها وهي تخص الامير والعسكري، وفيها درجات منها العادي ومنها المذهب(١٢٤)، ويلحق بهذه المستودعات الاصطبلات التي كان من مهمتها إيواء الخيول والدواب الاخرى والمحافظة على صحتها وإبقاؤها في حالة جاهزية كاملة عند إعلان الحرب والتعبئة، وسرعة تحضيرها وتجهيزها عندما تدعو الحاجة لاستخدامها، وسهولة الاشراف عليها، وتقديم الطعام والشراب والخدمة البيطرية، للاصطبلات جهاز خاص أعلاه أمير آخور يشرفون على الخيل ويعتنون بها ويحافظون عليها منهم البيطري والسقاء والسواس والهجانة للهجن والمكارية للبغال والاوجاقية والسلاخورية وغيرهم وقد اختص كل واحد منهم بمهمة أو وظيفة(١٢٥)

---

(١١٩): القلقشندي: صبح الاعشى ٣/٤٧٦، المقريزي: الخطط ١/٤٢٠، ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١٢٤ (١٢٠): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢/٨٣

(١٢١): لفظ عربي فارسي مؤلف من الطست وهو الوعاء الذي يغسل فيه وخاناه وهو المخزن فيكون المعنى بالكامل مستودع المهمات أي الملابس انظر القلقشندي: صبح الاعشى ٥/٤٦٩، الكلداني: الالفاظ الفارسية المعربة ٧٧

(١٢٢): القلقشندي: صبح الاعشى ٣/٤٧٦، المقريزي: الخطط ١/٤٠٩، ٤٢٣

(١٢٣): القلقشندي: صبح الاعشى ٣/٤٧٧، المقريزي: الخطط ١/٤٢٦، ٤١٨

(١٢٤): ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ١٢٤

(١٢٥): القلقشندي: صبح الاعشى ٣/٤٧٧، المقريزي: الخطط ١/٤١٨

و ـ مستودعات (الادوية) الاشربة: وكانت تدعى «خزانة الشرب» أو «الشراب خاناه» وفيها أواني الشرب والكؤوس والفضيات والمربيات والعطريات والاشربة المختلفة(١٢٦).

ز ـ المستودع الخاص: وهو الذي كان يطلق عليه «خزانة التجمل» وهو خاص بالسلطان أو الامير أو الوزير وفيه جميع ماتحتاجه المواكب والاستعراضات(١٢٧)، وهو في الوقت الحاضر لايوجد مثل هذا المستودع في القوات المسلحة إنما يمكن أن توزع محتوياته على باقي المستودعات.

ح ـ مستودعات الكتب: فيها كتب قيمة، تحتوي على أنواع العلوم وبخاصة المصاحف والتفاسير التي توضع في أدراج منظمة ومبوبة ومفهرسة(١٢٨).

لاتتحرك هذه المستودعات المذكورة خلف القوات المسلحة أثناء القتال إنما يستطيع السلطان أو الامير أن يجهز جنوده بما يلزمهم لأول مرة ثم يتوجه إلى المعركة بسلاحه وعتاده القتالي وطعامه العملياتي وملابسه الحربية هذا فيما إذا تحرك الجيش لمسافات طويلة كما حدث في معركة عين جالوت. ثم تحمل الجمال والبغال الاحتياط المتحرك الذي يستهلك أثناء التحرك وأثناء القتال، إذا صادف أن نفذت هذه التموينات فإنهم يستعينون بالوسائط المحلية المتوفرة كما حدث أن تزودوا قبل القتال من مدينة عكا بما يلزمهم (وأما إذا كان الجيش في وضع دفاعي كما حدث للماليك في الأيام الأخيرة عندما اندحروا من قبل العثمانيين والتجأوا إلى القاهرة فإنهم في هذه الحالة كانوا يتموّنون كلما سنحت لهم الفرصة من هذه المستودعات.

٩) ـ الرواتب والتعويضات:

هي المبالغ والمواد المخصصة للمقاتل وتدفع من خزينة الدولة وللرواتب ديوان يتولى شؤون التسجيل ومنح الاكراميات والأعطيات(١٢٩)، تصدر الرواتب بمنشور سلطاني يحدد الرواتب والطعام والعليق والخيل والملابس والتعويضات الاخرى(١٣٠)، تخفض الرواتب وتزداد تبعا للظروف المالية والاقتصادية والحربية. وفي كل الأحوال فإنه عند دخول المملوك إلى الجيش يحدد له بأقل مايمكن من الدنانير، إذ يكون راتبه ثلاثة دنانير ثم ارتفع إلى خمسة ثم إلى سبعة ثم

(١٢٦): ابن مماتي: قوانين الدواوين ١٩

(١٢٧): القلقشندي: صبح الاعشى ٣/٤٧٦، المقريزي: الخطط ١/٤٢٠

(١٢٨): القلقشندي: المصدر نفسه ٣/٤٧٧، المقريزي: المصدر نفسه ١/٤١٤

(١٢٩): القلقشندي: صبح الاعشى ٣/٤٧٥

(١٣٠): القلقشندي: المصدر نفسه ٣/٤٩٢

إلى عشرة، وذلك حسب رتبته وقدمه هذا بالإضافة إلى مايخصص للجندي من طعام أغلبها من اللحم وأنواع المأكولات الاخرى[١٣١] وكانت الرواتب السنوية كما يلي:

ـ أمير مئة ومقدم ألف من ثمانين ألف إلى مائتي ألف دينار أو أكثر وذلك حسب وظيفة الامير وقدمه.

ـ أمير طبلخاناه من ثلاثة وعشرين ألف إلى ثلاثين ألف دينار.

ـ أمير العشرين والعشرة يصل حتى سبعة آلاف دينار.

ـ مقدم حلقة الاجناد يصل حتى ألف وخمسمائة دينار.

ـ الجندي (بابات)[١٣٢] لايتجاوز راتبه مائتين وخمسين دينار.

ـ أولاد الامراء يخصص لهم راتبا من حين ولادتهم وغير خاضع للاحكام المرعية الاجراء[١٣٣]

إن أكبر الرواتب كما يتبين يتقاضاها الامراء والخاصكية والنواب والوزراء ثم الامراء الخرجية تبعا لمستوى قياداتهم العسكرية ثم الكشاف فمقدمو المماليك السلطانية فمقدمو الحلقة فنقباء الالوف فالبابية، للرواتب حد أعلى وحد أدنى تبتدأ بالادنى ثم تتدرج بالارتفاع[١٣٤]، هذا الراتب يسلم نقدا، أما الراتب فيسلم لامراء المئين أصحاب الخيول المسرجة ثم أصحاب الخيول العادية. ويوزع السلطان الخيول مرة عندما يخرج إلى مرابط الخيل في الربيع ومرة عند لعبة الكرة بالميدان[١٣٥]

يخصص للأطباء الخاصين بالسلطان راتب شهري يقدر بخمسين دينار، وللاطباء في المستشفيات الثابتة أو الميدانية خمسة عشر، وللذي لديه وظيفتان بثلاثين دينارا وقد تبلغ رواتب بعضهم ألف درهم وتعويضات سنوية يتلقاها الطبيب قد تصل إلى عشرة آلاف درهم[١٣٦].

ولايتلقى المملوك الكتابي أي راتب أو تعويض أو سلاح أو غيره خلال تدريبه أو تعليمه في

---

(١٣١): المقريزي: الخطط ٥٣/٣

(١٣٢): البابا: لفظ روحي يطلق على كل من يعمل الاعمال البيتية كالغسيل والتنظيف والامور الاخرى. انظر القلقشندي: صبح الاعشى ٤٧١/٥

(١٣٣): المقريزي: المصدر نفسه ٤٨/٣ ـ ٥٠

(١٣٤): المقريزي: المصدر نفسه ٥٣/٣ ـ ٥٤

(١٣٥): المقريزي: المصدر نفسه ٥٧/٣ ومابعدها. ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ٢٠/٢

(١٣٦): المقريزي: المصدر نفسه ٥٣/٣، ٥٤

الطباق، إلا أنه يستفيد من الامور الادارية الاخرى كالاطعام والملابس والنوم والمسائل الاخرى الضرورية لحياته ومعيشته ولكنه وفي أحوال إستثنائيةيمكنه أن يتقاضى راتبا وذلك في الازمات السياسية وعند حاجة السلطان لقوة تدافع عن النظام، فيأمر بتخريجهم قبل انتهاء فترة تدريبهم المقررة ويلحقهم بالتشكيلات المقاتلة، وكذلك فإنهم يتخرجون في الازمات الاقتصادية والمجاعات والاوبئة، أما إذا تخرج بحالته الطبيعية فإنه يتقاضى راتبا كغيره من المماليك(١٣٧).

كانت الرواتب تؤخر على العسكريين مدة شهرين إما لعدم وجود أموال أو لإهمال بعض المسؤولين وكان الجند في كل الأحوال يثيرون شغباً ويطالبون برواتبهم علنا وأمام قادتهم وروؤسائهم(١٣٨) وفي بعض الاحيان كانت تعجز الدولة عن دفع الرواتب لكثرة نفقات الخدم والحواشي ولاخذها أموال الناس بالباطل(١٣٩) وبسبب النقص في الموارد وكان الملوك يشهدون دفع الرواتب(١٤٠)، كما كان يقطع الراتب في حال غياب الجندي بدون إذن أو مبرر قانوني عن مدة الغياب(١٤١)، كما كان يقطع جزء من الراتب في حال حصول الجندي على إقطاع، فإذا كان راتب الجندي ألف دينار أقطع بعد ثلاثة أشهر فإنه يحسم من الراتب إجرة ربع السنة أي مائتان وخمسون دينارا(١٤٢).

تختلف رواتب جند المغول عن الجنود والمماليك وكذلك العملة، فأمير تومان يتقاضى راتبا عشرة آلاف دينار وأمير أكثر من تومان أي قائد فيلق كما نسميه في الوقت الحاضر يتقاضى عشرين ألف دينار أما قائد اللواء (قائد ألف فيتقاضى ألف) وباقي الامراء والجند فإن رواتبهم تبلغ مائة دنيار(١٤٣).

---

(١٣٧): القلقشندي: صبح الاعشى ٣/٥٢٥، عيسى: تاريخ البيمارستانات في الاسلام ٢٤

(١٣٨): ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ٢/١٣، ٢١٧، ٣٢١، ٣/٣٥٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٥/٤٠٢، ٧/٦٥٠، ابن الفرات: تاريخه ٩/٦٧، السخاوي: الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ٣/١٩، ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٤/٣٩٣، ٤٣٠

(١٣٩): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٣/٣/١١١٣

(١٤٠): المقريزي: المصدر نفسه ٢/٣/٧٢٤

(١٤١): ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣/٢٤

(١٤٢): ابن مماتي: قوانين الدواوين ٢١

(١٤٣): ابن مماتي: قوانين الدواوين ٢٠

إن النظام في القوات المسلحة المملوكية يقضي أن تدفع الدولة إلى كل عسكري من مختلف الـرتب منحـة ماليـة عنـد إعلان الحرب والمباشرة بالاعمال القتالية ويختلف مقدار هذا المبلغ تبعا للمهمة المكلف بها أفراد هذا الجيش وقوة وطبيعة العدو والمسافة والمدة الزمنية المتوقعة للعودة إلى البلاد، وقوة البلد الاقتصادية وتوفر الاموال اللازمة، والوظيفة والرتبة فكان يعطى أمراء الالوف مبـالـغ كبـيرة ثم يأتي بعدهم أمراء الطبلخانات ثم أمراء العشروات ثم الخمسوات ثم الجنود، وكـان التفـاوت كبـيرا مابين الامراء والجنود في هذه الاعطيات إذ تبلغ عشرات الاضعاف(١٤٤)، هذه المنحـة تشكـل التمـوين الاساسي للمقاتل حيث يستطيع أن يشتري بما معه من القرى أو المـدن التي يمـر بها من الـوسـائط المحلية المتوفرة كما حدث تماماً للجيش المملوكي عندما اشترى احتيـاجـاتـه من عكا قبل بدء القتال(١٤٥)، وكذلك كان على طول الطريق وكان العادة أن يقدم السكـان المحليـون هذه الاحتيـاجـات لقـاء دفع الثمن نقداً، ومن الخطأ أن يعتمد هذا الجيش على تلك القاعدة في تموين تشكيلاته المقاتلة إذ سيصاب بضربة إذا امتنع هؤلاء السكان عن تقـديم أي شيء وكـذلـك فإن تفكـير المقـاتـل بطعامه وكسائه وأموره الادارية يحرفه عن المهمة القتـاليـة المكلف بها ولكن هذا الجيش يجد المـبر ر عندما يجد أن حركته ومناورته في الميدان تكون أجـدى فيـما لو جر وراءه ذيـلا إداريـا كبـيراً وكـذلك فإنه كان يتحرك في الطرق ويمر في المدن أو المحطـات المـواليـة التي لاتجـد غضاضة في تموينه وتقديم المساعدة الادارية له وهذا النظام المالي كذلـك كان متبعـا في الجيش المغـولي حيث يعطى لكل واحد منهم مبلغ من المال وبنفس الوقت يعطى لامـراء الجيش وقـادتـه مبـالـغ كبـيرة احتيـاطية يصرفونها وينفقونها على المقاتلين لتأمين احتياجاتهم الكاملة(١٤٦) .

إن أعلنت الحـرب فعلى المقـاتلين وكـل واحد قادر على حمل السلاح أن يلتحق بالجيش وأن يلبي نداء السلطـان ، إلا أن هنـاك بعض المتخلفـين لأسبـاب قاهـرة يضطرون للتخلف، فإن

---

(١٤٤): القلقشندي: صبح الاعشى ٤/٤٢٥

(١٤٥): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١١/٢٦٧، ٣٦١، الصيرفي: نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ٢/٧٨، الحلبي: تحفة الظرفا في مناقب الملوك والخلفا ٧٥٦، بدائع الزهور في وقائع الدهور ١/٩٩

(١٤٦): Rey-Les Solonies Farnques De Syrie Aux XII(me) Et XIII(me) Siecles Pages 19, 279

ابن جبير: رحلته ٣٩٢، العريني: المغول ٢٥٩

(١٤٧): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٢٣٨

تخلف المقاتل المملوكي فعليه غرامة نقدية يختلف مقدارها من نفرة إلى نفرة، ومن زمان إلى زمان ومن سبب إلى سبب، وهذه المبالغ كانت تجمع وتصرف لصالح الجيش الذي خرج للقتال(١٤٧).

إذا ألغيت التجريدة، وكان الجنود قد استلموا هذه المنحة، فإن السلطان يأمرهم بردها كليا وجزئيا، وترد على مضض، وإذا صادف أن صرف منها العسكري شيئا فإن هذا المبلغ المصروف يقتطع من راتبه(١٤٨).

١٠) ـ الغنائم:

لقد غنم الجيش المملوكي في معركة عين جالوت الشيء الكثير من أهمها: الخيول والاسلحة والاعتدة القتالية(١٤٩) إن هذه الغنائم تشكل مصدرا تموينيا للجيش المملوكي وكذلك فإن الجيش المغولي يعتمد عليها اعتمادا كبيرا ويعتبرها مصدر مهما من مصادر التموين وتوزع بدون نظام وبمعرفة القائد العام(١٥٠)، أما الجيش المملوكي فتقسم الغنائم بين الافراد كما نصت عليه الاحكام الاسلامية، للفارس سهم وللفرس سهمان(١٥١)، وكان الظاهر بيبرس يقسم الغنائم بعد القتال ويشرف بنفسه على القسمة، ويحذر من أخذ شيء من الغنائم، وكان يحلف الامراء والمقدمين على ذلك وكان يعاقب كل من يخالف ذلك النظام حتى ولو كان في منصب ورتبة عالية ولا يبقي لنفسه أحياناً(١٥٢).

يعامل الاسير حسب الحالة، فإما أن يمن عليه، أو أن يقتل، وكان المماليك يميلون في أكثر الاحيان إلى القتل كما فعل بيبرس في معركة عين جالوت والمعارك التي حدثت من بعد مع الصليبين عند الاستيلاء على طرابلس(١٥٣).

١١) ـ النقل:

يجري الامداد وتحمل الوسائط المادية من مختلف الاحتياجات على الجمال والبغال والحمير في

---

(١٤٨): ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣/٨، ٢٢، ٢٣، ٢٦

(١٤٩): ابن إياس: تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين ١٢٦، ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ١/٣٠٦

(١٥١): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١، ٢٥٥، ٣٠٠

(١٥٢): الدمياطي: مخطوطة فضائل الخيل ٢٣٣. ومابعدها.

(١٥٣): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٥٦٦، ٥٦٨، ٦١٨

كلا الجيشين[١٥٤] المملوكي والمغولي، ونادرا بالوسائط البحرية كالسفن التي كانت تنقل الثلج وأحيانا يكون النقل مركبا من الوسائط البرية والبحرية[١٥٥]، تتحرك وسائط النقل خلف القوات حاملة معها جميع الاحتياجات ومواد التموين اللازمة والمتوفرة.

تعتبر الجمال واسطة النقل الرئيسية في الجيشين المملوكي والمغولي فكانت تنقل المؤن والاطعمة والمياه والخيم والاعتدة الادارية المختلفة كما تنقل المجانيق وأسلحة الحصار والمدافع والادوات الهندسية المختلفة اللازمة لنصب الجسور، والمراكب والاسلحة التابعة لها[١٥٦]، وللجمال أهمية كبرى عند التحرك لمسافات طويلة فهي تستطيع أن تقطع وتسير لمراحل طويلة دون أن تحتاج إلى طعام ومياه وقد كان المماليك يطلقون عليها «الهجن» ويعولون عليها في الحروب[١٥٧]. ولقد رافق الحملة إلى معركة عين جالوت الكثير من الجمال التي كانت تحمل مختلف الاحتياجات: إلا أننا لم نقف على عددها أما الجيش المغولي فكان لديه بالاضافة إلى الابل الثيران التي كانت تجر عربات ذات عجل خلفها يحمل فيها جميع الاعتدة والاسلحة والتموين وكذلك النساء والاطفال الذين كانوا يرافقون المقاتلين في معاركهم وأسفارهم[١٥٨]، وتأتي الخيل في الدرجة الثانية في وسائط النقل عند الجيش المغولي حيث كان يفرز بعضها إلى هذه المهمة، وبعضها للقتال، والثالث للركوب. على أن خيل القتال تتصف بصفات معينة وكذلك الخيول الاخرى[١٥٩] في حين أن الجيش المملوكي كان يستخدم الخيل فقط للقتال وعلى ظهرها الفارس الذي تدرب واعتنى بفرسه وساسه واستخدمه في الحروب والمعارك[١٦٠]، كما

---

(١٥٤): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٥٦٦، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٧٩، ٨٢، الجبرتي: عجائب الاثار في التراجم والاخبار ١/٢٩

(١٥٥): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢/١٠٦، القرماني: اخبار الدول وآثار الأول ٢٨٣

(١٥٦): ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف المالك وبيان الطرق والمسالك ١١٨، حتي: تاريخ العرب ٧٨٦
Demombynes La Syrie a Le Pogue Des Mamelouks 255

(١٥٧): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٦٠٧، ٦١٧، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢/٣١٢

(١٥٨): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/١٦٤

(١٥٩): أسعد: بولو ١٢، ١٣

(١٦٠): القرماني: أخبار الدول وآثار الأول ٢٨٣

اعتنى المماليك بالبغال والحمير فاستخدموها لمهام ضيقة ومحدودة [١٦١]، ويعتبر النقل البحري من وسائط النقل الاداري والقتالي وكان هناك عدد كبير من المراكب البحرية التي اشتركت في القتال في معركة عين جالوت أهمها الشواني والمراكب المستخدمة للتعدية من شاطىء الى شاطىء والاغزبة والدراميد وغيرها[١٦٢].

١٢) ـ الاشغال العسكرية:

هي الجهة المكلفة في الوقت الحاضر بإنشاء المباني والثكنات بغية إيواء العسكريين في مناطق التعسكر الدائمة وهي الجهة التي كانت مكلفة في العصر المملوكي بالايواء واستخراج المياه وفتح الطرقات وتتلاقى مهامها مع مهام الهندسة العسكرية في كثير من الاعمال على أن الصفة البارزة كانت في ذلك العصر هو بناء الثكنات التي كان يسكنها المماليك البحرية والبرجية[١٦٣]، وكذلك الطباق والمنشآت العسكرية التي كانت منتشرة في جميع الاراضي[١٦٤].

عند الخروج إلى القتال كانت تستخدم الخيم[١٦٥] إذ يخرج الجيش من ثكناته ويتجمع في منطقة الريدانية[١٦٦] القريبة من القاهرة ثم يتحرك باتجاه منطقة القتال ويفتح الخيم عند التمركز وقد استخدمت في سهل مرج ابن عامر قبل القتال[١٦٧].

مهمة الاشغال العسكرية استخراج المياه، وجر الاثقال الكبيرة بقوة يسيرة وكانوا يطلقون على هذا العمل «الحيل»[١٦٨] لقد استفاد المختصون في الاشغال العسكرية في العصر المملوكمي من المؤلفات العديدة التي كانت منتشرة قبلهم وطبقوها في نواح عديدة وفي جهات عسكرية مختلفة كاستخراج المياه وحفر الآبار[١٦٩]، وكان الظاهر بيبرس يستعين في جيشه من

(١٦١): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٢/٣١٢

(١٦٢): ابن تغري بردي: المصدر نفسه ١٢/١٠٦

(١٦٣): ابن الفرات: تاريخه ٤/١/٨٣، زكي: السلاح في الاسلام ٤٢، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٥٩٣، النويري الاسكندري: الالمام ٢/٢٣٠، ٤٩، ابن مماتي: قوانين الدواوين ١٦

(١٦٤): شبولر: العالم الاسلامي في العصر المغولي ١٠٨، ١٣٩

(١٦٥): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٠/٩٢. المقريزي: الخطط ٢/٢١٣

(١٦٦): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٢٩٧، ٢٩٩، القلقشندي: صبح الاعشى ٣/٤٧٥

(١٦٧): ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ١/٣٠٦، سليم: عصر سلاطين المماليك ٢/٢٥٠

(١٦٨): الشهابي: تاريخه: ٤٣٩، مرمرجي: بلدانية فلسطين العربية ٩٢، ٩٦

(١٦٩): بنوموس: الحيل ٥٦

المهندسين الذين يحفرون الآبار على طول الطريق التي يسلكها الجيش[١٧٠] وقد شاع استخدام هذه الآبـار حتى في القطـاع الاقتصـادي حيث كان المهنـدسـون يحفرون الأرض بآلات لأعماق مختلفة، ويجرون الماء إلى مسافات بعيدة للاستفادة منها في الري[١٧١].

١٣) - دور المرأة في الجيش:

تتكـون مؤخـرة المغـول فيما تتكون، من النساء والاطفال الذين يصطحبون في الحروب[١٧٢] ومن مهـام النسـاء تقـديم الاسعـاف الأولي وتقـويـة معنـويـات الرجال، وتتمركز هذه الفئة في الانسـاق الاخـيرة من الجيش في حراسـة وأمن. ومن الـوجهة العملية فإن هؤلاء يشكلون ثقلا كبـيراً وعبئـاً إداريـاً وبخـاصـة عند انهزام الجيوش المغولية أو إنسحابها بصورة غير منتظمة ففي معركة عين جالوت فر الجيش المغولي ومعه النساء والاطفال الذين عوقوا الهروب وأثقلوا المؤخرة.

للنساء عند المغول والمماليك منزلة عظيمة وحظوة كبيرة، إلا أن المرأة المملوكية لاترافق الجيش عنـد الحـروب، في حين أن المـرأة المغـوليـة ترافق زوجهـا وأخـوتهـا وعشيرتها ظنا منهم أنها ترفع المعنويات وتبعث في الرجال النشاط وحب القتال[١٧٣].

١٤) - المكاتبات والمراسلات:

كانت تصدر بأسلوب خاص، ونمط كتابي متميز وذلك حسب رتبة ووظيفة المخاطب، فإذا صدرت عن السلطـان فإنهـا تتضمن عبـارات متعارفا عليها، تبدأ بمقدمة وتنتهي بخاتمة وكثيراً ماكانت تتضمن هذه المكاتبات الأوصاف والتجميلات التي قد تخرج في بعض الاحيان عن الحد المألـوف أوعن المـدح المتعـارف، ومن الطبيعي أن يكـون للكتابة ديوان وعناصر تعمل في صنعة الكتابة، وتؤدي المهام المطلوبة منها، وهي على معرفة بكل المكاتبات التي تجري بين السلطان ومـرؤوسيـه بدءا من نائب السلطنـة إلى الجنـدي إلى الأمـور الخـاصة والعامة إلى النشاطات الـداخليـة والخـارجيـة ويـراعى في هذه المراسلات أمور هامة من أبرزها البسملة وحجم الورق الـذي منـه القطـع الصغير ويكتب عادة للتشكيلات المقاتلة، ثم الكتابة إذ تكون على الجانب

---

(١٧٠): بنوموس: الحيل ٣٧٤، ٣٧٦

(١٧١): تستيرشتين: تاريخ سلاطين المماليك ٣٠

(١٧٢): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٢/٢/٥١٤

(١٧٣): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٨٢/٧

الايمن «إلى فلان» وعلى الجـانب الايسـر «بسبب كذا . . . » ثم الفـراغات التي تكون في آخر الالقاب، ثم التوقيع والخاتم وغير ذلك من الامور المعهودة(١٧٤).

قبل معركة عين جالوت أرسل القائد العام للجيش المغولي كتابا إلى القائد الاعلى للجيش المملوكي يحذره فيها من إقدامه على الوقوف أمام القوة المغولية ويهدد فيها ويتوعد، فرد عليه قطز بعبارات فيها الانفة والكبرياء واللهجة الصارمة، ثم قتل الرسل واستعد للحرب(١٧٥).

وبعـد المعـركـة ووضـوح النصـر أرسل قائد الجيش المملوكي رسائل إلى الداخل والخارج، وإلى العـالم الاسـلامي، فأرسـل رسالة إلى الشام يخبر أهلها متقيدا بأصول المراسلات التي مر ذكرها يبشرهم فيها هذا الانتصار الكبير وبقدومه إليهم. ورفع الظلم عنهم(١٧٦)، وكذلك فإنه أرسل رسالة إلى القاهرة تتضمن تلك المقدمات والاصول ويعلمهم فيها عن النصر(١٧٧)، وبشر بالخبر إلى جميع أرجاء المملكة وغيرها(١٧٨) وكان يطلق على هذا النوع من الرسائل «البشارات» التي لها نمـط كتـابي خاص وأسلوب متبـع معـروف، ففيها التصريح بالنصر وأنه فتح من الله، والاشادة بالجيش وذكر مناقبه . . . والاستهتار والتعرض بجيش العدو وما إلى ذلك(١٧٩).

---

(١٧٤): القلقشندي: صبح الاعشى ٧/١٥١، ٢١٠ ومابعدها ٨/١٣٢

(١٧٥): القرماني: اخبار الدول وآثار الأول ٩٨

(١٧٦): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٣٦٧

(١٧٧): ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ١/٣٠٧

(١٧٨): الجبرتي: عجائب الاثار في التراجم والاخبار ١/٢٩

(١٧٩): الاصفهاني: الفتح القدسي ١٨٣، ماجد: تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ٧٢

الفصل التاسع
آثار المعركة



لقد انعكست آثار هذه المعركة على العالم العربي، وعلى الصعد الداخلية والخارجية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، فعلى الصعيد الداخلي أجريت الاصلاحات الادارية العديدة وقسمت الدولة إلى عدد من النيابات وهي: دمشق، حلب، طرابلس، حماة، صفد، الاسكندرية، الكرك، غزة، ملطية، وأخيرا القدس(1). وعلى الصعيد الخارجي أقام المماليك علاقات دبلوماسية وتجارية وحددوا وصنفوا على ذلك الاعتبار دول الملوك، وعلى الصعيد الاقتصادي اعتمدت الدولة على الموارد الزراعية والتجارية والزكاة ومافي حكمها كالخراج والعشور(2)، وأما على الصعيد العسكري فقد كانت الدولة المملوكية دولة عسكرية إهتمت بالجانب العسكري وفضلته على جميع الجوانب الاخرى(3) فكانوا أشداء على أعدائهم ميالين إلى القوة والعنف، متصفين بصفات الجد والعزيمة(4).

آثارهم باقية، وبصماتهم مطبوعة في كل مناحي الحياة حتى الآن، وتاريخهم حافل بالامجاد والبطولات، كل ذلك تقديم معركة عين جالوت ونتائجها وأهم هذه النتائج والاثار:

أولاً: ظهور الجيش المملوكي كجيش قوي:

لم يكن الجيش المملوكي شيئا مذكورا، ولم يعد من الاوائل قبل معركة عين جالوت، فهو الذي لم يخض معارك مهمة كهذه المعركة، ولم يكن قد زج في القتال لاختبار جاهزيته القتالية وقدرته الحربية، فهو الذي اشترك بصورة غير موحدة مع الأيوبيين، وقاتل في معركة المنصورة، وبرزت عبقرية قادته وكفاءتهم الحربية في هذه المعركة(5)، أما الجيش المغولي فكان الجيش الذي

---

(1): ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٤/٣٤، الحنبلي: الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ٢/٢٧١، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - دراسات في تاريخ وآثار فلسطين ١/١٤١ ومابعدها.

(2): زيادة: دمشق في عصر المماليك ٦٥

(3): شبولر: العالم الاسلامي في العصر المغولي ١٠٩

(4): ابن صاعد: طبقات الامم ٨، القلقشندي: صبح الاعشى ٤/٤٥٨، لوبون: حضارة العرب ٢١٧، العريني: المماليك ٢٤٦

(5): ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٣/٥/٢٣٨ - ٢٤٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٦/٣١٩، ٣٣٦، ٣٦٢، المقريزي: السلوك ١/٢/٣٦٨

لايقهر وقد روع العالم، وأوقع في نفوس الجيوش التي تقاتله الرعب والخوف. توجه نحو تركستان فاستولى على بلادها، ثم قصد بلاد ماوراء النهر فاكتسحها وعبر بلاد خراسان فأذاقها أنواع العذاب والتخريب، ودخل العراق فطمس حضارتها وقضى على الاخضر واليابس، وشرد أهلها، وتجاوز بلاد اذربيجان وأرمينية فقضى على الحياة فيها شاملا الانسان والحيوان والنبات، وبلغ الخوف مبلغه من النساء والرجال، ولهذا فإنه عندما نزل إلى الشام، استولى على البلاد بسهولة مدينة فمدينة وقرية فقرية، وهو يزحف دون أن يبقي أو يذر. وهو يقتل فلا يفرق بين الرجل والمرأة، وهو يدمر فلا يدع طفلا ولا حاملا، فالمياه غورها، والبنيان هدمه، والاراضي عطلها، والاهل أفقرهم وتركهم دون مال أو مأوى أو طعام أو مياه، هذا الجيش بهذه الصفات عندما ينهزم سيكون للجيش الذي هزمه دور كبير وسمعة قتالية في العوالم العربية والاسلامية والاوروبية. وسيتطلع إليه العالم على أنه منقذ، ويستحق كل إعجاب وتقدير. من هنا جاء موقعه البطولي، واعتبر كجيش له وزنه، وقوة يحسب حسابها(٦).

ثانياً: انحسار المد المغولي وخطره على العالم ولاسيما العالم العربي والاسلامي:

لقد كانت معركة عين جالوت من المعارك المهمة في التاريخ، فهي التي أوقفت المد المغولي الذي اجتاح العالم، وقضى على معظم الدول، وخلصت الدول العربية والاسلامية من خطر محقق كاد يعصف بما تبقى من الحضارة والتراث، وكاد يقضي على آخر معقل في سورية ومصر، فلو أتيح للقوات المغولية الدخول إلى مصر لتغير وجه العالم العربي والاسلامي، ولما تكونت فيها بعد دولة قوية امتد سلطانها من شمال الرها شمالا إلى البحر الأحمر وأسوان جنوبا، ومن الشرق البادية والجزيرة العربية إلى البحر الابيض المتوسط غربا(٧)، ترى لو هيىء للجيش المغولي الانتصار على الجيش المملوكي، فهل يتوقف عند هذا الحد، أم يتابع مسيرته نحو أوروبا؟ من خلال انطلاقته الأولى واجتياحه البلاد المتعددة، فإنه سينطلق لامحالة إلى تلك البلاد، ويعمل ماعمل في سابقتها(٨) وليس في العالم المسيحي من الجيوش آنذاك من يقف في طريقه أو يعيقه من

---

(٦): الرمزي: من تلفيق الاخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار ١/٣٥، الجاحظ: البلدان ٤٧٣، العزاوي: تاريخ العراق ١/٦٨ ومابعدها.

(٧): Runciman: A History of the Crusades, Vol.III The Kiagdom of Acre book 3/ chaptar 3/312.

(٨): شبولر: العالم الاسلامي في العصر المغولي ١٠٩

التقدم وحينئذ تقع الكارثة ويعم البلاء، ولهذا فإن تلك البلاد مدينة إلى الجيش المملوكي الذي قضى على الجيش المغولي قبل أن تصل ناره فتحرق الارض ومن عليها وتهلك الحرث والنسل في أوربا[9].

بعد هذا الانحسار وبعد هذه الهزيمة حاول المغول عدة محاولات لاستعادة مجدهم، ورد اعتبارهم، وإرجاع سمعتهم الحربية - التي تلطخت بالعار - مع الجيش المملوكي، فقد شنوا عدة غارات وسيروا الحملات العسكرية لكي ينالوا من المماليك، فالحقد يملأ قلوبهم، والانتقام يتميز غضبا في نفوسهم، إنهم كانوا أقوى جيوش العالم والان يمسون بعد الجيش المملوكي الذي أذاقهم من العذاب وانتصر عليهم انتصارا حاسما[10]، إنهم سيستميتون في أخذ المبادأة من جديد، وسيعيدون الكرة تلو الكرة حتى ترد إليهم كرامتهم، وحتى لاتشمت بهم الاعداء، وقد كان أعداؤهم كثيرين ويبغضونهم عديدين من أمم العالم[11].

ومن جهة ثانية فقد أحس قادة الدولة المملوكية بأن المغول سيقدمون على مغامرة قد تعصف بالمكاسب وتبدد بالنصر وتنزل قيمة ومكانة الجيش المملوكي وتدمر الآمال في إنشاء دولة إسلامية كبيرة مترامية الاطراف. ولهذا فقد سارع بيبرس الذي استلم القيادتين السياسية والعسكرية في البلاد بعد مقتل قطز إلى تثبيت نفسه كسلطان على البلاد، وانتزاع التقليد الخليفتي، وتقوية مركزه الداخلي، وإلى التصدي للمغول، وإلى بذل كل طاقاته وإمكانياته لمنع هذا العدو من تحقيق أهدافه، وإلى اتخاذ إجراءات هامة تكفل له التركيز على هذا العدو وتكثيف جهوده الرئيسية على هذه الجبهة، وكانت أهم هذه الاجراءات:

١ ـ الاستقرار الداخلي والتغلب على جميع الصعوبات الداخلية:

بعد الانتصار الساحق في معركة عين جالوت صمم الملك قطز على نقل الخلافة العباسية إلى مصر لتدعيم مركز الدولة المملوكية على المستوى الاسلامي في العالم، ولتتزعم الدول الاسلامية آنذاك وتكون لها الكلمة العليا في ذلك وليستكين الذين حاولوا من قبل فلم يستطيعوا أمثال الطولونيين والاخشيديين والايوبيين. وليشعر الايوبيون بصورة خاصة بأن القادة

(٩): الشيال: تاريخ مصر الاسلامية ٢/١٦٩، العريني: المغول ٢٥

(١٠): ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ٢٨٠

(١١): ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ٢٨٢

المملوكيين قادرون على فعل شيء لم يستطع فعله القادة الايوبيون، ولتكون القرارات سريعة وبخاصة على المستوى العسكري سيما وأن المجلس العسكري كان يضم في عضويته الخليفة بعد نقله إلى مصر، في حين أنه كان بعيدا قبل هذا، ويحتاجه السلطان إلى استصدار بعض الاوامر، أو استشارته في بعض المسائل الحيوية.

وأكثر من هذا وذاك أن السلطان كان بحاجة إلى استصدار التقليد، أو الخلعة الخليفية عندما ينتخب كملك للبلاد، وقد رأينا تدخل الخليفة في خلع شجرة الدر عندما أرسل برسالة ينتقد فيها تنصيب هذه المرأة، وحث القائمين في الدولة على أن يكون هذا المنصب لرجل(١٢) لقد بدأ هذه المحاولة الملك قطز؛ فأرسل بطلب أحد العباسيين «أبي العباس» الفارين إثر اجتياح المغول لبغداد وبايعه بالخلافة ورده إلى العراق، فذهب وافتتح بلادا، لكن قطز قتل فتوقفت فتوحات الخليفة وعاد إلى دمشق، ثم تولى بيبرس بعد قطز فأكمل مابدأ به من سبقه، فاستدعى أحد العباسيين «أبا القاسم» الذي سمي فيما بعد «المستنصر بالله» إلى القاهرة وبايعه السلطان بالخلافة، وطلب إلى ملوك الاسلام والنواب في المملكة أن يبايعوا الخليفة الجديد، وأن يدعى له على المنابر، ثم يدعى للظاهر بيبرس، وأمده بالسلاح والمال وأرسله إلى بغداد ليقوم بتحريرها من أيدي المغول(١٣)، لكن الظاهر بيبرس أدرك بثاقب بصره وتطلعاته البعيدة أن الخليفة سينازعه الملك في حال انتصاره، فبدأ يعمل منذ ذلك الحين بنقل الخلافة، فعقد مجلسا لأبي العباس الذي قدم إلى مصر وبايعه بالخلافة بعد إثبات نسبه، وتقلد الظاهر بيبرس قيادة البلاد.

وبذلك اكتسب الصفة الشرعية، وقوى مركزه وظهر سعده، وأبقى الخليفة في مصر في بيت في القلعة الذي لم يكن له أي قيمة سياسية أو قيادية(١٥)، وتركزت كل السلطات بيد الملك الظاهر بيبرس الذي أراد أن يحكم البلاد بفردية مطلقة ومركزية شديدة لا ينازعه أحد،

---

(١٢): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/١١١، الشيال: تاريخ مصر الاسلامية ٢/١٧٥ ومابعدها.

(١٣): ابن الصقاعي: تالي وفيات الاعيان ٢/٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/١١٧، بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية ٣٦٦

(١٤): أبو شامية: الذيل على الروضتين ٢١٣، ٢٢١

(١٥): الدوميلي: العلم عند العرب ٢٩٣، ابن القاسم: غاية الاماني ١/٤٤٧

ولا يعارضه معارض، فمن نازعه قتل كما جرى لقطز، ومن عارضه حبس كما جرى للخليفة الذي كان حبيس القلعة والفكر، وبرز كملك يتمتع بمكانة عالية في العالم الاسلامي وبحماية تامة لمصالح المسلمين، وتألقت القاهرة من عواصم العالم بأنها المركز الريادي وبأنها مقر الخلافة[١٦].

ساعد الاستقرار الداخلي على الاصلاحات الادارية الكبيرة على مستوى الدولة فنظمت النيابات في كل مدينة، وجددت عمارة القلاع، وبنيت الجسور وانشئت القناطر والخلجان[١٧]: وشقت الطرق الجديدة لتربط أجزاء المملكة ومدنها ببعضها، وبنيت المحطات على الطرق لتكون محط استراحة المسافرين التي يوجد فيها كل مايحتاجه المسافر، واهتم المماليك اهتماما زائدا بالبريد وبالحمام الزاجل[١٨]، وكذلك بالخدمة الطبية وبخاصة في المشافي وبالطب الجراحي وبطب العيون وغيرها من الاختصاصات[١٩].

إن التأييد الشعبي على المستوى الداخلي كان عاما بعد الانتصار الذي حققه الجيش المملوكي، ما أن دخل المغول الاراضي الشامية قبيل المعركة حتى اذاقوا أهلها البأساء والضراء، فقتلوا وسبوا وخربوا ودمروا وظلموا الشعب، وعينوا القادة الذين ينفذون لهم كل ما يطلبون، وبات الشعب يترقب تلك الفرصة السانحة التي يفلت فيها من قيود هذه الطغمة الباغية، لكنه لم يستطع أن يحرك ساكنا مخافة أن ينقلب عليه المجن فيهلك، ومخافة البطش الشديد الذي اتصف به هؤلاء الحكام الجدد، وما أن دارت المعركة في سهول فلسطين وتبين النصر للجيش المملوكي حتى نهض الشعب من رقدته، وأعلن العداء السافر للمغول، وسارت مظاهرات كبيرة في أحياء دمشق تندد بالطغاة، وتحمل على الذين ساندوهم وساعدوهم في تثبيت

---

(١٦): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١/١١٨، القلقشندي: صبح الاعشى ٣/٢٦٤، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٠، الشيال: تاريخ مصر الاسلامية ٢/١٨٢ ومابعدها.

(١٧): ابن الفرات: تاريخه ٧/٨٢، ٨٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/١٧٩، الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠/٢٣٦

(١٨): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/١٨٦، حتي: تاريخ العرب ٧٦٧

(١٩): ابن أبي أصيبعة: عيون الانباء في طبقات الاطباء ٦٥٥ ومابعدها، السيوطي: الرحمة في الطب ٤٨، ٧٨٩، حتي: تاريخ العرب ٧٦٧

حكمهم فقتلوا الفخر محمد بن يوسف في جامع دمشق والشمس بن الماكسيني وابن البفيل، وممن كان له علاقة بالحكام المغول، ثم مالوا إلى بعض الكنائس فخربوا الكنيسة اليعقوبية، وأحرقوا كنيسة مريم، وقتلوا العديد من النصارى انتقاما لاستطالتهم على الناس وتشفيا لأنهم ساعدوا في الاعتداء على المسلمين وهي الكثرة الغالبة من الشعب[20]، وفرض الملك قطز على النصارى ضريبة فردية قدرت بمائة وخمسين ألف درهم، وبقيت الخلافات بين النصارى والمسلمين تذر قرنها كلما حدثت حادثة، أو ظهرت بعض المشاكل حتى البسيطة منها[21]، لكن قطز عاقب كل الذين اساؤوا الى النصارى او تعرضوا لهم[22] ولقد كان الاثر البارز هو اضطهاد المسيحيين وتخريب وحرق كنائسهم وبيوتهم، وخسارة حامياتهم فيما بعد، كما بدأ العد التنازلي بالنسبة للمغول فبدأوا يخسرون المعارك مع المماليك، وكذلك بقيت إيران والعراق تحت السيطرة المغولية المباشرة[23]، أما جنود المغول وأعوانهم فقد هربوا من منطقة دمشق حال سماعهم نتائج معركة عين جالوت، لكن بيبرس البندقداري كان قد حشرهم في اتجاه دمشق وأباد قسما منهم بالقتال وبحملة مطاردة ساعده في ذلك أبناء الشعب الثائرون على الحكام السابقين، وتوصل بمساعدتهم إلى الاهتداء إلى مخابئهم ومكان وجودهم، وكانوا لايتورعون في أن ينزلوا بالهاربين من التتر أشد العقاب[24]: وكذلك في مصر فقد هلل الشعب بهذا الانتصار وزفت البشائر، وأقيمت الاحتفالات وابتهل المشايخ والناس، ودعوا إلى الله تعالى وشكروه على هذا النجاح[25].

٢) ـ الدعم والتأييد الخارجي:

لابد لنجاح معركة ما أو حرب ما من سياسة قوية تسبقها ومن دعم خارجي يعقبها، وبدون ذلك يبقى النصر العسكري مكبلا لايؤدي إلى نتائج إيجابية، ولهذا فقد بادر قطز قبل المعركة

---

(٢٠): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٣٦١ ومابعدها، ابن العميد: أخبار الايوبيين ١٧٥

(٢١): المقريزي: الخطط المقريزية ٣/١/٤٠٣

(٢٢): ابن العميد: أخبار الايوبين ١٧٦

(٢٣): انظر كتاب: (المسيحيون السريان في عهد المغول ص ٢٧ ل ج.م. فييه

(٢٤): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٣٦٦، ابن الوردي: تاريخه ٢/٢٩٧ ومابعدها.

(٢٥): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/١٣٦

فحيد القوى المعادية والتي قد تتدخل فتؤثر على نتائج المعركة، ومن أهم هذه القوى الصليبيون الذين كان يخشى من انضمامهم إلى المغول، وأخذ عليهم عهدا، واتفق معهم على أن يكونوا على الحياد، فإن نكثوا فقد يتحملون المسؤولية. بهذه السياسة وبهذا السير تمكنت القيادة السياسية للدولة المملوكية من أن تطلع عن كثب على الموقف الحيادي الصليبي، ومن ذكاء هذه القيادة أنها هددت الصليبيين في حال قيامهم بأعمال عدائية أنها ستنقلب عليهم وتقاتلهم لوحدهم، وتترك المغول إلى ظروف مواتية لجولات قادمة وبالرغم من الاطمئنان الذي حصلت عليه هذه القيادة فإنها ـ زيادة في الحيطة والحذر ـ بثت عيونا ومراقبين في البلاد الصليبية لينقلوا إليها المعلومات الجديدة والمتبدلة في نواياهم[٢٦]. وما أن انتهت المعركة حتى بادر قطز أيضا إلى إعلام الدول وأخذ تأييدها على هذا النصر، وبذلك يتمكن من كسب الحرب سياسيا وعسكريا إذ أرسل الرسل والرسائل إلى الدول ومنها إلى اليمن الذي بادر سلطانه إلى مباركة هذا الانتصار وإلى احترام اعلام سلطان مصر عندما حج في العام الذي تلى المعركة، وكانت هناك مودة وتبادل هدايا واتصالات مستمرة فيما بين الدولتين[٢٧]، ثم أكمل بيبرس مابدأه سلفه.

اضطرب هولاكو عندما سمع بهذا الانتصار وبمقتل كتبغا قائد جيشه، وكان لهذا النبأ تأثير كبير على المغول وعلى قياداتهم، لكن هولاكو ورغم أنه قد غضب كثيرا لهذا، فإنه لم يستطع أن يحرك جيوشه ولم يستطع عمل أي شيء نظرا لانشغاله في قتال مع أخيه[٢٨]، أما الفرنج فقد فرحوا بنتائج هذه المعركة الحاسمة لتعرضهم لاذى المغول، ولاحتلال جزء من أراضيهم وعدد من مدنهم من قبل هذه الفئة، ولخوفهم إن انتصر المغول على المماليك أن يقوضوا ملك الفرنج، وأن يذيقوهم سوء العذاب[٢٩].

دعم بيبرس سياسته الخارجية بإقامة علاقة ود وصداقة مع مغول «القفجاق» القبيلة الذهبية وذلك لكي يحدث شرخا كبيرا بين هذه الفئة وبين الفئة الثانية التي تناصبه العداء وهي فئة

---

(٢٦): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٤٣٠، سرور: الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره ٥٠

(٢٧): الخزرجي: العقود اللؤلؤية

(٢٨): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣٣٧، أبو شامة: الذيل على الروضتين ٢٢٠

(٢٩): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٧٧، يشير ج. م. فييه في كتاب المسيحيون السريان في عهد المغول إلى أن قسماً من الصليبيين والافرنج وسكان جرمانيا الشمالية والارمن كانوا مع المغول ضد المماليك انظر ص ٢٦

مغـول فارس، ولكي يضمن انحيـاز تلك الفئـة لصفه، فإنه ان لم يضمن الانحياز على الاقل يضمن حيـادهـا، وبـذلـك يضعف قوة مغول فارس، وتتهيأ له فرص الانتصار على عدوه[٣٠]، لقد أرسل السلطان رسلا عديدة إلى بركة خان زعيم القبيلة الذهبية الذي أسلم وتبادل الرسائل والسفراء مع الدولة المملوكية. وكانت لهذه السفارات دور كبير في تحقيق الصداقة وفي حث هذا الزعيم على القتال بجانب الجيش المملوكي ضد أبناء قومه والذي استجاب لهذا النداء، واتفق مع بيبرس على محاربة هولاكو[٣١]، نتيجة هذه الصداقة والسفارات المتبادلة وحسن الاستضافة والاكـرام لأفـراد القبيلة الـذهبيـة والتشـويق المتزايد في الدخول إلى الاسلام، والتركيز من قبل بيـبرس على هذه القبيلة، فقـد وفـد إلى مصـر من المغـول عدد كبـير شكلوا فيما بعد جزءا من الجيش المملوكي سمي (الفرقة الوافدية)[٣٢].

بالاضـافـة إلى ذلـك فقـد عقـد بيـبرس التحـالفـات مع الـدول المجاورة وكان هدف هذه التحـالفـات منـع هذه الـدول من مسـاعـدة المغول في حال قيام حرب بين المماليك والمغول، إذ كانت هناك فكرة تحالف بين الصليبين والمغول ضد الجيش المملوكي[٣٣]، فبهذه التحالفات التي أنشأها بيبرس استطاع أن يقوض هذا التحالف المعادي بين هاتين القوتين. وسارع مباشرة إلى تحالف منفـــرد مع Manfred ملك صقيليـة وتسكـانيـا، ومـع ميخـائيـل باليـولـوجس Michael Palaeolgus امـبراطـور الـدولـة البيـزنطيـة[٣٤] لم يكن بيبرس - بعد أن ثبت ملكه وقوى جبهته الـداخليـة والخـارجيـة يخشى المغول أوغيرهـم من الاعداء، سيما وأنه كان على اتم الاستعداد لمجابهة جميع التحديات وذلك بإعداد جيشه إعدادا قويا والتركيز على تحديثه[٣٥].

---

(٣٠): الرمزي: تلفيق الاخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار ١/٤١٤، ٤٣٧

(٣١): الرمزي: تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار ١/٤٣١ ومابعدها.

(٣٢): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٢/٣/٧٥٠، السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/١٢٩، الشيال: تاريخ مصر الاسلامية ٢/١٩٥

(٣٣): الدوميلي: العلم عند العرب ٢٩١، ويستر: الحضارة العربية ٢٦٩

(٣٤): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٥٣٧، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٥٦٩، سرور: الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره ٧٦

(٣٥): ابن تغـري بردي: النجـوم الـزاهرة ٧/١٥٥، ١٧٩، الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠/٣٣٨، الكتبي: فوات الوفيات ٠/١٧٠

كان الاثر البارز على المستوى السياسي توحيد مصر والشام، ومما لاشك فيه أن الشام مسرح للعمليات الحربية التي وقعت في العالم من قبل ذلك لأهميتها الجغرافية، فهي الطريق إلى القارات كما هي البوابة للولوج إلى فلسطين والديار المقدسة وهي القلعة الحصينة أمام هجمات المغول المتتالية وأمام ضغط الصليبين كما هي الخط الأول للدفاع عن مصر والبلاد الاسلامية على اتساعها، وقد رأى القادة المماليك أن هذا التوحيد يعطيهم ميزات قتالية يستطيعون بها مواجهة أعدائهم الذين انتصروا عليهم في معركة عين جالوت لقد كانت الشام بحاجة إلى هذا التوحيد السياسي لأنه يدعم أمنها ويحقق لها حمايتها.

رحبت الشام بهذا التوحيد وفتحت ذراعيها للظاهر بيبرس، لأنه على الأقل خلصهم من نير التتر، وبالتالي فهم أصحاب عقيدة دينية واحدة، ومن الطبيعي في مثل هذه الحالة أن تكون النفوس مطمئنة إلى الحكم الجديد، وأن تكون راضية به، مما يساعد على استتباب واستقرار ذلك النظام وترسيخه بين أفراد القوات المسحلة والشعب[٣٦]، يدل على ذلك تلك الاحتفالات والابتهاجات التي أظهرها الشعب في مصر والشام على أثر ذاك الانتصار الكبير على الجيش المغولي[٣٧].

إن الدفاع ضد العدو المشترك يستلزم بالضرورة توحيد هذين القطرين فقد تصدى المماليك للتتار الذين مافتئوا يغيرون على البلاد الشامية حتى بعد هزيمتهم المنكرة[٣٨]، فقد ظلت حملاتهم تتعاقب على القسم الشمالي والاوسط في حلب وحمص[٣٩]، وكانت الغلبة في أكثر المعارك والاغارات للمماليك وتصدوا كذلك للصليبيين الذين كانوا يعتدون على الساحل

---

(٣٦): Lewis:The Arabs in History 9/155, 156, 157.

(٣٧): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٣٦١، ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ١/٣٠٧، ابن الوردي: تاريخه ٢/٢٩٧ ومابعدها.

(٣٨): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٣٦١، الهمذاني: جامع التواريخ ٢/١/٣١٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٧٩، ١٠١

(٣٩): ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ٢٨٢، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/١٠٧، أبو شامة: الذيل على الروضتين ٢١١

Lane Poole: A History of Egypt in The Middle Ages, 10/279, 280.

الشامي، وقد بنوا به قلاعهم الحصينة، وركزوا به أسلحتهم المتطورة ومن أهم حصونهم المرقب وقرقية وبلاطنس وصهيون وبرزية وبرج اللاذقية[٤٠].

ومما لاجدال فيه أن العامل الاقتصادي له أهمية كبرى في مسألة الوحدة، فهويعمل على توسيع القاعدة المادية. وتنويع الاسلحة، وتكثير الصناع المهرة، وتلاقي الأيدي العاملة التي كان من أبرزها صنع السفن في مصر[٤١]، وصنع الاسلحة في الشام[٤٢]، لقد ظلت المنافذ الاقتصادية مفتوحة بين القطرين، والتنسيق تاما، وإن كان هناك بعض الاستقلالية والحكم المحلي والحرية في توجيه الفعاليات الاقتصادية إلا أن الشيء البارز والمهم كان في مركزية الاقتصاد الحرّبي. والاشراف عليه بصورة مباشرة من قبل سلطان مصر ونائبه في دمشق، ومما يجدر ذكره لم تكن لتتم لو لم يسبقها وحدة داخلية آمنت بأن الوحدة هي سبيل الخلاص من العدو الذي يطمع في سحق تلك البلاد وجعلها خرابا ودمارا، وذلك أن المماليك اعتادوا على المنازعات والشقاق فيما بينهم، طيلة فترة إقامتهم في الحكم، إلا أنه يلاحظ من خلال تلك السنين أنه كلما اجتاحت البلاد جائحة أو شعروا بالخطر انضموا إلى بعضهم وتكتلوا، فبعد أن كان الظاهر بيبرس وبعض الامراء على خلاف مع قطز، عادوا متحابين متحدين في سبيل الدفاع عن البلاد[٤٣].

ثالثا: حقد الجيش المغولي ومحاولته الثأر من الجيش المملوكي:

ثارت ثائرة المغول، وأرادوا الانتقام من المملوكيين بعد هزيمتهم في معركة عين جالوت، والنيل منهم بكل الوسائل والطرق التي يرونها كفيلة بتحقيق هذا الهدف، تصدى الجيش المملوكي لكل هذه المحاولات، وكانت المعارك المتتالية بين الجيشيين المملوكي والمغولي سجالا، يحاول كل واحد منهما أن يقضي على الآخر، ومن أهم المعارك التي جرت بين الفئتين معركة

---

(٤٠): ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ٧٨ ومابعدها

(٤١): ابن مماتي: قوانين الدواوين ١٦، ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣/٣٠٢، ٣٠٣، مبارك: الخطط التوفيقية ١/١٠٦، عدوي: الاساطيل العربية في البحر الابيض المتوسط ١٤٧

(٤٢): زيادة: دمشق في عصر المماليك ١١٠، زكي: السلاح في الاسلام: ٣٥الاسكندري: تاريخ مصر ٢٢١

(٤٣): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٥٤، ٥٥، ابن عبد الظاهر: تشريف الأنام والعصور في سيرة الملك المنصور ٢٦٤، بيشون: حلب الشهباء ٨٠.

حمص التي حدثت في سنة ١٢٦١/٦٥٩، إذ استطاع الجيش المغولي في هذه المعركة أن يحتل بلادا عديدة من المنطقة الشمالية لسوريا، لكن لجيش المملوكي تصدى لهذا الاعتداء واستعاد البلاد، وطرد الجيش المغولي[٤٤]، وكذلك فإن ابن هولاكو في نفس السنة قاد جيشا هاجم به بلاد الشام، لكن بيبرس كان له بالمرصاد، فهرب قبل الملاقاة[٤٥]، وكذلك فإن جيشا آخر قصد الرحبة سنة ١٢٧٢/٦٧١ ونزل البيرة[٤٦]، فجهز بيبرس جيشا ونقل مراكب الصيادين على الجمال، وأسرع في التحرك من حمص، الباب، منبج شط الفرات، واجتاز النهر ووقعت معركة انتهت بخسارة المغول وتفرقوا في الارض بعد أن خلفوا الكثير من القتلى والاسرى[٤٧]. وفي سنة ١٢٧٦/٦٧٥ وردت معلومات أن الروم والمغول قد اجتمعوا بالقرب من نهر جيحان وكان عددهم أحد عشر ألفا بقيادة «تتارون» المغولي فانبرى الجيش المملوكي لهذا الجمع واستطاع أن يهزم الجيش التتري في صحراء بلستي وهوتي، فكان تمركز الجيش المغولي في الصحراء وعلى أرض منبسطة يتهيأللقاء، وقد قسم الجيش إلى /١٢/ لواء في قلب وميمنة وميسرة، الجيش المملوكي من الحركة هاجم عدوه من الجبل مستخدما بذلك المفاجأة والظهور الفوري، تقابلت الفئتان، ودافع الجيش المغولي إلا أن الجيش المملوكي استطاع بخفة الحركة والاندفاع الفوري أن يهاجم جوانب خصمه وجبهته، وتفرقت الخيول، ونزل جنود الجيش المغولي وقاتلوا راجلين، إلا أن السرعة في القتال من جانب الجيش المملوكي حسمت المعركة لصالح هذا الجيش، وانهزم المغول وولوا الادبار، وتبعهم الجيش المملوكي يحصدهم ويوقع بهم الاصابات العديدة[٤٨]، وفي سنة ١٢٨١/٦٨٠ جرت معركة كبيرة بين حمص والرستن بين الجيشين المملوكي والمغولي

---

(٤٤): ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ٢٨٢، ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ١٠٧/٧، دحلان: الفتوحات الاسلامية ٣٥/١٢.

(٤٥): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٥٥/٧

(٤٦): البيرة هي قلعة في الشمال الشرقي من الفرات، وفي الشرق عن قلعة الروم على نحو مرحلة يفصل الفرات بينهما. انظر القلقشندي: صبح الاعشى ١٣٧/٤

(٤٧): ابن تغري بردي: المصدر نفسه

(٤٨): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٦٨/٧، المقريزي: السلوك المعرفة دول الملوك ٦٢٨/٢/١، الطباخ: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٣٢٥/٢

/٥٠,٠٠٠/ مقابل /٨٠,٠٠٠/ مقاتل، اجتاح الجيش المغولي حلب فنهبها وقتل أهلها وسار باتجاه دمشق، فخرج له السلطان قلاوون من مصر التقيا بالقرب من حمص جرت معرة كبيرة ميمنة الجيش التتري تغلبت على ميسرة الجيش المملوكي وانهزم هذا الجناح، أما ميمنة الجيش المملوكي فقد تفوقت على ميسرة الجيش التتري. القلب صمد بقيادة القائد الاعلى قلاوون، تحرك نحو الخلف وسمح للجناح اليميني أن يتلف خلف الجيش المغولي، وبنفس الوقت فإنه وزع الكمائن في طريق اتجاه هذا الجيش، حتى إذا اخترقت جبهة وجناح الجيش التتري فر هاربا، فشن قلاوون هجوما معاكسا أدى إلى تمزق القوة المرتدة الهاربة وانتصر على الجيش المغولي انتصارا ساحقا(٤٩) وهذه المعركة تشبه في تكتيلها القتالي معركة عين جالوت التي استخدمت فيها القوات المملوكية الاحاطة والالتفاف واستطاعت أن تبيد القوات المغولية في منطقة الابادة، كما قضت على ماتبقى من فلول هاربة بالمطاردة والكمائن. وفي سنة ١٣٠١/٧٠١ وقعت معركة كبيرة بين الجيشين في منطقة شقحب التي تقع شمال غرب غباغب عن طريق درعا في سورية.

فالجيش المملوكي بقيادة الملك الناصر محمد قلاوون بتعداد قدره ٨٠,٠٠٠ مقاتل، والجيش المغولي بقيادة قازان بتعداد يساوي الجيش المملوكي(٥٠)، لاتقل هذه المعركة ضراوة عن سابقاتها، وقد استخدم فيها أسلوب الدفاع المتحرك على مسرح عمليات مشابه لمسرح عمليات معركة عين جالوت التي لاتبعد كثيرا باتجاه الجنوب الغربي، وقد حدثت هذه المعركة في رمضان كما في المعركة الفاصلة، كما كان أسلوب القتال متشابها، وحاول الجيش المغولي في هذه المعركة الكبيرة أن يعيد اعتباره، وأن يلحق الهزيمة بخصمه، وذلك عن طريق استدارجه ثم الاحاطة به وتطويقه لكن الجيش المملوكي كان يقاتل عن تصميم وشجاعة ومعنويات عالية.

---

(٤٩): أبو الفداء: تاريخه ١٥/٢/٢

القرماني: أخبار الدول وآثار الاول ٢٠٠، الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين ١٣٢، المقريزي: الخطط ٢٩٤/٣، كرد علي: خطط الشام ١١٨،

Lane - Poole: A History of Egypt in the Middle Ages: 10/279/280.

(٥٠): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٥٧/٨، كرد علي: خطط الشام ١٣٨، تسيترشتين: تاريخ سلاطين المماليك ١١٠ ومابعدها.

ومـا أن انسحبت القـوات المملوكية خدعة إلى الخلف حتى تبعتها القوات المغولية، ظنا منها أنها انهـزمت، حتى إذا ماوصلت القـوات المغـولية الى منطقة الابادة التفت عليها القوات المملوكية من الجناحين اليميني والشمالي، بالتفاف قريب وبعيد، حتى إذا وقعت في الطوق هاجمتها بقوات القلب بقيادة الناصر محمد قلاوون، وبذلك أمكن إحكام الطوق وقتل في هذه المعركة مالايقل عن نصف الجيش المغولي، وانهزم هذا الجيش فتعقبه الجيش المملوكي باتجاه دمشق، وكان يضع في طريقه الكمائن فوصلت مطاردته إلى مابعد القريتين وجيرود إلى الشرق من دمشق بمائة كيلو متر، وتفـرق الجنـود المغـول لايلوون على شيء وهزموا شر هزيمة[٥١]، وفي سنة ١٣٩٩/٨٠٣ اجتـاحت القـوات المغـولية بقيادة تيمور الجزء الشمالي من سوريا مركزا هجومه على مدينة حلب ضاربا الحصار عليها، محيطا بها وبسورها. الجيش المملوكي كان خلف السور يدافع عن المدينة مدة يومـين، وقـد جرت معـارك فرديـة وامتدت إلى قتال بالنشاب والمكاحل، اصطف الجيشان للقتال. فالجيش المملوكي، فرقة منه من الجنود الدمشقين في الميمنة وفرقة منه من الجنود الحلبيين في الميسرة وفرقة إخرى مختلفة مع قيادة الجيش المملوكي كانت في القلب، وأمام هذا الجيش فرقة أخـرى من المشـاة كانت في أغلبهـا من الحلبيـين ابتـدأت المعـركـة وانقض الجيش المغولي على القلب، والتف جزء منـه نحـو الميسـرة فخرقها، ثم التف نحو الميمنة فقضى عليها، وبذا تفرق الجيش المملوكي وانهزم، واندفع الجيش المغولي خلفه يقتل ويحرق ويدمر وينهب ويسبي النساء ويقتـل الاطفـال ويقطع الاشجار، متبعا في ذلك الارض المحروقة التي لاتبقى ولاتذر[٥٢]، لقد كان ترتيب الجيش المملوكي ضعيفـا من النـاحيـة العسكـرية، وكانت قيادته مفككة وليس لديه الاستعـداد الكـافي للدفـاع عن مدينة حلب، كما كان أغلب العسكريين الداخلين في فرقه غير مدربـين التـدريب الـذي يسمح لهم بمقابلة الجيش المغولي[٥٣] ولو قاتل الجيش المملوكي مجمعا

---

(٥١): ابن خلدون: تاريخه ٤١٧/٦، ابو الفداء: تاريخه ٢/٢/٥٠، ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ٢١٤/٣، الدواداري: الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ٨٥/٩

(٥٢): الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب ٢٠٨/٣ وما بعدها

(٥٣): ابن تغـري بردي: النجـوم الـزاهـرة ١٢٠/٢٢٠ وما بعدها، الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١٧٥/١، كرد علي: خطط الشام ١٦٦ ومابعدها

لامجزءا لكانت النتيجة حقا لصالحه.

وهـذه نقطـة ضعف استغلها قائد الجيش المغولي، فدمر جيش حلب، ثم حماة ثم تقدم نحو دمشق يريـد تدمـير القسم البـاقي قبل أن يلتحق القسم الأكبر من مصر وحينئذ يكون الانتصار على هذا الجيش المجمع ضعيفا، ويبدوا أن الأفق الاستراتيجي لدى القادة المماليك كان ضيعفاً بحيث لم يحتسبـوا ملاقـاة عدوهم في حلب، فتركـوا الامـر على غاربه كما أنهم لم يحتسبوا الوقت والمكان الاستراتيجيين للوقوف والتصدي للجيش المغولي.

واصلت القـوات المغـوليـة تقـدمهـا نحو دمشق، في الوقت الذي وصلت فيه طلائع الجيش المصري، والتقى الطرفان في معركة حامية في سهول البقاع، وكادت القوات المملوكية تنتصر، لولا أن الامراء تركوا أمكنتهم في صفوف القتال، وتوجهوا نحو مصر لخوفهم من انقلاب يجري عليهم وهم بعيـدون عن أرض مصـر، فالجنـود بدون قادة لايقاتلون، إذ تركوا أسلحتهم ورموا عتـادهم ولحقـوا بالقـائـد الاعلى وبقـادة التشكيـلات، فلما رأى العـدو هذا تبعهم ولاحقهم، ووضـع السلاح في ظهورهم حتى قتل عدداً كبيراً منهم[٥٥]، تراجع ماتبقى من الجيش المملوكي والـذي كان يضم فلول الجيش الحمصيـة والحمـوية والحلبية والدمشقية ودافعوا عن المدينة[٥٦]، لكن تيمـوز استطـاع بحيلة أن يدخـل دمشق ويحرق وينهب على عادته، وارتحل منها إلى حلب وفعل بها ماكان قد فعله من قبل[٥٧].

كانت مؤخرة الجيوش المجتمعة في دمشق قوية، فالتموين متوفر، والاسلحة وكذلك المياه، والمـدينـة محصنـة تحصينـا قويا وفيها المستودعات المملوءة بأصناف الحبوب والارزاق[٥٨]، لم يكن

---

(٥٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢/٢٢٢ ومابعدها، القرماني: اخبار الدول وآثار الاول ٢٠٨، ابن عمر بشاة: عجائب المقدور في أخبار تيمور ٨٨ ومابعدها، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٣/٣/٣٢ ومابعدها

(٥٥): ابن يحيى: تاريخ بيروت ٢٠١، الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١/١٧٧

(٥٦): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢/٢٣٩ ومابعدها

(٥٧): القرماني: أخبار الدول وآثار الاول ٢٠٩، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٣/٣/٤٦، ومابعدها، ابن عربشاه: عجائب المقدور في أخبار تيمور ٩٤

(٥٨): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢/٢٣٩

لذى قادة الجيش المملوكي التصور الحقيقي للمعركة التي دارت في ضواحي دمشق وفي المدينة بالذات فلما تبين لهم أن العدو تقدم تخاذلوا وخافوا ملاقاته، وانصاعوا لأوامره، وانطلت عليهم خدعة عدوهم بأن طمأنهم على أنفسهم، وأنه يريد الصلح معهم، فصدقوا ومضوا في ذلك حتى إذا خدعوا أتاهم بجيش وبقوة لاقبل لهم بها ففتح دمشق وقتل أهلها(٥٩)، كما أن قيادة الجيش المملوكي كانت مختلفة فيما بينها، منهم من يقول بالقتال، ومنهم من يقول غير ذلك وتوسعت الخلافات، والعدو مستعد ويرسل استخبارات جيشه المختصين وبذلك تمكن من الانتصار بسهولة(٦٠)، وأكثر من هذا أن قيادة الجيش المملوكي تركت الجنود بدون قيادة واتجهت نحو مصر، مما عجل في الهزيمة(٦١)، فلقد شغلهم حبهم للاقطاع والمناصب عن أمور الحرب والدفاع عن البلاد، أما عدوهم فكان منصرفا لمهمة واحدة هي القتال وحده(٦٢)، ومن مجمل المعارك التي عرضناها، ومن الانجازات التي كانت بين الطرفين والتي قدمناها والتي لم نقدمها فإنه تبين مايلي:

١ ـ إن الجيش المملوكي بلغ أوج انتصاراته وفتوحاته في عهد الملك الظاهر بيبرس، ثم بدأ يضعف حتى كانت نهايته في معركة مرج دابق.

٢ ـ لقد كان الجيش المملوكي مدافعا طيلة فترة الحكم المملوكي، ولم يستخدم الهجوم إلا في زمن الملك الظاهر بيبرس الذي كان يلاحق الجيش المغولي أينما كان وفي أي وقت ويتعقبه حتى في أراضيه وفي قواعده.

٣ ـ كانت المعارك سجالا بين الجيشيين إلا أن أغلب المعارك كانت لصالح الجيش المملوكي لما امتاز من دقة في التنظيم، وشجاعة نادرة ودفاع مستميت عن الوجود المملوكي الذي انتزع النصر انتزاعاً، وسيحافظ عليه بكل إمكاناته، بازلا إرادة القتال، مقدما المال والنفس، وحركة عالية في ساحة القتال، مطبقا أسس ومبادىء الدفاع المتحرك الذي يتميز بالاحاطة والالتفاف القريب والبعيد.

---

(٥٩): ابن عربشاه: عجائب المقدور في أخبار تيمور ٩٩، ١٠١، ١٠٢

(٦٠): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢/٢٣٣، الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١/١٧٧

(٦١): الصير في: نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ٢/٨٤ ومابعدها، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٣/٣/١٠٤٨، ابن عربشاه: عجائب المقدور في أخبار تيمور ١٠٠ ومابعدها.

(٦٢): القرماني: أخبار الدول وآثار الأول ٢١٠، المقريزي: السلوك لمعرفة الدول ٣/٣/١٠٥١

٤ ـ تميزت الفترة التي أعقبت معركة عين جالوت بالاغارات المتتالية حتى لانستطيع أن نسميها في بعض الاحيان معارك نظامية، فكانت القوات المغولية تقاتل وهي خائفة، وقتالها بما كان يشبه الكر والفر الذي كان مستخدما منذ مئات السنين.

٥ ـ كانت البلاد الشامية مسرحا للعمليات الدائرة بين القوات المغولية والقوات المملوكية، فأغلبها تركز في الجزء الجنوبي في مرج ابن عامر وبلاد حوران، وفي الجزء الاوسط والشمالي في حلب وحمص وامتد نحو الشرق إلى البادية قليلا وحول نهر الفرات.

٦ ـ إن الحذر والخوف كانا ينتابان كلا الجيشيين المتنازعين، ولهذا فإن الجيش المملوكي كان يقاتل وليس لديه الوثوق الكامل بالانتصار، وكذلك فإن الجيش المغولي كان يقاتل وفي نفسه مرارة الهزيمة التي ذاقها في معركة عين جالوت، الأمر الذي يجعله يتردد كثيرا عند إقدامه على مجابهة خصمه، ويحذر كثيرا من ألا يورط معه في معركة طويلة أو مجابهة ساخنة.

٧ ـ إن العزل الذي اتبعه الجيش المملوكي سياسيا وعسكريا أفقده حركة المرونة، وأبعده عن كل أصدقائه الذين كانوا من المتوقع أن ينضموا إليه في حال تعرضه للجيش المغولي، وبخاصة مع (برخ) القبجاقي ومع قيصر الدولة الرومانية[٦٣].

رابعاً: خمود القوى المناوئة التي لها تطلعات في الحكم أو التي لديها القناعة في أحقيتها على غيرها:

لقد قضى المماليك على ماتبقى من الايوبيين الذين كانت لهم بعض الزعامات داخل المملكة، فقد أرسل السلطان بيبرس في ربيع الآخر سنة ٦٥٩/ شباط ١٢٦٠ جيشا إلى الشوبك فاحتلها[٦٤]، وبعد عدة أشهر أرسل جيشا آخر إلى الكرك لإظهار قوته[٦٥] وفي شهر ربيع الآخر سنة ٦٦١/ شباط/١٢٦٢ توجه الملك الظاهر إلى دمشق، وأرسل في طلب المغيث ملك الكرك في حيلة استطاع على أثرها أن يقبض عليه ويزجه في سجن القاهرة[٦٦] ثم

---

(٦٣): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٤٣٤، زقلمه: المماليك في مصر ٤٢

(٦٤): ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٤٨

(٦٥): ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ٤٨

(٦٦): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ٢/١٩٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧/١١٩، عاشور: مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ١٧٥

قتله خنقا[٦٧]، وسار بنفسه إلى الكرك مع جيش يحتوي على جميع صنوف الاسلحة بما فيها الصناع والوحدات الفنية والهندسية. وضرب الحصار على المدينة فاستسلمت وأعادها، إلى حكم المماليك[٦٨]. وقد حدثت ثورات في الكرك ضد الحكم المملوكي، ووقعت الواقعة بين الايوبيين أنفسهم[٦٩]، وفي ربيع الأول سنة ٦٧٤/ أيار ١٢٧٥ توجه الملك الظاهر إلى الكرك لقمع الفتنة، وقطع على أثرها أيدي وأرجل ستة ممن لهم علاقة، ونظم شؤون هذه المدينة وولى عليها رجالا موثوقين ثم عاد[٧٠].

لم يكتف الملك الظاهر بملاحقة الايوبيين، وسلاطينهم، بل طاردهم وتعقب فلولهم حتى على مستوى جندي في القوات المسلحة، وذلك بتسريح كل أمراء وضباط وجنود وخدم الايوبيين، وذلك اعتقادا منه في تنظيف الجيش، وجعله مقتصرا فقط على أولئك الضباط والجنود الموالين فأحال على التقاعد الجندي فخر الدين، وتخلص من الامير سيف بن نجم الدين الايوبي[٧١].

وفعل الشيء نفسه بالدولة البدرية التي كانت تقع في الجزء الشمالي الشرقي من سوريا، وتضم الموصل والجزيرة ونصيبين وماردين وبالوصا وحاصور وتورزوسوس، وكان على الموصل الملك الصالح بن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الاتابكي وعلى الجزيرة أخوه الملك المجاهد سيف الدين اسحاق، وكان على سنجار الامير شمس الدين برلي، وعلى ماردين الملك المظفر[٧٢]، عقد هؤلاء الملوك حلفا، وكان من أهدافه الوقوف أمام التتر، والاستقلال

---

(٦٧): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ٢/٣٠٠، الصقاعي: وفيات الاعيان ٩٨

(٦٨): ابن الصقاعي: تالي وفيات الاعيان ١٦٧، ابن أبي الفضائل: النهج السديد ١/٤٥١، ٤٥٢، اليونيني: ذيل مرآة الزمان ٢/١٩٤، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٤٩١، ٤٩٢

(٦٩): البخيت: مملكة الكرك ٩٧ ومابعدها.

(٧٠): ابن الفرات: تاريخه ٧/٥٣، ٥٤، ابن شداد: الاعلاق الخطيرة ٧٩

(٧١): ابن الفرات: تاريخه ٧/٦٢، ١٠٤، وقد توهم العرب بانتهاء المغول بعد معركة عين جالوت فاطمأنوا إلى هذه النتيجة فانقلبت عليهم في الموصل انظر الرويشدي: إمارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ ٢٦٨ ومابعدها.

(٧٢): ابن الصقاعي: تالي وفيات الاعيان ٥، الرويشدي: إمارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ ٢٧٠ ومابعدها.

بالاراضي والمحافظة على الملك، ولتقوية هذا الحلف طلبوا من الملك الظاهر بيبرس مساعدتهم في حربهم فأبى، وجالت بنفسه فكرة القضاء على هذه الدويلات ليصفى له الجو، وليوسع مملكته الفتية في المستقبل فحرض هؤلاء وتركهم لوحدهم أمام قوة المغول، ثم سمح من جهة ثانية للمغول بالاعتداء على هؤلاء الملوك، فقد زحفت الجيوش المغولية إلى الموصل في سنة ٦٦٠/ ١٢٦١ وبعد معارك متتالية استخدم فيه المغول المجانيق لحصار المدن وتدميرها تمكنوا من فتحها وتخريبها وقتل من فيها، والتجأ بعض الملوك منهم إلى الدولة المملوكية فبقوا فيها حتى آخر حياتهم(٧٣)، بهذه الخدعة السياسية استطاع الملك الظاهر بيبرس أن يقضي على الدولة البدرية التي تشكل عقبة في طريق مطامعه التوسعية وتطلعاته المستقبلية لبناء الدولة الجديدة.

وضغط الجيش المملوكي بشدة على قوى الاسماعيلية الذين كانوا يسكنون في مصياف والمنطقة الغربية في حمص وحماة، وكانت هذه المنطقة تتميز بالقلاع والحصون، وفي سنة ٦٦٨/ ١٢٦٩ ركز الجيش المملوكي جهوده ضد هذه الفئة التي رأى منها تطلعات في استقلالية الحكم ضمن البلاد، ورأى من قادتها أخطارا عسكرية قد تؤدي إلى البلبلة والفوضى، وقبل أن يتهيأ الاسماعيليون للحرب فاجأهم بيبرس بهجوم استولى في نهايته على مصياف، ثم توالت هجماته حتى استولى على قلاعها منها العليقة، وانتصر عليهم انتصارا ساحقا(٧٤).

خامسا: تشجيع الجيش المملوكي ودفعه إلى فتح الجهات للقضاء على جميع القوى التي بدأت تعد العدة للوقوف أمام هذا الجيش وتوسعاته:

أظهر الجيش المملوكي ـ بالاضافة إلى المغول ـ العداء والتصدي للصليبيين والارمن وبعض الدول الافريقية وبني عثمان وغيرهم وكان هدف القيادة المملوكية من هذه الحروب القضاء على كل القوى الخارجية، كما قضت على كل القوى الداخلية، والسيطرة الكاملة على الساحل وعلى الاراضي الشامية والمصرية، وأخذ مكانة الجيش المغولي في القوة والسيادة في العالم.

إن معظم الحروب الصليبية كانت على الساحل في عكا، يافا، انطاكية، طرابلس، صيدا،

---

(٧٣): الهمذاني: جامع التواريخ ٢/ ١/ ٣٢٧ ومابعدها، الصقاعي: وفيات الاعيان ٤، ٥، الصفدي: الوافي بالوفيات ٩/ ١٩٣ ومابعدها

(٧٤): أبو الفداء: تاريخه ٢/ ٢/ ١٠، ابن الصقاعي: تالي وفيات الاعيان ٥، عمون: تاريخ مصر ٢٠٠

صور، وهذه المدن هي معقل الصليبيين ومكان تمركزهم. وقد تميز هذا القتال باستخدام السفن ومعظمها من الشواني[٧٥] التي كانت تقاتل بمجموعات من /٥-٦/ شواني وفي كل مجموعة طاقم كامل من المقاتلين البحريين وجنود المشاة، والفنيين والخبيرين بصناعة وترميم هذه القطع البحرية.

كما في القتال الذي دار بين الجيشين في عكا[٧٦] وقد تميز أيضا بالقتال البري والبحري معا إذ أن من المعلوم أن الجيش المملوكي هو جيش بري قبل أن يكون بحري، كما حصل في عكا وانطاكية[٧٧] وبحصار المدينة مدة طويلة وقطع الامدادات عنها قطعا تاما حتى تستسلم في النهاية[٧٨]، وبالرمي عليها بالمدفعية (المنجنيق) البعيدة المدى التي تؤثر في المباني والتحصينات وتحدث ثغرات كبيرة في الاسوار والدفاعات[٧٩].

وبالاخفاء والتمويه وبالخدعة كما حصل في الهجوم على عكا سنة ١٢٩١م إذ كان المهاجمون المماليك من الخيالة قسم منهم يلبس لباس الفرسان الاستبار والآخر لباس فرسان الداوية، وقد توهم العدو أنهم من الفرسان الاصدقاء فلم يتعرض لهم، حتى إذا اقترب الجيش المملوكي من أهدافه قام بالانقضاض على الجيش الصليبي ودخل المدينة[٨٠]. وبالضغط المتواصل فلا يدع فرصة للجيش الصليبي أن ينظم صفوفه، أو يقوم بتحضيرات الدفاع أو الهجوم أو يصطف

---

(٧٥): الشيني: جمع شواني وهي قطعة بحرية قديمة استخدمها الاسطول الايوبي قبل المملوكي يقاتل على ظهرها /١٥٠/ جنديا ولها مئة مجذاف، انظر ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ١١٩، ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بن أيوب ٣٣/٤، ٩٥، ٩٦، ابن الفرات: تاريخه ٨٣/١/٤، مبارك: الخطط التوفيقية ٨١/١، العدوي: الاساطيل العربية في البحر الابيض المتوسط ١٥٣

(٧٦): النويري: الالمام ٩٤، ٩٦، المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٥٩٣/٢/١، تسيترشتين: تاريخ سلاطين المماليك ٣ ومابعدها

(٧٧): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٥٦٧/٢/١، الحنبلي: الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ٨٩/٢

(٧٨): القرماني: أخبار الدول وآثار الأول ٢٠٠

(٧٩): أبو الفداء: تاريخه ٢٧/٢/٢

(٨٠): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٥٦٧/٢/١، ٥٧٤، سرور: الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره ٨٤

بترتيب القتال[٨١] وبتجزيء قوات العدو، ومهاجمة جزء ليسهل التفوق، وليتم الانتصار بسرعة[٨٢]، وبتشكيلة قتال على شكل نصف دائرة أو على أنساق متساوية ويجري القتال إما عن مناوشة سفينة إلى سفينة مع استخدام الاسلحة المختلفة، وإما اقتحام واحدة إلى أخرى وخرقها باللجام وإما أن تقترب السفينة فتمد جسرا ويجري القتال وسط السفينة بالاسلحة القريبة وبالاشتباك المباشر كما حصل في جزيرة قبرص[٨٣] وكما في ملطية التي حوصرت ودافع أهلها ولما استيأسوا استسلموا ودخل الجيش المملوكي فأكثر فيها القتل وأسر العدد الكبير وغنم الشيء الكثير وعاد من حيث أتى[٨٤] وكما كانت الحروب في الساحل ولها ميزاتها فإن في القلاع والحصون حروبا لها خصائصها منها حصن المرقب[٨٥]. ومرقية[٨٦]، وبلاطنس[٨٧]، وبرزية[٨٨]، وقلعة صهيون[٨٩]، وغيرها، وقد تميز قتال هذه القلاع والحصون بالرمي المدفعي وبالنشاب[٩٠] وبالتحصين القوي لهذه الأمكنة مثل حصن مرقية الذي كان يتألف من سبع طباق بني بعضها على بعض، فقواعده من الحجارة التي أتي بها من الجبال القريبة وشبكت على بعضها بقضبان حديدية، وثبتت بشبك من الرصاص كما يحصل الآن في المناطق المحصنة

(٨١): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٥٢٤، ٥٢٧، الذهبي: الدول الاسلام ٢/١٥٧

(٨٢): الذهبي: دول الاسلام ٢/١٢٨

(٨٣): الحلبي: تحفة الظرفاء في مناقب الملوك والخلفاء ٧٧٠، ٧٧١

(٨٤): ابن الوردي: تاريخه ٢/٣٧٥

(٨٥): حصن المرقب هي قلعة على ساحل البحر الابيض المتوسط، تقع بانياس إلى جهة الغرب منها على بعد فرسخ وبينها وبين طرطوس أثنا عشر ميلا انظر: القلقشندي: صبح الاعشى ٤/١٤٦ وهي حاليا في الاراضي الساحلية السورية يراها الراكب إذا مر من بانياس.

(٨٦): يقع هذا الحصن بين طرطوس وبين المرقب على البحر الابيض المتوسط قبالة مدينة قرقية وبينه وبين البحر رميتان للسهم السريع، انظر: ابن عبد الظاهر: تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور ٨٧

(٨٧): بلاطنس: يقع بالقرب من مدينة مصياف وعلى نصف مرحلة إلى الغرب، انظر القلقشندي: صبح الاعشى ٤/١٤٥

(٨٨): برزية يقع بالقرب من مدينة اللاذقية انظر القلقشندي: صبح الاعشى ٤/١٤٥

(٨٩): قلعة صهيون تقع بالقرب من اللاذقية مبنية على صخر أصم تبعد عنها حوالي ٢٠ كم تقريبا انظر القلقشندي: صبح الاعشى ٤/١٤٥

(٩٠): ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ١٤٩، ١٥٠

«وداخله صهريج عظيم وفوق الصهريج قبو وفوق القبو أخشاب وفوق الاخشاب حصا صغار وفوق الحصى خيش وفوق الخيش حبال قنب مشددة»(٩١) بهذا التحصين لاتستطيع المدفعية أن تؤثر فيه وفي اعتقادي أن المدفعية الحديثة التقليدية في الوقت الحاضر لايمكن أن تؤثر بهذا التحصين القوي الذي كانت سماكته لاتقل عن ثلاثة أمتار وهذه السماكة كافية لان تصد أية قذيفة منجنيقية في ذلك الوقت، وقد تميز أيضا بالحصار فإن الجيش المملوكي يعلم أن القذائف لاتؤثر فيه فيعمد إلى ضرب الحصار لكنه يحاصر من جهة البر ويبقي البحر مفتوحا، وبهذا ولنجاح هذه العملية فإن الحصار يجب أن يكون كاملا من البر والبحر وبالدخول إلى هذه الحصون من قبل قوات خاصة تفتح الابواب، وبالحرب النفسية وإدخال الرعب وكلها أساليب ليتمكن الجيش المملوكي من الاستيلاء والولوج إلى داخل هذه القلاع(٩١).

لقد كانت القيادة المملوكية حازمة في قرارتها مستمرة في عملياتها، يقود القوات القائد الاعلى بنفسه ويقتحم المصاعب والامكنة القتالية الخطرة، ويضرب المثل في الشجاعة والإقدام(٩٢) وقد كانت السمعة القيادية والشهرة القتالية تسبق الجيش المملوكي في حروبه إذ كان بمجرد توجهه إلى ناحية ما أو عدو فإن هذا العدو ترتعد فرائصه، ويضع في حسبانه أنه لاطاقة له بمواجهة جيش قادر على إحراز النصر في المرات السابقة اللاحقة(٩٣).

لقد خسر الصليبيون الحرب أمام المماليك لتنابذهم واختلافهم وعدم وجود قيادة موحدة تجمعهم بتضارب المصالح وعدم تجانسهم، كل هذا أدى إلى فشلهم وهزيمتهم(٩٤).

إن الحرب على الجبهة الارمنية قد ابتدأ بهجوم معاكس قامت به القوات المملوكية ردا على هجوم قام به الأرمن بمساعدة الصليبيين والمغول بعدما وصلوا إلى عنتاب الحدود الشمالية من سوريا.

في سنة ٦٦٣/١٢٦٤ هاجم الجيش المملوكي الارمن في عقر دارهم إذ جهز الظاهر بيبرس جيشا قويا بقيادة الملك المنصور صاحب حماه، وكان الارمن بقيادة هيثوم بن قسطنطين، وعندما

(٩١): ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ٨٨

(٩٢): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٢٥ ومابعدها.

(٩٣): سرور: الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره ٩٢

(٩٤): كرد علي: خطط الشام ١٢٤، ١٢٧، ارنولد ـ حضارة الاسلام ٨٥

تقابـل الطـرفـان لم يثبت الطـرف الارمني ولجأ إلى الحصـون ونصب عليها المجانيق والاسلحة الـدفـاعيـة إلا أن الملك المنصـور استطاع تعقب فلولهم، وخرق المناطق المحصنة واستولى على حصن الـدربنـدات وعلى قلعـة العـامـودين، وقتـل وأسـر الكثـير ثم قفـل راجعا[٩٥] وفي سنة ٦٨٤/ ١٢٨٥ في عهـد السلطـان قلاوون هوجمت أراضي الارمن وفتحت البـلاد وقبـل أهلهـا شروط السلطـان الـذي انتصـر عليهم انتصـارا ساحقـا[٩٦] وفي سنة ٦٩٧/ ١٢٩٧ خرج الملك المنصور حسام الدين لاجين للقتال في بلاد الارمن، وكانت نقطة التجمع، للجيوش المملوكية في حلب، ـ مصر، الشام، حماة، حمص، ـ ثم انطلق هذا الحشد، وتلاقت هذه الجيوش جميعا على نهر جيحان، ومن هنا أيضا بعد أن تلقت مهماتها القتالية ـ انطلقت في أنحاء البلاد وقاتل كل جيش لوحده ثم عادوا جميعا إلى حلب، ثم عادت بعد فترة تلك الجيوش فحاصروا المدن والقلاع الارمنية وقطعوا عنها المياه، حتى مات قسم كبير نتيجة قطع المياه، واستولى المملوكيون على كثـير من البـلاد وكـانت الحرب شبه مستمرة فيما بين المملوكيين والارمن وكان المماليك كلما فتحـوا مدينـة أو قلعـة عينوا لها نائبا لتنظيم أمورها الادارية[٩٧] وكان نهر جيحان حدا فاصلا بين الارمن والمـماليـك الـذين كانـوا الى جنـوب النهـر[٩٨] وفي عام ٧٥٣/ ١٣٥٢ اقتص من الارمن لمساعدتهم القبارصة عند هجومهم على مصر سنة ٧٤٩/ ١٣٤٨ واجتاح الجيش المملوكي تلك البـلاد واتجـه نحـو عاصمتهم سيس وتقدم باتجاه كليكيا وأسر ملك الارمن (ليو) وأتى به القاهرة ثم أطلق سراحه فيما بعد ومنع من العودة إلى بلاده وفي سنة ٧٥٠/ ١٣٤٩ ضمت جميع أراضي أرمينيا إلى الدولة المملوكية وخضعت نهائيا لحكمهم[٩٩].

لقد تميزت هذه الحروب بالهجوم الصاعق نحو الارمن، ثم بالضغط المستمر حتى لم يترك لهم

---

(٩٥): أبـو الفـداء: تاريخه ٢/٢/٣، الطباخ: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٢/٣١٦، كرد علي: خطط الشام ٢/١١٥

(٩٦): ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ٣٠ ومابعدها

(٩٧): ابن إيـاس: بدائـع الـزهـور في وقائع الدهور ٢/٢/١٢، ٤٨، ٩٠، ١٩٤، ابن الوردي: المختصر في أخبار البشر ٢/٣٤٧، ٣٨٤، ٤٤٥

(٩٨): ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٢/٢/٣٨

(٩٩): الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب ٣/١٧٦ ومابعدها ١٩٠ ومابعدها، زقلمه: المماليك في مصر ٦٢ ومابعدها.

فرصـة للتفكـير، أو لإعـادة تنظيم فلولهم[١٠٠] وبقتـال الجيـوش المتلاقية التي انطلقت من نقطة واحـدة عنـد ابتـداء القتـال أو عنـد انتهائه وكان التعاون بين هذا النوع من القتال علامة مميزة، وبـالحصـار الكـامـل وقطـع الامـدادات وبخـاصـة الميـاه[١٠١]، وقد حاول الارمن مرات كثيرة التحـالف مع أعـداء الـدولـة المملوكية أو التخلص من الالتزام لكنهم في كل مرة يكون نصيبهم الفشل، وتكون هذه الاعمال سببا في إرسال حملة تعيدهم إلى ماكانوا عليه[١٠٢].

لم يجد الجيش المملوكي أية صعوبة في الانتصار على الارمن واحتلال بلادهم، ذلك أن هذا الجيش بحق هو الجيش الهجـومي الـذي دلت أكثـر معاركه أنه يتقنها ويجيدها بالمناورة والالتفاف والخرق وتحطيم الجزء القوي في الجبهة الارمنية، وكذلك فإن هذا الجيش اتبع سياسة المتتالية في إخضـاع الارمن والاستيـلاء على بلادهم، فهو قد بدأ منذ عهد الظاهر بيبرس واستمر بالهجوم والتوسع وبقي متابعا حتى سنة ٧٧٧/١٣٧٥ حيث قضى على خصمه نهائيا.

على الجبهـة الافـريقيـة كان بنـو حفص في تونس وبنـو عبـد الدار بتلمسان وملوك الاندلس بغـرنـاطـة، على أن العـلاقـات مع بني حفص وديـة تتميـز بالهـدايـا والتبادل بالكلمات الطيبة والاشـتراك مع الجيش المملوكي في الحـرب وبخاصة في فتح قبرص، وتعتمد هذه العلاقة على تشـابـه العقيـدة الدينية مع بعض الاقطار الافريقية، وعلى وجود الاثار المقدسة للمسيحيين في الاراضي المملوكيـة الـذين كانـوا يحقـدون على المماليك بسبب إستيلائهم على تلك الاراضي المقدسة التي كانوا يطمعون فيها[١٠٣].

الـدولـة الـرسـولية في اليمن كانت تعاصر الدولة المملوكية في مصر، وكان بينهما مودة وتقارب واتصـالات مستمـرة، حتى أن بعض الالفـاظ والتعابير العسكرية الدارجة في الجيش المملوكي كانت تستخـدم في الجيش الـرسولي مثل الدبوس، الرمح، النشاب، المنجنيق العرادات[١٠٤]. والألقـاب والـرتب مثل نائب السلطان أمير، أتابك العساكر، طبلخاناه خازندار، جاندار،

---

(١٠٠): ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ٣٥٥

(١٠١): أبو الفداء: تاريخه ٢/٢/٣٦ ومابعدها

(١٠٢): الطباخ: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٢/٣٢٣ ومابعدها

(١٠٣): طرخان: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ١٤٢ ومابعدها

(١٠٤): ابن القـاسم: غايـة الامـاني ٢/٦٣٣، ٦٣٦، ٦٣٧، الخـزرجي: العقـود اللؤلؤيـة في تاريخ الدولة الرسولية ٢/١٨٥، ٢٠٦

مقدم الجيش، فكان الجيش الرسولي بهذه وتلك جزء من الجيش المملوكي أو تشكيل منبثق عنه[١٠٥].

أما مع بني عثمان فقد قام تحالف ودي في بادىء الأمر، ومساعدات عسكرية فيما بين الطرفين لوجود خطر مشترك يهدد الاثنين هو الوجود المغولي ولوجود نية عدائية مستوره لدى الدولة العثمانية بغية بسط سيطرتها على الاراضي المملوكية وأخذ السيادة والزعامة الاسلامية منهم، وبخاصة على الاراضي المقدسة ونيابة القدس، وبدأ التنازع واضحا حين أراد العثمانيون بسط نفوذهم على إمارتين تركمانيتين هما قرمان و الغادر اللتين كانتا تحت الحماية المملوكية[١٠٦]، حدث أول صدام مسلح في زمن السلطان قايتباي سنة ١٤٨٤/٨٨٩ حيث أرسل حملة بقيادة تمراز الشمس انتصر فيها على بني عثمان وبالمقابل فإن سلطان بايزيد أغار على بعض البلاد المملوكية وكان نصيبه الفشل[١٠٧]، ثم تعقدت الامور ودخلت الدولتان في حرب حقيقية، وقاد معظم حروبها الأمير ازبك الذي استولى على كثير من البلاد العثمانية وقهرهم في عدة معارك وبخاصة المعركة التي دارت على مشارف حلب ١٤٨٧/٨٩٣ حيث قتل فيها عدد كبير من الطرفين، ووصل الجيش المملوكي إلى حدود أضنه[١٠٨] وما أن وصل السلطان سليم إلى الحكم حتى أخذ بالاستعدادات واختلاق الخدع، وتنظيم الاتصالات مع أعداء المماليك وإخفاء كل تحركاته، لكن السلطان الغوري المملوكي كان يميل إلى الصلح وأرسل عدة هدايا ومفوضين وحاول عدة مرات للوصول إلى الصلح، لكنه فشل أمام إصرار السلطان سليم على الحرب[١٠٩]، ووقعت معركة مرج دابق التي انتهت بها دولة المماليك[١١٠]، وأما عن البرتغاليين فهم الذين خاضوا معارك بحرية مع الجيش المملوكي واستولوا على القواعد، وقطعوا طرق الامداد البحرية،

---

(١٠٥): ابن القاسم: غاية الاماني ٢/٦٣٣، ٦٣٦، الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ٢/١٨٥، ٢٠٦

(١٠٦): الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ٢/١، ٤٤، ٨٨، ١٠٤، ١٦٨

(١٠٧): كرد علي: خطط الشام ١٩٥ ومابعدها ٢٠٨

(١٠٨): كرد علي: خطط الشام ١٩٦

(١٠٩): كرد علي: خطط الشام ١٩٦ ومابعدها

(١١٠): الاسحاقي: أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول ١٤٤، القرماني: أخبار الدول وآثار الأول ٢٢٠

وحاصروا ومنعوا عن الجيش المملوكي كل الوسائط الامدادية التي يحتاجها(١١١)، في هذا الوقت بالـذات كان الاسطـول المملوكي غير قادر على مجابهـة الاسطـول البرتغالي بسبب ضعفه وقلة المواد الاولية لصناعة السفن(١١٢).

من هذا يتبين أن الجيش المملوكي قد ضعف على المستويين البري والبحري، وتراجع تدريبه إلى الوراء وأسحلته إلى الاهتراء دون تطويرها ومواكبتها مع جيوش العالم الحديثة آنذاك وكثرت الفتن الداخلية والاضطرابات الداخلية وتنازع السلطان والامراء على السلطة وتباغض الحكام والمحكومون، وسرت العدوى للفوضى داخل الجيش، واندس العملاء والجواسيس في قلب الـدولـة والجيش، وضعفت القـاعـدة المـاديـة التي أثرت بصورة حادة على الامداد وعلى التصنيع الحربي وعلى تطوير الاسلحة والمعدات القتالية، وتراجعت المعنويات بسبب الانقسام وامتناع بعض الفئات المقاتلة عن متابعة القتال.

سادسا: تطوير الجيش المملوكي وتحديث عتاده وأنظمته القتالية:

ازداد حجم الجيش بعد معركة عين جالوت وتعددت تشكيلاته القتالية ففي أعقاب المعركة وفي زمن الملك الظاهر كان هناك ثلاثة جيوش أحدهما في مصر وثانيهما في دمشق وثالثهما في حلب ولقد اطلق على الجيش (الجيوش) الذي يقوده القائد الاعلى «جيش الزحف»(١١٣) ويبلغ عدده /٤٠٠٠٠/ مقاتل(١١٤) وبلغت إحدى التجريدات في عهد الملك الناصر /١٥٠٠٠٠/ مقاتل(١١٥) ثم تطور هذا الجيش فأصبح يضـم قوات مركزية في مصر وقوات احتياطية ودخل في قوامه جيوش القبائل العربية والتركمان والاكراد ووصل حجمه إلى / ٣٥٧٠٠٠ /(١١٦).

وكـذلـك فإنـه طرأ تطوير كبير على نوعية الاسلحة والاختصاصات المتعددة في الجيش فلقد

---

(١١١): ماهر: البحرية في مصر الاسلامية وآثارها الباقية ٢٨ ومابعدها، يوزبكي: تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المملوكي ١٣٣

(١١٢): ابن مماتي: قوانين الدواوين ١٧

(١١٣): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٦٣٨/٢/١

(١١٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٩٧/٧

(١١٥): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٢٦/٩

(١١٦): ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك ١٠٤/١٠٦

أشاد سلاح الهندسة برج كبير في بيروت على أنقاض برج القلعة المخرب[117].

وبنى الجسور والقناطر والترع[118]، كما كان سلاح النفط والنيران في مقدمة الاسلحة التي أصابها التطوير إذ تنوعت المواد الحارقة، واستخدمت على نطاق واسع[119] وكان لها تأثير كبير على العدو اذ كان الجيش المملوكي يستخدم السلاح في الزمن والمكان المناسبين، وربما استخدمه في معركة، ولم يستخدمه في معركة مشابهة، وذلك نظرا للظروف القتالية، وشروط استخدام هذا السلاح فهو لم يستخدمه في معركة حمص سنة ٦٨٠/١٢٨١، بينما استخدمه في معركة وادي الخزندار سنة ٦٩٩/١٢٩٩ ففي هذه المعركة أدخل الجيش المملوكي خمسمائة قاذف لهب وهو عدد لا يستهان به حتى في المعارك الحديثة وبعد ذلك انتشر هذا السلاح واستخدمه الجيش المملوكي وطوره[120] وكذلك السلاح الكيميائي الذي وصل الى ان يتوفر لديه من القنابل الهجومية والدفاعية كالتي نراها في الجيوش التقليدية في الوقت الحاضر وكان الجير وبعض المواد الكيميائية تدخل في تركيب هذه القنابل[121] وهناك سلاح المدفعية الذي تطور تطورا ملحوظا إذ بعد أن كان يحمل على الكتف صار على عجل وبعد أن كانت أجزاؤه الحركية بطيئة التجهيز صارت سريعة وزادت قوة الرمي ومسافته وسرعته وأصبحت حشوته من البارود ومعدنه من النحاس أو الحديد[122]، وأما السلاح البحري فقد احتوى على مكاحل البارود والفؤوس والاسلحة النفطية والكيميائية وقدور الحيات والعقارب وغيرها، غير أن هذا السلاح قد ضعف في أيامه الاخيرة، وأصبح عاجزا عن مواكبة غيره في دول العالم[123]، أما الاسلحة

---

(١١٧): ابن يحيى: تاريخ بيروت ٤٢

(١١٨): المقريزي: الخطط ٢/٥٨٦ ومابعدها

(١١٩): الرماح: مخطوطة الفروسية والحرب والاسلحة ٣٦، الناصري: مخطوطة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ٧٧

(١٢٠): David Ayalon: Gun Powder and Fire arms in the Mamluk Kingdom 14, 27

(١٢١): الناصري: مخطوطة الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ٢٠٥، النويري: الالمام ١٤٤

(١٢٢): الزردكاش: الانيق في المناجنيق ٤١ ومابعدها، ابن يحيى: تاريخ بيروت ١٠٥، ابن غانم الاندلسي: مخطوطة العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع ١٥، ٢٦، ٤٩

Rey-Les Colonie Franque Syrie Aux XIIme Et XIIIme Siecles pages 37-38

(١٢٣): ماهر: البحرية في مصر الاسلامية وآثارها الباقية ٢٠٣، العدوي: الاساطيل العربية في البحر الابيض المتوسط ١٦٣

الفـرديـة كالدرع والترس والزردية والجوشن والقرقل والدبوس والخوذة والمغفر والخف والتركاش والطـارق والـرمـح والخنجـر والطبر فقد تحسن نوع المعدن الذي يصنع منه السلاح وأضيف إليه الـذهب أو الجـواهر، كما اتقنت الصناعة بالسقي كالسيف الدمشقي[١٢٤]، والجروخ التي كانت ترمي البنـدق إلى مسـافـات بعيـدة[١٢٥]وكـذلـك النشاب والزراقة وغيرها من الاسلحة[١٢٦]، يخطىء من يظن أن الـدولـة المملوكيـة استسلمت للاقـدار في آخـر حيـاتها ويخطىء من يرى أن السلاطين والقاعدة العسكريين قعدوا وتفرغوا للهوهم وأمورهـم الخاصة، صحيح أن الاختلاف والشقـاق قد دب فيهـا، لكنهـا لم تزل باقيـة على حرصهـا الشـديد أن تقاوم التيارات الخارجية والـداخليـة، وأن تنهض بمسـؤ وليـاتهـا وتـتـلافى السلبيات فمن الوجهة العسكرية إزداد حجم الجيش. واستحـدثت قطعـات عسكـريـة، فالظاهر بيبرس شكل فرقة عسكرية من المغول من القبيلة الـذهبيـة التي هربت من الظلم والجـور، والتي رغبت أن تدخـل في الاسـلام كما دخـل سلفهم من قبل ومما شجعهم على ذلك قوة الجيش المملوكي «الفرقة الوافدية»[١٢٧] وكان الهدف من تشكيل هذه الفرقة تعزيز قوة الجيش المملوكي، وبالمقابل اضعاف قوة الجيش المغولي، وتشجيع المغـول الاخرين على الهروب والانضمام إلى القوات المسلحة المملوكية وتمتين العلاقة بين القادة المـماليـك (الظاهر بيبرس) وبين المغول المنتمين إلى القبيلة الذهبية، وإيجاد تحالف يربط ويجمع بين الطـرفـين ضد مغـول فارس الذين كانت لهم عداوة مع المماليك شكلت نواة هذه الفرقة من الـذين أرسلهم بركـة خان المتحـالف مع بيـبرس وكان عددهم / ٢٠٠ / فرد مابين رجال ونساء وأطفـال وكـان ذلـك في سنة ٦٦٠/١٢٦١[١٢٨] أي بعد معركة عين جالوت بعامين، وبعد سنة

(١٢٤): زيادة: دمشق في عصر المماليك ١١٠، الاسكندري: تاريخ مصر ٢٢١، ويسلر: الحضارة الاسلامية ١١٧ ومابعدها

(١٢٥): الدواداري: الدر المسلوب في أخبار بني أيوب ١٠٦/٧، النويري: الالمام ١٣٨/٢

(١٢٦): الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي ٦٣، الحجازي وزملاؤه: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ١٦٣

(١٢٧): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٧٥٠/٣/٢

(١٢٨): السيوطي: حسن المحاضـرة في تاريخ مصـر والقاهرة ٢٩/٢، المقريزي: الخطط ٦٣/٣، الشيال: تاريخ مصر الاسلامية ١٩٥/٢

واحـدة أي في سنـة ١٢٦٢/٦٦١ قدم إلى مصـر / ١٣٠٠ / فارس[١٢٩] ثم نظمت هذه الفـرقة طبقا لما هو متبع في تنظيم القوات المسلحة المملوكية فكان منهم الامراء طبلخانات عشرينات، عشـرات وقـد ازداد عدد هذه الفـرقـة في عام ١٢٩٥/٦٩٥ في عهـد السلطان كتبغا إذ قدم إلى مصـــر حوالي / ١٨٠٠٠ / فارس[١٣٠] وبهـذا اصبحت هذه الفـرقـة قوة ضاربـة بمستـوى فيلق (جيش) أو فرقـة مشـاة أو ميكـانيكيـة في الـوقت الحاضر، ثم التحق (الاويراتية) وهم الفئة التي تميـــزت بالجـهال والفتنـة في صفـوف الجيش المملوكي، فكـان منهم الامـراء من مختلف الـرتب واختلطوا مع المماليك وتزاوجوا من بعضهم وأسكنوا في حي الحسينية في القاهرة[١٣١]، ومهما قيل بشأن هذه الفـرقـة فإن الفـرق الاخـرى المملوكيـة التي جاءت عن طريق الـرق تعتبر من حيث القيمة والمكانة فوق هذه الفرقة وذلك للوشائج والروابط الخاصة التي كانوا يعتزون بها وبالاضافة إلى ذلك فإن هذه الفرقة لم يستلم منها أمراء على مستوى القادة والاتابكية أو أمراء ألوف، وبهذا تبقى دون بقيـة التشكيـلات المملوكيـة المسلحـة وكـذلك فإن السلطان الغوري شكل فرقة من المـماليـك أطلق عليهـا «عسكـر الطبقة الخامسة» هدفها القضاء على الفتن الداخلية والتصدي للخطـر الخـارجي الـذي كان يتهـدد الـدولة من جانب الشاه إسماعيل الصفوي في إيران، ومن البنـدقيـة وفـرنسـا، ومن العثـمانيين الذين أعدوا العدة لغزو مصر وبلاد الشام[١٣٢] وكذلك فان الجيش جهز بأحسن المعدات والاسلحة وتم شراء جزء من الخارج[١٣٣].

استحـدثت بعض الـوظـائف والـرتب العسكـرية في الجيش المملوكي منها نائب السلطان أو نائب الغيبة الذي يوجد مركزياً في مصر وهو نائب القائد الأعلى، وهناك نواب آخرون في المدن في

---

(١٢٩): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/١٩٠، الشيال: تاريخ مصر الاسلامية ٢/١٩٥

(١٣٠): ابن تغـري بردي: النجـوم الـزاهـرة ٩/٦٠، أبـو الفـداء: تاريخـه ٢/٢/٣٤، ابن الـوردي: تاريخه ٢/٣٤٣، ٤٣٤، الشيال: تاريخ مصر الاسلامية ٢/١٩٧

(١٣١): المقريزي: الخطط ٢/٢٠/٢٢؛ مبارك: الخطط التوفيقية ١/٨٤، ٨٩، ١٣٤

(١٣٢): ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٤: ٣٣٧،

الباشا: القاهرة تاريخها، فنونها، آثارها ١٤٤

(١٣٣): الباشا: القاهرة تاريخها، فنونها، آثارها ١٤٤، ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٤/٣٩١، ٤١٧

كل مملكة[١٣٤] ورأس نوبة (رؤوس النوب) الذي أطلق عليه فيما بعد (الأمير الكبير)[١٣٥] ومقدم الرفرف أي رئيس حرس القصر[١٣٦] ومايسمى اليوم الحرس الجمهوري أو الملكي وغيرها، كما أن المواكب السلطانية قد تطورت في المبالغة فيها في مظهرها والانفاق عليها، وهي من العسكريين الخاصين الذين يلبسون ألبسة زاهية من الحرير مزينة بالذهب[١٣٧]، وكذلك فإنه أحدثت الدرجات في الرتبة الواحدة كأن يكون فيها أول وثاني وثالث ورابع وخامس مثل أمير آخور وأمير حجاب[١٣٨].

طرأ تعديل على نظام اللباس العسكري من حيث اللون الاصفر إلى الاحمر وفي بعضها من الاحمر إلى الاصفر، ومن حيث الحجم والطول فقد ازداد حجم الطاقية، وازداد طول الشاش الذي يلف على الطاقية ومن حيث التسمية فالطاقية مثلاً تسمى (كلوته) ثم سميت بعد ذلك (طرخانية) فالرداء مثلا يسمى (القباء) ثم (البغلطاق) ومن حيث مايداخل اللباس من حرير وذهب تتفاوت أسعاره تبعا لوجود هاتين المادتين، فالحوائص مثلا منها مايبلغ سعرها فوق مائة وخمسين دينارا، ومنها مايكون دون أربعمائة درهم[١٣٩]، وكذلك فإنه طرأ تغيير على لباس المراسم الذي يرتدى في المناسبات وفي الاحتفالات وعدل كثيرا من اللباس العادي الذي كان مستخدما من قبل[١٤٠].

ارتقى التدريب وتطور وركز على اللياقة البدنية وعلى المرحلة الاولى من تعليم الفرد على العتاد والسلاح، وفي المرحلة الثانية على التدريب الجماعي، كما ركز بصورة خاصة على تأهيل

---

(١٣٤): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٨/٧٠٩

(١٣٥): السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/١٣٢

(١٣٦): المقريزي: الخطط ٢/٢١٣

(١٣٧): ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ٨٦، ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٣/٣١، ٥/٣٦، ابن بطوطة: رحلته ١/٦٢

(٣٨): السخاوي: الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ١/٢٦٩، ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ١/٥٢، ٦٦

(١٣٩): المقريزي: الخطط ٣/٥٥، ٧٤، السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/١١١، مبارك: الخطط التوفيقية ١/١٣٧، ١٣٨، ابن تغري: النجوم الزاهرة ٩/١٠١، ١٠/٧٤

(١٤٠): السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/١١٠، مبارك: الخطط التوفيقة ١/١٣٥

الأفـراد على جميـع الفنـون الحـربية والخصائص القتالية وبخاصة على الرمي(١٤١). لقد كثرت ميـادين التـدريب في المملكـة وانتشرت انتشارا واسعا واجتمع فيها المقاتلون يمارسون فيها جميع أنـواع التـدريب القتـالي، أصبـح هذا العمل الشغل الشاغل لكل المقاتلين أبناء الشعب(١٤٢)، أشرف السلطان بنفسه على التدريب وتدرب مع العسكريين وشجعهم وقدم لهم الهدايا، ورفع مستـوى التـدريب وأيقن أن هذا هو السبيـل إلى النصـر، وكـان من أعظم المهتمـين هو الظاهر بيبرس الذي استطاع أن يجعل من جيشه جيشا قادرا على خوض أي نوع من المعارك(١٤٣)، وقد وصـل التـدريب إلى أن يسبـح الجنـدي بسـلاحـه الحـربي، وهـذا هو أشق أنواع السباحة في الظـروف القتـاليـة(١٤٤)، توصـل القـادة المملوكيـون إلى ذلك التدريب قبل العمليات الحربية وبمجـرد الانتهـاء منهـا يخوضون الحرب وهذا النوع يجري في ظروف مشابهة تماما لم يتوصل إليه جيـش قبل الجيـش المملوكي، فقد كان يتقن الاعمال الفردية والجماعية حتى القتال والتنقل في أرض مشابهة للارض المتوقع أن تكون ميدانا للقتال المقبل(١٤٥).

أصـاب الشؤ ون الادارية تطـور كبـير في توفـير مواد وعتاد التعيينات وتنوعها، وفي المهمات والملابس والخيم وفي النقل البري إلى مسافات بعيدة، وفي النقل البحري عبر البحار والانهار، وفي الخدمة الطبية وقد كان جيش ثان يخدم في المؤخرة ولاسيما على مستوى القاعدة، فقد كان الجنـدي يخدم لدى السلطـان والامـراء بوظائف إدارية مختلفة ففي مطبخ السلطان والامراء وفي بيـوتهم يعمـل عشـرات بل مئـات المقـاتلين القادرين على حمل السلاح، وكذلك في حراستهم ومـرافقتهم من المـماليـك الـذين ضاق بهم المكـان لكثـرتهم وتفنن القـادة في الـترف والتبـذيـر والاستهلاك لجميع أنواع المواد، ولاسيما مواد الطعام(١٤٦).

---

(١٤١): الـرمـاح: مخطـوطـة نهايـة السؤ ال والامنية في تعلم أعمال الفروسية ٧٩، ٨٤، ابن حرز الله الحاسم: مخطوطة هواية الرامي الى طريق المرامي وعلم الرمي بالبندق ٢٩، الاشرفي: مخطوطة رمي النشاب ٣٦

(١٤٢): ابن تغـري بردي: النجـوم الـزاهـرة ٧/١٦٥، ٨/٨٨، المقريزي: الخطط ٢/١١١، الحلبي: تحفة الظرفا في مناقبل الملوك والخلفا ٧٦٠

(١٤٣): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٥١٨، ٢/٦١٢، مبارك: الخطط التوفيقية ١/٨٢

(١٤٤): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٦٠٨

(١٤٥): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٦٢٦ ومابعدها. مبارك: الخطط التوفيقية ١/٨٢

(١٤٦): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٠/٩٩، مبارك: الخطط التوفيقية ١/٨٢

قد يؤثر الامداد على مجرى القتال إذ يتوقف الجيش عن متابعة الهجوم ، أويبدل من خططه ، كما حصل للجيش المغولي عندما اجتاح قلاع الاسماعيلية ، ونفذت تمويناته وبخاصة فيما يتعلق بعلف الدواب(١٤٧)، وهاجم بيبرس المغول في سنة ١٢٧٦/٦٧٥ ، في عقر دارهم مجتازاً مسافة كبيرة من بلاد الشام إلى آبلستان ، ثم انحدر إلى قيصرية وقد قل الامداد ونفذ التموين وعجفت الخيل من قلة العلف مما اضطره إلى التوقف عن متابعة الهجوم ورجع من حيث أتى(١٤٨).

ومن الشؤون الادارية برزت الخدمة الطبية في تطورها ، وقد كانت الدولة المملوكية من أوائل الدول في ذلك العصر في هذا المجال فقد ظهر أطباء كثيرون اشتهروا بالمداواة وصنع الادوية والمعالجة فلا يرتقي إلى هذه الوظيفة إلا من كان ذكيا ، عارفا لهذه المهنة لايشغله عنها شاغل ، محبا للمرضى رحيما بهم ، حظيا عند السلاطين والملوك خادما لهم ، تربى على أيدي أطباء أخصائيين ، محمود السيرة ، منحدرا من سلالة طبية مشهورا لها بالحذق والمعرفة أمثال رشيد الدين الذي يدعى أبا حليقة الذي عاصر الدولتين الايوبية والمملوكية الذي كان طبيب الملك العامل الايوبي ثم الملك الظاهر بيبرس المملوكي ، والشيخ أمين الدولة يعقوب بن القف ، وعز الدين طرخان والحيكم شمس الدين الكلي وغيرهم(١٤٩).

كانت مهنة الطب عند القادة المملوكيين محترمة ومفضلة على كثير من المهن ، ولذلك كانوا يشجعون الاولاد على الانتساب إليها ويعترفون بأنها أفضل من الجندية التي كانت رمز الفروسية والبطولة معتبرين أن الجنود كثيرون ، وأن الأطباء قليلون ، وأنه بالامكان انتقاء العدد الكبير من الجنود الذين تنطبق عليهم شروط الانتساب ، أما طبقة الطب فما يمكن العثور إلا على عدد قليل جدا ممن تنطبق عليهم تلك الشروط المطابقة(١٥٠).

إن طب الاعشاب هو الذي كان يشتغل به الاطباء وقد شاع استعماله وكثرت فوائده ، وعقد

---

(١٤٧): الهمذاني : جامع التواريخ ٢/١/٢٥٤

(١٤٨): الهمذاني : جامع التواريخ ٢/٢/٦٢

(١٤٩): الصفدي : الوافي بالوفيات ٢/٣ ، ابن الصقاعي : تالي وفيات الاعيان ٤٣ ، ٤٤ ، ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ٥٩١

(١٥٠): ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ٥٩١

المشتغلون به مؤتمرات عديدة بحثت قيمة هذا وفوائده الطبية المتعددة ومن الطبيعي أن تكون تلك النباتات من إنتاج الأراضي المصرية، واشتهر ابن البيطار في مصر بهذا العلم وسافر إلى البلاد الاجنبية كبلاد الروم، كما أخذ عن غيره من العلماء، وحقق في كثير من هذه الأعشاب، وركب الأدوية، وألف الكتب التي تبحث في هذا الجانب (مثل المغني في الطب والادوية المفردة)(١٥١).

إن الطب الجراحي تطور ونما بصورة ملحوظة إذ عالج فيه الاطباء كثير من العمليات الجراحية منها جراحة الفكين والانف والأسنان والمرارة والرحم والثدي، كما ذكروا أمارات الأمراض الصفراء والجدري والطاعون وغيرها كما أفردوا بحوثا خاصة بالادوية المرافقة للعمليات الجراحية كالاسفيداج والابنوس والكافور وغيرها، على أن أغلب هذه الأدوية هي نباتية مركبة وقد برع في مضمار الجراحة علماء كثيرون وكان أشهرهم ابن القف المتوفي سنة ٦٨٥/١٢٨٦، الذي كان علامة في هذا الميدان على المستويين الجراحي والعلاجي(١٥٢).

وكذلك انتشرت المشافي (البيمارستانات) في جهات مختلفة من المملكة، وبخاصة في مصر، منها مشفى ابن طولون وكافور والمنافر والكبير المنصوري والمؤيدي وغيرها ومن مهمة هذه المستفيشات إجراء العلاج للمرضى وتقديم العون الطبي اللازم مع المداواة والخدمة حتى شفاء المريض، وتعليم الطب حيث كانت تقوم هذه المشافي بمهمة التدريس كالمعاهد العلمية والكليات المختلفة المتخصصة ويتخرج منها الاطباء المختصون في الجراحة والكحالة والادوية، إن للطب كليات ومدارس كما نعدها اليوم، فهي تهتم بدارسة جسم الانسان وتشريحه والادوية والامراض والحميات، ويقوم عليها أساتذة أخصائيون وقفوا أنفسهم لهذا العلم وتفرغوا له كشرف الدين الرضي وعز الدين السويدي، وابن النفيس، وجمال الدين الدمشقي وعمار الربعي وشمس الدين اللبودي وابن أبي أصيبعة وغيرهم ومن أشهر كليات ومدارس الطب: الداخورية، الدينسرية، اللبودية وغيرها(١٥٣)، وفيها عدد من الاطباء ذوي الاختصاص ومن

---

(١٥١): ابن أبي أصيبعة: عيون الانباء في طبقات الاطباء ٥٩١

(١٥٢): ابن القف: العمدة في الجراحة ١/١٥ ومابعدها ٢/٢٥ ومابعدها

(١٥٣): النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٢/١٢٧، ١٣٣، ١٣٥، البستاني: دائرة المعارف ١/٧٢٣، المؤسسة المصرية العامة القاهرة في ألف عام ٢٣

المرضين والعاملين ويقسم المستشفى إلى عدد من الغرف حسب نوع المرض وفيه الامكنة المناسبة للامراض المختلفة والعيادة الخارجية(١٥٤).

سابعاً: بدء الخلافات وتصعيدها بين الامراء والمماليك والاقتتال فيما بينهم على السلطة:

ذر قرن الخلافات بين الامراء أنفسهم، وبين الأفراد والمماليك، وبين السلطان والامراء بعد معركة عين جالوت، وإذا استعرضنا تلك العلاقات بين هؤلاء جميعا نجد السلطان لايلبث بعد استلامه حكم البلاد أن يخلع أويقتل، ويظل فترة حكمه غير مستقر يخاف أقرباءه، ويخشى زملاءه ويحذر إخوته وأصحابه، وهذا الوضع غير الطبيعي أثر على قوة الدولة وبالتالي على قوة الجيش، وأصبح في أيامه الأخيرة ضعيفا لايقوى على الصمود أمام أعدائه المتربصين، وسرت في أوصاله الفوضى والفساد، وابتعد عن الانضباط وتحلل من القيم الاخلاقية مما عجل في زوال هذه الدولة، وبقيت أثراً بعد عين.

تشير المصادر إلى أن قتل قطز قائد هذه المعركة كان بسبب هذه الخلافات التي لاتستوجب قتل قائد أنقذ الشام ومصر والعالم من ويلات المغول وبطشهم، أقدم بيبرس قائد الطليعة ورئيس الأركان على قتل السلطان بسبب امتناعه عن تسليم نيابة حلب التي كان بيبرس بنيته أن يكون نائبا هناك ومهما يكن السبب فإن بيبرس قتل قطز وهو عائد من القتال(١٥٥)، وقبل أن يتبين للقاتل الصورة الجديدة للحكم وذلك للأسباب التالية:

١ ـ كان بيبرس يطمح في اعتلاء عرش مصر منذ أن دخلها من بلاد القبجاق هاربا مع من هربوا من بطش التتر، وبيع كما بيع غيره، وتقدم على أقرانه في زمن الملك الصالح فتسلم الجمدارية، ولما ولي ايبك التركماني حسده على ذلك وأراد الإيقاع به وجرت محاولة من قبله ومن قبل بعض الامراء بتحريض منه وحاولوا إجراء إنقلاب أبيض أودموي، لكنهم لم ينجحوا فخافوا على أنفسهم فخرجوا من القاهرة ملتجئين إلى الملك الناصر في الشام ومعلنين العداء لأيبلك وظلوا هناك يحيكون المؤامرات برئاسة الظاهر بيبرس(١٥٦).

---

(١٥٤): المقريزي: الخطط ٢/٤٠٥ ومابعدها، الباشا: القاهرة: تاريخها، فنونها، وآثارها ١٣٨، عيسى: تاريخ البيمارستانات ٤، ١٠، ٧٢

(١٥٥): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٨٢

(١٥٦): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٤/٤٦ ومابعدها، الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠/٣٢٩، ٣٣٠

٢ ـ إن بيبرس كان مهووساً في القيادة باعتقاده يجب أن يكون القائد في كل شيء سيما وأن له كل الصفات التي تؤهله لاستلام قيادة ما، فعندما كان بعهدة الملك الناصر تميز عن الأمراء الذين رافقوه، فأقطعه الملك بحلب، ومنّ عليه من الاموال والخلع مالم يمن على غيره(١٥٧).

٣ ـ إن العداوة وقعت بين قطز وبيبرس منذ سنة ١٢٥٨/٦٥٦، حين جهز بيبرس وهو في المنفى وفي بلاد الكرك جيشاً لاحتلال مصر، لكن قطز كان في ذلك الوقت قائد الجيش المصري استطاع أن ينتصر على جيش بيبرس، وأن يأسر ويقتل عدداً منه، ففر بيبرس وعاد إلى الملك الناصر يستحثه لقتال الجيش المصري فلم يجبه إلى طلبه(١٥٨)

٤ ـ لما لم يجد بيبرس إلى القوة سبيلا، مال إلى استخدام الخدعة والحيلة، فأرسل إلى قطز يستحلفه، فعفي عنه وعاد إلى القاهرة فاستقبله قطز، واحتفى به وأكرمه وأنزله في دار الوزارة، لكن بيبرس كان يتحين الفرصة للانقضاض عليه واستلام السلطة(١٥٩).

٥ ـ حدثت معركة عين جالوت، واشترك فيها بيبرس وكان له دور كبير فيها، وفي مقاتلة المغول، ومطاردة فلولهم المنهزمة. وكان يرى نفسه أنه هو الذي صنع هذا الانتصار، وأنه هو الذي أوقف المغول وقضى عليهم، وبهذا التصور كان يرى نفسه فوق قطز وفوق كل السلاطين لما يتميز به من مهارة في الحرب ودهاء في السياسة، وحنكة في تصرف الأمور، ولهذا فإنه يرى أنه هو أحق بالملك من غيره، فأقدم على قتل قطز بكل ماهو عادي وطبيعي، بعد أن حاول قتله من قبل وتوجه مباشرة بعد قتله إلى القلعة ونصب نفسه سلطانا على مصر وزعيما وحيدا لها(١٦٠).

٦ ـ منذ ذلك الوقت بدأ بيبرس يستثمر النصر الذي أحرزه، بعد أن خلا له الجو وصفا له الزمن إذ تصور المفهوم الاستراتيجي الذي سيلعبه، والمنهاج الذي سيتبعه في المستقبل، والبرامج الواسعة لإرساء مملكته وتثبيت دعائمها، والتنظيم المدني والعسكري على المستويين الداخلي والخارجي والحرب التي سيشنها على أعدائه والتي سيوسع بها مملكته والاصلاحات الكبيرة التي

---

(١٥٧): الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠/ ٢٣٠

(١٥٨): ابن تغري بردي: المصدر نفسه ٧/ ٤٥ ومابعدها، الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠/ ٣٣١، ٣٣٢

(١٥٩): ابن تغري بردي: المصدر نفسه ٧/ ٥٤، الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠/ ٣٣٢

(١٦٠): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/ ٨٤، الصفدي: الوافي بالوفيات ٩/ ٤٨٤، ١٠/ ٣٣٢

Runciman: A History of the Crusdes Vol. III The Kingdom of Acre Book3 chapter 3/314.

تنتظره[١٦١].

هذا نموذج من الخلافات التي حصلت بعد المعركة، وهناك العديد من هذه الحوادث وقعت، وأدت إلى وقوع مزيد من القتلى والجرحى، وذعر الناس والمواطنون من هذه الاحداث المتتابعة، وأثر ذلك على الوضع الداخلي والخارجي[١٦٢]، فالاخ يقاتل أخاه، كما حدث للملك الناصر أحمد الذي حوصر في الكرك من قبل أخيه الملك الصالح لمدة تزيد عن السنتين حتى استسلم أخيراً لنفاد التموينات والمؤن والذخائر وقطع الامدادات[١٦٣]، وكانت الانقلابات تجري بصورة مستمرة، حتى أن بعض السلاطين، كان يشك بمجرد الظواهر المسلحة التي لاتؤدي إلى عمل عسكري كعرض السلاح لتفقده أو صيانته أو إجراء تجربة على صلاحيته أو فحصه، وكان هذا العمل من قبل القائمين عليه كفيلا بإنزال العقوبة الصارمة أو القتل[١٦٤]، وكان إذا حدث عصيان مسلح في نيابة ما وكثيراً ماكانت تحدث مثل هذه الاعمال كان السلطان يجهز جيشا لإخضاع هذه النيابة فيتلاقى الجيشان الجيش المركزي وجيش النيابة كما حدث ذلك في ربيع الأول سنة ١٣٨٨/٧٩١، عندما حدث عصيان مسلح من قبل يلبغا وبعض الأمراء في دمشق فجهز السلطان الظاهر أبو سعيد برقوق جيشا وأمره بالمسير إلى دمشق بقيادة أيتمش فوصل قاره وتفاوضا ولم تسفر على نتيجة وزحف الجيش السلطاني على دمشق والتقى مع تحالف جيش يلبغا بالقرب من دمشق وكانت وقعة كبيرة انهزم فيها الجيش المصري وقبض على بعض قادته وأودعوا السجن وظل يلبغا الناصري متجها نحو مصر حتى دخلها وانتصر على خصمه[١٦٥].

لقد كان المماليك أداة تنفيذ الانقلابات التي تحدث في المملكة، وكانوا مصدر الفتنة والفساد[١٦٦]، فقد كان لدى كل أمير عشرة أو مائة وذلك حسب درجته ووظيفته ورتبته، وكانوا

---

(١٦١): الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠/٣٣٣ ومابعدها، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ٢٨٢

(١٦٢): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧/٢٩٦ ١ ٣٠ ومابعدها، ١٠/٨ ومابعدها، الحلبي: تحفة الظرفا في مناقب الملوك والخلفا ٧٤٥

(١٦٣): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٠/٩١، ٩٣

(١٦٤): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٢/١/٢٨١

(١٦٥): ابن خلدون: تاريخه ٥/٤٨٨ ومابعدها، ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ٤/٤٤١

(١٦٦): ابن الساعي: الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ٢٧٠

يلازمون الامير في كل أعماله حتى إذا أراد القتال بهم أرسل إليهم في أي وقت يشاء، ويوجههم الوجهة التي يريدها والعدو الذي يقصده، وينقسم الامراء فينضم قسم منهم مع مماليكهم إلى الامير الذي قام بالانقلاب، وعادة فإن هذه الانقلابات تنجح، فيقتل عددا كبيرا أوصغيرا من الامراء ومماليكهم وينصب سلطان جديد ويأتمرون بأمره وينفذون طلباته، وحين يتم الانقلاب يتغير الامراء، ويعين آخرون، أوتبدل وظائف بعضهم، أويرفع قسم منهم إلى مراتب عالية ووظائف كبيرة في الدولة وفي الجيش[١٦٧].

لقد تميزت هذه الاختلافات بالمفاجأة واستخدام الاسلحة الخفيفة وتنظيم الكمائن والدوريات، وإشراك العامة في القتال، وأكثر مايكون في المدينة والشارع وقلعة الجبل والميادين وفي النيل حيث تشترك المراكب البحرية، وإذا تغلبت مجموعة من الامراء على مجموعة أخرى كان يجري نهب أموال المغلوبين، وهدم دورهم، وسلب ممتلكاتهم، وقتلهم والتمثيل بهم أو نفيهم أو إغراقهم في النيل، وتعم الفوضى، وهذه الحالة كانت تتكرر دائما وبخاصة عند الاختلاف على المناصب أو لأسباب شخصية، أو عند خلع السلطان وتنصيب بدلا عنه، وفي كل الأحوال فإن هذه الحروب الداخلية والخلافات الذاتية كانت تضعف الجيش وتعمل على تفكيكه وتضعف الانضباط العسكري[١٦٨].

كذلك كان المماليك على خلاف في أغلب الاحيان مع الأكراد، والتركمان، والأعراب، ولشد ماكانت هذه الخلافات مع الفئة الأخيرة التي اتخذت النهب والسلب والدخول إلى البساتين والمزروعات عملا لها، وكرد على هذه الأعمال كانت القوات المسلحة المملوكية تقوم بتأديب هؤلاء وترسل الحملة تلو الحملة وتفتك بهم وتطاردهم[١٦٩]، وعلى الارجح فإن هذه المناوشات كانت تدار بدافع عنصري من قبل القادة المملوكين الذين يرون في أنفسهم أنهم أسياد تلك القبائل العربية، وأسياد الفئات الاخرى، وبالمقابل فإن الاعراب كانوا يعتقدون

---

(١٦٧): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١١/١٦٨، ١٨٧ ومابعدها

(١٦٨): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٣/١/١٣٤/١٤١، ١٥٠، ٣٨٣، ابن خلدون: تاريخه ٥/٤٩٥ ومابعدها.

(١٦٩): القرماني: أخبار الدول وآثار الأول ٢٠٤، تسيترشتين: تاريخ سلاطين المماليك ١٠٧. ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ١/٨٨، ٣/١٣

أنهم هم أصحاب الأرض وأن المماليك هم دخلاء عليها ولهذا فإنهم كانوا يقومون بين فترة وأخرى بالاغارة على هذه الممتلكات والمزارع التي يمتلكها الجنود المماليك(١٧٠)، في سنة ١٣٥٤/٧٥٥، جهز الملك الناصر جيشا مملوكيا كبيرا ضم اثنى عشر مقدما وبعض الامراء بقيادة الامير سيف الدين شيخو العمري، ففرق هذا الامير جيشه إلى تشكيلات صغيرة تكنس العرب، ولاتستثني منهم أحداً. وتقدم نحو ديارهم التي يرتادونها وعلى أراضيهم التي يسكنونها، وحذر غيرهم من إخفاء أحد منهم، وتمت الحملة عليهم من كل ناحية وصوب، حتى لم يبق أمام العرب إلا القتال أو الهرب أو الاستسلام، ومضى قائد الجيش المملوكي ينتقل من منطقة إلى منطقة وهو يقضي عليهم، ويستولي على أموالهم المنقولة وغير المنقولة، ويأسر العديد منهم، ويستخدم الشدة في قتالهم فيسمر أو يشنق ويجرهم من مخابئهم فيقتلهم.

لقاء هذا الزحف وهذه المعاملة تجمعت بعض قبائل الأعراب مع أحلاف لهم بقيادة الأحدب شيخ عرب العرك، فتشكل بذلك حشد كبير بلغ عشرة آلاف فارس بالسلاح الكامل، عدا الرجالة الذين كان عددهم كبيرا جدا، ولما علم قائد الجيش المملوكي بهذا العدد، أراد طلب النجدة من السلطان، ولكنه في اللحظة الأخيرة توقف عن هذا الطلب، ولجأ إلى تشكيلة جيشه على شكل مجموعات وهاجم القوات العربية جزءا جزءا فدمرها، ثم استخدم السرعة في القتال، فما كان يصل إلى تجمع لعدوه حتى يعاجله بضربة قوية ثم يمضي مسرعا إلى تجمع آخر، وكذلك فإنه اهتم وركز على الاستطلاع الذي يكتشف له قوة الاعراب وضعفهم ليستخدم العدد المناسب في الاغارة عليه والقضاء على جمعه قبل أن تكتمل قوته، أو يزداد عدده، وكان يقف بمن معه في اتجاه معاكس للريح حتى إذا ثار الغبار حمل إلى الأعراب وألقي في أعينهم ووجوهم حتى أصبحوا لايرون مع من يقاتلون، فقد يقاتل العربي العربي، وقد يقتل الشخص أخاه دون أن يعلم، كما كان يستخدم السهام الطويلة المدى في حين أن العرب كان يستخدمون السيوف والدرق لترد السهام. وفي هذه اللحظة أعطى قائد الجيش المملوكي أمراً للالتفاف من الخلف والمجنبات فركبوا ظهورهم وانهزم العرب وولوا الأدبار، فتبعهم الجيش المملوكي وهنا بدأت المطاردة وكثر القتل، وجدوا في طلبهم حتى إذا دخلوا مغارة أحرقوها بهم، وإذا صعدوا جبلا لحقوهم حتى كانت موقعة عظيمة، وعدد كبير من القتلى، وبعد انتهاء

---

(١٧٠): طرخان: قطز في عصر دولة المماليك الجراكسة ٢٦٦ ومابعدها.

المعركة جمع وأعاد قائد الجيش المملوكي جيشه وقسمه إلى قطعات صغيرة ووزعها في طول المنطقة وعرضها بحثا عن الاعراب الفارين أو الناجين فمن وجد منهم كان يشنق أويسمر أو يؤسر، وحصل على غنائم وأموال طائلة اصطحبها معه إلى القاهرة. فكان من الخيل ألف وثلاثمائة فرس، ومن الجمال ألف وخمسمائة، ومن الحمير سبعمائة، ومن الاغنام عدد كبير، ومن السلاح الشيء الكثير(١٧١)، وفي كثير من الاحيان كان العرب ينتصرون على الجيش المملوكي عندما يكون غير متأهب أومستعد للقتال، أوكان عدده قليلا(١٧٢)، وهكذا فإن المملوكيين كانوا لايعرفون من الامر إلا الحرب، ومن السياسة إلا البطش(١٧٣)، وبلغ الظمأ مبلغه من بدو الصعيد في المعارك المتتالية التي جرت مع الجيش المملوكي الذي شرد هؤلاء الأعراب في مجاهل الأرض، فلم يكن معهم ماء، ولم يردوا مصدرا أثناء فرارهم أمام ضغط أعدائهم الذين لاحقوهم، ولم يتركوا لهم فرصة البحث عن المياه حتى مات أكثرهم عطشا أكثر مما ماتوا في السلاح(١٧٤)، وكان بالامكان لو حسنت معاملتهم، وأداروا مملكتهم بتخطيط وتنظيم لاستطاعوا أن يستفيدوا من هذه القوة الأعرابية وأن يستخدموهم ضد عدوهم، سيما وأنهم قد اشتركوا معهم في معارك كثيرة ضد الروم والصليبيين، وضد المغول في معركة عين جالوت.

وأخيرا ماذا ترك المماليك من أثر؟ حقا إنهم تركوا آثاراً كثيرة، منها ماكانت مكتوبة، ومنها ماكانت ترى بالعين حتى الآن فلا تمر في بلد إلا شاهدت أثارهم، وقد رأى الباحث في حلب ودمشق وفي جميع أنحاء سوريا بعض هذه الآثار ففي المكتبة الظاهرية في دمشق يرقد ضريح الظاهر بيبرس الذي كان له دور كبير في تأسيس الدولة المملوكية، وفي سنة ١٢٦١/٦٥٩، بنى هذا القائد تمثالا في عين جالوت أطلق عليه «مشهد النصر»(١٧٥)، تخليدا لذكرى الانتصار الكبير على المغول وتشجيعاً للاجيال القادمة للمضي في القتال ضد أولئك الذين طمسوا الحضارات الانسانية، وتمثيلاً لتلك البطولات الرائعة التي قاتل فيها المماليك في بدء انشاء دولتهم، وترسيخاً لقيم الشهادة والاستشهاد.

(١٧١): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٢/٣/٩٠٧ ومابعدها

(١٧٢): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٢/١/١٧٥

(١٧٣): ابن خلدون: تاريخه ٥/٤١٥

(١٧٤): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ٢/٣/٩١٢

(١٧٥): المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٢/٤٤٦

«الخـــاتمة»

لقـد تعـاظم دور العسكـريـة في عصـر المـماليـك، فكانوا بحق حملة السيوف والضرب بها، والطعن بالرماح، والركوب على الخيل، حتى غدا كل فارس ببضعة من غيره، وكل تشكيل من تشكيلات القوات المسلحة بأضعاف من الجيوش الاخرى.

بهذه العسكرية تغلب المماليك على منافسيهم في أكبر معركة في التاريخ، وتصدوا لاعدائهم بكـل حزم وقـوة، وأدخلوا الـرعب في أقـوى الجيوش، وسيطروا سيطرة تامة على حدود بلادهم وثغورها، وحموها من كل من سولت له نفسه بالنيل منها، ولو أتيح لهم باستمرار مابدأوا به لنفذوا إلى العالم، ولكان نصيبهم على الاقل مثل المغول الذين قهروا العالم، إلا أن الخلافات الكبيرة بين المماليك فيما بينهم وبخاصة بين الامراء[1]، والخلل في الانضباط[2]، وسوء سلوك العسكريين[3]، وتعديهم على أموال الشعب[4]، وظلمهم للجماهير[5]، وتطاول المرؤسين على قادتهم[6]، والضغط عليهم من أجل مكاسب شخصية[7]، ومخالفة النظام والقوانين[8]،

---

(١): المقـريـزي: السلوك ٣/١/١٣٤، ١٤١، ١٥٠، ٢٨٣، ابن خلدون: تاريخه ٥/٤٩٥ ومـابعـدهـا، الصيرفي: نزهة النفوس ١/٣٤

Lane Poole: A History of Egypt in the Middle Ages: 11/327

(٢): ابن إيـاس: بدائع الـزهـور ١/٤٣، ٤٩، ٥٧، ٦٥، ٧١، ١٢٥، ٤/١٧٠، الدواداري: الدر الفاخر ٩/١٤٧، الصيرفي: نزهة النفوس ١/١٢٩

(٣): ابن إياس: بدائع الزهور ٣/٢٦٠، ٢٧٨، ٢٨٠

(٤): ابن إياس: بدائع الزهور٣/٣٢٣، ٣٦٣، ٤/١٧، القرماني: أخبار الدول وآثار الأول ٢٠١

(٥): المقريزي: السلوك ٣/١/١٧٤، ٣١٤، ٣٨٦

(٦): ابن إياس: بدائع الزهور ٣/٥٧٨

(٧): ابن إياس: بدائع الزهور ٣/٣٢٣، ٣٦٣

(٨): المقريزي: السلوك ٢/٣/٦٠٢

والاسـراف والتبـذيـر في الامـوال في وجـوه مختلفة[٩]. واتباع حكم الهوى والنزوات الفردية التي لاتستند إلى أصول فقد يمسي المملوك أويصبح أميرا والطباخ قائد[١٠]، وانتشار الفساد والرشوة وتولي الوظائف والترقي إلى مناصب أعلى في الجيش ودفع الأموال[١١]، والعصيان المسلح ضد السلطة[١٢]، والاستقلالية الكاملة لكل تشكيل من تشكيلات الجيش، حتى ليحسب الامير أنه غير مرتبط بالقيادة العامة، فيقدم على أعمال تضعف من قوة الجيش القتالية، وتقسمه إلى فرق متنابـذة بعيـدة عن التعـاون والتنسيق فيؤدي ذلك إلى حدوث انقلابات تنتهي بتنصيب سلطـان جديـد[١٣]، وانشغـال السلطان والامراء والقادة على مختلف مستوياتهم بجمع الأموال الكبـيرة والحـاجيـات الثمينـة والاراضي الـزراعيـة، والحـلي والمجوهرات، والجواري والعبيد، والبيوت الفسيحة التي كلفت آلاف الدنانير[١٤]، وانفصال بعض النيابات عن العاصمة الذي يؤدي حتما إلى حدوث قتال بين السلطان في العاصمة وبين أمير النيابة الذي أعلن الانفصال[١٥].

وتبديل القوانين المستندة إلى العقيدة الاسلامية بقوانين المغول التي وضعها جنكيز خان «اليـاسـة»[١٦]، وانتـهاء أفـراد الجيش الـولائي كالنـاصـريين والاشرفيين والظاهريين والسيفيين

---

(٩): الصيرفي: نزهة النفوس ١/١٣٥، ١٥١

(١٠): ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة ٢/٢١٥، الصيرفي: نزهة النفوس ١/٣٥

Darrag Ahmad: L'Egypt soun Le Regne de Barsbay, 13-18.

(١١): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١١/٢٩٢، ١٢/١٠٤

Lane Poole A History Of Egypt in the Middle Ages 11/329

(١٢): ابن حجـر العسقـلاني: الـدرر الكـامنـة ٤/٤٤١، ابن خلدون: تاريخه ٥/٤٨٨، ابن تغري: النجوم الزاهرة ١١/٢٦٤

(١٣): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١١/١٦٨ ومابعدها ١١٧، هل: الحضارة العربية ٨٥

(١٤): ابن تغـري بردي: النجـوم الـزاهـرة ١٠/٢٨١، الاسحاقي: أخبار الدول ١٤٣، ابن خلدون: تاريخه ١/١١٨، ١٢١، ١٣٩

Nassi, Selim, Histore de Syrie depuis Les Temps anciens jus qua nos jours 99

(١٥): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢/٢١٧، ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ٤١٢، ٤٨١

(١٦): مبارك: الخطط التوفيقية ١/١٣٧

والمؤيـدين وغـيرهـا[١٧]، والاعتـماد على الكميـة لا النوعية، وعلى القوة البدنية لا التقنية[١٨]، وبساطة القادة الذين لم يألفوا المكر والخديعة في الحروب اللتان هما من صفات القائد المحنك، والمقاتل البارع والفارس النافذ[١٩]؛ وإهمال التدريب في عصر العجز والهرم[٢٠]، كل ذلك أدى إلى ضعف القـوة الحـربية في الجيش المملوكي التي لم تجد مايسنـدهـا من القـوتـين السيـاسيـة والاقتصـاديـة، وسقطت تلك الـدولـة ولم تستطـع أن تتقـدم لتستفيد من المعارف والصناعات والتجارب التي مرت بها الجيوش التي سبقتها والتي حاربت على الاراضي العربية[٢١].

ورث المـماليـك صنعـة الحـرب كابـرا عن كابر، وتفوقوا بها على غيرهم طيلة المحافظة على قدرتهم القتالية وجاهزيتهم وشجاعتهم ووحدتهم بعد معركة عين جالوت[٢٢]، فلما أهملوا تلك الصفـة تراجعـوا إلى الـوراء، وعجـزوا عن الـوقوف أمام أعدائهم، وأمام التقدم التقني وتطوير الاسلحـة والأعتـدة القتـاليـة، للعسكـرة محاسن إن استمرت في اندفاعها وقوتها وحافظت على توازنها الاستراتيجي مع المتربصين شرا، ومع الطامعين، فالمماليك في مدة بسيطة استطاعوا أن يتغلبـوا على أقـوى القـوى المغـوليـة[٢٣] وينبروا للصليبيين فيستولوا على الاراضي والمدن التي كانت بحوزتهم[٢٤].

ويغـيروا على بلاد سيس فيجتـاحـوا تلك البلاد ويأخذوها عنوة وينهزم الجيش الارمني[٢٥]، ويؤسر ملك الارمن (ليو) ويؤتى به إلى القاهرة[٢٦]، لكن هذه العسكرة مالبثت أن كبت وطمع

(١٧): ابن إياس: بدائع الزهور ١/٩٥

(١٨): ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٢/٢١٧، ابن طولون: مفاكهة الخلان ٢/٣٠، ٣١، ٤٥

(١٩): الغزي: نهر الذهب ٣/٢٤٦، كرد علي: خطط الشام ٢٠٩

(٢٠): الغزي: نهر الذهب ٢/٩٤٩

(٢١): لوبون: حضارة العرب ٥٨٧

(٢٢): كرد علي: الاسلام والحضارة العربية ١/٣٣٣

(٢٣): اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/٤٣٤، كرد علي: خطط الشام ٢/١١٥

(٢٤): المقريزي: السلوك ١/٢/٥٦٩، اليونيني: ذيل مرآة الزمان ٥٣٧، النويري: الالمام بالاعلام ٩٤، القرماني: أخبار الدول ٢٠٠

(٢٥): ابن عبد الظاهر: تشريف الايام ٣٠

(٢٦): زقلمه: المماليك في مصر ٦٢٠ ومابعدها

الاعـداء فيهـا، وأحـاطـوهـا من كل جانب فدحـروها، ففي البحر خاض المماليك عدة معارك بحرية ضد البرتغال دون جدوى وانهزموا في معركة (ديو) وأصيب أسطولهم بضربة قاضية[27]، وذلـك بسبب قطـع خطـوط الامـداد وقلة المـواد الأوليـة المحلية لصنـاعـة السفن والمـراكب البحرية[28]، وفي البر خسر المماليك كل ماحصلوا عليه من امتيازات في آخر معركة برية خاضوها مع العثمانيين وذلك بسبب تفوق عدوهم بالاسلحة ذات المديات البعيدة وبسبب الحسد والخيانة[29].

اتصـل المـماليـك بالعـرب عن طريق العقيـدة الـدينية، فهم قد اعتصموا بالاسلام وحاولوا التمسـك به والـدفـاع عنـه وعن المسلمـين أينـما وجـدوا وبهـذه الظـاهـرة ردوا المغـول وحـاربوا الصليبيـين، وحـافظـوا على الخـلافـة، واحتضنـوهـا في مصـر، ووسعـوا حدود مملكتهم الاسـلاميـة[30]، وقد أخذ المماليك عن العرب أصالة اللغة وسمو التفكير ومصدر الالهام، وبدا التناغم والانسجام في بادىء الامر بين الطرفين إلا أن عنجهية المماليك الحربية، ونظرتهم الفوقية وعصبيتهم المملوكية أدت إلى خلافات حادة بينهم وبين المواطنين[31].

وبينهم وبين البدو[32]، فثـار الاهـالي في وجـه السلطـان والـوالي والامـير معبرين عن سخطهم وكـراهيتهم، ومطـالبـين بتنحيتهم وعـزلهم، حتى إذا تضـايق أحـدهم عمـد إلى جمع مماليكـه وخاصكيته فاستوقف عدداً من المواطنين، وضربهم بالمقارع، أو أودعهم في السجن، أو قتلهم،

---

(٢٧): ماهر: البحرية في مصر الاسلامية ١٢٨ ومابعدها، اليوزبكي: تاريخ تجارة مصر ١٣٣، الاسكندري: تاريخ مصر ٢٤٩

(٢٨): ابن مماتي: قوانين الدواوين ١٧، العبادي: تاريخ البحرية الاسلامية ٢١١

(٢٩): Lane Poole: A History of Egypt in the Middle Ages 11/353

كرد علي: خطـط الشـام ١٩٦ ومـابعـدهـا. طرخان: مصر في عصر المماليك الجراكسة ١٦٢ ومابعدها، ريسلر: الحضارة العربية ٢٧٠

(٣٠): جرونيباوم: حضارة الاسلام ٣٠٤، ٤٠٦

(٣١): طرخان: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ٢٦٣ ومابعدها

(٣٢): المقـريـزي: السلوك ٢/٣/٩٠٧، ابن خلدون: تاريخه ٥/٤١٥، طرخان: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ٢٧٠، ابن إياس: بدائع الزهور ١/٨٨، ٣/١٣، ١٠٢

ويشتد قتال الشوارع والبيوت، إلا أن المعركة غير متكافئة، فالشعب لايملك من السلاح شيئا، والجنود المماليك مدججون بجميع أنواعه[٣٣]، أما الاعراب فإنهم يعبر ون عن سخطهم بالنهب والسلب والدخول إلى البساتين والمزروعات ولكن لايلبث أن يأتيهم العذاب من قبل المماليك بتجريد جيش يقضي على أكثرهم ويشردهم ويردهم إلى الطاعة والإذعان[٣٤].

صحيح أن العرب كانوا يشكلون في تاريخهم القديم قوة حربية، إلا أنهم كانوا بجانب هذه القوة يشكلون قوى سياسية واقتصادية وحضارية عمت العالم، ووصلت الشرق والغرب[٣٥]، أما المماليك فقد ركزوا على القوة الحربية وأهملوا غيرها[٣٦]، مما جعلهم يتأخرون عن الركب الحضاري والصناعي، ويضيعون على أنفسهم فرص التطوير التي سبقهم إليها غيرهم من الامم المعاصرة لهم. وكانت الكبوة كبيرة عندما استولى العثمانيون على مقاليد الحكم في مصر، وفرغوها من محتواها العلمي والصناعي[٣٧].

إن القوة الحربية التي ظهرت في عين جالوت إذا لم توجه الوجهة الصحيحة، وإذا لم تقيد بقيود وضوابط وإذا لم يوضع لها خطة تحدد معالمها وتبين أهدافها، وترسم مساراتها نحو المنفعة والاستفادة من طاقاتها فقد انقلبت يوما من الأيام إلى ضرر يلحق بالامة ويدمرها.

اختل التوازن بين القوتين، فضعفت القوة البحرية التي حاول بعض السلاطين تطويرها لتكون بمستوى القوة البرية، لكن قلة المواد الأولية التي تصنع منها السفن حال دون

---

(٣٣): المقريزي: السلوك ٣/١/١٧٤، ٣١٤، ٣٨٦، ٣/٢/٦٧٦

(٢٤): القرماني: أخبار الدول ٢٠٤، ابن إياس: بدائع الزهور٣/١٣/١٠٢، تسيتر شتين: تاريخ سلاطين المماليك ١٠٧، شبيكة: مملوكة الفونج ١٤، ١٥

(٣٥): جرونيباوم: حضارة الاسلام ٤٠٨ ومابعدها

(٣٦): شبولر: العالم الاسلامي في العصر المغولي ١٠٩، ١١٤

(٣٧): لوبون: حضارة العرب ٥٨٧، كرد علي: الاسلام والحضارة العربية ١/٣٣٤ ومابعدها.

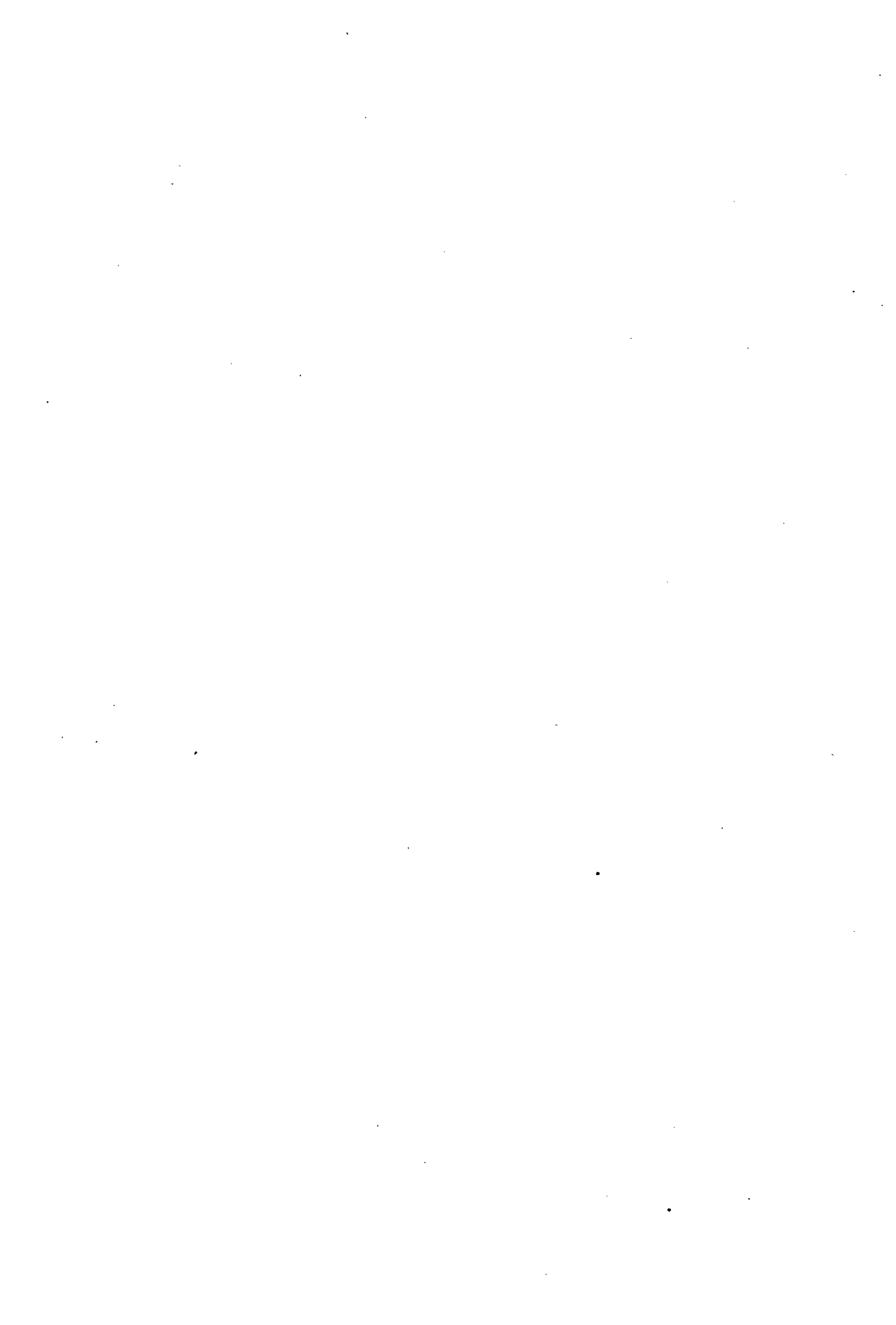
نجـاحهم[٣٨]، وكـذلـك فإن إهمال بعض القـادة فيها بعد شجع فرسان الاستبارية والبرتغاليين على الإغـارة على السـواحـل والمـوانىء والطرق البحرية[٣٩]، مما حال دون القوة البرية وإنقاذ الموقف وهنا كان يكمن عجز المماليك وتراجعهم فإن مثل هذا الأمر هو من الخطأ العسكري الكبير.

---

(٣٨): النـويـري: الالمـام بالاعـلام ٥، ابن مماتي: قوانـين الـدواوين ١٧، ماهر: البحرية في مصر الاسلامية ١٦٨، العدوي: الاساطيل العربية ١٥١

(٣٩): اليوزبكي: تاريخ تجارة مصر البحرية ١٣٢

«المصادر والمراجـــع»



أولا : المخطوطات :

- ابن حرز الحاكم (العصر المملوكي)

كتبت سنة ١٠٨٠هـ، أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن سبط بن حرز الله الحاكم هداية الرامي إلى طريق الرامي وعلم الرمي بالبندق، دار الكتب المصرية رقم ٧٦ فنون حربية، رقم المصور في معهد التراث العلمي العربي بحلب ٨٩٣.

- ابن رسول الغساني (٧٦٤/ ١٣٨٩)

علي المؤيد بن داود بن المظفر يوسف بن المنصور بن عمر بن رسول الغساني، التذكرة في معرفة البيطرة، كوبرني رقم ١٢٢٥/١ ـ ف ٧٧٣، رقم المصور في معهد التراث العلمي بحلب ٨٩٣

- ابن غانم الاندلسي (العصر العثماني)

إبراهيم بن أحمد، كتاب العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع، الخزانة الملكية بالرباط رقم ٢٦٤٦، رقم المصور في معهد التراث العربي بحلب ٦٧٤ بلا تاريخ علي بن عبد الرحمن، في الخيل والسلاح ومايتعلق بهما.

- إبراهيم (العصر المملوكي)

محمد، الفروسية برسم الجهاد في سبيل الله، المكتبة الوطنية بباريس رقم ٢٨٢٩ بلا تاريخ.

- البلقيني (٨٠٥/١٤٢٨)

سراج الدين عمر بن رسلان، قطر السيل في أمر الخيل، المكتبة الظاهرية بدمشق ٨٩ ط رقم قديم ٢٦٠٥، رقم المصور في معهد التراث العلمي العربي بحلب ٥/٣٠٨.

- الدمياطي (العصر المملوكي)

الحافظ شرف الدين عبد المنعم بن خلف، فضل الخيل، في المكتبة الظاهرية بدمشق ٧٢ ط، رقم قديم ٣٢٣١، رقم المصور في معهد التراث العلمي بحلب ٤١٩/٢٠ بلا تاريخ.

ـ الذهبي (العصر المملوكي)

محمد بن لاجين بن عبد الله الذهبي ، غاية المقصود في العلم والعمل في البنود، المكتبة الوطنية بباريس رقم ٢٨٢٧ ، بلا تاريخ

ـ الرملي (العصر المملوكي)

نجم الـدين بن خير الـدين الحنفي الـرمـلي، اسبال الذيل في ذكر جياد الخيل، المركز الثقافي العربي بحماة (سوريا) رقم ٩٨، بلا تاريخ.

ـ الرماح (١٣٦٢/٦٩٥)

حسن الأحدب بن أيوب نجم الدين.

آ ـ كتاب الفروسية برسم الجهاد، مكتبة أحمد الثالث رقم ٢١٢٩ ، رقم المصور في معهد التراث العلمي بحلب ٢٦٨ مجموع.

ب ـ الفـروسيـة والحـرب والاسلحة، المكتبة الوطنية بباريس رقم ٢٨٢٥ ، رقم المصور في معهد التراث العلمي العربي لحلب ٨٦١

جـ ـ في عمـل الـرمـح على الارض والفرس، مكتبة الفاتيكان رقم ٣٠٠، رقم المصور في معهد التراث العلمي العربي بحلب ١٣٤

د ـ اللعب بالرمح في معرفة الفروسية رقم المصور في معهد التراث العلمي بحلب ١٤٥٠

هـ ـ الفروسية برسم الجهاد، رقم المصور في معهد التراث العلمي بحلب ١٣٧٦

و ـ في علم الفـروسيـة برسم العمـل به، مكتبـة أحمد الثالث رقم ٣٤٦٧، رقم المصور في معهد التراث العلمي العربي بحلب ٢٦٧

ز ـ الفروسية والمناصب الحربية، مكتبة الحرم المكي الشريف رقم ٥٠

ـ الرماح (العصر المملوكي)

نجم الاحـدب محمـد بن عيسى بن إسـماعيـل الحنفي نهايـة السؤال والامنيـة في تعلم أعـمال الفروسية، كتبت بخط احمد المصري الحلال سنة (١٤٠٠/٧٧٥) مكتبة أحمد الثالث باستنبول رقم ٢٦٥١ ، رقم المصور في معهد التراث العلمي العربي بحلب ٢٢

ـ الاسكندري (١٢٤٢/٦٤٠)

حسن بن محمد القرشي العدوي ، الحيل البابلية للخزانة الكاملية، المكتبة الوطنية في انقرة تركيا رقم٦٦٨

الاشرفي (٧٩٧/ ١٤٢١)

طبيغا الاشرفي البكلميش اليوناني، رمي النشاب الناسخ محمد بن عبد الرحيم التلواني سنة (١٤٢٨/٨٠٥) المكتبة الوقفية بحلب العثمانية رقم ٨٠٢ خاص.

- الطرابلسي (٧٣٨/ ١٣٦٢)

لاجين بن عبد الله الذهبي الملقب بحسام الدين الطرابلسي، تحفة المجاهدين في العمل بالميادين، المكتبة الوقفية بحلب الاحمدية رقم ١٣٧٢

- الكندي (القرن الثالث الهجري)

أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، السيوف وأنواعها وسقيها، مكتبة أحمد الثالث باستنبول رقم ٦٥١

- ناصر الدين (العصر المملوكي)

الرماح، المخزون لارباب الفنون في الفروسية ولعب الرمح، الناسخ شاهين الزيني سنة ٩٨٦ - ١٥٧٨، المكتبة الوطنية بباريس رقم ٢٨٢٦

- الناصري (٧٧٨ / ١٣٧٦)

محمد بن منكلي، الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، الخزانة العامة بالرباط رقم ٢٣/ج

- مجهول

الحيل والحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب من حكم الاسكندر بن فيلبس اليوناني.

- مجهول

علم الفروسية برسم المجاهدين، المكتبة الوقفية بحلب الاحمدية رقم ١٣٧٢

- مجهول

في علم الفروسية ورمي النشاب على ظهور الخيل، المكتبة الوقفية بحلب الاحمدية رقم ١٣٧١،

- مجهول

كتاب الخيل، المكتبة الوقفية بحلب المولوية رقم ١٧١

ثانيا: المصـــــادر

- ابن الاثير (٦٣٠/ ١٢٣٢)

عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الاثير الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت ١٣٩٩ / ١٩٧٩

- ابن أبي أصيبعة (٦٦٨/ ١٢٦٩)

موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، منشورات مكتبة الحياة ببيروت طبعة ١٩٦٥

- ابن إياس (٩٣٠/ ١٥٢٣)

محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، دار المعارف بمصر ١٩٥١

- ابن بطوطة (٧٧٩/ ١٣٧٧)

أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواقي، رحلة بن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٥/ ١٩٧٥

- ابن تغري بردي (٨٧٤/ ١٤٦٩)

جمال الدين أبو المحاسن يوسف،

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٤٨/ ١٩٢٩.

- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٧٥/ ١٩٥٦

- حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، القسم الأول ٨٤٥ - ٨٥٦، مطبعة وليام بوير، منشورات جامعة كاليفورنيا ١٩٣٠

- ابن جبير (٦١٤/ ١٢١٧)

محمد بن أحمد بن جبير الكناني الاندلسي، رحلة ابن جبير في مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية، دار مصر للطباعة ١٣٧٤/ ١٩٥٥

- ابن حجر العسقلاني (٨٥٢ / ١٤٤٨)

أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، مطبعة

مجلس دائرة المعارف العثمانية في الهند ببلدة حيدر آباد الركن ١٣٤٨

ـ ابن خرداذبة (٣٠٠ / ٩١٢)

أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، مكتبة المثنى ببغداد

ـ ابن خلدون (٨٠٨ / ١٤٠٥)

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت ١٣٩٧ / ١٩٧١

ـ ابن خلكان (٦٨١/ ١٢٨٢)

أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بن خلكان، وفيات الاعيان وأنباء الزمان، دار صادر بيروت ١٣٩٧ / ١٩٧٧

ـ ابن دقماق (٨٠٢/ ١٣٩٩)

إبراهيم بن محمد أيدمر العلائي، الانتصار بواسطة عقد الامصار، المطبعة الكبرى ببولاق، طبعة ١٣١٠ / ١٨٩٧

ـ ابن رسته (آخر القرن الثالث الهجري)

أبو علي أحمد بن عمر، الاعلاق النفيسة مطبعة بريل بليدن ١٨٩١ .

ـ ابن الساعي (٦٧٤/ ١٢٧٥)

أبو طالب علي بن أنجب تاج الدين المعروف بابن الساعي الخازن.

الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير المطبعة السريانية الكاثوليكية ببغداد ١٣٥٣ / ١٩٣٤

ـ ابن سيده (٤٥٨/ ١٠٦٥)

أبو الحسن علي بن إسماعيل الاندلسي، المخصص المطبعة الاميرية الكبرى بمصر ١٣١٨

ـ ابن شاكر (٢٥٩/ ٨٧٢)

بنو موسى محمد وأحمد والحسن، كتاب الحيل، تحقيق الدكتور أحمد يوسف الحسن، مطبعة جامعة حلب ـ معهد التراث العلمي العربي ١٩٨١

ـ ابن شاهين الظاهري (٨٧٣/ ١٤٦٨)

عرس الدين خليل بن شاهرين الظاهري . زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، مطبعة الجمهورية بباريس ١٨٩٤

- ابن الشحنة (٨٩٠/ ١٤٨٥)

ابو الفضل محمد بن الشحنة، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، دار الكتاب العربي بسوريا ١٠٤٠/١٩٨٤

- ابن شداد أبو عبد الله (٦٨٤/ ١٢٨٥)

عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي، الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية ١٩٥٣

- ابن شداد أبو المحاسن (٦٣٢/ ١٢٣٤)

بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم، سيرة صلاح الدين الايوبي المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية في مطبعة الاداب والمؤيد بمصر ١٣١٧

- ابن صاعد (٤٦٢/ ١٠٦٩)

أبو قاسم مساعد بن أحمد بن صاعد الاندلسي، طبقات الامم، المطبعة الكاثوليكية للادباء واليسوعيين بيروت ١٩١٢

- ابن طولون (٩٥٣/ ١٥٤٦)

شمس الدين محمد بن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (تاريخ مصر والشام) المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨١/١٩٦٢

- ابن ظهيرة (٩٨٦/ ١٥٧٨)

جاد الله جمال الدين محمد بن نور الدين، الفضائل في مجلس مصر والقاهرة مطبوعات دار الكتب المصرية بوزارة الثقافة ١٩٦٩

- ابن عبد الحق البغدادي (٧٣٩/ ١٣٣٨)

صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع، دار إحياء الكتب العربية بمصر ١٣٧٣/ ١٩٥٤.

- ابن عبد ربه (٣٢٨/ ٩٣٩)

أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي، العقد الفريد، مطبعة لجنة التأليف والنشر بمصر ١٣٨٤/١٩٦٥

- ابن عبد الظاهر (٧١٧/ ١٣١٧)
محي الـدين بن عبـد الظـاهر، تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور، الشركة العربية للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦١
- ابن العبري (٦٨٥/ ١٢٨٦)
غير يغوريوس الملطي المعروف بابن العبري، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٨
- ابن العديم (٦٦٠/ ١٢٦١)
الصاحب كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله، زبدة الحلب في تاريخ حلب، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٣٨٧/ ١٩٦٨
- ابن عربشاه (٨٥٤/ ١٤٥٠)
شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي الانصاري، عجائب المقدور في أخبار تيمور، المطبعة العامرة العثمانية بمصر ١٣٠٥
- ابن عساكر (٥٧١/ ١١٧٥)
ثقـة الله أبـو القـاسم علي بن الحسن بن هبـة الله بن عبـد الله بن الحسـين بن عسـاكر، التاريخ الكبير، مطبعة روضة الشام ١٣٢٩
- ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩/ ١٦٧٨)
أبـو الفـلاح عبـد الحي؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب؛ المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت - لبنان؛ بدون تاريخ.
- ابن الفرات (٨٠٧ / ١٤٠٤)
ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات؛ تاريخ ابن الفرات؛ مطبعة حداد بالبصرة ١٣٨٦ / ١٩٦٧ الجزء السابع من منشورات الجامعة الأميركية والمطبعة الأميركانية ببيروت ١٩٤٢.
- ابن الفقيه (٣٤٠/ ٩٥١)
أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني؛ البلدان؛ مطبعة بريل بمدينة ليدن ١٣٠٢.
- ابن قاضي شهبة (٨٥١ / ١٤٤٧)
تقي الـدين أبـو بكـر بن أحمـد بن قاضي شهبـة الأسـدي الدمشقي؛ تاريخ ابن قاضي شهبة؛

المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ١٩٧٧ .
- ابن القاسم (١١٠٠ / ١٦٨٨)
يحيى بن الحسين ؛ غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ؛ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٨ / ١٩٦٨ .
- ابن قتيبة (٢٧٦ / ٨٨٩)
عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ؛ عيون الأخبار (الحرب والفروسية) ؛ وزارة الثقافة والارشاد القومي ١٩٧٧ .
- ابن القف (٦٨٥/ ١٢٨٦)
أمين الدولة أبو الفرج بن موفق الدين يعقوب بن أبي إسحاق المعروف بابن القف المتطبب المسيحي الكركي ، كتاب العمدة في الجراحة ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الركن ١٣٥٦
- ابن القيم (٧٥١/ ١٣٥٠)
أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ، الفروسية ، دار الكتب العلمية بيروت
- ابن كثير (٧٧٤/ ١٣٧٢)
إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، البداية والنهاية مكتبة المعارف بيروت مكتبة النصر بالرياض ١٩٦٦
- ابن مماتي (٢٢٧/ ١١٣٢)
الوزير الاسعد الخطير شرف الدين أبو المكارم بن أبي سعيد ابن مماتي ، قوانين الدواوين مطبعة إدارة الوطن ١٢٩٩
- ابن واصل (٦٩٧/ ١٢٩٧)
جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٧٢
-ابن الوردي (٧٥٠/ ١٣٤٩)
زين الدين عمر، نعمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) الناشر دار المعرفة بيروت لبنان ١٣٨٩ / ١٩٧٠

- ابن يحيى (أواسط القرن التاسع)

صالح، تاريخ بيروت وأخبار الامراء من بني العرب، سعى بنشره وتعليق حواشيه وفهارسه الاب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية بيروت، طبعة ثانية معجمة ١٩٢٧

- ابن شاكر الكتبي (٧٦٤/ ١٣٦٢)

محمد بن شاكر بن أحمد، فوات الوفيات، مطبعة السعادة بمصر، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥١

- أبو البقاء (ولد سنة ٨٤٧/ ١٤٤٣)

عبد الله بن محمد البدري المصري بدمشق، نزهة الانام في محاسن الشام، المطبعة السلفية بمصر ١٣٤١

- أبو شامة (٦٦٥/ ١٢٦٦)

شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي،

آ - كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦

ب - تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين روجع على النسخة الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب الملكية بالقاهرة ١٣٦٦/ ١٩٤٧م

- أبو الفداء (٧٣٢/ ١٣٣١)

السلطان الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل الافضل نور الدين علي بن جمال محمود بن محمد بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة:

آ - تاريخ أبي الفداء دار الطباعة العامرة الشاهية بالقسطنطينية ١٢٨٦

ب - تقويم البلدان: دار الطباعة السلطانية بباريس ١٨٤٠

- الابشهي (٨٥٠/ ١٤٤٦)

شهاب الدين أحمد، المستطرف في كل فن مستظرف، المطبعة المحمودية التجارية بمصر.

- الادريسي (٥٦٠/ ١١٦٤)

أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن الادريسي نزهة المشتاق فى ذكر الامصار والاقطار والجزر والمدائن والآفاق.

ـ الاسحاقي (١٠٦٠/ ١٦٥٠)

محمد عبد المعطي بن أبي الفتح بن عبد الغني بن علي الاسحاقي، أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول، المطبعة الازهرية المصرية ١٣١١

ـ الاصطخري (٣٤٦/ ٩٥٧)

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارس، ويعرف أيضا بالكوفي:

آ ـ الاقاليم: نشر وتحقيق ج. س موليرِ.

ب ـ مسالك الممالك، مطبعة بريل بلندن ١٩٢٧

ـ الاصفهاني (٥٩٧/ ١٢٠٠)

أبو عبد الله بن صفي الدين بن محمود، ويعرف بالعماد الكاتب الاصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق وشرح وتقديم محمود محمود صبح الدار القومية للطباعة والنشر.

ـ البغدادي (٦٢٩/ ١٢٣١)

عبد اللطيف، ويعرف بابن اللباد وبابن نقطة والمطحن، الافادة والاعتبار، مطبعة خالد بن الوليد بدمشق ١٤٠٣/١٩٨٣

ـ البكري (٤٨٧/ ١٠٩٤)

أبو عبيد الله عبد العزيز البكري الاندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ١٣٦٤/١٩٤٥

ـ بيشوف

د ـ تبدور الجرماني، تحف الانباء في تاريخ حلب الشهباء المطبعة الادبية في بيروت ١٨٨٠

ـ الثعالبي (٤٢٩/ ١٠٣٧)

أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي الينسابوري.

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٣٨٤/١٩٦٥

ـ الجاحظ (٢٥٥/ ٨٦٨)

أبو عثمان بن بحر، البلدان، مطبعة الحكومة ببغداد ١٩٧٠

ـ الحجازي (القرن السابع الهجري)

عبد الله بن إبراهيم وخمسة من أهل الاندلس النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية في وزارة الثقافة ١٩٧٠

ـ الحلبي (٥٧٩/ ١١٨٢)

جلال الدين النوري المعروف تاج الملوك الحلبي، تحفة الظرفا في مناقب الملوك والخلفا، مطبعة جامعة كاليفورنيا بيركلي، ولوس انجلوس ١٩٤٢

ـ الحنبلي (٩٢٨/ ١٥٢١)

مجير الدين، الانس الجليل بتاريخ القدس والجليل، توزيع دار الجبل ببيروت ـ لبنان ومكتب المحتسب بعمان ـ الاردن ١٩٧٣

ـ الخزرجي (القرن الثامن الهجري)

علي بن الحسن، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، مطبعة الهلال بالفجالة بمصر طبعة ٩١٤/٣٣٢

ـ الدواداري (٧٣٦/ ١٣٣٥)

أبو بكر عبد الله بن أيبك:

آ ـ الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ١٣٧٩/ ١٩٦٠

ب ـ الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، دار إحياء الكتب العربية بمصر ١٣٩١/ ١٩٧٢

ـ الديار بكري (٩٦٦/ ١٥٥٨)

الشيخ حسن بن محمد بن حسن الديار بكري، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس المطبعة الوهبية بمصر ١٢٨٣/ ١٨٣٠

ـ الدينوري (٢٨٢/ ٨٩٥)

أبو حنيفة أحمد بن داود، الاخبار الطوال، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة الطبعة الاولى ١٩٦٠

ـ الذهبي (٧٤٨/ ١٣٤٧)

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي، دول الاسلام، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بعاصمة الدول الاصفية خيدر آباد الركن، الطبعة الثانية ١٣٦٥

ـ الزبيدي (١٢٠٥/ ١٧٩٠)

محمد مرتضى الحسيني الواسطي، تاج العروس المطبعة الخيرية بمصر الطبعة الاولى ١٣٠٦
ـ الزردكاش (٨٦٧/ ١٤٦٢)
أبن ارتبغا، الانيق في المناجيق، تحقيق الدكتور إحسان هندي، منشورات جامعة حلب معهد التراث العلمي العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ معهد المخطوطات العربية ١٤٠٥/١٩٨٥
ـ السبكي (٧٧١/ ١٣٦٩)
تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، طبقات الشافعية الكبرى، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، الطبعة الاولى للجزئين السابع والثامن ١٩٧٠ ـ ١٩٧١
ـ السخاوي (٩٠٢/ ١٤٩٦)
شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ـ لبنان.
ـ السكيت (٢٢٤/ ٨٢٨)
أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، مختصر تهذيب الالفاظ، تحقيق الاب لويس شيخو اليسوعي المطبعة الكاثوليكية للادباء اليسوعيين بيروت ١٨٩٧
ـ السيوطي (٩١١/ ١٥٠٥)
جلال الدين عبد الرحمن السيوطي
آ ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، دار إحياء الكتب العربية بمصر، الطبعة الاولى ١٣٨٧/١٩٦٧
ب ـ كتاب الرحمة في الطب والحكمة، المطبعة العامرة الشرقية بمصر، ١٣٢٤
ـ شاهنشاه (٥٤٣/ ١١٤٨)
تاج الدين شاهنشاه بن أيوب، من منتخبات كتاب التاريخ لصاحب حماة، مطبعة المؤيد والاداب بمصر ١٣١٧
ـ الشهابي (أواخر القرن التاسع عشر)
الامير حيدر محمد، تاريخ الامير حيدر أحمد الشهابي كتاب الغرو الحسان في تواريخ حوادث الزمان، مطبعة الاسلام بمصر ١٩٠٠

ـ شيخ الربوة (٧٢٧/ ١٣٢٦)

شمس الـدين أبـو عبـد الله محمـد بن أبي طالب الانصاري نخبة الدهر في عجائب البر والبحر مطبعة الاكاديمية الامبراطورية بمدينة بطرسبورغ ١٢٨١/ ١٨٦٥

ـ الصفدي (٧٦٤/ ١٣٦٢)

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي .

آ ـ الـوافي بالـوفيـات جميعـة المستشـرقين الالمانية ودار النشر فرانزشتايز بقيساوت ، الطبعة الثانية ١٣٨١ ـ ١٩٦٢

ب ـ أمـراء دمشق في الاسـلام ، من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، مطبعة الترقي بدمشق ١٣٧٤/ ١٩٥٥

ـ ابن الصقاعي (٧٢٦/ ١٣٢٥)

فضـل الله بن أبي الفخـر الصقـاعي ، تالي كتـاب وفيـات الاعيـان ، المعهـد الفـرنسي بدمشق للدراسات العربية المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٧٤

ـ الصيرفي (٩٠٠/ ١٤٩٤)

الخطيب الجـوهـري علي بن داود ، نزهـة النفـوس والابـدان في تواريخ الزمان مطبعة دار الكتب بمصر ١٩٧٠

ـ طاش كبرى زاده (٩٦٢/ ١٥٥٤)

المـولى أحمـد بن مصطفى بطـاش كبرى زاده ، مفتـاح السعادة ومصباح السيادة ، دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن الهند ، الطبعة الأولى ١٣٢٨

ـ الطبري (٣١٠/ ٩٢٢؛

أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، مؤسسة الأعلمي ببيروت مأخوذة عن النسخة المطبوعة بمطبعة بريل بمدينة ليدن ١٨٧٩

ـ الغزي (١٠٦١/ ١٦٥٠)

نجم الدين . الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة نشره محمد أمين دمج وشركاه بيروت ـ لبنان .

ـ الفوطي (٧٢٣/ ١٣٢٣.)

عبد الرزاق بن أحمد الفوطي ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة مطبعة الفرات

ببغداد ١٩٣٢/١٣٥١

ـ الفيروز أبادي (٨١٧/ ١٤١٤)

مجد الدين محمد بن يعقوب القاموس المحيط، دار مكتبة التربية للطباعة والنشر ببيروت.

ـ قدامه (٣٢٠/ ٩٣٢)

أبو الفرج قدامه بن جعفر، الخراج وصنعة الكتابة، مكتبة المثنى ببغداد بدون تاريخ.

ـ القرماني (١٠١٩/ ١٦١٠)

أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي أخبار الدول وآثار الأول، مطبعة دار السداد ببغداد ١٢٨٢

ـ القزويني (٦٨٢/ ١٢٨٣)

زكريا بن محمد بن محمود.

آ ـ آثار البلاد وأخبار العباد، مطبعة بريل بمدينة ليدن، تصوير ١٨٤٨

ب ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات مطبعة بريل ليدن، تصوير ١٨٤٩

ـ القلقشندي (٨٢١/ ١٤٢٠)

أبو العباس أحمد، صبح الاعشى، المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩١٣/٣٨١

ـ محمد بن شاكر أحمد ـ مطبعة السعادة بمصر ومكتبة النهضة المصرية؛ ١٩٥١.

ـ المسعودي (٣٤٦/ ٩٥٧)

أبو الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة التجارية بمصر، الطبعة الرابعة ١٩٦٤/١٣٨٤

ـ المقدسي (٣٨٠/ ٩٩٠)

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء البشاري. أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم.، مطبعة بريل بمدينة ليدن، طبعة ثانية ١٩٠٦

ـ المقري (١٠٤١/ ١٦٣١)

أحمد بن محمد المقري التلمساني نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، دار الكتاب العربي ببيروت بدون تاريخ.

ـ ناصر خسرو (٥٤٣/ ١١٤٨)

علوي، تعريب يحيى الخشاب، سفرنامة مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة بالقاهرة ١٩٤٥/١٣٦٤

- الواقدي (٢٠٧/ ٨٢٢)

محمد بن عمر، فتوح الشام دار العهد الجديد للطباعة بمصر، الطبعة الاولى ١٣٧٤/ ١٩٥٥

- ياقوت الحموي (٦٢٦/ ١٢٢٨)

شهاب الدين أبوعبد الله بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر بيروت ١٣٩٧/ ١٩٧٧

- اليعقوبي (٢٩٢/ ٩٠٤)

أحمد بن أبي يعقوب بن واضح.

آ- البلدان: مطبعة بريل ليدن مطبعة ١٨٩١

ب - تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغزي بالنجف ١٣٥٨

- اليونيني (٧٢٦/ ١٣٢٥)

قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد بن أحمد بن قطب الدين اليونيني البعلبكي الحنبلي، ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند، الطبعة الأولى ١٣٧٤/ ١٩٥٤

- النعيمي (٩٢٧/ ١٥٢٧)

عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، مطبعة الترقي بدمشق، الجزء الثاني ١٣٧٠/ ١٩٥١

- النويري (٧٣٢/ ١٣٣١)

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الارب في فنون الادب، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٢/ ١٩٢٣

- النويري (٧٧٥/ ١٣٧٣)

محمد بن قاسم بن محمد النويري الاسكندراني، الالمام بالاعلام في ماجرت به الاحكام والامور المقضية في وقعة الاسكندرية، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد، الدكن الهند ١٣٩٠/ ١٩٧٠

- الهروي (٦١١/ ١٢١٤)

أبو الحسن علي بن أبي بكر، الاشارات إلى معرفة الزيارات - المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، نشر وتحقيق جانين سورديل طومين، دمشق ١٩٥٣

- **الهمذاني (١٣١٨/٧١٨)**

رشد الدين فضل الله، جامع التواريخ، ـار إحياء الكتب العربية بمصر ١٩٦٠

ثالثاً: المراجــــع

- **أبو خليل**

شوقي، أطلس التاريخ العربي دار الفكر بدمشق، الطبعة الاولى ١٤٠٤/١٩٨٤

- **الاسدي**

خير الدين، أحياء حلب وأسواقها، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق ١٩٨٤

- **أسعد**

إبراهيم، ماركو بولو من قصص الرحالة والمكتشفين، دار المعارف بمصر طبعة ١٩٥٨

- **الاسكندي**

عمرو الميجر ١ ـ ج سفدج، تاريخ مصر إلى الفتح العثماني مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر، الطبعة السادسة ١٣٤٢/١٩٢٣

- **أكرم**

جنرال أ. أ ـ سيف الله خالد بن الوليد، منشورات هيئة التدريب في القوات المسلحة العربية السورية ١٩٧٦

- **الالوسي**

محمود شكري، بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب، المطبعة الرحمانية بمصر، الطبعة الثانية ١٣٤٣/١٩٢٤

- **الباشا**

د. حسن عبد الرحمن فهمي وعبد الرؤوف علي يوسف، وحسين عبد الرحيم عليوي ومحمد مصطفى نجيب، القاهرة تاريخها فنونها، آثارها، مطابع الاهرام التجارية طبعة ١٩٧٠.

- **باشا المصري**

المؤسسة العربية للدارسات والنشر، الطبعة الاولى ١٤٠٠/١٩٨٠، لواء محمد مختار، كتاب التوفيقات الالهامية في مقارنة التواريخ الهجرية، الافرنجية والقبطية.

- **البخيت**

د. محمد عدنان، مملكة الكرك. ضعة أولى ١٩٧٦

- البستاني

(١٨٨٢/٣٠٠) معلم بطرس، دائرة المعارف (قاموس عام لكل فن ومطلب) مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان، نهران ناصر خسرو وباسار مجيدي (١٣٣٩خ١٨٧)

- بيلي

أحمد، حياة صلاح الدين الايوبي، المطبعة الرحمانية الطبعة الثانية (١٩٢٦/١٣٤٥)

- التونجي

محمد، المعجم الذهبي فارسي عربي، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠

- حاجي خليفة

(١٠٦٧ / ١٦٥٦) مصطفى عبد الله الشهير بحاجي خليفة وبكاتب حلبي، كشف النظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى ببغداد. بدون تاريخ

- الجبرتي

(١٢٣٦ / ١٨٢٠) عبد الرحمن بن حسن، تاريخ عجائب الاثار في التراجم والاخبار، دار الجيل بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٨

- حتي

فيليب:

آ - تاريخ العرب، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع طبعة خامسة ١٩٧٤.

ب - تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، دار الثقافة بيروت ١٩٨٣

- حمادة

محمد ماهر، الوثائق السياسية والادارية للعصر المملوكي، منشورات مؤسسة الرسالة ببيروت، طبعة أولى ١٤٠٠/١٩٨٠

- حمزة

عبد اللطيف، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول، مطبعة أحمد علي مخيمر بمصر طبعة ثانية ١٩٦٨

- الخطيب

محب الدين الزهراء، مجلة علمية أدبية اجتماعية شهرية تنشرها إدارة المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة ١٣٤٤/١٩٢٥

- الخضري

محمد، تاريخ الامم الاسلامية، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، طبعة ثالثة، بلا تاريخ.

- خمار

قسطنطين، موسوعة فلسطين الجغرافية، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية بيروت، ١٩٦٩

- دائرة المعارف الاسلامية، انتشارات جهان - مدينة طهران.

- دحلان

(١٣٠٤/١٨٨٦) أحمد بن السيد زيني دحلان، الفتوحات الاسلامية، المطبعة الحسينية بمصر.

- الرمزي

(القرن العشرون) م. م تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، المطبعة الكريمية والحسينية (آنبورغ) (١٣٢٥/١٩٠٧)

- الزركلي

خير الدين، الاعلام، دار العلم للملايين ببيروت - لبنان الطبعة الخامسة (١٤٠٠/١٩٨٠)

- زغلمة

أنور، المماليك في مصر، مطبعة المجلة الجديدة بالقاهرة، بلا تاريخ.

- زكي

عبد الرحمن:

آ - الجيش المصري الاسلامي من عين جالوت إلى رشيد، ١٨٠٧/١٢٦٠، مطبعة الكيلاني ١٩٧٠

ب - السلاح في الاسلام، دائرة المعارف بمصر ١٩٥١

- زيادة

نقولا، دمشق في عصر المماليك، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ببيروت ونيويورك ١٩٦٦

- زيدان

جرجي، آ - تاريخ التمدن الاسلامي، مطبعة الهلال، الطبعة الرابعة ١٩٣٥

ب ـ تاريخ آداب اللغة العربية، مطبعة الهلال ١٩٥٧.
ـ سرور
محمد جمال الدين، الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٣٨/١٣٥٧
ـ سليم
محمود رزق، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي، مكتبة الاداب ومطبعتها ودار الحمامي للطباعة بمصر، ١٩٦٥/١٣٨٤
ـ سمكوع
أمين، مدخل إلى تاريخ الشراكسة، دار دمشق، بيروت الطباعة الاولى ١٩٨٤
ـ السيد
أحمد، مفتاح الذهب (تاريخ ملوك الاسلام وخلفاء العرب) مطبعة المعارف بمصر، بلا تاريخ.
ـ شبيكة
مكي، مملكة الفونج الاسلامية، معهد الدراسات العربية العالية، مطبعة الرسالة بمصر، مجموعة محاضرات ألقيت في عام ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤
ـ الشرقاوي
(١٨١٢/١٢٢٧) عبد الله، تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين، المطبعة الازهرية المصرية، الطبعة الاولى ١٣١١
ـ الشوكاني
(١٨٣٤/١٢٥٠) محمد بن علي، البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الاولى ١٣٤٨
ـ الشيال
جمال الدين، تاريخ مصر الاسلامية، دار المعارف بمصر ١٩٦٧
ـ شير الكلداني
أدي شر، الالفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٨
ـ الطباخ

(١٣٧٠/ ١٩٥٠) محمد بن راغب بن محمد بن هاشم الطباخ الحلبي، أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، المطبعة العلمية بحلب، الطبعة الاولى ١٣٤٢/١٩٢٤

ـ طرحان

إبراهيم علي، مصر في عهد دولة المماليك الجراكسة، مطعبة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ١٩٦٠

ـ طوطح

خليل، جغرافية فلسطين، مطبعة بيت المقدس في القدس، ١٩٢٣

ـ عاشور

سعيد عبد الفتاح:

آ ـ بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، مطبعة دار الامد (البحيري إخوان) بيروت ١٣٧٩/١٩٧٧

ب ـ مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٧٢

ـ العبادي وزميله

أحمد مختار: قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام،دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ١٩٦٩

ـ العدوي

إبراهيم أحمد، الاساطيل العربية في البحر الابيض المتوسط،مكتبة نهضة مصر بالفجالة ١٩٧٥

ـ العريني

السيد البار:

آ ـ المماليك: دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٦/١٩٦٧

ب ـ المغول: دار النهضة العربية للطباعة والنشر ببيروت ١٣٨٧/١٩٦٨

ـ العزاوي

عباس. تاريخ العراق بين احتلالين، مطبعة بغداد ١٣٥٣/١٩٣٥

ـ العسلي

بسام: المظفر قطز ومعركة عين جالوت، دار النفائس بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٠/١٩٨٠

ـ عطية الله
أحمد، القاموس الاسلامي، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٦٣/١٣٨٣
ـ عمون
اسكندر، تاريخ مصر، مطبعة المعارف بمصر، الطبعة الثانية ١٩١٣/١٣٣١
ـ عنان
محمد عبد الله، مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٥٢/١٣٧١
ـ عيسى
(١٩٤٥/١٣٦٥) أحمد، تاريخ البيمارستانات في الاسلام، المطبعة الهاشمية بدمشق (١٩٣٩/١٣٧٥).
ـ الغزي
(١٩٣٢/١٣٥١) كامل بن حسين بن مصطفى البالي الحلبي نهر الذهب في تاريخ حلب، المطبعة المارونية بحلب، (١٩٢٦/١٣٤٥)
ـ كحالة. عمر رضا. معجم المؤلفين، مطبعة الترقي بدمشق ١٩٦٠/١٣٨٠
ـ كرد علي
(١٩٥٢/١٣٧٢) محمد بن عبد الرزاق:
آ ـ الاسلام والحضارة العربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية ١٩٥٠
ب ـ خطط الشام، الجزء الثاني بيروت ـ الطبعة الثانية (١٩٧٢/١٣٩٢)
ـ ماجد
عبد المنعم، تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ١٩٦٣
ـ ماهر
سعاد، البحرية في مصر الاسلامية وآثارها الباقية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بمصر ١٩٦٧

- **مبارك**
علي، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، مطبعة دار الكتب بمصر ١٩٦٩

- **المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر (وزارة الثقافة)** القاهرة في ألف عام ٩٦٩ - ١٩٦٩، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٩

- **مجموعة التأليف في أكاديمية فرونزي العسكرية**، التكتيك، وزارة الدفاع بدمشق ١٩٦٧

- **مرمرجي**
١ - س الدومنكي، بلدانية فلسطين العربية، مطبعة جان دارك بيروت ١٩٤٨

- **المفتي**
شوكت، أباطرة وأبطال في تاريخ القوقاس، مكتبة الاندلس بالقدس، الطبعة الاولى ١٩٦٢

- **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم**، دراسات في تاريخ وآثار فلسطين، جامعة حلب ١٤٠٤/١٩٨٤

- **هندي**
إحسان، الجيش العربي في عصر الفتوحات، وزارة الدفاع السورية - دمشق - ١٩٧٣

- **اليوزبكي**
توفيق، تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر بجامعة الموصل، ١٣٩٥/١٩٧٥

رابعاً: المراجع المعربة

- أرنولد

سيرتوماس وجمهرة من المستشرقين، تراث الاسلام، تعريب جرجي فتح الله دار الطليعة للطباعة والنشر ببيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٢

- بارتولد

ف: تاريخ الحضارة الاسلامية، نقله من التركية إلى العربية حزة طاهر، دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٣٧١، ١٩٥٢

- بتلر

الفرد. ج، فتح العرب لمصر، تعريب محمد فريد أبوحديد، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٥١/١٩٣٣

- بول (لين)

استانلي، طبقات سلاطين الاسلام، ترجمة للفارسية عباس إقبال، ترجمه عن الفارسية مكي ظاهر الكعبي، دار منشورات البصري، ١٣٨٨/١٩٦٨

- تسيترشتين

ك. ف. تاريخ سلاطين المماليك في أعوام ٦٩٠ ـ ٧٤١ هـ بالاستناد إلى المخطوطات العربية بريل ليدن ١٩١٩

- جرونيباوم

جوستاف ١ ـ فون، حضارة الاسلام: نقله إلى العربية عبد العزيز توفيق جاويد وعبد الحميد العبادي، دار مضر للطباعة ١٩٥٣

- حوراني

جورج فضلو، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ترجمة السيد يعقوب بكر، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر بالقاهرة ونيويورك، مطابع دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٩٥٨

- ريسلر
جاك س، الحضارة العربية، ترجمة غنيم عبدون، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- زامباور
أدوارد فون (مستشرق نمساوي) معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، مطبعة جامعة فؤاد الاول ١٩٥١
- شبولر
برتولد، العالم الاسلامي في العصر المغولي، نقله إلى العربية خالد أسعد عيسى، راجعه وقدم له سهيل زكار، نشر وتوزيع دار حسان بدمشق، طبعة أولى (١٤٠٢/١٩٨٢)
- فشر
ه. أ. ل. تاريخ أوربا (العصور الوسطى) نقله إلى العربية الدكتوران محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة ١٩٦٩
- لوبون
غوستاف، حضارة العرب، نقله إلى العربية عادل زعيتر مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الرابعة ١٣٨٤/١٩٦٤
- متز
آدم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، أوعصر النهضة في الاسلام، نقله إلى العربية، محمد عبد الهادي، أبو زيده ز مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، المطبعة الثالثة ١٣٧٧/١٩٥٧
- ميلي
الدو، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، نقله إلى العربية الدكتورعبد الحليم النجار والدكتور محمد يوسف موسى، مطابع دار العلم بالقاهرة الطبعة الاولى ١٣٨١/١٩٦٢
- هل
ي، الحضارة العربية، ترجمة الدكتور إبراهيم أحمد العدوي، مكتبة الانجلو المصرية ١٣٧٥/١٩٥٦

خامسا ـ المراجع الاجنبية

المراجع الافرنسية :

DARRAG,A.: L'Egypte sous le rigue de Barsbay; Institut Francais de Damas, Damas 1961

DOZT,R. : Supplement aux Dictionnaires Arabes; Librairie de Liban, Beyrouth 1968.

FIEY, J.M. : Chretiens Syriaques sous les Mongols; (IL-Khanat de perse, XIIIe-XIVe s.), Louvain, 1975.

GAUDEFROY, DEMOMBYNE: La Syrie L'epoque des Mamlouks; Librairie Orientaliste. Paris 1923.

LAOVST, H. : Les Gouverneurs de Damas Sous les Mamlouks et les premiers Ottomans.

NASSIM, S. : Histoire de Syrie, depuis les temps anciens jusqu'a' nos jours; Librairie Internationale deditions sociologiques.

RAY, E. : Les Colonies Franques de Syrie aux XIlme et XIIIme siecles, Librairie des Archives Nationales, Paris 1883.

SMBAT : La chronique attribue au connetable smbat, paris 1980.

****

· المراجع الانكليزية

AYALON, D. : Gun powder and Fire Arms in the Mamluk Kingdom; Gainsborough House, England and in the U.S.A. Frank Gass and Company.

BROWNE, E. : Literary History of Persia; Vol. III, first printed in Great Britin at the University Press, Cambridge. reprinted in Great Britin by Redward Burn Ltd. reprinted 1976.

GRIGOR OF AKANE: History of the nation of the Archers; Harvard University Press, 1954.

LANE POOLE, S. : A History of Egypt in the Middle Ages; Frank Gass and Company Ltd. Fourth edition 1968.

LEWIS,B : The Arabs in History; Litho reprinted 1977 The Anchor Press Ltd. in Great Britin.

RASHID AL-DIn : The Successors of Genghis Khan; Translated from the Persian by john Andrew Boyle, New york and London, Columbia University Press 1971.

RUNCIMAN, S. : A History of the Crusades; Volume III The Kingdom of Acre; Cambridge University Press

STONE, C.G. : A Glossary of the Construction Decoration and Use of Arms and Armor in all countries and in all times; New Yourk.

****

المحتوى

صدر للمؤلف

- الاستراتيجية الادارية
- مكانة المرأة في الشؤون الادارية والبطولات القتالية
- دور الزمن في الادارة
- الادارة العسكرية في حروب الرسول محمد ﷺ
- الحداثة في مؤخرة الفيلق
- معركة عين جالوت (٦٥٨/ ١٢٦٠) دراسة في الجيشين المملوكي والمغولي

سيصدر قريباً

- السبيل في المعارك النبوية والخصائص القتالية
- الريادة في حروب وفتوحات أبي بكر الصديق رضي الله عنه
- استراتيجية الحرب والفتوحات في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه
- استراتيجية الحرب والفتوحات في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه



يطلب من

مؤسسة الرسالة بدمشق

هاتف ٢١٢٧٣٧

دار الفكر بدمشق

هاتف ٢١١٠٤١

مكتبة دار الكتاب الاسلامي بحلب

هاتف ٤٤٣٣٧٦



جدول الخطــأ والصـواب

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطــأ	الصــواب
١٢	١٨	وصخبها	وضبحها
١٤	١٩	والتعليمات	والتعيينات
٩٧	١٢	أردت	أودت
١١٦	٩	دوراً كبيراً	دورٌ كبيرٌ
١٦٢	حاشية رقم ٩٩	مقام العساكر	مقام أتابك العساكر
١٨٢	٦	ولتوت	واللتوت
١٨٢	٧	الحدي	الحديدي
١٨٥	٥	المواسة	المواسم
١٨٦	٨	ومرداش	دمرداش
٢٢٢	١١	مرآة	امرأة
٢٥١	٢	اللنجة	اللبخة
٢٥٤	٢	يكبوا	يكبو
٢٥٧	٦	ورفض	وفض
٢٥٧	١٩	مهمات مهمات	مهمات
٢٦٢	١٧	المجادلة	المجاولة
٢٩٠	١١	المسيرة	الميسرة
٣٠٤	١٩	محمد	محمد صلى الله عليه وسلم
٣٠٧	١٣	وهي	وهو
٣٠٨	١٠	جميع	جمع
٣١٢	١٥	آنذلك	آنذاك
٣١٧	٥	يخشى	يخش
٣١٨	١٢	المتلاحقة	المتلاقية
٣٢٥	١٠	والحجازات	والاحجار
٣٣٠	١٠	عار	أعار
٣٥٦	٨	كلما : اضطربت البلاد داخليا :	كلما اضطربت البلاد داخليا
٣٦٣	٢	القانول	القاتول
٤٣٨	١٥	كامل السطر	يحذف كامل السطر